

سلسلة «الحقيقة الصعبة» (٦)

Series "The Hard Truth" (6)

# بَيْنَ الْعَقْلِ وَالنَّبِيِّ

بَحْثٌ فِي الْعَقِيدَةِ الدَّرْزِيَّةِ

BETWEEN REASON & PROPHET  
STUDY ON DRUZE BELIEF



Druze Star

أَنُورِ يَاسِينِ، وَأَئِْلِ السَّيِّدِ، بِهَاءِ الدِّينِ سَيِّفِ اللَّهِ

ANWAR YASSIN, WA'EL AS- SEID, AND BAHA AD- DIN SEIF ALLAH

September 2, 2010

Arabic

Fonts: Arabic Transparent &  
Simplified Arabic

سلسلة «الحقيقة الصعبة» (٦)

أنور ياسين  
وأئل السيّد  
بهاء الدين سيف الله

# بَيْنَ الْعَقْلِ وَالنَّبِيِّ

## بَحْثٌ فِي الْعَقِيْدَةِ الدَّرْزِيَّةِ

دار «لأجل المعرفة»

ديار عقل - لبنان

١٩٨٥

# فهرس

صفحة		
٧	.....	مقدمة
٢٣	.....	الفصل الأول
	تاريخ الحاكم ونشأة الدرزية :	
٢٤	.....	أولاً
٢٦	.....	ثانياً
٢٩	.....	ثالثاً
٣١	.....	رابعاً
٣٥	.....	خامساً
٤٠	.....	سادساً
٤٩	.....	سابعاً
٥٢	.....	ثامناً
٥٨	.....	الفصل الثاني
	ألوهية الحاكم :	
٥٩	.....	أولاً
٦٣	.....	ثانياً
٦٨	.....	ثالثاً
٧٤	.....	الفصل الثالث
	التجلي الإلهي :	
٧٥	.....	أولاً
٨٢	.....	ثانياً
٨٧	.....	ثالثاً
٩٢	.....	الفصل الرابع
	«سفر التكوين» الدرزي وأدواره :	
٩٣	.....	أولاً
١٠١	.....	ثانياً
١٠٦	.....	ثالثاً
١١١	.....	الفصل الخامس
	حدود دعوة التوحيد وخونها :	
١١٢	.....	أولاً
١١٥	.....	ثانياً
١٢٨	.....	ثالثاً
١٣٠	.....	رابعاً
١٣٢	.....	خامساً
١٣٣	.....	سادساً
١٣٨	.....	سابعاً
١٤٤	.....	الفصل السادس
	الدرزية والإسلام :	
١٤٥	.....	أولاً
١٤٨	.....	ثانياً
١٥٦	.....	ثالثاً
١٦٠	.....	رابعاً

١٦٦	..... بطلان عليّ وشريعة الباطن :	خامساً
١٧١	..... نقض دعائم الإسلام جملة :	سادساً
١٧٥	..... مصير مكّة وبيت الكعبة :	سابعاً
١٨٠	..... العرب «كثّر فيهم الغدر» والخيانة :	ثامناً
١٨٤	..... موقف دروز اليوم من الإسلام :	تاسعاً
١٩١	..... <b>نتيجة المجابهة بين الدرزية والإسلام :</b>	<b>الفصل السابع</b>
١٩٢	..... محنة الدروز وشدة الاضطهاد :	أولاً
١٩٦	..... التّقية :	ثانياً
٢٠٩	..... استعمال الرّموز والتأويل :	ثالثاً
٢١٧	..... سيف الانتقام والأخذ بالثأر :	رابعاً
٢٢٣	..... <b>المعاد الدرزيّ :</b>	<b>الفصل الثامن</b>
٢٢٤	..... نظرية التّقصص :	أولاً
٢٣٨	..... جنة الموحّدين ونارهم :	ثانياً
٢٤١	..... يوم الدروز الأخير :	ثالثاً
٢٤٥	..... <b>دعائم دين التّوحيد :</b>	<b>الفصل التاسع</b>
٢٤٦	..... سدق اللسان :	أولاً
٢٤٩	..... حفظ الإخوان :	ثانياً
٢٥٢	..... ترك عبادة العدم والبهتان :	ثالثاً
٢٥٣	..... البراءة من الأبالسة والطغيان :	رابعاً
٢٥٤	..... توحيد الحاكم جلّ ذكره :	خامساً
٢٥٥	..... الرضى والتّسليم :	سادساً وسابعاً
٢٥٦	..... <b>المجتمع الدرزيّ :</b>	<b>الفصل العاشر</b>
٢٥٧	..... طبقنا المجتمع: عقّال وجهّال :	أولاً
٢٥٩	..... المرأة والزّواج :	ثانياً
٢٦٣	..... أخلاق الموحّدين وصفاتهم :	ثالثاً
٢٦٩	..... <b>الأحوال الشخصية والمؤسسات الدرزية :</b>	<b>الفصل الحادي عشر</b>
٢٧٠	..... الأحوال الشخصية الدرزية :	أولاً
٢٧٤	..... الخلوات والمقامات الدرزية :	ثانياً
٢٧٨	..... مشيخة العقل :	ثالثاً
٢٨٧	..... يوم تكشف الأسرار :	<b>خاتمة الكتاب</b>
٢٨٨	..... مجد التّقية يوم الكشف :	-
٢٩٦	..... <b>المصادر والمراجع :</b>	
٣٠٥	..... <b>صور من الحكمة وشروحاتها :</b>	

صدر عن «سلسلة الحقيقة الصعبة»:

- ١ — أبو موسى الحريري. فسّ ونبيّ. بحث في نشأة الإسلام.
- ٢ — أبو موسى الحريري. نبيّ الرحمة وقرآن المسلمين. بحث في مجتمع مكّة.
- ٣ — أبو موسى الحريري. عالم المعجزات. بحث في تاريخ القرآن.
- ٤ — أبو موسى الحريري. أعربيّ هو؟! بحث في عروبة الإسلام.
- ٥ — أبو موسى الحريري. العلويون النصيريون. بحث في العقيدة والتاريخ.
- ٦ — أنور ياسين، وائل السيّد، بهاء الدين سيف الله، بين العقل والنبيّ. بحث في العقيدة الدرزيّة.
- ٧ — حمزة بن علي، إسماعيل التميمي، بهاء الدين السموقي، رسائل الحكمة، كتاب الدروز المقدّس. تحقيق أنور ياسين.
- ٨ — حامد بن سيرين، مصادر العقيدة الدرزيّة.

---

جميع حقوق الطبع والنقل والاقتباس

محفوظة لدار «لأجل المعرفة»

ديار عقل — لبنان

١٩٨٥

---

# بَيْنَ الْعَقْلِ وَالنَّبِيِّ

## مُقَدِّمَةٌ

نشهدُ أمامَ الله أننا نقولُ الحقَّ، ولا نقولُ إلاَّ الحقَّ. ونشهدُ أمامَ الضميرِ أننا ننقلُ بصدقٍ وأمانة. ونشهدُ أمامَ الناسِ أننا لن نتوخَّى من عملنا سوى الخير. ولا يخالجنَ نفسَك، أيها القارئُ العزيز، أيُّ شكٍّ في شهادتنا. ولا تَعْتَبِرَنَّ بحثنا مهاترةً، أو نيلاً من كرامةِ إنسان. ولئن كانتْ جَوْلَتنا في مُنْعَرَجِ الأسرارِ، فإنَّ سرَّ الإنسانِ يبقى لدينا مَصُونًا. ولئن كانَ قَصْدُنَا كشفَ سرِّ «الله والحكمة»، فإنَّ القصدَ آيَاهِ يستحْتُننا لصونِ سرِّ الإنسانِ وكرامته.

ليسَ ككشفِ سرِّ «الله والحكمة» ما يُغني سرَّ الإنسانِ ويريحُ قَلْبَهُ. ولن نبقيَ حيالَ هذا القلقِ بغيرِ طائل، ولا أمامَ السرِّ دونَ نَيْلِهِ. لنا دعوةٌ نريدُ الجهادَ لأجلها، دعوةٌ إلى المعرفةِ والحريةِ، أو قل: دعوةٌ إلى الحريةِ في المعرفةِ، ولا أحدٌ في الدنيا يستطيعُ أن يَصْرِفَنَا عنها. ولنا هدفٌ نقصدُ بلوغه، ولو رَكِبْنَا المخاطرَ: هدفُ معرفةِ الحقيقةِ وتحقيقها، لأنَّ «هدفَ الحياةِ الإنسانيةِ هو معرفةُ الحقيقةِ وتحقيقها»<sup>١</sup>.

لن نبلعَ الهدفَ إنْ كنتَ في شكٍّ ممَّا نقول. ولن نتمَّ دعوتنا إنْ لم تتوفَّرْ لديكِ المصادرُ والمراجع. ولا حجةٌ لكِ علينا لو لم تكنْ هذه المصادرُ والمراجعُ مخطوطاتٍ نادرةً وسريَّةً. ولكننا سنوافيكِ بنموذجٍ عنها، وسندلكِ عليها في مكتباتها وأرقامها، وسننقلُ لكِ منها نصوصاً إضافيةً. ونعدُّكَ بالأمانةِ لها. فصدِّقنا، أيها القارئُ العزيز، إنَّ الأمانةَ والله، نبراسنا، والصدقُ همنا، ونقلُ الحقيقةِ حَقِيقَتُنَا... ومع هذا، سوفَ يدفعونكَ إلى الشكِّ دفعاً، ويُكرِّرونَ علينا العلمَ والمعرفة... وعليكِ أنتَ أنْ تحكَمَ.



لكي نبلغَ وإياكِ الهدفَ نتمنَّى عليكِ أن ترسخَ لديكِ هذه العقيدة: إنَّ اللهَ لم يكلفِ إنساناً للدفاعِ عنه، لا يهودياً ولا نصرانياً ولا مسلماً ولا درزياً... وليس لأحدٍ من هؤلاء أن يحتكرَ الله، ويمنعَه عن سواه، إذا ما حظيَ بنعمةٍ لقيامه. وليس لأحدٍ منهم أن يفتخرَ بأنَّ اللهَ اجْتَبَاهُ على حسابِ العالمين، وتبناه دونَ سائرِ البشرِ. وليس لأحدٍ أيضاً أن يطمئنَّ إلى اللهِ فيعفي نفسه من التفتيشِ عنه. إنَّ خيرَ المواقفِ من الله أن يَمْنَحَكَ اللهُ حُرِّيَّةَ البحثِ عنه في كلِّ آن.

<sup>١</sup> كمال جنبلاط، هذه وصيَّتي، ص ٥٠.

لقد عَجَزْنَا اللهُ بِنَعَصِينَا لَهُ، فَبَاتَ، وَكَأَنَّهُ إِنْسَانٌ، لَا يَعْرِفُ مَنْ يُبْغِضُ وَلَا مَنْ يُحِبُّ. بَلْ بَاتَ يُحِبُّ مَنْ نَحِبُ، وَيُبْغِضُ مَنْ نُبْغِضُ. بَعْضُ الْغِيَارِي اسْتَأْثَرُوا بِهِ فَمَنْعُوهُ عَن سَوَاهِمَ لِيَنْعَمُوا وَحَدَّاهُم بِالْمَلَكُوتِ. وَبَعْضُ الْعَاشِقِينَ أَحْبَبُوا لَهُ مَا يُرِيدُونَ هُمْ، وَاخْتَارُوا لَهُ مَا يَشَاؤُونَ. فَغَدَا إِلَهُ الْيَهُودِ يَكْرَهُ النَّصَارَى، وَالْإِلَهُ النَّصَارَى يَكْرَهُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْإِلَهُ الْمُسْلِمِينَ يَكْرَهُ الدَّرُوزَ، وَالْإِلَهُ الدَّرُوزِ يَلْعُو الْجَمِيعَ... هِيَ غَيْرَةُ الْبَشَرِ عَلَى اللَّهِ حَتَّى يَبْقَى اللَّهُ رَهِينَتَهُمْ يَتَلَوْنَ بِاللُّوَانِ حُبَّهُمْ وَبِغْضَهُمْ.

يَسْتَرِعِيكَ ذَلِكَ فِي الْيَهُودِيَّةِ الَّتِي لَمَسْتُ فِي قَلْبِ اللَّهِ إِعْجَابًا. فَجَعَلْتَهُ يَخْتَارُهَا دُونَ الْبَشَرِ، وَعَيَّنْتَ نَسَبَتَهُ إِلَى آبَائِهَا «إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ»، وَحَصَرْتَ عِبَادَتَهُ فِي هَيْكَلِ سَلِيمَانَ، وَاحْتَكَرْتَ الْوَحْيَ وَالْأَنْبِيَاءَ، وَافْتَخَرْتَ بِالنَّامُوسِ يُنَزَّلُ عَلَيْهَا... وَعِنْدَمَا هَجَرَ الْيَهُودُ مِنْ وَطَنِهِمْ هَجَرُوا اللَّهَ مَعَهُمْ، وَفِي نَوَاحِيهِمْ عَلَى ضَفَافِ أَنْهَارِ بَابِلِ نَاحَ اللَّهُ مِثْلَهُمْ، وَفِي شَتَاتِهِمْ فِي أَقْطَارِ الدُّنْيَا رَحَلَ اللَّهُ مَعَهُمْ، وَعِنْدَمَا رَجَعُوا يَبْنُونَ دَوْلَةَ إِسْرَائِيلَ بَنَوْا اللَّهَ «كِنْيَسِيَّتْ» عَلَى مِثَالِ هَيْكَلِهِ الْقَدِيمِ.

وَجَاءَتِ الْمَسِيحِيَّةُ، وَكَانَ اللَّهُ مَحْجُورًا عَلَيْهِ فِي بَيْتِ دَاوُدَ، وَمَقِيدًا بِسَلْسِلِ النَّامُوسِ، فَدَعَا الْمَسِيحُ إِلَى إِلَهٍ يُعْبَدُ بِالرُّوحِ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ، وَدَعَا إِلَى مَصَالِحَةٍ شَامِلَةٍ بَيْنَ النَّاسِ، وَعَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ مُحِبَّةٌ... وَلَكِنْ زَمَانًا مَا مَرَّ عَلَى الْكَنِيسَةِ حَاوَلَتْ فِيهِ احْتِكَارَ اللَّهِ وَالِاسْتِنْتِثَارَ بِهِ، فَقَيَّدَتْهُ بِنَامُوسِ جَدِيدٍ، وَحَكَمَتْ عَلَى كُلِّ مَنْ هُوَ خَارِجٌ عَنْهَا بِأَنَّهُ لَنْ يَبَالَ مِنْ إِلَهٍ الْمُحِبَّةِ آيَةً مُحِبَّةً... فَوَقَعَتِ الْمَسِيحِيَّةُ بِالْيَهُودِيَّةِ، وَخَافَتْ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ إِلَهُ الْعَالَمِينَ.

وَجَاءَ الْإِسْلَامُ، وَدَعَا إِلَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَاحِدٍ لِلْجَمِيعِ، فَكَانَ بِذَلِكَ خَيْرَ الدَّاعِينَ. وَلَكِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَقَعُوا فِي ثَلَاثِ خَطَايَا إِلَهِيَّةٍ: الْأُولَى أَنَّهُمْ أَلْزَمُوا اللَّهَ بِكِتَابَةِ الْقُرْآنِ فَالْأَلْزَمُوا النَّاسَ بِشَرِيحَةٍ مَرْبُوطَةٍ بِعُمْدِ السَّمَاءِ؛ الثَّانِيَةُ أَنَّهُمْ دَعَوْا إِلَى اللَّهِ بِالسِّيفِ وَالْعَنْفِ فَكَانَ الْجِهَادُ الْمُقَدَّسَ فِي سَبِيلِهِ حَرْبًا عَلَى النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا: أَسْلَمْنَا؛ وَالثَّلَاثَةُ أَنَّهُمْ أَطْمَأَنَّنُوا إِلَى اللَّهِ كَثِيرًا حَتَّى أَقْعَدَ الْأَطْمَئِنَّا كُلَّ مُسْلِمٍ عَنِ الْبَحْثِ وَحُرِّيَّةِ الْمَعْرِفَةِ. بِهَذَا احْتَكَرَ الْمُسْلِمُونَ اللَّهَ مِنْ جَدِيدٍ، وَفَرَضُوهُ عَلَى النَّاسِ فَرَضًا.

وَجَاءَتِ الدَّرُزِيَّةُ، فَكَانَ حَظُّ اللَّهِ فِيهَا عُجَابًا. لَقَدْ مَنَعْتَهُ عَنِ غَيْرِ الْمُنْتَمِينَ إِلَيْهَا، وَأَغْلَقْتَ دُونَهُمْ أَبْوَابَ الدَّعْوَةِ، وَسَتَرْتَ «الْحِكْمَةَ» عَنِ غَيْرِ أَهْلِهَا وَمَسْتَحْقِيهَا، وَحَصَرْتَ نِعْمَةَ «الْكَشْفِ» فِيهَا... وَكَانَ احْتِكَارُهَا لَلَّهِ مِنْ أَذَى الْأَخْطَارِ عَلَيْهِ. وَأَذَى الْأَخْطَارِ إِنَّهَا اسْتَنْتَرَتْ فِي سَائِرِ أَدْيَانِ الْبَشَرِ، لَيْسْتَمِرَّ الْبَشَرُ جَمِيعُهُمْ حَيْثُ هُمْ فِي ضَلَالِهِمْ هَالِكِينَ، وَيَكُونُ الدَّرُوزُ وَحَدَّاهُمِ النَّاجِينَ.





فما عساكَ تفعل، أيها القارئ العزيز! أُنكونُ لإلهِ موسى حيثُ هو في هيكل سليمان؟ أم تكونُ لإلهِ عيسى يسرُحُ في الكونِ الرحيب؟ أم تجاهدُ في سبيلِ الله مع محمّد والمسلمين الفاتحين؟ أم أنتَ في الدرزيّة أغلقتَ عليك الأبوابَ ونعمتَ وحدك بمعرفته؟... أنتَ تقرّر. أمّا نحنُ فلن ندعوك إلى أيّ قرار... همّا أن نحررَ الله منّا، وأن نُفلتَ المسكين، الذي هو الله، من أيدينا، ومن أوهامنا وأفكارنا وتصوّراتنا، ومن الجهادِ في سبيله والدفاعِ عن كرامته على حساب الإنسان وكرامته.



## (١) الدرزيّة سنة ٢٠٠٠

هذه النظرة السريعة كانتُ ضروريّةً لنا للدخولِ بكَ ومعك، أيها القارئ العزيز، إلى خدرِ الدرزيّة التي تستهويننا أسرارها، وقد تستهويك أيضاً. يستهويننا مفهومها للالوهة المتجلّيّة عبّرَ الأدوار، وموقفها الصريحُ من الأنبياء والأديان، ومنزلةُ العقلِ حيثُ هو أصلُ الموجودات، ومناقبيّتها المتجسّدة عند أصحابها... لعلّه يُفتحُ بابُ الدعوة يوماً وأنتَ على أعتابه لا تعرفُ ماذا تفعل. وها نحنُ على أبوابِ دورٍ جديد، قد يُدركنا على حينِ غفلة. ونخشى أن نكونَ وإياك من الغافلين!

لقد نَبّهنا إلى ذلك الشهيدُ البطلُ كمالُ جنبلاط «ذو السلطة الروحيّة»<sup>١</sup>، عندما أنبأنا، قبل نُقلته الأخيرة، بقوله: «وسيُفتحُ دورُ طلبٍ - أو طلابٍ - جديدٌ في حدودِ سنة ٢٠٠٠ بتجلٍّ إلهيٍّ وظهورٍ حكيمٍ جديد. وعند ذلك يُفتحُ الطريقُ من جديد، ويصيرُ بإمكانِ جميعِ الناسِ في كافّةِ أصقاعِ العالمِ سلوكها»<sup>٢</sup>.

وها نحنُ على أبوابِ السنة الـ٢٠٠٠، وشهادة الشهيد قد تتحقّق، وهو الذي قيل فيه: إنه «شهيّدُ الإنسانيّةِ جميعها»<sup>٣</sup>، وإنه «شخصيّةٌ عالميّةٌ، تلاقتَ فيها أنبلُ شمائلِ الإنسانِ المتحضّر... هو ذلك العملاق، قدّمناه على الأرض، وجبّهتهُ في أبعدِ مرامي البصر»<sup>٤</sup>.



<sup>١</sup> كمال جنبلاط، هذه وصيّتي، ص ٥٠.

<sup>٢</sup> نفس المرجع.

<sup>٣</sup> حافظ أبو مصلح، واقع الدروز، ص ٥٠.

<sup>٤</sup> سامي أبو شقرا، مناقب الدروز في العقيدة والتاريخ، ص ٢٨١.

## ٢) من هو الدرزي؟

وأنت، أخانا الدرزي، قد لا تكونُ وحدكَ تنتسبُ إلى الدرزية بحمل اسمها وبالوصولِ على كتبِ الحكمةِ وأسرارِها وِبوارثِها عن الآباءِ والأجدادِ، فـ«الدرزي» ليسَ اسماً وفقاً على مَنْ نُسِمَهم الدرُوز، أي على النحلةِ الموجودةِ في لبنان وفي جبلِ العربِ بسوريا وفي إسرائيل أو تركيا أو حتى في شمالِ باكستان، بل الدرزيُّ هو كلُّ توحيدي، أي كل مَنْ يَعتقدُ بوحدةِ أديانِ العالمِ كافَّةً، وكائناً ما كانت طقوسُها وشعائرها؛ أي إنه اسمٌ ينصرفُ إلى مسيحيين وبوذيين ومسلمين وهندوكيين...<sup>١</sup>. وقد يكونُ الدرُوز منتشرين «تحت تسمياتٍ أخرى في كافَّةِ أديانِ العالمِ، يُمثَّلونَ بالتالي أكثرَ من ربعِ البشرية»<sup>٢</sup>.

ولم تقتصرِ الدرزية، بمفهومها الحقيقي، على درزيةِ اليوم، بل هي كانت منذ أقدم العصور، مستترةً في جميعِ الأديانِ ومسالكِ العرفانِ. «فدعوةُ التوحيدِ إنما هي استمرارٌ للمسالكِ العرفانيةِ القديمةِ وتطورٌ لها. وقد استبطنتها الشرائعُ السماويةُ السابقةُ، كما احتضنها الإسلامُ فيما بعد وغلَّاها... ونحنُ إذا دققنا النظرَ نرى آيةَ صلةٍ وثيقةٍ تربطُ مسالكَ الحكمةِ عبرَ التاريخِ بعضها ببعض»<sup>٣</sup>. فالدرُوز هم بالتالي «جماعةٌ كانت منذ كان الوجود. وليتَّهمُ يَعلَمون»<sup>٤</sup>.

هذا المفهومُ الصائبُ للدرزيةِ جعلنا معنيينَ بها حيثُ نحنُ في مواقعنا الإيمانيةِ والدينيةِ المختلفةِ. وإننا لنرى في هذهِ النظرةِ الحجةَ الدامغةَ لمعرفةِ أسرارِها واكتشافِ كنوزِها وحلِّ رموزِها. بل نرانا مدفوعينَ إلى ذلك، ملينينَ دعوةَ الحكمةِ القائلة: «أجيبوا الداعي إذا دعاكم، واسمعوا نداءه، إذا ناداكم... ارتقبوا الحقَّ في كلِّ عصرٍ وزمن، ولا تركنوا إلى التقصير، بعدَ الطلبِ والتشمير... فإنَّ حقائقَ الحكمةِ تكشِفُ لكم عن مشكلاتِها، وتفتحُ لكم أغلقها وأقفلها...»<sup>٥</sup>.



## ٣) اسم الدرزية:

<sup>١</sup> كمال جنبلاط، هذه وصيتي، ص ٥٤ - ٥٥.

<sup>٢</sup> نفس المرجع، ص ٥٠.

<sup>٣</sup> الدكتور سامي مكارم، أضواء على مسلك التوحيد، ص ١٠٠.

<sup>٤</sup> الشيخ محمد أبو شقرا، في مقدمة على كتاب «أصل الموحدين الدرُوز»، للقاضي أمين طليح، ص ٦.

<sup>٥</sup> رسالة الرشد والهداية، رقم ٣٩ ص ٢٨٤ - ٢٨٥ من «رسائل الحكمة»، طبعة ١٤٠٠ هـ. التي نعتمدها في بحثنا.

أما اسمُ الدرزيّة «فلا يقبلُ بهِ الدروزُ بحالٍ من الأحوال. وقد أُطلقَ عليهم كرهاً منهم. وهم يفضلون اسمَ «الموحدين» ولقبَ «بني معروف». ولا يرون مبرراً تاريخياً لهذا الاسم، كما لا يجدونه في كتبهم المقدسة ولا في تاريخهم القديم. يقول عجاجُ نويهض، مختصراً رأيهم، إن هذا الاسم لم يلزم الموحدين أبداً:

ف«المؤرخين الثلاثة الكبار... الذين كتبوا في النحلِ كلّها، واستنصوها واحدةً واحدةً، وفصلوا عقائدها؛ وفرّع بعضها من بعض تفصيلاً لا مزيدَ عليه؛ هؤلاء المؤرخون، وهم الشهرستاني وابن حزم والبغدادي، وانتهوا من أعمالهم في القرنِ السادس... لم يذكروا في كتبهم شيئاً عن «الدروز» أو «الدرزيّة». ولا ذكرَ عندهم للدروز إطلاقاً.

«والمؤرخان... ابن الأثير وأبو الفداء، وقد أرخا حوادثَ الشام سنةً فسنةً تقريباً، لا ذكرَ عندهما للدروز إطلاقاً. وابنُ عساكر وابن الجوزي وابن خلدون، لا ذكرَ عندهم للدروز إطلاقاً. وكتبُ الأميرِ جمال الدين عبد الله التتوخي (+ ٨٨٤ هـ) نحو ١٧ كتاباً مخطوطاً، لا ذكرَ فيها للدروز إطلاقاً. السجلُ الارسلاني... لا ذكرَ فيه للدروز إطلاقاً. ومثله تاريخ ابن سباط، وهذا كان في أولِّ العهدِ العثماني. وأما الأشرفاني، وكان معاصراً للأمير ملحم المعني فإنه أوردَ مرّةً أو مرتين في كتابه الضخم<sup>٢</sup> اسمَ الدروز والدرزيّة، ولكن بطريقة الرواية عن غيره، لا من عنده. تلاميذُ التتوخي كتَبَ كثيرٌ منهم ودونَ، ولا أحدٌ منهم ذَكَرَ كلمةَ الدروز»<sup>٣</sup>.

ولكن، هل غاب عن عجاج نويهض أن مؤرخاً معاصراً لنشأة الدرزيّة، والذي انتهى من وضع تاريخه سنة ٤٢٥ هـ، وهو يحيى بن سعيد الأنطاكي، يذكر في مواضع عديدة من كتابه اسم «الدرزيّة»؟؟؟ ألم يقرأ «أن بعضَ غلمان الأتراك وثبَ على الدرزيّ وقتله... ولبيت الفتنة ثلاثة أيام، وقتل فيها جماعة من الدرزيّة»<sup>٤</sup>. ألم يقرأ أيضاً قوله: «تزايد أمرُ الدرزيّة إلى أن لعنوا آدمَ ونوحَ وجميعَ الأنبياء ومحمداً وعلياً، وتغوطوا في المساجد، ولطخوا القبلةَ بالقدس، وبألوا على مصاحفِ القرآن»<sup>٥</sup>؟ ألم يقرأ أيضاً قوله: «أذاع بعضُ الدرزيّة دعوتَه

<sup>١</sup> «إلا في موضع واحد من الجزء الثاني عثرنا على ذكر للدروز والدرزيّة، ولكننا نعتقد أن هذا مدسوس مزيف». صفحة ر، انظر ص ٢٣٣.

<sup>٢</sup> الأشرفاني، عمدة العارفين في ثلاثة أجزاء، مخطوط.

<sup>٣</sup> عجاج نويهض، الأمير جمال الدين التتوخي.. ص: ذ، ر، ز...

<sup>٤</sup> محمد بن إسماعيل الدرزي الملقب بأشكتكين، وهو من الدعاة الأول.

<sup>٥</sup> تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي، نشر الأب لويس شيخو سنة ١٩٢٧ بمطبعة الآباء اليسوعيين، ص ٢٢٣ سطر ٧.

<sup>٦</sup> نفس المرجع، ص ٢٢٤ سطر ١٠.

دعوته في قوم من المسلمين في موضع يُعرَفَ بوادي التيم<sup>١</sup>؟ ألم يقرأ أخيراً قوله: «وكان قد اجتمع في جبل السَّمَّاق من بلد الروم جماعة من الدرزية وجاهروا بمذهبهم»؟<sup>٢</sup>.

بهذا الاسم عُرفَ الدروز إذن في تاريخهم ومنذ نشأتهم، ولا مجال بعدُ لكثرة المغالطات التي تتسببُ إلى هذه أو تلك من النسبِ والتفسيرات. ويوجزُ لنا غالبُ أبو مصلح هذه المغالطات في قوله: «أمَّا التسميةُ بالدروز فلها تفسيراتٌ عدَّة، يُرجعُها بعضهم إلى المدعو الشيخ حسين الدرزي أحدَ كبارِ فلاحي مصر، وهو أولٌ من أيدَ دعوةَ الحاكم بأمر الله، وسار في ركابه<sup>٣</sup>. وجاء في تفسير لغوي لبطرس البستاني قوله: «لغويًا: يُقالُ دَرَزَ الرجلُ أي تمكنَ من نعيم الدنيا وخيراتها، «الدَرَزُ» هو النعيمُ (كلمة فارسية معرَّبة). ويقول عبد الله النجار، بناء على ذلك، الدروز إذن هم أتباع النعيم، أي الذين سيدخلون حتمًا إلى جنَّاتِ عدنٍ إذا ساروا في طريق قويم... ويعتقد البعضُ أنها نسبةٌ عسكرية لا مذهبية إلى القائد الفاطمي الأمير أنوجور أبي منصور أنوشتكين الدرزي الذي قاد الدروز في قتالهم... في الأقحوانة.. هناك... كان بناء الطائفة الدرزية العسكري المتين... وهناك... عرفت الدرزية بأخوة السلاح ومعمودية الدماء، فرقة عسكرية لا تنوء<sup>٤</sup>.

#### ٤) اسم «الموحدون»:

لم يختر الدروزُ اسمهم هذا، بل أُطلقَ عليهم كرهاً منهم، وهو يرجعُ إلى محمد بن إسماعيل الدرزي - لعنه الله، كما يقولون -، وهو الـ«غطريس... الذي تغطرسَ على الكشف بلا علم ولا يقين. وهو الضدُّ الذي سمعتم بأنه يظهر من تحت ثوب الإمام (حمزة) ويدعي منزلته، ويكون له خوار...»<sup>٥</sup>. لأجل ذلك يفضلون اسم «الموحدين»، نسبة إلى عقيدتهم الأساسية في «توحيد الله».

وكثيراً ما يرد هذا الاسم في «رسائل الحكمة» وشروحاتها وسائر الكتب الدرزية. ففي «ميثاق ولي الزمان»، وهو العهد الذي يكتبه الدرزي على نفسه، هذا القول: «من أقرَّ أن ليس

<sup>١</sup> نفس المرجع، ص ٢٢٦ سطر ١٧.

<sup>٢</sup> نفس المرجع، ص ٢٦٥ سطر ٩.

<sup>٣</sup> ليس هو محمد بن إسماعيل الدرزي المارَّ ذكره في ملاحظة (١٤).

<sup>٤</sup> غالب أبو مصلح، الدروز في ظلِّ الاحتلال الإسرائيلي، ص ٤٨ - ٤٩، وهو يعتمد على سليم حسن الهشي، الإسماعيليون عبر التاريخ، الجزء الأول ١٩٦٩ ص ١١٩، وعلي سليم أبو اسماعيل، الدروز - التشيع الفاطمي الإسماعيلي، الجزء الأول، ص ٦٥... وأنوشتكين الدرزي المذكور في متن النص هو غير المذكور في (١٤).

<sup>٥</sup> رسالة الغاية والنصيحة رقم ١٠ ص ٩٢. انظر فيما بعد...

له في السماء إله معبود، ولا في الأرض إمام موجود، إلا مولانا الحاكم جلّ ذكره، كان من الموحّدين الفائزين»<sup>١</sup>. وقد ترى في كل صفحة من «رسائل الحكمة» اسم «الموحّدين» و «أهل التوحيد».

و «التوحيد» هو المذهب الثالث أو «المسلك الثالث»<sup>٢</sup>، على أنّ الأوّل هو «الإسلام» (السنة) وصاحبه النبي محمّد، والثاني هو «الإيمان» (الشيعة) وصاحبه علي بن أبي طالب. يُكنّى الأوّل باسم «التنزيل» أو «الظاهر»، والثاني باسم «التأويل» أو «الباطن». وقد يُسمّى أيضاً «التوحيد» باسم «الطريقة الوسطى»<sup>٣</sup> أو «الأوسط الذي هو المنهج الأقوم والطريق الأسلم التي من سلكها نجا، ومن تخلف عنها هلك وغوى»<sup>٤</sup>. هذه هي «دعوة التوحيد الناسخة لجميع الشرع والأديان»<sup>٥</sup>، من اتبعها «تبراً من جميع المذاهب، والمقالات، والأديان، والاعتقادات كلّها على أصناف اختلافاتها»<sup>٦</sup>.



## ٥) الدرزيّة مذهب أم دين؟

مهما حاول الدروز اعتبار الدرزيّة مذهباً يضمّه الإسلام، أو ينتمي إلى الإسلام، بشكل من الأشكال، فهو، بالحقيقة، من قبيل التقيّة واتقاء الخطر. الدرزيّة «دين» مستقلّ تمام الاستقلال، يقوم على أركان خاصّة، له كتابه المقدس، وعقيدته، ونظريته إلى الكون، وفرائضه، ومناقبيّته، وطقوسه، وأنبيأؤه... وكلّها لا تمتّ إلى الإسلام بصلّة... وهذا ما لا يريد المسلمون تصديقه، ولا الدروز يريدون الاقرار به. وسترى ذلك في فصل لاحق. لكننا الآن نودّ الانتقال بك إلى حديث مثير جرى بين الدكتور مصطفى الشكعة وبين الشيخ محمّد أبو شقرا شيخ عقل الدروز والأستاذ كمال جنبلاط حول هذا الموضوع.

يقول الشكعة: «قد حرصتُ عمداً في أوّل حديثي مع الشيخ أن استعملَ لفظةً «الدين الدرزي»، ولكنّ الشيخَ سارعَ في حزمٍ وقال: «يا أخي، أرجوك، لماذا لا تقول «الدين»؟ قلّ

<sup>١</sup> ميثاق وليّ الزمان رقم ٥ ص ٤٨...

<sup>٢</sup> انظر الرسائل: ٣٨ / ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٩ / ٧٤، ٦٧ / ٨٢٥... وغيرها كثير.

<sup>٣</sup> ١٧ / ١٨٦، أيضاً: ١٣ / ١٤٤، ١٤ / ١٥٣.

<sup>٤</sup> الرسائل ١١ / ١٠٦ - ١٠٧.

<sup>٥</sup> ٧٧ / ٧٠٠.

<sup>٦</sup> ميثاق وليّ الزمان ٥ / ٤٧.

«المذهب»، لأننا مسلمون موحدون»<sup>١</sup>. ثم انتقل الشكعة إلى السيد جنبلاط لِيَسْمَعَ منه: «الدروز... اعتنقوا الإسلام في مرحلة من مراحل عقيدتهم؛ ولما كانت العقيدة عندهم متطورة فقد تحولوا عن الإسلام إلى دين آخر مستقل هو الدين الدرزي، إن الدرزية كانت مذهباً إسلامياً، ثم تطورت وأصبحت ديناً مستقلاً. والأقطاب هم الذين يحدّدون الدين من زمن إلى زمن... ولذلك فالدرزية دينٌ متطورٌ...» ثم يحدث الشكعة جنبلاط لِيَسْمَعَ منه أيضاً: «لا يقبلُ الدروزُ أحداً في دينهم... الدين الدرزي دينٌ صوفي... الدين الدرزي تنظيمٌ حربي...»<sup>٢</sup>.

لقد احتار الشكعة في أمره فذهب يقرأ سامي مكارم في رده على السفير عبد الله النجار، ويقول الشكعة: إن الدكتور مكارم يوافق النجار بقوله إن الدرزية مذهبٌ من «الإسلام من حيث انحصاره في القرآن وعدم خروجه عنه»<sup>٣</sup>. والنجار، بدوره، يصرّح عن «التوحيد» بقوله: «فهو ليس ديانة»<sup>٤</sup>، ويختم مقدّمة كتابه بدعوته لنا: «ولندخل في صلب هذا المذهب»<sup>٥</sup>. المذهب»<sup>٥</sup>. ثم يشدّد في متن الكتاب قوله: «هذا المذهب التوحيدي قائم على الإسلام»<sup>٦</sup>، ولكنّه، ولكنّه، في طبعة ثانية يحذف جملة «قائم على الإسلام»<sup>٧</sup>.

والدكتور سامي مكارم، فيما هو يقوم قيامته على السفير النجار الذي حاول إخراج الدرزية عن الإسلام واعتبارها، على غير وعي منه، ديناً مستقلاً، يقع هو نفسه في نفس الخطأ، فيقول: «إن نظرية الانبثاق التي يشير إليها الكتاب إشارة عابرة هي من النظريات الأساسية في دين التوحيد»<sup>٨</sup>. ويطيّر صواب الشكعة ويعلق: «لقد فرغت عندما قرأت هذه الجملة لصدورها في مقام تصحيح ما اعتقد أنه لا يُمنل نظر المذهب. وطاف بذهني هاجسٌ مخوفٌ. فكيف يكون المستقبل في نطاق الترابط العقيدي الإسلامي لو قال الكاتب السني «دين السنة»، ولو قال الكاتب الشيعي «دين الشيعة»؟... وإني أمل صادقاً أن تكون هذه التعبيرات غير حاملة المعنى الخطير الذي يفهم منها لأول وهلة»<sup>٩</sup>.

وهكذا احتار الشكعة في أمره وهو يحدث أقطاب الدرزية ويقرأ كتبها الأفاذا: فشيخ العقل «يرجوّه أن لا يقول عن الدرزية أنها «دين»؛ وجنبلاط لا يُسمعه سوى أنها «دين»؛

<sup>١</sup> مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ص ٢٩٢.

<sup>٢</sup> نفس المرجع، ص ٢٨٩ - ٢٩١.

<sup>٣</sup> الدكتور سامي مكارم، أضواء على مسلك التوحيد، ص ١٠٤ - ١٠٥، السفير عبد الله النجار، مذهب الموحدين الدروز، ص ١٦ من ط ٢.

<sup>٤</sup> عبد الله النجار، نفس المرجع، ص ١٦.

<sup>٥</sup> نفس المرجع، ص ١٧.

<sup>٦</sup> مذهب الدروز والتوحيد، طبعة أولى، ص ٨٣. وهو عنوان هذه الطبعة التي ظهرت في طبعة ثانية باسم «مذهب الموحدين الدروز».

<sup>٧</sup> عبد الله النجار، مذهب الموحدين الدروز، ط ٢، ص ١٢٣.

<sup>٨</sup> الدكتور سامي مكارم، أضواء على مسلك التوحيد، ص ١١٥.

<sup>٩</sup> مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ص ٢٨٥ - ٢٨٦.

وسامي مكارم يسقط في رده على النجار، وبلا قصد منه يقول بـ«دين التوحيد»؛ والنجار يخاف من تسمية الدرزية بـ«ديانة»، ولكنه لا يخاف من اعتبارها غير الإسلام... وراح الشكعةُ يوجبُ المجتمعَ الدرزيَ ليتأكدَ من أفواه الأطفال والأولادِ حقيقةَ الأمرِ ويرفعَ عن عقله المظان، ويقولُ لنا في جولته: «قد لاحظتُ أن كلَ طفلٍ درزيٍّ، حتى أبناءَ أصدقائنا المستنيرين، إذا سئلَ عن دينه قال: إنه درزي. فإذا قيلَ له: يعني مسلم! أبدى استغراباً شديداً. وكأنَّ ليس ثمةَ علامةَ تربطُ بينه وبين الإسلام. وله العذرُ في ذلك طالما أنه لم يُعلمَ أن الدرزيةَ مذهبٌ من مذاهبِ الإسلام...»

«هذا في الأوساطِ الاجتماعية. فإذا انتقلنا إلى الأوساطِ العلميةِ وجدنا المؤلِّفينَ والمحاضرينَ يتحدثون عن الدرزية وكأنها دينٌ مستقلٌّ، وليسَ مذهباً إسلامياً. وإذا أُشيرَ إلى الشريعةِ الإسلاميةِ أُشيرَ إليها وكأنها شريعةٌ غريبةٌ لدينٍ غريب... والعباراتُ توجي... أن الدرزيةَ شيءٌ والإسلامَ شيءٌ آخر...»<sup>١</sup>.

ومع كل هذا لا يريدُ الشكعةُ أن يصدِّقَ ما يسمعه وما يقرأه، بل أرادَ أن يأخذَ الحقيقةَ من أربابها، فاعتمدَ بالنهايةَ على كلامِ شيخِ عقلِ الدروزِ محمدَ أبو شقرا الذي «رجاه» أن يقولَ بأنَّ الدرزيةَ مذهبٌ لا دين... وغابَ بالُ الشكعةُ عن أنَّ الشيخَ «شيخٌ مثقفٌ، خطيبٌ، يُجيدُ الكلامَ المدروسَ العميقَ»<sup>٢</sup>، على حدِّ قولِ حافظِ أبو مصلح؛ وفات الشكعةُ أنَّ «حافظ» هذا مادِحُ الشيخِ وَضَعَ عنواناً في كتابه أسماء: «ديانة الدروز»<sup>٣</sup>. وغابَ بالُ الكلِّ عمَّا قاله «المؤرِّخُ المتعمِّقُ الأستاذُ يوسف ابراهيم يزبك» في مقدِّمته لكتاب «الدولة الدرزية» الذي نقله حافظُ أبو مصلح إلى العربية. أجاب يزبك على سؤال: «وهل مذهبُ التوحيدِ دينٌ؟ فأجيب: نعم. نعم. نعم»<sup>٤</sup>.

## ٦ «بنو معروف»

بقي علينا النظر في لقب «بني معروف» الذي يطربُ الدروزُ له عند سماعه. واختلفَ فيه الباحثون. فمنهم من يعتبره نسبةً إلى قبيلةٍ عربيةٍ اعتنقتِ الدرزيةَ منذ نشأتها، فقال غالبُ

<sup>١</sup> مصطفى الشكعة، اسلام بلا مذاهب، ص ٢٨٢...

<sup>٢</sup> حافظ أبو مصلح، واقع الدروز، ص ١٧.

<sup>٣</sup> نفس المرجع، ص ١٨ - ٢١.

<sup>٤</sup> بيجه ده سان بيبير، الدولة الدرزية ترجمة حافظ أبو مصلح، ص ٢٦.

أبو مصلح: «أما تسمية الدروز ببني معروف فتعودُ إلى اسم إحدى قبائلهم السالفة الذكر. وذلك بتسمية الكل باسم الجزء»<sup>١</sup>.

ومنهم من يعتبره اشتقاقاً لغوياً من «المعروف» بمعنى «الخير» و «الإحسان»، فيكون الدروزُ بالتالي «أبناء أو أصحاب الخير والاحسان».

أو أيضاً من «عَرَفَ معرفة» بمعنى العِلْم. فيكونون بذلك «العارفين»، وأصحاب العرفان الذين ينالون المعرفة الاشرافية من لدن الله. ومعنى ذلك أن «بني معروف» هم أصحاب المعرفة اللدنية الحقيقية النهائية... والمعرفة الحقيقية هي معرفة الله متجلياً في الإنسان، أي هي معرفة اللاهوت في الناسوت، من قول الحكمة: «والمعرفة إنما هي لما شوهد وَعَوِين»<sup>٢</sup>، «والمعروف» هو الله المتجلي في صورة الإنسان، و «بنو معروف» هم الذين حظوا بمعرفة اللاهوت متجلياً في الناسوت.

أو أيضاً من «عَرَفَ» بمعنى «صَبَرَ»، والـ«عَارِفُ» هو «الصَبُورُ»، من دعوة الحكمة المستمرة إلى «الصبر والاحتمال». يقول بهاء الدين لنصر ابن فتوح: «ثَبَّتِ الجماعة في كل موضع على الستر واجمال الحال... ويكونوا على الصبر والاحتمال»<sup>٣</sup>. ويقول أيضاً في «مكاتبة رمز إلى الشيخ أبي المعالي» «مَنْ صَبَرَ على قَرِّ البرد (المحنة) نال خضرة الربيع (الخلاص)»<sup>٤</sup>، ويعلن أيضاً: «وأنا أقول: «إِنَّ الصبرَ في جميع الأمور مطيئة لا تكبو بأهل الديانات»<sup>٥</sup>... وغير هذه في الصبر كثير. فيكون «بنو معروف» هم الصابرون على المحنة التي ألمت بهم أيام «علي الظاهر» الخليفة الفاطمي الذي تولى الحكم بعد «الحاكم» واضطهد الدروز ما ينيف عن الست سنوات.

وقد تجوز أيضاً تسمية الدروز ببني معروف مأخوذة من «الأعراف»، الاسم الذي تُطْلَقُ الرسائل كثيراً عليهم، ومأخوذ من آية قرآنية تقول: «وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيمائهم»<sup>٦</sup>، تسميهم «الحكمة» بقولها «رجال الأعراف شهداء الدين سادات الأمم»<sup>٧</sup>، وقائم الزمان حمزة هو «سَدِيقُ الاعراف»<sup>٨</sup>، و «صاحبُ رجالِ الأعرافِ الأطهار»<sup>٩</sup>، وهم في نهاية نهاية الدهر «خَيْلُ الأعراف»<sup>١٠</sup>، و «الاعراف أصحاب اليمين»<sup>١١</sup> الناجون.

<sup>١</sup> غالب أبو مصلح، الدروز في ظل الاحتلال الإسرائيلي، ص ٤٩.

<sup>٢</sup> الرسائل: ٥٨ / ٤٥٤، ٧٤ / ٦٥٦.

<sup>٣</sup> رسالة ١٠٧ / ٨٢٨، وأيضاً ص ٨٢٧.

<sup>٤</sup> رسالة ١٠٥ / ٨١٦.

<sup>٥</sup> نفس المرجع.

<sup>٦</sup> القرآن، سورة الأعراف ٧ / ٤٦ وأيضاً ٤٨.

<sup>٧</sup> الرسائل: ٦١ / ٤٧٧، انظر أيضاً: ٧٤ / ٦٦٣ وغيرها...

<sup>٨</sup> رسالة ٩٩ / ٧٩٣. «السائق» وكل مشتقات الصدق بالـ«س».



وأفضل النِسَبِ لبني معروف كونهم أصحاب معرفة اللاهوت في صورة الناسوت. وهم يَعْتَبِرُونَ أَنفُسَهُمْ مَخْتَصِّينَ بِمَا دُونَ سِوَاهُمْ.

## (٧) «رسائل الحكمة»:

إنَّ مَصَادِرَ بَحْثِنَا كَثِيرَةً، رَجَعْنَا إِلَيْهَا كُلِّهَا، وَدَقَّقْنَا فِيهَا، وَاهْتَدَيْنَا بِهَيْدِيهَا، وَنَقَلْنَا مِنْهَا بِأَمَانَةٍ كَلِيَّةٍ حَمَلْنَاهَا مِشْعَلًا، حَتَّى يَجِيءَ كِتَابُنَا — وَلَوْ بِاعْتِدَادٍ — مُوَافِقًا عَقِيدَةَ «الحكمة»، وَمُطَابِقًا لِفَهْمِ أَصْحَابِهَا الصَّادِقِينَ. وَعَمْدَةُ الْمَصَادِرِ «رسائل الحكمة» أَوْ «المعلومُ الشَّريف»، وَتَتَأَلَّفُ مِنْ ١١١ رِسَالَةٍ، «جَمَعَهَا الْمَغْفُورُ لَهُ الْأَمِيرُ عَيْسَى التَّنُوخِيُّ فِي سِتَّةِ كُتُبٍ. وَقَدْ جَمَعَ إِلَيْهَا الْأَمِيرُ عَبْدَ اللَّهِ جَمَالَ الدِّينِ التَّنُوخِيِّ، قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ، السَّجَلَاتِ الْأَرْبَعَةَ، وَأَلْحَقَهَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ... وَهَذِهِ الْكُتُبُ السِّتَةُ مُرْتَبَةً كَمَا يَأْتِي مِنْ حَيْثُ الدَّرَجَةُ:

الْكِتَابُ الْأَوَّلُ، وَيُسَمَّى «السَّيْرُ» — جَمَعَ سِيرَةً — وَعَدَدُ رِسَائِلِهِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ رِسَالَةً. أَوَّلُهُ السَّجَلُ<sup>٥</sup>، وَآخِرُهُ رِسَالَةُ السَّبَبِ<sup>٦</sup>، وَعَدَدُ كَلِمَاتِ هَذَا الْكِتَابِ ٢٩.٤٠٠ كَلِمَةً.

الْكِتَابُ الثَّانِي، وَيُسَمَّى «الرَّدَّ»، وَفِيهِ سِتُّ وَعِشْرُونَ رِسَالَةً، أَوَّلُهُ رِسَالَةُ الدَّامِغَةِ<sup>٧</sup> الْمَتَضَمِّنَةُ الرَّدَّ عَلَى النُّصَيْرِيِّ، وَآخِرُهُ شَعْرُ النَّفْسِ<sup>٨</sup>، وَعَدَدُ كَلِمَاتِهِ ٢٣.٨٠٠ كَلِمَةً.

الْكِتَابُ الثَّلَاثُ، وَيُسَمَّى «الْجِزَاءُ»<sup>٩</sup>، وَفِيهِ خَمْسَ عَشْرَةَ رِسَالَةً، أَوَّلُهُ رِسَالَةُ «الْجِزَاءِ»<sup>١٠</sup>، وَآخِرُهُ رِسَالَةُ التَّعْقَبِ، وَعَدَدُ كَلِمَاتِهِ ٢٢.٥٠٠ كَلِمَةً.

الْكِتَابُ الرَّابِعُ، وَيُسَمَّى «الْإِيقَاطُ»، وَفِيهِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رِسَالَةً، أَوَّلُهُ رِسَالَةُ «الْإِيقَاطِ»، وَآخِرُهُ رِسَالَةُ «السَّفَرِ»، وَعَدَدُ كَلِمَاتِهِ ٢٠.٢٠٠ كَلِمَةً.

---

<sup>١</sup> رسالة ٧٢ / ٦٣٣.  
<sup>٢</sup> الرسائل ٤٩ / ٣٦٣، ٦٠ / ٤٧١.  
<sup>٣</sup> رسالة ٦٦ / ٥١٦.  
<sup>٤</sup> وهو الجدُّ الخامسُ للأمير عيسى التَّنُوخِيِّ المعاصرُ للأمير السَّيِّدِ، لَمْ يَذْكُرْهُ الشَّيْخُ الْأَشْرَفَانِيُّ فِي كِتَابِهِ «عَمْدَةُ الْعَارِفِينَ».  
<sup>٥</sup> كُلُّ مَا يُسَمَّى سَجَلًا هُوَ نَصُّ مَوْلَانَا الْحَاكِمِ، قَبْلَ بَدَأِ الدَّعْوَةِ ٤٠٨ هـ.  
<sup>٦</sup> نَصُّ إِمَامِ الزَّمَانِ حَمْزَةً.  
<sup>٧</sup> نَصُّ إِمَامِ الزَّمَانِ حَمْزَةً.  
<sup>٨</sup> بِاسْمِ نَاطِمِهِ «إِسْمَاعِيلُ التَّمِيمِيُّ»، الْمَلَقَّبُ بِـ«النَّفْسِ»، وَهُوَ تَالِي حَمْزَةَ وَثَانِي الْحُدُودِ الْخَمْسَةِ لِدَعْوَةِ التَّوْحِيدِ. سَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَيْهِ.  
<sup>٩</sup> فِي طَبْعَةِ سَنَةِ ١٤٠٠ هـ سَمِّيَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ بِاسْمِ «الْوَصَايَا السَّبْعِ لِلْمُوحِدِينَ». وَهُوَ مِنَ الدُّكْتُورِ مُحَمَّدِ كَامِلِ حَسِينِ فِي كِتَابِهِ «طَائِفَةُ الدَّرُوزِ، تَارِيخُهَا وَعَقَائِدُهَا»، بِمِصْرَ سَنَةِ ١٩٦٢، ص ٩٨. وَالْأَصْحَحُ مَا وَرَدَ فِي الرِّسَالَةِ نَفْسَهَا: «الْجِزَاءُ الْأَوَّلُ مِنَ السَّبْعَةِ أَجْزَاءً...»  
<sup>١٠</sup> مِنْ أَوَّلِ الْكِتَابِ الثَّلَاثِ إِلَى النِّهَايَةِ (أَيِ نِهَآيَةِ السَّادِسِ) نَصَّ سَيِّدُنَا بِهَاءِ الدِّينِ.

الكتاب الخامس، ويُسمّى «المعراج»، وفيه سبع رسائل، أوله رسالة «المعراج»،  
وآخره رسالة «الردّ على أهل التأويل»، وعددُ كلماته ١٩.١٠٠ كلمة.

الكتاب السادس، ويُسمّى بعضهم «التوبيخ»، وفيه ست وثلاثون رسالة، أوله  
«التوبيخ لابن البربريّة»، وآخره «منشورُ الغيبة»، وعددُ كلماته ٢٥.٠٠٠ كلمة<sup>١</sup>.

هذه الرسائل تجدها مجموعةً في ثلاثة مجلّدات، طبعت سنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م،  
وعليها نعتُ في بحثنا. وتجدها في المكتبة الوطنية بباريس في نسخٍ عديدةٍ من كلِّ جزء، من  
الرقم ١٤٠٨ حتى الرقم ١٤٣٦، وفي المكتبة الفاتيكانية من الرقم ٩٠٩ حتى ٩١٣، والأرقام:  
٣٧٩، ٧٢١، ٩٣٣، ١٣٢٢، ١٣٣٥، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٨،  
وفي المتحف البريطاني الأرقام: ١١٤٣ - ١١٤٧، ١٣٨، ومكتبة كمبردج الأرقام: ١٣٦١ -  
١٣٦٥، ومكتبة مانشتسر ريلند الأرقام ١١٧ - ١٢١، ومكتبة برنستون جاريت، الأرقام:  
١٦١٣ - ١٦١٦، ومكتبة أكسفورد، ٤٢٠ - ٤٣٢، ومكتبة ميونخ: ٢١٧ - ٢٢٤، ومكتبة  
ليدن: ١٩٧٨، ومكتبة برلين: ١٨٧٠، ١٥٥٠، ١٤٠٣ - ١٤٠٩، ٢٠٩٩، ٨١٤ - ٨١٩،  
ومكتبة فينّا: ١٥٧٣؛ والمكتبة البوندينيّة: ٤١٦ - ٤١٨، ومكتبة شسنتز بيتي: ٣٣٧٣،  
والمتحف الآسيوي في ليننجراد: ٩٦ - ١٠٠، وأبسالاً نورنبرج: ٥٠١ - ٥٠٤، ودار الكتب  
المصرية، والمكتبة التيموريّة، قسم العقائد، وقسم النحل، في أرقام متعدّدة ومتفرّقة، ومكتبات  
لبنانيّة عامّة وخاصّة، وخطوات درزيّة كثيرة، لا نجد لذكرها وتعيينها حصانة.

والمعروف أن جميع رسائل الحكمة وشروحاتها تُنسخ باليد، ولا يجوزُ طباعتها  
إطلاقاً. ينسخها شيوخُ مدرّيون، بأمانةٍ كليّة، وبألوانٍ خمسةٍ ترمزُ إلى حدودِ الدعوة الخمسة،  
وتؤلّف ألوانُ العلمِ الدرزي. بيد أن عدداً منها طُبِعَ وترجمَ إلى لغاتٍ أجنبيّة، نُثبت لها سرّداً  
في آخر الكتاب.

## ٨) شروحات «الحكمة»:

اعتمدنا أيضاً على شروحات «رسائل الحكمة»؛ وسيّد الشارحين الأميرُ السيّد عبد الله  
التنوّخي، قدسَ الله سرّه. يقولُ فيه الشيخُ الفاضلُ أحدُ كبارِ الموحدين الدروز في القرنِ الحادي  
عشر للهجرة (السابع عشر للميلاد) بعدَ مَضِي أكثرَ من قرنٍ على وفاته: «شروحات الأميرِ

<sup>١</sup> راجع: توفيق سليمان، أضواء على تاريخ مذهب التوحيد، بيروت، كانون الأول سنة ١٩٦٣، دار ألف ليلة  
وليلة، ص ٢٩ - ٣٢.

السيد إمامنا، وهي أول ما يُحَاسِنُنا اللهُ فيه يومَ القيامة، لأنّها واضحةٌ مُوضحةٌ. ما تركتْنا في شبهةٍ، ولا أبقتْنا في حيرةٍ. وفيها كفايتنا، وما نزيدهُ علماً وعملاً<sup>١</sup>.

لقد ترك لنا الأميرُ السيدُ أكثر من أربعة عشرَ تفسيراً، أجلّها تفسيرُهُ على «رسالةِ كشفِ الحقائق» رقم ١٣ من الجزء الأول في مجموعة «رسائل الحكمة»، وهو كتابٌ ضخمٌ تزيدُ صفحاتُهُ على الألفِ صفحة. جميعُ ما وضعه الأميرُ السيدُ مخطوطاً، سريّ، نادرٌ. يعتمدُ عليه الدروزُ حتى يومنا، ويُجلّونه كالحكمة نفسها.

واعتمدنا أيضاً على مُعْجَمِ ضَخْمٍ لألفاظِ «الحكمة»، كان سبيلنا وهدايتنا في اقتناصِ معاني الكلمات، كلمةً كلمةً، وهو «كتابُ الدررِ المضيئة، واللمعِ النورانية، في تلخيصِ ألفاظِ الحكمةِ الشريفةِ ومعانيها الروحانية»، مُنسَقٌّ على طريقةِ المعاجمِ العربيةِ القديمة، أي أنّك تبحثُ عن الكلمةِ المطلوبةِ ابتداءً من حرفها الأخير، فكلمةُ «حكمة»، مثلاً، تطلبُها في بابِ «الميم» فصلِ «الحاء». يعتمدُ هذا الكتابُ على مراجعِ درزيةِ جمّةٍ «بحيثُ أنَ المداومَ لمطالعتهِ والمتبحرَ فيه يكفيه ذلك عن غيره، لأنّ الذي يطلبُه في المفرّقِ قد حصل له في هذا الكتابِ مجموع» (المقدمة، ص ١). وشبيهةٌ به كتابُ «المناظرات»، وكتابُ «عمدة العارفين في قصصِ النبيين»، وهما من أجلِّ المراجعِ النادرة.

## ٩) مصادر عربية حديثة:

استطعنا أيضاً أن نجمعَ كتباً درزيةً حديثة، وضعها باحثون دروز وغيرُ دروز، وترى لها نبتاً كاملاً في مراجع الكتاب. وكان بودنا الأخذُ بالمبدأ القائل: إن الحقيقة تؤخذُ من فم أصحابها؛ ولكن الحقيقةِ الدرزيةِ يعمدُ أصحابها على كتمانها، وفقَ مبدأ «التقية» التي تقولُ به الحكمةُ الشريفة، وذلك لمنعها وصونها عن غيرِ مستحقيها. لأجل ذلك يصعبُ علينا الاعتمادُ عليهم، كما نعجزُ عن استخلاصِ الحقيقةِ عندهم.

لكنّ السفيرَ عبد الله النجار، في كتابه «مذهب الموحدين الدروز» في طبعته الثانية سنة ١٩٦٧ وطبعته الأولى سنة ١٩٦٥، يخرج عنهم، اللهم إلا في بعضِ الأمور كان فيها حذراً لدقّةِ الموقف... ولذلك أصدرتِ السلطاتُ اللبنانيةُ المختصةُ قراراً رقمه ٤٨٩ بتاريخ ٢ تموز سنة ١٩٦٥ يقضي بمنع الكتابِ ومصادرتِه. ولذلك أيضاً كلفَ مجلسُ الطائفةِ الدرزيةِ

<sup>١</sup> انظر ابراهيم يزبك، وليّ من لبنان، منشورات أوراق لبنانية ١٩٦٠.

الدكتور سامي نسيب مكارم بالردّ عليه في كتاب أسماه «أضواء على مسلك التوحيد الدرزيّة»، وقدّم له معالي الأستاذ كمال جنبلاط والسيد بايزيد (؟)، طبعة صادر سنة ١٩٦٦. ولن نمرّ على الردّ وطريقة وضعه دون ملاحظة: لم يوفرّ لنا السفير النجار فكرة واحدة إلاّ دَعَمَهَا باستشهاد من نصوص «الحكمة»، وأنتَ لنْ ترى في «مقدمة» جنبلاط، أو في «توطئة» بايزيد، أو في الكتاب كلّه، استشهاداً واحداً بنصوص درزيّة، في حين أنّ الثلاثة لم يوفرّوا لنا فيلسوفاً من الفلاسفة الأقدمين، أمثال فيثاغورس وأفلاطون وأرسطو، أو من الفلاسفة المسلمين، أمثال الفارابي وابن سينا وأخوان الصفاء، أو من أصحاب الطريقة الصوفيّة، أمثال البسطامي والتستري والجنيّد وابن عربي وفريد الدين العطار والحلاج والغزالي... وسواهم، أو من المفكرين الغربيين... إلاّ حشروه في الكتاب. لكنّ كلّ النصوص تصلح للردّ على السفير ما عدا النصوص الدرزيّة المعنيّة. والمعلوم أنّ الموضوع يدور كلّه حول مفهوم السفير لهذه النصوص وصحة نقله عنها والاعتماد عليها.

وبين الكتب العربيّة التي عالجت الدرزيّة بشيء من الموضوعيّة، كتاب طائفة الدروز، تاريخها وعقائدها «للدكتور محمد كامل حسين، سنة ١٩٦٢، وهو مفقود. إلاّ أنّ الدكتور، على موضوعيّة واعتماده على النصوص، لا يريد أن يصدّق ما يقرأ من نصوص تهدم الإسلام وتتقضى دعائمّه وتشتّم نبيّه، بل يريد، رغم كل شيء، اعتبار الدروز من المسلمين الذين «لا يقبلون بغير الإسلام بديلاً» (ص ١٢٧)... وكذلك أيضاً كتاب «مذاهب الإسلاميين»، الجزء الثاني، للدكتور عبد الرحمن بدوي، المطبوع في دار العلم للملايين بيروت سنة ١٩٧٣. لقد صودر الكتاب مباشرة بعد طبعه، وهو مفقود من أسواق المعرفة. وهو أيضاً، رغم موضوعيّة، يتحاشى نصوصاً كثيرة من الحكمة جريئة على الإسلام...

## ١٠ المصادر الأجنبية:

أما الكتب الغربيّة الذين عالجوا موضوع الدرزيّة فقليلون. على رأسهم البارون Sylvestre de Sacy في مؤلّفه الضخم المسمّى: *Exposé de la Religion des Druzes* المطبوع سنة ١٨٣٨. يعالج الكتاب معظم العقائد الدرزيّة معالجةً موضوعيّة موسّعة. في الجزء الأوّل منه تُنبت لرسائل الحكمة ولتاريخ الحاكم بأمر الله، وفي الجزء الثاني عرضٌ موسّع للعقيدة مع ترجمة لنصوص عديدة. لقد بقي الكاتب أكثر من أربعين سنة يبحث ويدرس ويترقّب المزيد من المخطوطات الدرزيّة ليزيد في فهم أغاز الحكمة وأسرارها، ولكنّ دون

جدوى؛ ف جاء كتابه مقصوراً على قدرته الشخصية. وهذا نقص لم يستطع تفاديه. وقد أخذ عليه Henri Guys جملة ملاحظات في كتابه: *Théogonie des Druzes* المطبوع سنة ١٨٦٣... ومع هذا يبقى الكتاب مرجعاً رئيساً للباحثين، ويبقى الكاتب جدّهم الأول.

أما Henri Guys في كتاب: *La Nation druze, son histoire, sa religion, ses mœurs et son état politique* المطبوع سنة ١٨٦٣ فهو أيضاً من المراجع الهامة لفهم الدرزية، ولكنه مختصر، ولا يعتمد كثيراً على النصوص. وهو يتضمّن نظرة شاملة وسريعة في تاريخ الدروز والحاكم، وفي العادات الدرزية، وحالتهم السياسية والاجتماعية...

وما يوجد في «الموسوعة البريطانية»، المجلد الثامن، تحت اسم «الدروز»، وفي «الموسوعة الإسلامية»، المجلد الأول، وغيرها من المرجع الأجنبية التي ترى لها ثباتاً في مراجع الكتاب، فلا جديد فيها. وقد يكون «سلفستّر دى ساسي» مرجعها وأباها.



#### (١١) هذا الكتاب:

أما هذا الكتاب الذي لم نوفّر له مرجعاً إلا اعتمدناه بأمانة صادقة، فهو يتضمّن قول الحقّ، بمحبّة؛ وقد لا تُغرينا كرامة الحقّ أكثر ممّا نحن مُلزمون بمحبّة أصحابه. في ظنّنا أنّنا سنحاسب يوماً، أمام الله والضمير، لا على محبّتنا للحقيقة، بل على مقدار محبّتنا للإنسان. إن حقيقة المحبّة تستهويننا أكثر من محبّة الحقيقة. ومع هذا، لن نكون بعيدين عن الأمرين معاً. بكل إخلاص نقول: نريد الإنسان حرّاً، والله حرّاً، والحقيقة حرّة. نريد «الحكمة» حرّة، والكشف عنها حرّاً، والحكم علينا حرّاً.

بهذه الكرامة نريد لهذا الكتاب النجاح، ونريد له أن يكون سعيّاً لأهل الكرامة؛ فيضغ الحكمة في متناول كل إنسان، لأننا مطّالبون أمام الله بالجواب على سؤاله لنا: «ماذا صنعت بأخيك؟» (سفر التكوين ٤ / ١٠)، ولم يسأل الله يوماً: ماذا صنعت بالناموس؟ أو بالحكمة؟ أو بالحقيقة؟ أو بأية قيمة أخرى. سرُّ الإنسان هو المصنوع لدينا، وليس أي سرٍّ آخر. وإننا نسعى جهّداً ليكون سرُّ الإنسان غنياً، لا سرُّ الحكمة. وكل إنسان يستحقُّ الحكمة، وليس العكس.

فلينترك لنا محبو الله والحكمة حظّ السعي وإياهم إلى إغناء سرِّ الإنسان وصونه، لأنه، لا الله ولا الحكمة، بحاجة إلى صيانة. فماذا يضير الحكمة وأصحابها إن نحن سعيّنا إلى

اكتشاف سرّها، واعتبرنا الإنسان قلبَ هذا الكونِ ورأسه؟! أيّ نغمٍ طروب نَنشِدُ لِيَفْهَمَ أصحابُ الحكمة أنّ الوحيَ كان لأجلِ الإنسانِ، والنبوءاتِ كذلك، والحكمة أيضاً؟! وليس العكس يجوز؟!!

إذا جاز لبني معروف اللجوءُ «إلى أطرافِ لبنانَ أملاً بأنَّ يُتاحَ لهم العملُ بحريّةٍ وأمانٍ»، أفلا يجوزُ لنا نحنُ هذا «الأمل» نفسه للعملِ بـ«الحريّةِ والأمان» نفسَيهِمَا؟! وإذا جازَ لهم أن يعرفوا كلَّ شيءٍ عن غيرهم، أفلا يجوزُ لهذا الغير أن يَعْرِفَ شيئاً عنهم؟! إنَّهم يَعْرِفون سرَّ اليهوديّةِ واليهود، ويعرفون سرَّ المسيحيّةِ والمسيحيين، ويعرفون سرَّ الإسلامِ والمسلمين... يعرفون التوراةَ والإنجيلَ والقرآن... هل من حقِّهم أن يمنعوننا عنهم، ويمنعوا «الحكمة» عنّا؟!!

نحن وإياهم نبحثُ عن الحكمةِ والحقِّ بلَهْفٍ الظمآنِ إلى الماء. فلا يَنخدَعُ واحدنا بأنَّ اللهَ أقامه على الحكمةِ قيماً، وعلى أبوابِ السماءِ حارساً! لا نَظنُّ بأنَّ مفاتيحَ مغاليقِ الملكوتِ بيدِ واحدٍ منا، لِيُدخَلَ مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ مَنْ يَشَاءُ. كلُّنا ضارِعٌ إلى اللهِ لِيَفْتَحَ له. وليس يجوزُ للمتنعّمِ بضوءِ النهارِ أن يَرُغِبَ لغيره المكوثَ في ظلمةِ الليل. كلُّنا يستحقُّ النورَ والمعرفةَ، واللهُ يدعو الجميعَ إليهما، بل يمنُّ على مُتَبَدِّلِي الخيرِ سعادةً أوفى.

قَدَرْنَا أنّنا عاشقو الإنسانِ حيثُ هو ومن حيثُ هو. نَسَعُدُ لسعادته، ونَحيا لكرامته. من حقِّه علينا كلُّ ما لَدِينا. ومن حقِّنا عليه ألا يكونَ علينا مغلَقاً. وحظُّنا من الكونِ الرحيبِ إيّاه. لن نتركَ أمامه باباً موصداً، حتى لا يبقىَ له علينا حجّة. يكفيننا ما على الأرضِ من ظلام، وما في قلوبِ الناسِ من المآسي، وما في كواليسِ سياساتِ دولِ العالمِ من أسرارٍ ومؤامراتِ.  
المؤلّفون.

<sup>1</sup> يوسف يزبك، وليّ من لبنان، ص ٢٧.

## الفصل الأول

# تاريخ الحاكم ونشأة الدرزية

أولاً	– مصادر التاريخ
ثانياً	– نسبة الحاكم
ثالثاً	– الحاكم تحت الوصاية: ٣٨٦ – ٣٩٠ هـ
رابعاً	– الحاكم يستقلّ بالسلطة: ٣٩٠ – ٣٩٥ هـ
خامساً	– غرابة الأحكام وسجلات الأمن: ٣٩٥ – ٣٩٨ هـ
سادساً	– ذروة الشذوذ: ٣٩٨ – ٤٠٨ هـ
سابعاً	– نشأة الدرزية: ٤٠٨ – ٤١١ هـ
ثامناً	– نهاية الحاكم: ٤١١ هـ
	خاتمة الفصل

## أولاً - مصادر التاريخ

إن عصر الحاكم بأمر الله هو «أغرب عصر في تاريخ مصر الإسلامية، وربما كان أغرب عصر في تاريخ الإسلام كله، عصر يمازجه الخفاء والروع، وتطبعه ألوان من الاغراق والتناقض، مدهشة مثيرة معاً»<sup>١</sup>. ومهما دققنا في مصادر هذا العصر لن يبرح «الروع» مكانه، لأن المؤرخين أنفسهم، على كثرتهم، غاضوا في غموضه وطرافته.

وكان أول المؤرخين الذين وصل إلينا تاريخه يحيى بن سعيد الأنطاكي، وهو شاهد عيان، دون الأخبار والحوادث، ونظر فيها مرّات عديدة، يقول: «كنت ألقت هذا الكتاب لمن كلفني، ووقع لي بعد ذلك تواريخ لم أكن وقفت عليها عند شروعي في عمله، فغيّرته بأجمعه، وبذلت نظمه، وألّفته تأليفاً ثانياً. ثم أيضاً، بعد انتقالي إلى مدينة أنطاكية في سنة ٤٠٥ للهجرة، تصفّحته تصفيحاً ثانياً، وتحصل لي تواريخ أخر، فخرّجت منها ما ألحقته به، وأضفته إليه، وغيّرت بعضه، وقرّرت الأمر على هذه النسخة»<sup>٢</sup>.

انتهى الأنطاكي في تاريخه سنة ٤٢٥ هـ، وهو يعرض عصر الحاكم بدقّة متناهية سنة فسنة، و «يبدي في استعراضه لحوادث العصر اعتدالاً واتزاناً ودقّة، تجعل لروايته قيمة خاصّة»<sup>٣</sup>. ويحتل الكلام فيه على الحاكم قسماً ضافياً، من ص ١٨٠ حتى ٢٣٤. أمّا التواريخ التي نقل عنها الأنطاكي، بحسب شهادته، أمثال سيرة المعزّ لابن زولاق، وتاريخ مصر للمسبّحي، وخطط القضاء، وتاريخ ابن الطوير، وتاريخ ابن المأمون، وغيرها، فقد دثرت؛ ولكن بقي منها الكثير في تواريخ اللاحقين.

كما الأنطاكي أخذ عن السابقين كان أيضاً مصدراً للذين أتوا بعده. وإننا نرى عند جميعهم اهتماماً بالغاً بهذه الحقبة من تاريخ مصر. ويعادل تاريخ الأنطاكي أهميّة «كتاب سير الأباء البطارقة» لساويرس بن المقفّع أسقف الاشمونيين، وفي ذيله ملحق يسمّى «سير البيعة المقدسة»<sup>٤</sup>. وتفوق الكلّ أهميّة تلك الرسائل التي كتبها إمام الزمان حمزة، وفيها الشيء الكثير

<sup>١</sup> محمد عنان، الحاكم بأمر وأسرار الدعوة الفاطمية، ص ١٠٤.

<sup>٢</sup> تاريخ الأنطاكي صنفه تتبّعاً لتاريخ سعيد بن بطريق الذي انتهى فيه سنة ٣٢٦ هـ. أمّا الأنطاكي فقد انتهى فيه سنة ٤٢٥ هـ. نشرهما معاً الأب شيخو، طبعة الأباء اليسوعيين، سنة ١٩٠٥ و ١٩٢٩.

<sup>٣</sup> محمد عنان، الحاكم بأمر الله...، ص ١٠.

<sup>٤</sup> مخطوط المكتبة الوطنية بباريس، ودار الكتب المصرية النسخة المصوّرة عنه، رقم ٦٤٣٤ ح.



عن الحاكم وتصرفاته<sup>١</sup>... أما سائر المؤرخين الذين أخذنا عنهم لإثبات حجّتنا فالكلام عنهم يطول.

... لكننا لن نمرّ دون الإشارة إلى كتاب «أخبار الدول المنقطعة للوزير جمال الدين أبي الحسن بن علي بن كمال الدين الخزرجي المصري (+ ٦٢٣ هـ)، وكتاب «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان» لشمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي المعروف بسبط بن الجوزي (+ ٦٥٤)، وتاريخ أبي هلال الصابي، المنشور ضمن كتاب «تجارب الأمم» لابن مسكويه، و«تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام» للذهبي (+ ٦٧٣ هـ)، وكتاب «وفيات الأعيان» لابن خلّكان (+ ٦٨١ هـ)، و«تاريخ أبي صالح الأرمني»، (أواخر القرن السادس هـ)، و«تاريخ المسلمين» للمكين بن العميد (أواخر القرن السابع هـ)، و«مختصر تاريخ الدول» لابن العبري (+ ١٢٨٦ م) و«نهاية الأرب» للنويري (+ ٧٣٣ هـ)، و«صبح الأعشى» للقلقشندى (+ ٨٢١ هـ)، و«كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» للمقريزي (+ ٨٤٥)، وله أيضاً «كتاب اتّعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الخلفاء، وكتاب «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» لابن تغرى بردى (+ ٨٧٤ هـ)، وتاريخ القفطي (+ ٦٤٦) في «أخبار العلماء باخبار الحكماء»، و«الكامل في التاريخ» لابن الأثير (+ ١٢٣٤ م)، و«المختصر في أخبار البشر» لأبي الفداء (+ ١٢٧١ م)، و«كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر» لابن خلدون (+ ١٤٠٦ م)، و«حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة» للسيوطي (+ ١٥٠٥ م) وغيرهم كثيرون.

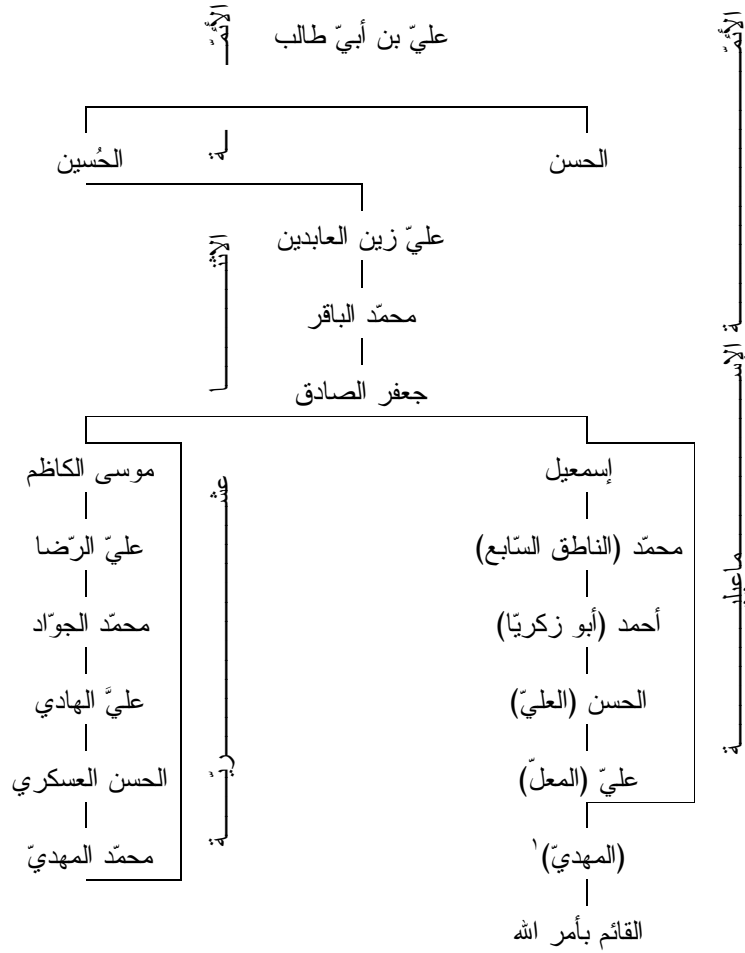
لم نعدّ هذه المراجع إلاّ لنحريك إليها لتتأكد من اهتمام المؤرخين بعصر الحاكم، ولتكون لك الأدلّة على ذلك «الروح» وتلك «الدهشة المثيرة» و«الأحداث العجيبة والنوادر الشائقة... والنزعات والأهواء المروعة»<sup>٢</sup> التي سوف تقف عند قراءتها مذعوراً، وسوف تسأل نفسك، لا محالة، إن كنت تقرأ تاريخ البشر أم تاريخاً لغير البشر!!!



<sup>١</sup> انظر: «السجل المنهي فيه عن الخمر» رقم ٢، و«خير اليهود والنصارى» رقم ٣، و«كتاب فيه حقائق...» رقم ١١... وغيرها في «رسائل الحكمة».  
<sup>٢</sup> محمّد عنان، الحاكم بأمر الله...، ص ٩.

## ثانياً - نسبة الحاكم

ينتسب الحاكم بأمر الله، أبو عليّ، المنصور بن العزيز بالله، الخليفة والإمام الفاطمي السادس - أو الخامس بنظر الدروز - إلى البيت العلويّ، عبر الشيعة الإسماعيليّة، كما ترى:



### الخلفاء الفاطميّون

عبيد الله المهديّ حكم ٢٩٧ - ٣٢٢ هـ / ٩٠٩ - ٩٣٤ م

<sup>١</sup> يخرج المهدي، بنظر الدروز، من أن يكون إماماً «مستقراً»، بل «مستودعاً».

القائم بأمر الله	حكم	٣٢٢ - ٣٣٤ هـ / ٩٣٤ - ٩٤٥ م
المنصور بالله	حكم	٣٣٤ - ٣٤١ هـ / ٩٤٥ - ٩٥٢ م
المعزّ لدين الله	حكم	٣٤١ - ٣٦٥ هـ / ٩٥٢ - ٩٧٥ م
العزیز بالله	حكم	٣٦٥ - ٣٨٦ هـ / ٩٧٥ - ٩٩٦ م
الحاكم بأمر الله	حكم	٣٨٦ - ٤١١ هـ / ٩٩٦ - ١٠٢١ م
الظاهر لأعزاز دين الله	حكم	٤١١ - ٤٢٧ هـ / ١٠٢١ - ١٠٣٥ م

يتبين من هذه السلسلة ما يلي:

١ - إن الإمامة مستمرة من عليّ بن أبي طالب، مروراً بإسماعيل، حتى الحاكم بأمر الله. إلا أنّ التاريخ الشيعي يختلف في عدد أئمة الستر، بين إسماعيل وعبيد الله المهدي، وذلك نظراً للكتمان الذي فرض على الأئمة اتقاء خطر العباسيين. أمّا الدروز فيأخذون بهذا التسلسل، ما عدا عبيد الله المهدي - لعنه الله - فإنه كان وصياً للقائم، واعتبر نفسه حاكماً أصيلاً وإماماً «مستقراً»، في حين أنه إمام «مستودع»، كان عليه أن يؤدّي الحكم لصاحبه.

٢ - إن عبيد الله المهدي، واسمه الحقيقي سعيد الخير، ينتسب، بحسب الدروز، إلى عبيد الله بن ميمون القداح، واضع أسس الدعوة الباطنية، ومنظم الحركة القرمطية، التي كادت تقضي على الدولة العباسية والدولة الفاطمية معاً. استولت على الاحساء والبحرين، وأسست فيهما دولة قوية نشيطة، واقتلعت الحجر الأسود من مكة، وذهبت به إلى البحرين حيث بقي فيها اثنتين وعشرين سنة، من ٣١٧ هـ حتى ٣٣٩.

٣ - يختلف التاريخ أيضاً في عدد الأحقاب بين المهدي والقدّاح، كما يختلف الذين ينسبونه إلى السلسلة العلوية. وتبقى مسألة نسبه «من أعقد مسائل تاريخ الشرق وأكثرها غموضاً وإبهاماً، لتشعب آراء الكتاب المعاصرين من العرب على اختلافهم، لأنهم كتبوا متأثرين بسطوة الخلفاء من العباسيين أو من الفاطميين»<sup>١</sup>.

٤ - أمّا الدروز فيقولون بأنّ سعيد الخير هذا - المهدي - استقرّ بسلمية من أعمال حمص، واستمرّ في نشر الدعوة «القدّاحية»، وبثّ الدعاة، حتى عظم أمره وأمر دعوته. وحاول الخليفة العباسي المكتفي بالله أن يقبض عليه، وأن يخمد دعوته، ففرّ إلى المغرب، وتغلّب على المغاربة، وأسس دولة العبيديين (نسبة إلى عبيد الله المهدي) وتسمت فيما بعد بالدولة الفاطمية.

<sup>١</sup> الدكتور حسن ابراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٦٦.

٥ — كان في «سلمية» آنذاك محمد القائم بأمر الله ولداً صغيراً، لم يستطع بعد القيام بأعباء الإمامة الموروثة عن أبيه، فتكفله سعيد الخير، وكان عليه وصياً، وفرّ، حين هربه إلى المغرب، بالإمام الصغير. وعندما أصبح بإمكان الإمام القيام بمهامه، منعه عن ذلك، وانتحل الإمامة لنفسه. وحدثت بينهما معارك، استعاد فيها محمد حقه المسلوب، وأصبح حاكم الدولة الفاطمية بلقب «القائم بأمر الله»<sup>١</sup>.

٦ — واستمرت الإمامة والخلافة في أعقاب القائم حتى الحاكم.



---

<sup>١</sup> يعتبر الدروز، كما سنرى، الأئمة من القائم حتى الحاكم «مقامات إلهية».

## ثالثاً - الحاكم تحت الوصاية: ٣٨٦ - ٣٩٠ هـ.

ولد الحاكم بأمر الله، أبو علي، المنصور بن العزيز بالله، يوم الخميس في ٢٣ ربيع الأول سنة ٣٧٥ هـ، الموافق ١٣ آب سنة ٩٨٥ م. وبويع بالخلافة يوم توفي أبوه ببليبس، عندما خرج لحرب القرامطة، وذلك يوم الخميس في ٢٨ رمضان سنة ٣٨٦ هـ؛ وكان عمره يومذاك إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر. وكان له أخت وحيدة تدعى «ست الملك»، تكبره بنحو خمسة عشر عاماً، «قويّة العزم بصيرة بالأمر»<sup>١</sup>.

تولّى الوصاية عليه، أولّ الأمر، الحسن بن عمّار، زعيم كتامة، أقوى القبائل المغربية، وعماد الدولة الفاطمية منذ نشأتها. وراح ابن عمّار يغدق الأموال والأعطية على الكتاميين، ويقطع الأرزاق عن الأتراك والمشاركة، كما راح يولي على شؤون الدولة ووظائفها رجالاً من كتامة وزعماء من المغاربة، ويضطهد الأتراك، ويقتل منهم من يقف بوجه حكمه، حتى «استولى الكتاميون على الدولة استيلاءً تاماً»<sup>٢</sup>.

إلا أنّ المشاركة، بعد سنة ضيق، استنفوا على الكتاميين، وقاتلوه، وانتصروا عليهم، ونهبوا دار ابن عمّار ودور جماعته. وخاف ابن عمّار على نفسه واستخفى مدة خارج المدينة. فولّى الحاكم «الأمر» إلى برجوان الخادم، زعيم الأتراك والمشاركة، فقبض برجوان على زمام الحكم، واستأثر بكل السلطة، واضطهد المغاربة، وعول على كاتبه. أبي العلاء فهد بن ابراهيم النصراني في النيابة عنه، واستبدّ بكل أمر في الدولة زهاء عامين ونصف.

في عهد وصاية برجوان قام رجل خارجي بصور يُعرف بـ«علاقة» بثورة عارمة، وجمّع إليه الأحداث والرعاع، وضرب السكة باسمه، ونقش عليها: «عزاً بعد فاقة للأمير علاقة»، واستنجد بباسيل ملك الروم، وضمن له تسليم البلد إليه إن نصره؛ فاستجاب بباسيل، وسير إليه بنجدة في البحر... وثار بالرملة، في نفس الوقت، زعيمها المفرج بن دغفل الجراح، فسير برجوان إليه جيشه وأخضع ثورته، ثم أكمل طريقه إلى صور، فحاصر الفاطميون صوراً براً وبحراً، ونشبت بين الفريقين معارك شديدة، هزم فيها علاقة، وأسير، وأرسل إلى القاهرة، فأعدم، وصلب، ومثّل به<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> انظر نهاية الأرب ج ٢٦ ص ٦١، النجوم الزاهرة ٤ / ١٩٥.

<sup>٢</sup> تاريخ الأنطاكي، ص ١٨١.

<sup>٣</sup> الأنطاكي ٨١ - ١٨٢، ابن الأثير ٩ / ٤١، ابن خلدون ٤ / ٥٧.

وجرت أيضاً معارك بين الروم والفاطميين، وفي شوال ٣٨٩، سار «جيش بن صمصام» قائد الجيوش الفاطمية على أنطاكية وضمّها إلى الحكم الفاطمي. وبعد عودته منها بأربعة أيّام عاد الروم واستولوا عليها، وفتحوا كل البلاد الواقعة بين أنطاكية وحمص، وتقدّموا نحو بعلبك، ووصل إلى أبواب الشام «فأجمع عليه بدمشق من العساكر، ما أظنّ أنه لم يجتمع قط فيها للإسلام»... ورجع الروم على طريق الساحل وأحرقوا عرقة، ونزلوا على طرابلس وطرسوس... ولكنّ برجوان قرّر إقامة الهدنة بينه وبينهم، وانتدب لها بطيرك بيت المقدس، فكانت عشر سنين.



## رابعاً – الحاكمُ يَسْتَقِلُّ بِالسُّلْطَةِ: ٣٩٠ – ٣٩٥

ذات يوم، شعر الحاكم أنّ سلطته أصبحت، مع برجوان، مسلوّبة. فاستدعاه يوماً إلى حديقة داره، ودبّر له مَنْ يَقْتَلُهُ، فكان القاتل ريدان الصقليّ حاملَ المظلّة وخصمَ برجوان العنيد، فقتله في ١٦ ربيع الثاني سنة ٣٩٠ / نيسان سنة ١٠٠٠ م. ثم أُقْبِلَ الحاكم بنفسه على الجثّة، وطعنها برمحه<sup>١</sup>. وانتقلت السلطة كاملة إليه، وبدأ بتعيين معاونيه، فأقرّ كاتبه فهد بن إبراهيم النصراني، ولقّبهُ بالرئيس، ونصب معه الحسين بن جوهر<sup>٢</sup>، ولقبه بقائد القوّاد، وقدم إليه عبد العزيز بن محمّد بن النعمان<sup>٣</sup> الذي أصبح قاضي القضاة في مصر كلّها.

بعد ستة أشهر من مقتل برجوان، قتل الحاكم ابنَ عمّار، وكان ذلك في ١٤ شوال/ تشرين الأوّل، بعد أن حماه سابقاً من نقمة الأتراك، الذين نفذوا قتله، وحملوا رأسه إلى الحاكم<sup>٤</sup>.

يعترف حمزة نفسه في «السيرة المستقيمة» بهذا القتل، فيقول: «فأمر مولانا سبحانه بقتلهم، فقتلوا قتل الكلاب. ولم يخش من تشويش «العساكر والاضطراب... ثم أمر بقتل ملوك كتامة وجابرتها بلا خوف من «نسلهم وأصحابهم». ثم يعلّق حمزة قائلاً: «إن هذا القتل لا يتجرأ «أحد من ملوك الأرض على فعله». وأيضاً: «وأما أمر ملوك الأرض فما «يستجري أحد منهم على مثل ذلك»<sup>٥</sup>.

### ١ – شغف الحاكم بالليل:

واصل الحاكم، طوال أربع سنين (٣٩٠ – ٣٩٤) النزول إلى مصر متكرراً. وكان شغفه بالليل من أظهر خواص هذه المرحلة. فكان يعقد مجالسه ليلاً، ويواصل الركوب كل ليلة، وينفق شطراً من الليل في جوب الشوارع والأزقة، مع نفر يسير من خواصه. وكان

<sup>١</sup> المقرئزي: الخطط ٢ / ١ - ٥، اتعاط، ورقة ٥٤ ب، نهاية الارب ٥٢.

<sup>٢</sup> كان جوهر الصقليّ أشهر قوّاد المعزّ، وهو الذي فتح مصر وبنى القاهرة.

<sup>٣</sup> عائلة «النعمان» استلمت رئاسة القضاة مدة طويلة في الدولة الفاطميّة.

<sup>٤</sup> خطط المقرئزي ٣ / ٥٨، اتعاط الحنفاء ٥٦ أ.

<sup>٥</sup> رسائل الحكمة ١٢ / ١٢٦. سننبت كلّما استطعنا أقوال المؤرّخين برسائل الحكمة. وتلتزم للدلالة عليها بمزدوجات في بداية كل سطر.

يصدر الأوامر بتعليق المصاييح ليلاً على جميع الحوانيت وأبواب الدور والمحال المختلفة في جميع طرقات القاهرة والفسطاط. «فصارت الشوارع والأسواق في الليل بمنزلة النهار».

وكان الحاكم، على ما يقول حمزة «يمشي أنصاف الليالي في «أوساط ذراريهم بلا سيف ولا سكين...»<sup>١</sup>.

وكان يأمر «بكنس الشوارع والأزقة وأمام أبواب الدور في كل مكان. فكانت المدينة تبدو في هذه الفترات بالليل كأنها شعلة مضيئة... وكان يزور كل ليلة حياً معيماً، ويشق طائفة من الشوارع والدروب، ويقوم الحسبة بنفسه أحياناً، ويستطلع أحوال الشعب وأخباره. وكان يركب إلى موضع موضع، وإلى شارع شارع، وإلى زقاق زقاق. وأصبحت جميع الأعمال والمعاملات تجري بالليل، وتزدهر مواطن السمر، وتختلط حياة الجدّ بحياة اللهو والقصف... وتغصّ بصنوف اللهو والمرح، وتتفق الأموال الوفيرة في المآكل والمشارب والسماع... وظهرت النساء في المجتمعات بكثرة، واشتدّ تيار المجون والغواية»<sup>٢</sup>.

وتنقل بعض الروايات أنّ الحاكم كان أحياناً يلهو، أثناء طوافه، برؤية بعض المناظر المثيرة: «كان الرعايا والرعاع يجتمعون في الأسواق بين يدي الحاكم، فيتصارعون ويتدافعون ويتلاكمون. فافتضى ذلك وقوع حرب شديد بين أحداث مصر وأحداث القاهرة. وقد حملوا السلاح وأعدوا آلات الحرب واقتتلوا قتالاً شديداً. وقُتل من الفريقين جماعة كثيرة، وانهزم أهل مصر، وتبعهم أهل القاهرة، وأخذوا ثياب النظارة، ونهبوا القرافة والمعابر»<sup>٣</sup>.

ويؤكد لنا حمزة هذه الروايات بقوله: إن الحاكم كان يأمر «الركابية باللعب بالعصي والمقارع... وبالصرع»، وبالكشف عن «الفروج، والأحليل». ويأمرهم أن «يحرقوا فروج بعضهم بعضاً بالنار»، ويقول «للوحد منهم: «أورني قمرّك، يعني اكشف عن أساسك، وهو موضع «يخرج منه القدر... فإذا كشف عن أساسه وأخرج قبله... نجا»<sup>٤</sup>.

ولكنّ، لما خرج الناس في ذلك عن الحدّ، وبالغوا في اللهو والإسراف والزينة والمجون، منع الحاكم النساء من الخروج ليلاً، وعوقب المخالفات بشدة. ثم منع الرجال من ارتياد الحوانيت والمقاهي، وأبطلت بعد ذلك جميع الأعمال والمعاملات ليلاً. وعاد الظلام يخيم على القاهرة بالليل. وشغف الحاكم بالليل وظلماته، حتى لبث مدى حين يؤثر الجلوس في

<sup>١</sup> نفس المرجع.

<sup>٢</sup> المقرئزي: خطط مصر ٣ / ١٧٦، أتعاض الحنفاء، ورقة ٥٦ ب...

<sup>٣</sup> تاريخ الأنطاكي، ص ١٨٥.

<sup>٤</sup> رسالة «كتاب فيه حقائق ما يظهر...» رقم ١١ ص ١٠٨ - ١٠٩.



الظلام<sup>١</sup>. «وخلت الطرقات من المارة وأفقرت الشوارع والميادين بالليل، وغدت القاهرة كالمدينة المحصورة»<sup>٢</sup>.

## ٢ - كنائس النصارى:

في هذه المرحلة قبض الحاكم على كتّاب الدواوين من النصارى. واعتقلوا. ثم أطلقوا بعد أسبوع، بشفاعة طبيبه أبي الفتح سهل بن مقشّر النصراني... وكان النصارى قد شرعوا في تجديد كنيسة قديمة مندرسة بظاهر مصر في الموضع المعروف براشدة، فنار قوم من المسلمين فهدموها، وأنشأ الحاكم مكانها مسجداً عظيماً. وهدموا أيضاً كنيستين كانتا في جواره... وبناهما مسجدين آخرين... وكان للنصارى حارة بالقاهرة يسكنون بها، فأخرجوا منها، وهدم ما كان لهم فيها من المنازل مع كنيستين كانتا بها. وعملت جميع الحارة مسجداً واحداً، وسمّاه الأزهر...

ونهى الحاكم عن بيع النبيذ، وأن لا يظهر شيء منه، وكسر جميع ما كان للخمّارين وأصحاب المواخير... وحظّر على النساء كشف وجوههنّ وراء الجناز، ومنع من البكاء والعيول، وخروج النوائح بالطبل والزّمر على الميت»<sup>٣</sup>.

## ٣ - القتل بالجملة:

يعترف حمزة إنه ما من «قبيلة إلا وقد قتل ساداتهم، والرعيّة «كلّها أعداؤه في الدين»، ويقول: «قد قتل جبابرة الأرض وملوكها... «وهذه الأفعال ليس هو فعل أحد من البشر»<sup>٤</sup>.

لقد افتتح الحاكم عهده بقتل برجوان وابن عمّار، كما رأينا. وفي أواخر سنة ٣٩١ قتل مؤدّبّه أبا التميم سعيد بن سعد الفارقي فيما كان يسامرّه في مجلسه. وفي المحرم من ٣٩٢ قتل

<sup>١</sup> مرآة الزمان ٣ / ٤٠١، النجوم الزاهرة ٤ / ١٧٦.  
<sup>٢</sup> انظر النجوم الزاهرة ٤ م ١٧٦: «وأقام الحاكم سنين يجلس في الشمع ليلاً ونهاراً. ثمّ عنّ له أن يجلس في الظلمة، فجلس فيها مدّة».  
<sup>٣</sup> تاريخ الأنطاكي ١٨٥ - ١٨٦.  
<sup>٤</sup> رسالة السيرة المستقيمة ١٢ / ١٢٨.

ابن أبي نجدة متولّي الحسبة بعد أن اعتقله وقطع يده ولسانه ثم ضرب عنقه. وفي المحرم ٣٩٣ قتل أبا علي الحسن بن عسلوج وأحرقه، وكان متولياً شؤون المال. وفي جمادى الأولى من نفس العام قتل وزيره فهد بن إبراهيم النصراني الذي تولّى الرئاسة بعد برجوان. وبعد مدّة قتل أخاه أبا غالب وأحرقه بالنار. وأقام مكانه أبا الحسن بن عمر العداس، وبعد أشهر قتله وأحرقه بالنار. وقبل ذلك في شهر رجب قتل أبا طاهر ابن النحوى متولّي أعمال الشام. وفي أواخر ذى الحجة قتل ريدان صاحب المظلة.

وفي سنة ٣٩٤ قتل أكثر الأعيان ورجال الدولة. وقد ذكر لنا المقرئى ثبتاً طويلاً ممّن قتلهم، فكان منهم: العسكري منجمه، وأبو عليّ عسلوج الديباجي، وعلي بن المندوفي الشاعر الأعمى، وإسماعيل بن سوار، وابن أبي خريطة، وابن المغازني المنجم، وسهل بن كلس أخو يعقوب الوزير، والقائد أبو عبد الله الحسين البازيار... وقتل عدّة من زعماء كتامة، كالمقداد بن جعفر، وعلي بن سليمان، وأخيه يحيى، وخلف بن عبد الله، وابن سمود، ومحمد بن علي بن فلاح. وغيرهم... وقتل أيضاً عدداً كبيراً من الغلمان والخاصّة والجند والرعيّة.

وفي شعبان من سنة ٣٩٤ عزل الحسين بن النعمان عن منصب قاضي القضاة وداعي الدعاة، وندب مكانه عبد العزيز بن النعمان. ولم تمض أشهر حتى أدركته نقمة الحاكم. وعقب ذلك قتل الحاكم جماعة من الأعيان والعامّة يربى عددهم على المائة، وكان بينهم عبد الأعلى بن هاشم من قرابته<sup>١</sup>.

ويذكر لنا حمزة هواية القتل عند الحاكم فيعدد لنا أسماء أمثال «سويد والحمام» اللذين كانا من جملة «الركابيّة»، وكان قتلها «عبرة لمن اعتبر»<sup>٢</sup>، وأمثال «مفرّج بن دغفل بن الجراح»، وكانت ملوك الأرض «عاجزة عنه»<sup>٣</sup>، وغيرهم. حتى أنّ «قلوب العساكر تجزع في مضاجعهم ممّا رأوه من كسر الجيوش وقتل الرجال»<sup>٤</sup>.



<sup>١</sup> خطط المقرئى ٣ / ٣٢، ٤ / ٧٠، النجوم الزاهرة ٤ / ٢١٢.  
<sup>٢</sup> كتاب فيه حقائق ما يظهر قدام مولانا جلّ ذكره من الهزل ١١ / ١٠٩.  
<sup>٣</sup> رسالة السيرة المستقيمة ١٢ / ١٢٧.  
<sup>٤</sup> رسالة السيرة المستقيمة ١٢ / ١٢٦.

## خامساً - غرابة الأحكام وسجلات الأمان: ٣٩٥ - ٣٩٨

اتّصفت هذه الفترة من حكم الحاكم بإصدار الأحكام الغريبة المدهشة، وإصدار سجلات أمان لمن روّعهم القتل والطغيان، وبثورة أبي ركوّة التي قضت مضاجع الدولة الفاطمية.

### ١ - غرابة الأحكام:

في ١٣ المحرم سنة ٣٩٥ أمر الحاكم أن يلبس النصارى واليهود الزنانير في أوساطهم والعمام السود على رؤوسهم...

وأمر أيضاً أن يكتب على الجوامع والمساجد والحيطان والدروب لعن أبي بكر وعمر وعثمان ومعاولية وغيرهم من الصحابة وسائر الخلفاء العباسيين. وعظم ذلك على المسلمين المنتسبين إلى مذهب السنة.

ومنع شرب الفقاع<sup>١</sup> وأكل البقلة الملوخية والبقلة المعروفة بالجرجير، وأكل الطلنيس وسائر السمك العديم القشر. وكان متى وجد أحد قد تعرّض لبيع شيء من ذلك أو لابتياعه عوقب وشهر. وقيل من نجا منهم من القتل... وحرّم ذبح الأبقار السليمة. ولا يذبح إلا ما كان ذا عاهة، أو ما لا يصلح للحرث. وقتل سائر ما في مصر من الكلاب، إلا كلاب الصيد؛ فطوردت في كل مكان حتى خلت منها جميع الطرق والدور<sup>٢</sup>. وتكرّرت الحملة ضدّ الكلاب في سجلات كثيرة. وقيل في سبب قتلها إن الحاكم كان يسير في ركبته ذات يوم فاعترض مطيئته كلب فوثب عليه وكاد يلقيه على الأرض. وقيل أيضاً إنها تكثر النباح بالليل وتزعجه في طوافه فأمر بتطهير الطرقات منها<sup>٣</sup>. وأمر أيضاً بقتل الخنازير...

وحرّم دخول الحمام بلا متزّر، وهوجمت الحمامات تباعاً، وقبض على المخالفين فأدّبوا وشهروا. وشدّد على النخّاسين وتجار الرقيق، في المنع من بيع العبيد والإماء لأهل الذمّة. ثم أمر بعد ذلك ألا يدخل سوق الرقيق أحدٌ إلا أن يكون بائعاً أو مشترياً، وأن يفرز الجوارى من الغلمان، وأن يجعل لكل منهم يومٌ خاص. وحرّم على النساء التزيّن والتبرّج، كما

<sup>١</sup> الفقاع: شراب يتخذ من الشعير، شبيه بـ«البيرة».

<sup>٢</sup> ابن خلّكان في وفيات الأعيان ٢ / ١٦٦، خطط مصر للمقريزي ٤ / ٦٩ - ٧٠، تاريخ الأنطاكي، ص ١٨٧.

<sup>٣</sup> مخطوط «سير البيعة المقدّسة».

حرّم عليهنّ مجدّداً البكاء والحويل والصياح وراء الموتى... وشدّد الحاكم في تنفيذ هذه الأوامر، ووقوف كثيرون بالجلد والأعدام<sup>١</sup>.

ولازمت هواية القتل هذه المرحلة أيضاً، «فقتل جميع من في الحبوس، وبقيت مدّة خالية». و «كان متى وقع أحد في تهمة، صغرت أم كبرت، قتله وأحرقه. واستمرّ على هذا الفعل مدّة»<sup>٢</sup>.

## ٢ - سجّلات الأمان:

يروى لنا المسبّحي، صديق الحاكم ومؤرّخه فيما بعد، أن الحاكم أمر في سنة ٣٩٥ بعمل شونة كبيرة<sup>٣</sup>... فارتاع الناس، وظنّ كل من له صلة بخدمة الحاكم من رجال القصر والدواوين أنّها أعدّت لأعدامه؛ وسرت في ذلك اشاعات مخيفة، فاجتمع سائر الكتّاب وأصحاب الدواوين والمتنفّذين من المسلمين والنصارى، في أحد ميادين القاهرة، وما زالوا يقبّلون الأرض حتى وصلوا إلى القصر، فوقفوا على بابه يضجّون ويتضرّعون ويسألون العفو عنهم، حتى دخلوا القصر ورفعوا إليه، عن يد قائد القوّاد الحسين بن جوهر، رقعة<sup>٤</sup> يلتمسون فيها العفو والأمان...

فأجابهم الحاكم على لسان الحسين إلى ما طلبوا، وأمروا بالانصراف، وبالمجيء باكراً لتلقّي سجل العفو. وفي اليوم التالي صدر سجل كتبت منه نسخة للمسلمين، وأخرى للنصارى، وثالثة لليهود، بالأمان والعفو عنهم<sup>٥</sup>... ثم اشتدّ الذعر بالغلّمان والخاصّة على اختلاف طوائفهم، فضجّوا واستغاثوا وطلبوا العفو والأمان، فأجيبوا إلى ما طلبوا... وتبعهم بالاستغاثة التجّار وأرباب المهن والحرف...

وتوالى الأمانات لمختلف الطوائف. فصدر أمان للغلّمان الأتراك، وصبيان الخاص، والعرفاء، وصبيان الدار، وأصحاب الاقطاعات والمرزقة، والغلّمان الحاكمية. وصدر أمان لخدم القصر، بعدما اجتمعوا وهرعوا إلى قبر العزيز وضجّوا بالبكاء والاستغاثة... وكتبت

<sup>١</sup> اتّعاظ الحنفاء، ورقة ٥٩ أ.

<sup>٢</sup> تاريخ الأنطاكيّ، ص ١٨٧.

<sup>٣</sup> الشونة: مخزن للغلّة، فتح الحاكم أبوابه ليمتحن الناس.

<sup>٤</sup> الرقعة جمعها رقاع تعني كتاباً أو رسالة ترفع إلى مقام عال.

<sup>٥</sup> اتّعاظ الحنفاء للمقريزي، مخطوط، ورقة ٥٩ ب.

عدّة أمانات للدليم والغلمان والنقباء والروم المرتزقة، وصدرت أمانات لسكان الأحياء المختلفة  
ولسائر الطوائف. وقرئت هذه الأمانات ووزعت على أهلها.

وقد أورد المسبّحي أحد هذه الأمانات، هذا نصّه:

«هذا كتاب من عبد الله، ووليّه المنصور أبي عليّ، الحاكم بأمر الله، أمير المؤمنين،  
لأهل مسجد عبد الله: إنكم من الأمنين بأمان الله الملك الحق المبين، وأمان جدنا خاتم النبيين،  
وأبينا عليّ خير الوصيين، وآبائنا الذريّة النبويّة المهديين، صلى الله على الرسول ووصيّه  
وعليهم أجمعين. وأمان أمير المؤمنين على النفس والأهل والدم والمال. لا خوف عليكم، ولا  
تمدّد يد بسوء إليكم، إلا في حدّ يقام بواجبه، وحقّ يؤخذ لمستوجبه. فيوثق بذلك، وليعوّل عليه،  
إن شاء الله تعالى. وكتب في جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلثمائة. والحمد لله وصلى  
على محمد سيّد المرسلين وعليّ خير الوصيين، وعلى الأئمّة المهديين، ذريّة النبوة، وسلّم  
تسليماً»<sup>١</sup>.

في «رسائل الحكمة» نموذج آخر عن هذه السجلات، وهي الكتب الأربعة الأولى  
منها: «السجل الذي وجد معلقاً على المشاهد...»، رقم ١؛ «والسجل المنهي فيه عن  
الخمير»، رقم ٢؛ و «خبر اليهود والنصارى»، رقم ٣؛ وكتاب الحاكم إلى القرمطي، رقم ٤...  
هذه السجلات هي الكتب الوحيدة في مجموعة الرسائل من وضع الحاكم وزمانه، وقد أضافها  
الأمير السيّد لغاية خفية جليّة. وهي، بالتالي، لا تمت إلى عقيدة الموحّدين الدروز بصلة...  
... ..

### ٣ - ظاهرة «أبي ركوة»:

في سنة ٣٩٥ ظهر ببرقة رجل أندلسي يعرف بالوليد بن هاشم، وذكر أنه من ولد  
عثمان بن عفان. نزل في بيوت البربر وكانوا يعتقدون مذهب السنّة، وصار معلماً لأولادهم،  
كما صار يرغبهم في مساعدته على الحرب لنصرة الإسلام والامتعاظ من السبّ واللعنة  
لأصحاب صاحب الشريعة الذين بهم قامت مملكة الإسلام... واجتذب إليه قبيلة بني قرّة...  
وبدأ بقتال عسكر الحاكم، فقتل منهم جماعة كثيرة، ثم ذهب إلى حصار برقة ومنع عن أهلها  
الأقوات فمات منهم جماعة، واستولى على أسلحة كثيرة.

<sup>١</sup> خطط المقرئزي ٣ / ٣٢ - ٣٣، اتعاظ الحنفاء، ورقة ٦٠ أ.

وجردَ الحاكم للقائه جيشاً كبيراً مع غلام تركي يُسمّى نبال الطويل، فسار للقاء أبي ركوّة، وتحارباً قرب أعمال برقة، فقتل من عسكر الحاكم العديد وأسر نبال وقتل... فهرب أهل برقة وهرب الوالي صندل، وتوجّه بعضهم إلى مصر وبعضهم إلى طرابلس الغرب، ودخل أبو ركوّة المدينة في ٣ ذى الحجة سنة ٣٩٥، وأظهر فيها مذهبه السنّي، وسمّي بأمير المؤمنين، الناصر لدين الله، وضرب ذلك على سكّته.

وفي السنة التالية سار أبو ركوّة من برقة إلى الاسكندرية، وسيّر الحاكم إليه عسكره بقيادة «قابل الأرمي». فقتل قابل وكثير من أصحابه، ودخل أبو ركوّة المدينة وقاتل فيها... فاستحضر الحاكم الجيوش من العرب من برارى الشام ومن جميع أصقاع الملكة بقيادة «الفضل بن صالح». والتقى العسكران قرب الاسكندرية، ونشبت الحرب، فنذت جيوش أبي ركوّة إلى الفيوم وأعمالها، فاضطرب أهل مصر والقاهرة، وخافوا خوفاً شديداً. وجّه الحاكم جيشاً كبيرة إلى الجيزة بقيادة «علي بن فلاح»، وكانت هزيمة أبي ركوّة وتراجعته ووقوع الوباء في عسكره... ثم قبض عليه وأحضر إلى مصر أسيراً، وشهّر به، وقتل في موضع يُعرف بـ«مسجد تير»، وصلب فيه وأحرق بالنار. وكانت مدّة ثورته سنتين<sup>١</sup>.

يعترف حمزة بذلك ويذكر الناس بما شاهدوه من صنيع الحاكم «بأبي ركوّة: «وقد شاهدتموه (أي شاهدتم الحاكم) في وقت أبي ركوّة «الوليد بن هشام الملعون، وقد أضرم ناره، وكانت قلوب العساكر تجزع «في مضاجعهم لما رأوه من كسر الجيوش وقتل الرجال»<sup>٢</sup>.

#### ٤ - قصة الخمر:

في هذه المرحلة تراجع الحاكم عن منع بيع الفقّاع والملوخيّة وأكل الطلنيس وسائر الأسماك التي بلا قشر، وجميع ما كان نهى عنه سابقاً... وتراجع عن سبّ الخلفاء... وأغضى عن شرب النبيذ، وكان طبيبه أبو يعقوب إسحق بن ابراهيم بن أنسطاس أشار إليه بشربه. واستدعى الحاكم جماعة من المغنّين وأصحاب الملاهي إلى مجلسه وشرب على غنائهم وخلع العذار معهم وأحسن إليهم. ورجع الحال بالناس إلى ما كانوا عليه في السالف.

وبعد مدّة مات أبو يعقوب الطبيب، فرجع الحاكم ومنع شرب النبيذ أشدّ منع، وتشدّد فيه، حتى أنه منع بيع الزبيب والعسل ومن حملهما. وأحرق منهما، وغرق في النيل شيئاً

<sup>١</sup> تاريخ الأنطاكيّ ص ١٩٠ - ١٩٢.  
<sup>٢</sup> رسالة السيرة المستقيمة ١٢ / ١٢٦.

كثيراً للتجّار بمال عظيم، وكسرت الظروف (الأواني) التي يوعى فيها النبيذ، ومنع من عملها<sup>١</sup>.



---

<sup>١</sup> تاريخ الأنطاكيّ، ص ١٩٢.

## سادساً - ذرورة الشذوذ: ٣٩٨ - ٤٠٨

مرحلة مثيرة، مليئة بالأحداث المروعة وتصرفات الحاكم الغريبة، من قتل وحرق ومنع ومراسيم ومغامرات ومن زهد وانقطاع إلى الله...

### ١ - قصة قائد القواد وقاضي القضاة:

في شعبان سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٩ م عزل الحاكم قائد القواد الحسين بن جوهر، وعين مكانه صالح بن عليّ الروذباري. ولم تمض أسابيع حتى أمره، وصهره عبد العزيز بن النعمان، قاضي القضاة، بلزوم دارهما. ثم عفا عنهما... وبعد أشهر صدر الأمر بالقبض عليهما. فاضطربت القاهرة، وأغلقت الأسواق. فأخرج عنهما، وفرًا خارج المدينة. فصدر أمر بالعفو عنهما. وتوالت عليهما كتب الحاكم بالأمان والعودة. وبعد أن استوثقا من الخليفة بالعفو رجعا ودخلا القاهرة في موكب حافل، ومثلا أمام الحاكم، وقرئ سجل أمانهما علناً...

وفي ذات يوم استبقيا بالقصر «لأمر تريده الحضرة»، فجلسا وانصرف الناس. ثم قتلا فجأة، وذلك في ١٢ جمادى الآخرة سنة ٤٠١ هـ. ثم عاد الحاكم بعد ذلك واستدعى أولاد القتيلين، ووعدهم بالجميل، وخلع عليهم... لكنهم فرّوا إلى الشام واستغاثوا بحاكم أنطاكية البيزنطي، فسيّر الحاكم إلى والي الشام بوجوب القبض عليهم، فأخذوا بالحيلة، وقتلوا، وأرسلت رؤوسهم إلى القاهرة، سنة ٤٠٣ هـ<sup>١</sup>.

### ٢ - قصص الحاكم مع النصارى:

وفي ليلة عيد الشعانيين من سنة ٣٩٨، منع النصارى من تزيين كنائسهم، وقبض على جماعة منهم بسبب ذلك. وفي رجب من العام نفسه، صدر سجل بمصادرة الأوقاف وأملاك

<sup>١</sup> الخطط ٣ / ٢٣ و ٢٤، اتعاط ٦٢ ب - ٦٤ ب، الأنطاكي ص ١٩٩.



الكنائس وضمّها إلى الديوان السلطاني. وأحرقت صلبان كثيرة على أبواب الجوامع وفي دار الشرطة<sup>١</sup>.

وعاقب الحاكم النصارى، وعلّق جماعة منهم بأيديهم، وأخذ جميع ما كان لهم، ولبثوا أياماً معلّقين في برد الهواء وحرّ الشمس واهطال المطر، إلى أن مات عدّة منهم تحت العذاب، ثم أسلم نفر. ثم أطلقوا وعفي عن باقيهم.

وفي سنة ٣٩٩ أمر الحاكم أن يتميّز النصارى في الحمامات من المسلمين بصليب يعلّقونه في رقابهم، وأن يتميّز اليهود بجلجل مكان الصليب. فلبثوا بذلك مدّة ثم زال. وأمر بهدم الكنائس وسلب محتوياتها وقلع آثارها. وأمر بهدم كنيسة القمامة (أي القمامة)، وجاء في الأمر ما يلي: «خرج أمر الإمامة ايصال بهدم القمامة. فاجعل سماءها أرضاً، وطولها عرضاً<sup>٢</sup>. ثم حرّم ضرب النواقيس، وأمر بنزع الصلبان الظاهرة في أبراج الكنائس، وإن يمحى النصارى الصليب عن أيديهم وسواعدهم.

وفي سنة ٤٠٠ أمر بهدم دير القصير في الجبل المقطم مقرّ البطريركية، ونهب جميع ما فيه، وفتح المقابر، ونبش من كان فيها، وأخذ أيضاً توابيتها وطرح أعضائهم... ثم عاد وأمر بالكف عن فتح القبور، وترك التعرّض للموتى... ثم عاد وأرسل إلى دمياط بهدم كنيسة مرتمريم... وقتل أرسانيوس البطريرك سرّاً عشية ٢٢ ذى القعدة سنة ٤٠٠<sup>٣</sup>.

وأمر في المحرم سنة ٤٠١ أن تؤخذ الذمّة من النصارى واليهود بتغيير الزنانيير الملونة التي يلبسونها، والاقتصار على لبس الزنانيير السود والعمائم السود. وفي رمضان جدّد التحذير من عمل النبيذ ومن شربه سرّاً وجهرّاً. وكسر ما عند الناس منه من الجرار والظروف. وحذّر من استبقاء شيء منه، والتعرّض لعمله والعمل به، وتواعد فيه بشديد العقاب. وكُسّر في الطرقات شيء كثير منه. وأحرقت آلات الموسيقى، وأغلقت الملاهي. وحظر على النصارى تقديم النبيذ في قرايبينهم، وصاروا يقرّبون عوضاً عن الخمر ماء قد نقع فيه زبيب أو عود الكرم...

وفي سنة ٤٠٢ أمر بنفي سائر المغنّين وأصحاب الملاهي، فاجتمعوا واستغاثوا إليه وسألوه عفوّه. ومنع النساء من الاستحمام في الحمامات العامّة ومنع ركوبهنّ مع الرجال وخرجهنّ إلى مواضع الفرجة<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> الخطط ٤ / ٤١٨، اتعاظ ٦٢ أ.

<sup>٢</sup> مخطوط «سير البيعة المقدسة»، انظر الأنطاكي ص ١٩٦.

<sup>٣</sup> مخطوط «سير البيعة المقدسة»، الأنطاكي ص ٢٠٢.

<sup>٤</sup> الخطط ٤ / ٧٢، اتعاظ ٦٣ أ، ٦٥ ب، ابن خلّكان ٢ / ١٦٦.

وفي سنة ٤٠٣ أُجبر النصارى أن يعلّقوا في أعناقهم صليباناً من خشب وألاً يركبوا الخيل، ولا يستخدموا مسلماً... واستبدل في دواوينه النصارى بالمسلمين، وكان سائر كتّابه وأصحاب خدمته وأطباء مملكته نصارى. وكثرت الشناعات السيئة فيهم والأراجيف المفزعة، فاجتمع سائر من بمصر من الكتّاب والعمّال والأطباء وغيرهم مع أساقفتهم وكهنتهم، وتوجّهوا إلى قصره في ١٢ ربيع الآخر، وكشفوا عن رؤوسهم من باب القاهرة، ومشوا حفاة باكين مستغيثين إليه، يسألونه العفو والصفح، ولم يزلوا في طريقهم يقبلون التراب إلى أن وصلوا إلى قصره وهم على تلك الحال... فردّ عليهم ردّاً جميلاً... وأخذوا يعلّون أنفسهم بمنشور يقرأ عليهم لطمأنينتهم، ولكن، لما كان يوم الأحد في ١٥ الشهر، جاءهم أمر بتعظيم الصليبان في أعناقهم، وأن يجعل طولها ذراع وعرضها ذراع، وأن يكون فتحها ثلثي شبر وسمكها إصبع. وقصد بذلك أضجارهم لا سيّما خواصّه من كتّاب دواوينه ومن المتصرفين في خدمته الذين لم يكن يجد منهم بدلاً.

ونودي إلى اليهود أن يعلّقوا في رقابهم أيضاً أكر خشب من خمسة أرتال إشارة إلى رأس العجل الذي عبده سالفاً... فأسلم كثير منهم ومن النصارى. ومن لم يسلم أمر بقطع أعضائهم وأباح للعبيد ماله وعياله... ولم تزل الطرقات أياماً عدّة لم يرَ فيها نصراني... وهدم كل ما تبقى من كنائس، وأخرج عظام الموتى، ووقد بها الحمامات، وأحرقت الكتب المقدسة وحرّم على المكارية المسلمين أن يحملوا على دوابهم ذميّاً، كما حظّر على الملاحين المسلمين أن يحملوا في سفنهم ذميّاً... ورسم بأن يحملوا في أعناقهم الأجراس عند دخولهم الحمامات تمييزاً لهم من المسلمين. ثم أفردت لهم حمامات خاصّة، وعلّقت الصليبان عليها كما علّقت قرامي الخشب على حمامات اليهود... فأسلم من أسلم وهجر منهم إلى بلاد الروم الكثير<sup>١</sup>.

وانتهى إلى الحاكم أن جماعة من النصارى يتسلّلون إلى بلاد الروم ويبدلون لأصحاب المراكز والطرقات مالا حتى يطلقوهم، فأذن لجماعة منهم بسجّل قرى بالتوجه إلى بلد الروم بأهلهم وأموالهم وما تحويه أيديهم والتصرّف في ذلك على حسب اختيارهم آمنين مطمأنين، احساناً إليهم ورفقاً بهم...<sup>٢</sup>.

### ٣ - شهوة القتل:

<sup>١</sup> الأنطاكي ١٩٥ - ٢٠٢، اتعاض ٦٥ - ٦٦، الخطط ٤ / ٧١ - ٧٣... نهاية الارب ٢٦ / ٥٦... النجوم الزاهرة ٤ / ١٧٧ - ١٧٨... وغيرها.  
<sup>٢</sup> انظر تاريخ الأنطاكي ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

في هذه المرحلة من التاريخ تزايد الحاكم في القتل لسائر من في دولته، وبذلل في رقابهم السيف، وأفرط في ذلك، فاختلت بلاده، وفي رؤساء رجاله، «ولم يكن بقي من رؤساء دولته من له ذكر ونباهة. وكان أمراً فظيماً لم يُشاهد مثله، ولا جرى في السالف مثله»<sup>١</sup>. وأيقن الجميع بالهلكة... ولكن لما علم بتلك المخاوف كتب لكل طائفة أماناً...

أمّا في العام ٤٠٠ فقد وقعت مقتلة بين الغلمان والخدم رهيبية، وقُتل جماعة من العلماء السنيين، وقتل أسامة بن محمد اللغوى، والحسين بن سليمان الأنطاكيّ النحوي، وقتل رجاء بن أبي الحسين لأنه صلّى صلاة التراويح في رمضان، وقتل الرواة وأصحاب الأخبار عن آخرهم.

وفي عام ٤٠١ عزل الكافي منصور بن عبدون عن النظر في أمور الدولة، وقتله بعد مدة يسيرة من عزله. وردّ الأمور إلى أحمد بن القصورى في ٤ من شهر المحرم وقتله بعد خمسة أيام. ونصب مكانه زرعة بن عيسى بن نسطورس النصراني الذي استمرّ في منصبه عامين ثم مرض وتوفي. وكان من الرجال القلائل الذين عصمهم الموت من بطش الحاكم. ويقول لنا المقرئى: «إنّ الحاكم تأسّف على موته من غير قتل، وقال: ما أسفت على شيء قط أسفي على خلاص ابن نسطورس من سيفي. وكنت أودّ لو ضربت عنقه»<sup>٢</sup>.

ويذكر التاريخ قصة دموية مروعة للحاكم مع خادمه غين. كان غين من الخدم السود الذين يؤثّرهم الحاكم بعطفه وثقته، فعينه في ربيع الأول سنة ٤٠٢ رئيساً للشرطة والحسبة بمصر والقاهرة والجزيرة والنظر في جميع الأموال والأحوال. وعهد إليه بتنفيذ المراسيم الدينية والاجتماعية مثل مطاردة المسكرات ومنع بيع العسل والفقاع والملوخية، ومنع الملاهي واجتماع الناس في المآتم والسير خلف الجنائز وغيرها... وقربّه إليه وأحبّه حتى إنه لمّا مرض ركب الحاكم لعيادته، وسيرّ إليه خمسة آلاف دينار. وخمسة وعشرين فرساً...

غير أن هذه المظاهر البراقة لم تحلّ دون نكبته. وكان الحاكم قد سخط عليه وأمر بقطع يده، وبعد مدة أمر بقطع يده الثانية، فقطعت وحملت إلى الحاكم في طبق، وبعث إليه الأطباء للعناية به، ووصله بمال وتحف كثيرة. ولم تمض أيام حتى أمر بقطع لسانه، فقطع، وحمل إلى الحاكم ومات غين بعد قليل من جراحه، وكان ذلك في سنة ٤٠٤. وشملت النقمة أبا القاسم الجرجاني كاتب غين، فقد أمر الحاكم بقطع يديه، وأبقاه على حياته، فعاش أقطع اليدين<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> تاريخ الأنطاكيّ ١٩٤ - ١٩٧.

<sup>٢</sup> اتّعاظ الحنفاء للمقرئى، ورقة ٦٥ ب - ٦٦ أ.

<sup>٣</sup> اتّعاظ ٦٧ أ ب، انظر النجوم الزاهرة ٤ / ٢٢٣.

وفي ربيع الآخر سنة ٤٠٥ / ١٠١٤ م قتل قاضي القضاة مالك بن سعيد وذلك عندما كان راكباً مع الحاكم ليلاً كعادته، وفي ركبه عدد من الناس. ولم يمض شهر على مقتله حتى قتل الحاكم وزيره الحسن بن طاهر الوزان، وذلك عندما كان راكباً في موكبه، ولما انتهى إلى حارة كتامة خارج القاهرة أمر به فضربت عنقه. وفي نفس الوقت قتل عبد الرحيم بن أبي السيد الكاتب، متولّي ديوان النفقات، وأخاه الحسين متولّي السفارة والوساطة، ولم يمض على تعيينهما أكثر من شهرين. ثم تسلّم الوساطة أبو العباس بن الفرات، ثم قتل لأيام قلائل من تعيينه<sup>١</sup>.

وأحياناً كان القتل يبدو، في نظر الحاكم، ضرباً من ضروب اللهو والرياضة. فقد نقل المقرئ من أن الحاكم قتل ذات يوم راكبياً بحربة في يده على باب جامع عمرو، وتولّى شقّ بطنه بيده. ونقل إلينا أيضاً أنه كان يقف عادة عند حانوت ابن الأزرق ويحدث صاحبه ويبيدي عطفه عليه. وفي ذات يوم أوقفه بين اثنين من الركابية ورماه برمح، ثم أضجعه واستدعى سكيناً فذبحه بيده، ثم استدعى ساطوراً فقذف به رأسه وجسده، ثم استدعى ماء فغسل يده، ثم أمر بعد ذلك بغسله ودفنه، وأن تعمل له جنازة حافلة، وصلّى عليه قاضي القضاة<sup>٢</sup>.

وعرض للحاكم يوماً دملاً وتألّم منه، وحضر بعض عوام الأطباء والجراحين يتولّى علاجه، ثم قتله، وقتل معه غيره ممن كان يخدمه في الوقت من الأطباء.

وفي أحيان أخرى كان الحاكم يطرب لمناظر المغامرات المميّنة. فيروي لنا المقرئ أن رسم لجماعة من الأحداث أن يتبارزوا في القفز من موضع عال بالقصر، فمات منهم ثلاثون إنساناً... ودفع لمن نجا منهم مالاً<sup>٣</sup>. ويروي لنا أيضاً: «أن القائد فضل بن صالح دخل يوماً على الحاكم بالقصر، فرآه بين يديه صبي مليح ابتاعه بمائة دينار، وقد ذبحه بسكين في يده، واستخرج أحشاءه وأخذ يقطّعها، فارتدّ الفضل إلى منزله مذعوراً. ولم تمض ساعة حتى أنفذ إليه من يقتله»<sup>٤</sup>.

وفي الرواية أيضاً أن الحاكم لقي ذات مساء عشرة من الناس سألوه الاحسان، فأمر أن ينقسموا إلى فريقين يتقاتلان حتى يغلب أحدهما فينعم عليه، فتقاتلا حتى فني منهم تسعة، وبقي واحد، فألقى إليه الدنانير. فلما انحنى ليأخذها عاجله بالقتل<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> المقرئ، مخطوط اتعاط الحنفاء، ورقة ٦٦ أ؛ ٦٨ ب، ٦٩ أ.

<sup>٢</sup> نفس المرجع، ص ٧٠ ب - ٧١ أ.

<sup>٣</sup> اتعاط الحنفاء للمقرئ، ورقة ٥٩ ب.

<sup>٤</sup> مخطوط «سير البيعة المقدسة»، اتعاط الحنفاء للمقرئ ٦٠ ب.

<sup>٥</sup> مخطوط «سير البيعة المقدسة»، انظر الخطط واتعاط الحنفاء.

وهكذا استمرّ الحاكم بالفتك بالزعماء ورجال الدولة من الوزراء والكتّاب والموقّعين والعلماء ورجال القصر من الأساتذة والخدم ومن إليهم من الحشم حتى أباد معظمهم. هذا عدا من قتل من التجار والصناع والكافة، خلال هذه الأعوام الرهيبة وهم ألوف عديدة<sup>١</sup>. وتقدر الرواية المعاصرة ضحايا الحاكم بثمانية عشر ألف شخص، من مختلف الطبقات<sup>٢</sup>.



#### ٤ - الحجر على النساء:

في هذه الحقبة من تاريخ الحاكم صدر أمر بأن يلزم النساء منازلهنّ. فمنع من خروج الحرائر منهنّ والإماء من الشباب والعجائز إلى الطريق والظهور بوجه من الوجوه. وحذّر عليهنّ في ذلك أشدّ تحذيراً. وإذا دعت الضرورة إلى حضور غاسلة أو قابلة لمن تموت أو لمن تلد أو غيرها ممن تسافر وتضطرّ الخروج من منزلها استؤذن في ذلك برقعة ترفع إليه، فيوقع على ظهرها بخطّه إلى متولّي الشرطة فيندب من يثق به إلى أن تخرج المرأة المستطلعة من موضعها إلى حيث مقصدها.

وأصدر أمرا للاسكفة بمنعهم من عمل أخفاف للنساء. وحاول النساء التظلم من هذا القرار، وذهب الكثيرات منهنّ إلى القصر متظلمات، فلم يفرز بطائل. وعوقب كثيرات بالضرب والحبس والموت.

وفي عام ٤٠٥ شددّ عليهنّ أكثر فأكثر. فمُنِعْنَ من التطلّع من النوافذ والطيّقان. وأمر الباعة أن يحملوا السلع والأطعمة وبيعونها لهنّ في المنازل، وأن يحمل الباعة أداة، كالمغرفة، لها ساق طويل يُمدّ إلى المرأة وهي من وراء الباب، وفيه ما تشتريه، فتتناوله وتضع مكانه الثمن. ولا يسمح مطلقاً أن تبدو من وراء الباب<sup>٣</sup>.

وقد كان من قبل ذلك أخرج من قصره جماعةً من حظاياها وأمّهات أولاده مع كثرة شغفه بالجماع، وغرق بعضهنّ في صناديق اتخذها لهنّ وسمرت عليهنّ وثقلت بالحجارة وألقيت في النيل. وأخذت السيّدة «ست الملك»، أخت الحاكم، أمّ ولده عليّ (الظاهر) خوفاً عليهما منه. وبقي في قصرها بعيدين عنه إلى حين فقده.

<sup>١</sup> نهاية الارب ٢٦ / ٥٢، ٥٣، تاريخ الأنطاكيّ ص ٢٠١.

<sup>٢</sup> المخطوط الكنسي: «سير البيعة المقدسة».

<sup>٣</sup> انظر: الأنطاكيّ، ص ٢٠٨، ابن خلّكان ٢ / ١٦٧، الخطط ٣ / ٧٣، اتعاظ الحنفاء، ورقة ٦٥ و ٦٧ ب و ٦٨ أ، ابن الأثير، ٩ / ١٠٩...

وعانى النساء هذه الشدة سبعة أعوام حتى وفاة الحاكم. وزاد في صرامتها الشدة في تنفيذها وروعة العقابات التي سنت لمخالفيها.

## ٥ - زهد الحاكم وتصوفه:

في هذه الفترة لم ينقطع الحاكم عن مواصلة الركوب ليلاً ونهاراً. واقتصر في ركوبه على نفر يسير من خاصته. وكان يقصد جبل المقطم وصحراء الجب، ويختلي للعبادة... وربى شعره إلى أن طال ونزل على أكتافه، وامتنع من تقصيصه ومن تقليم أطرافه. وغير الثياب الصوف البيضاء بثياب سوداء، وكذلك العمامة. وصار يلبس الكسوة الواحدة المدة الطويلة إلى أن تتلبد وتتكد بما ينالها ويتداولها من العرق الدائم، ويعلوها من الغبار المتصل، «وقد يرتدي أحياناً جبّة مرقعة من سائر الألوان»<sup>١</sup>.

وواصل تدوير الصحارى والفيافي والانفراد بنفسه والتمادي في السير وحده والانفراد بنفسه يتغوّث إلى الله أن ينجيه ويوحى إليه كما ناجى موسى وأوحى إليه. وزادت أطافيره فشبهت مخاليب العقاب، وطال شعره كالأسد. وقيل أيضاً أنه أضرب عن دخول الحمام مبالغة في الخشونة والتشّف<sup>٢</sup>.

## ٦ - زهد الحاكم وفحشه:

وقيل أيضاً إنه «كان يلبس جبّة الصوف ويركب على حمار أشهب، يُسمّى القمر، ويطوف في أسواق مصر (أي الفسطاط المعروف الآن بمصر القديمة) والقاهرة، وبياتر حسبة البلاد. وكان معه عبد أسود طويل عريض يمشي في ركابه، يُقال له «مسعود، بأن يفعل به الفاحشة العظمى، وهي اللواط، فيفعل به على دكانه، والناس ينظرون إليه حتى يفرغ من ذلك والحاكم واقف على رأسه»<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> «سير البيعة المقدسة»، الأنطاكيّ ٢٠٥، ٢١٧، ٢١٨.

<sup>٢</sup> الأنطاكيّ ١٩٢، ٢٠٧، مرآة الزمان ٤٠١، النجوم الزاهرة ٤ / ١٧٦.

<sup>٣</sup> ابن اياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ١ / ٥٣، بولاق ١٣١١ هـ.

وفي إحدى جولاته في شوارع القاهرة ليلاً «عَنَ له رأيٌ من السخف ينافر ما تظاهر به من الزهد، وهو أن يقصد أحد أسواق مصر في الليل، ويتقدّم إليه شيخ خليع يعرف بالرجّاج من السفساف، فيقول له الحاكم: «أرني قَمَرَكَ»، فيكشف عن فَقَحَتِهِ. ويرسم الحاكم لبعض ركابيته من السودان أن يُرِزَ إِحْلِيلَهُ ويأتيه بمشهد منه ومن الجمع الحاضر... فيصرخ الشيخ من الألم ويطلب من الحاكم الرفق به، فيضحك الحاكم من ضجيجه، ويترب له. ولبت على هذا الحال مدّة»<sup>١</sup>.

«واعتلّ الحاكم وضعف عن الركوب فاتخذ له محفةً يجلس فيها ويستلقي عليها، ويحملها أربعة من الركابيّة الذين اصطنعهم، ويدور الليل والنهار. فلمّا تماثل من مرضه وتراجعت قوّته، عاد...»<sup>٢</sup>.

## ٧ - شهادة حمزة:

هذه التصرفات الغربية المدهشة لم تغب عن حمزة، بل عرفها، ودوّنها، واعترف بها. لكنّه يرى لها تعليلاً توحيدياً إلهياً بعيد المعنى.

فهو يقرّ بغرابتها: «... يشاهدون منه (من الحاكم) ما لا يجوز أن يكون من أفعال أحد من البشر، ولا سمع به في التواريخ والسير»، ويردد اعترافه بغرابتها مرّات عديدة<sup>٣</sup>. وهو يرى فيها «حكمة بالغة»<sup>٤</sup>، ويلوم الناس لأنهم «لم يعرفوا بأنّ أفعال مولانا «جلّ ذكره كلّها حكمة بالغة، جدّاً كان أم هزلاً»<sup>٥</sup>؛ و «لو نظروا (الناس) إلى أفعال مولانا جلّ ذكره بالعين الحقيقية وتدبّروا اشاراته بالنور الشعشعاني، لبانت لهم الألوهيّة والقدرة الأزليّة... وعلموا الحقيقة المحض في جدّه وهزله»<sup>٦</sup>.

ويعترف بكلّ ما جاء في التواريخ من أخبار الحاكم، فيقول: «كان المولى جلّت قدرته يخرج أنصاف الليلي إلى صحراء الجب، وليس معه غير الركابيّة... وكان المولى جلّ ذكره

<sup>١</sup> تاريخ الأنطاكي، ص ٢١٧.

<sup>٢</sup> تاريخ الأنطاكي، ص ٢١٧.

<sup>٣</sup> رسالة السيرة المستقيمة ١٢ / ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩...

<sup>٤</sup> كتاب فيه حقائق ما يظهر قدام مولانا جلّ ذكره من الهزل ١١ / ٩٨.

<sup>٥</sup> نفس المرجع.

<sup>٦</sup> نفس المرجع ١١ / ٩٨ - ٩٩.

يركب كل يوم وليلة، ويخرج العتمة من القاهرة، ويدخل صحراء الجب ناحية الجبل... ومن رسوم مولانا جلّ ذكره الركوب في الهاجرة والمسير في الرمضاء وفي الشتاء...<sup>١</sup>.

ويعترف بمرض الحاكم وعلته وينكره بنفس الوقت<sup>٢</sup>، كما يقرّ «بتربية الحاكم شعره ولباس الصوف وركوب الحمار بسروج غير محلات، لا ذهب ولا فضة»<sup>٣</sup>، ويعترف بأنّ الناس كانوا يرونه في «وقوفه في الصوفيّة واستماعه لأغانيهم والنظر إلى رقصهم»، وأنه كان يراه ينظر «إلى لعب الركابية بالعصي والمقارع»، ويقصّ علينا «ما ذكره الركابية من ذكر الفروج والأحليل... وقوله (لأحدهم): أرني قمرًا»<sup>٤</sup>.

ويرى بهاء الدين المقتدى، واضع قسم كبير من «رسائل الحكمة»، مثلما رأى حمزة وفسّر كما فسّر، فاعترف هو الآخر بأن الحاكم، قبل غييبته، «تظاهر بلباس السواد سبع سنين، وتربيته الشعر سبع سنين، وسجن النساء سبع سنين، وركوب الأتان سبع سنين»<sup>٥</sup>.

هذه كلها غرابات دوتها حمزة «لتعتبروا وتفكروا... (وهي) فعل «قادر على الأشياء كلّها، وخالقها، العالم بما خفي». «ما هو شيء يستعظم للمولى سبحانه»<sup>٦</sup>.



<sup>١</sup> رسالة ١٢ / ١٢٧.

<sup>٢</sup> نفس المرجع ١٢ / ١٢٨.

<sup>٣</sup> كتاب فيه حقائق... ١١ / ٩٩ - ١٠١...

<sup>٤</sup> نفس المرجع ١١ / ١٠٩.

<sup>٥</sup> رسالة الجزء الأول من السبعة أجزاء ٤١ / ٣١٩.

<sup>٦</sup> السيرة المستقيمة ١٢ / ١٢٨.



## سابعاً - نشأة الدرزية: ٤٠٨ - ٤١١

في أوائل سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م، ظهر بمدينة القاهرة ثلاثة رجال أعاجم، وتبعهم آخرون، عرفوا نفسية الحاكم وشخصيته وطموحاته البعيدة واضطرابات المرصية، وشعروا عنده ميلاً عميقاً إلى اعتبار نفسه فوق مستوى البشر، ورأوا فيه دعوى آباءه وأجداده إلى الألوهة، «وهو إنهم آلهة، حلوا على الأرض في أشباح بشرية؛ ومن العلي لهم نور لاهوتيّ حالّ فيهم، ويظهر في كل عصر وزمان في صورة شخص من الأشخاص البشرية، وإنّ الدنيا وملوكها كلاً عليهم، وأنهم بين العالم لا يستأهلهم»<sup>١</sup>.

واعتبروا تصرفاته الشاذة «وشدة سطوته وتسرعته إلى سفك الدماء، وأنه لا يبقى على من صغر ذنبه وقلّ فضلاً عمّن عظم جرمه وجلّ»<sup>٢</sup> ورأوا أحكامه المدهشة والمتناقضة، مثل «إقامة العدل واسقاط المكوس والرسوم الجائرة والهبات والعطايا الجزيلة»<sup>٣</sup> من جهة، ومن أخرى: تسرعته بسفك الدماء ولعنه الصحابة ونبشه لقيورهم وتهديم الكنائس وحجره على النساء... أدلة على كونه من غير أصناف البشر.

ولمس هؤلاء الدعاة أنّ كثيرين من عمّة الناس «انخدعوا له، وانحرفوا إلى متابعته، وتنافسوا في موالاته، ونسبوا كل قبيلة يأتيها من القتل والسخف وغيرها من الأعمال الذميمة إلى أجمل وجوهها، وتأكلوا فيه ضرراً من جنس التأويل، واحتجّوا بأنّ جميع ما فعله أسرار خفية وأغراض غامضة، لم يجعل للبشر الوقوف عليها، ولا الوصول إلى معرفة أسبابها»<sup>٤</sup>.

هذه المشاهدات الغربية والخطيرة حدثت بهؤلاء الرجال إلى استغلال الأمر على أحسن ما يمكن، فاتفقوا جميعاً، وهم حمزة بن عليّ بن أحمد الزوزني المعروف باللباد، وحسن بن حيدرة الفرغاني المعروف بالأخرم، ومحمد بن إسماعيل الدرزي المعروف بنشتكين، على الدعوة إلى ألوهية الحاكم... ولم ينكر الحاكم دعواهم، و «استجاب كثير من الرعا»<sup>٥</sup> إليهم، وأوهم الحاكم أنّ كثيراً من أهل المسكونة يعتقدون فيه اعتقادهم...<sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> تاريخ الأنطاكي، ص ٢٢٠.

<sup>٢</sup> نفس المرجع، ص ٢٢١.

<sup>٣</sup> نفس المرجع، ص ٢٢٢.

<sup>٤</sup> تاريخ الأنطاكي، ص ٢٢٢.

<sup>٥</sup> نفس المرجع، ص ٢٢٣.

<sup>٦</sup> سيأتي الكلام على هؤلاء الدعاة بالتفصيل.

وكان الدرزي، على ما يبدو، أسبق الدعاة إلى نشر الدعوة الجديدة، حتى انتسبت إليه، وتسمت باسمه<sup>١</sup>. «وتزايد أمر الدرزية إلى أن لعنوا آدم ونوح وجميع الأنبياء ومحمداً وعلياً، وتغوّطوا في المساجد، ولطّخوا القبلة بالقذر، وبألوا على مصاحف القرآن»<sup>٢</sup>. وكان الحاكم قد قطع الصلاة والخطبة في الجوامع، وعطل الحجّ إلى مكّة، وقطع عن الكعبة كسوتها... ممّا أثار حفيظة المسلمين الذين «عملوا أشعاراً يكفّرونه فيها. وترنّموا بأغاني تتضمّن شتيمة له، وألفاظاً قبيحة يشيرون بها إليه... فازداد غضباً عليهم»<sup>٣</sup>.

وراح في شهر ذي القعدة سنة ٤١٠ يفرّق على العبيد السودان من العسكرية سلاحاً، وأوعز إليهم بالنزول إلى مصر، وان يتعمّدوا حرقها وسبي حريم أهلها وأولادهم ونهب أموالهم، فبدأوا في طرح النار في طرف مصر، ونهبوا. واعتدوا على أهراء القمح والحوانيت، وأسروا خلقاً من النسوان وافترسوهنّ. وهرب جماعة منهنّ إلى الجامع تحرماً به، فلم يحمهم. ونهبوا مواضع كثيرة من مصر، وأحرقت النار شطراً كبيراً من البلد، ولم يتجاسر المصريون على اطفائها، خوفاً من أن يجرى عليهم ما هو أشدّ وأعظم.

وانتهى إلى الحاكم عظم الحادثة بمصر من الحريق والنهب والأسر، فأمر «عادى» الخادم الصقلبي بالنزول إلى مصر في جماعة من الجند ليسكنّ الفتنة، فنزل وشاهد أمراً فظيماً وحالةً قبيحةً، فعاد إلى الحاكم، وشرح له قبح النازلة وعظم الحادثة، وقال له في جملة كلامه: لو أنّ باسيل ملك الروم دخل مصر لما استجاز أن يفعل بها مثل هذا. فنقم عليه الحاكم وقتله. فاستغاث المصريون إليه في العفو والتقدّم باطفاء النار لئلا تهلكهم...<sup>٤</sup> فلم يلقوا عنده أذناً صاغية... ولم تخمد نار الفتنة.

وراح الحاكم، لكي يخفّف عنه وعن دعائه سخط المسلمين، يتقرّب من النصارى، فيأمر ببناء ما تهدّم من الكنائس والأديرة، ويكتب إليهم الأمان تلو الأمان. وفي السنة التالية «لقيه أنبا سلمون، رئيس دير طورسينا، وشكا إليه سوء حالة الرهبان وما هم عليه من الضرّ والفاقة، وتوسّل إليه في إطلاق الأوقاف... فأجابه إلى ذلك... ثم استأذنه بتجديد عمارة دير القصير، وعودة الرهبان إليه، واجتماع النصارى فيه، للصلاة، فأذن له بذلك، وخصّص ما يجب له من نفقات من بيت المال، وكتب الحاكم بذلك للأنبا سجلاً»<sup>٥</sup>. وتبعه سجلات كثيرة، جاء في أحدها:

<sup>١</sup> يختلف المؤرّخون فيمن من هؤلاء الدعاة كان أوّل من بدأ بالدعوة.

<sup>٢</sup> تاريخ الأنطاكيّ، ص ٢٢٤.

<sup>٣</sup> تاريخ الأنطاكيّ، ص ٢٢٥.

<sup>٤</sup> نفس المرجع، ص ٢٢٥ - ٢٢٨.

<sup>٥</sup> تاريخ الأنطاكيّ، ص ٢٢٨.

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من عبد الله ووليّه المنصور أبي عليّ الإمام الحاكم بأمر الله، أمير المؤمنين، ابن الإمام العزيز بالله أمير المؤمنين، لجماعة النصاري بمصر، عندما أنهوا إليه الخوف الذي لحقهم والجزع الذي هالهم فأقلقهم... فإنتم جميعاً آمنون بأمان الله عزّ وجلّ وأمان نبيّه محمّد خاتم النبيين وسيد المرسلين صلعم وعلى آله الطاهرين، وأمان أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب سلام الله عليه، وأمان الأئمة من أباء أمير المؤمنين سلام الله عليهم هذا علي نفوسكم ودمائكم وأولادكم وأموالكم وأحوالكم وأملاككم وما تحويه أيديكم أماناً صريحاً ثابتاً وعقداً صحيحاً باقياً، فتقوا به، واسكنوا إليه...»<sup>١</sup>.



إلا أنّ لجوءَ الحاكم إلى استعطاف النصاري زاد الطينَ بلةً فازداد المسلمون غيظاً وسخطاً، ولاحقوه حيثما رحل، ولاحقوا دعائه وشنّوا عليه ميله إلى النصاري ومشاركته رهبانهم بلبس الصوف وسخاشه عليهم ببذل المال من بيت مال الدولة وتردّده الكثير إلى دير القصير. ولكثرة ميله إليهم «كان، في كثير من الأيام، في نفوذه إلى البريّة، يقصد دير القصير، ويشاهد عمارته، ويستحثّ الصنّاع على الفراغ منه. وأطلق له دنانير تصرف في النفقة عليه. ودفع أيضاً إلى الرهبان المقيمين فيه دنانير. ورسم لهم مساعدة البنّائين لتروج عمارته. وكان يعدل أيضاً إلى ديارات جدّها اليعاقبة في ناحية القرافة. وإذا أراد الدخول إلى الجبل والطلوع إلى دير القصير، أو غيره من الأديرة، تتأخر الركابيّة عنه... ويمضي وحده»<sup>٢</sup> إلى أن اختفى...



<sup>١</sup> نفس المرجع، ص ٢٣٢ - ٢٣٣.  
<sup>٢</sup> تاريخ الأنطاكيّ، ص ٣٣٣.

## ثامناً - نهاية الحاكم: ٤١١ هـ

«كان مصرع الحاكم بأمر الله، أو بالحرى، كان اختفاؤه، من أعجب مآسي التاريخ وأشدّها غموضاً... وكان اختفاء الحاكم، كحياته، لغزاً مدهشاً، بل كان ذروة الخفاء والروع. وما زالت قصة هذا الاختفاء وظروفه، وحقيقة عوامله، مثار الريب والجدل»<sup>١</sup>. على هذا الخفاء، تضاربت الروايات، واختلفت أشدّ خلاف:

### ١ - مؤامرة سياسية:

فمنها من يعتقد بأنّ الحاكم ذهب ضحية مؤامرة سياسية، ولكنّ من دبر هذه المؤامرة؟ ومن قام بتنفيذها؟ وكيف نُفذت؟ وأين ذهبت جثة الحاكم؟؟؟ هذه أمور يحيط بها الخفاء والريب»<sup>٢</sup>.

وحجّة هذا الرأي إن «ستّ الملك»، أخت الحاكم، التي كانت تخشى أن تضطرم الثورة فتدكّ «عرش الحاكم، ومستقبل الأسرة كلّها، وينتهي عصر المجد والسؤدد في غمر الدماء والشقاء والذلّة، وكان الحاكم من جانبه يحقد على ستّ الملك... وكان يشدّد عليها الحجر والمراقبة، وينعى عليها سوء مسلكها وفضائحها الغرامية، ويتهمها بتناوب العشاق عليها، وأنّه هددها بانفاذ القوابل إليها لاستيرائها، فكانت لذلك تخشى بطشه وفتكه»<sup>٣</sup>.

أمّا من نفذ الجريمة فتقول بعض الروايات بأنّ ستّ الملك اختارت سيف الدولة الحسين بن دؤاس زعيم كتامة أشدّ الناقمين على تصرفات الحاكم، وفاوضته بالأمر، فلبّى نداءها، وتعهّد بالتنفيذ. وعهد ابن دؤاس بالتنفيذ إلى عبدين من أخلص عبيده، وزودتهما ستّ الملك بسكينتين ماضييين، ووهبتهما مالاً وخيلاً... وقصد العبدان «صحراء الجب»، عند جبل المقطم، حيث كان الحاكم، بحسب عاداته، يقصد الخلوة فيه.

وفي ليلة الاثنين ٢٧ شوّال سنة ٤١١ الموافق ١٣ شباط سنة ١٠٢١م، انقضّ العبدان عليه، وطرّحاه أرضاً، وقتلاه، وقطّعا ذراعيه، وشقّا جوفه واستخرجا أمعاءه، وقطّعا قوائم الحمار، وحملوا أشلاءه إلى ابن دؤاس... فرافقهما ابن دؤاس في الحال إلى ستّ الملك وسلّمهما

<sup>١</sup> محمّد عنان، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، ص ٢١١.

<sup>٢</sup> نفس المرجع، ص ٢١٢.

<sup>٣</sup> ابن خلدون ٤ / ٦١، اتّعاظ الحنفاء، ورقة ٦٩ ب، عنان ص ٢١٣.

الجثة... ودعت حالاً كبير الوزراء «خطير الملك أبا الحسين عمّار بن محمّد» وأمرته بالكتمان والطاعة، وباستدعاء وليّ العهد «عبد الرحيم بن الياس»<sup>١</sup> من الشام، الذي دبّرت له، هو الآخر، مهلكة في طريقه، لكي لا يكون على الخلافة إلاّ عليّ ابن الحاكم. فتمّت البيعة فعلاً لأبي الحسن عليّ، وأُعلن خليفة مكان أبيه باسم «الظاهر». وذلك في اليوم العاشر من شهر ذى الحجة، أي بعد أحد وأربعين يوماً من اختفاء الحاكم. وكان عمر «الظاهر» سبع عشرة سنة.

واستدعت «ستّ الملك» ابن دوّاس، وكان يُعتقد أنّه غداً أعظم رجل في الدولة، ولكنه لم يحظ المسكين إلاّ بقطع رأسه فقط. وكذلك كان حظّ العبدین، والوزير «خطير الملك»، وكل من له علم بسرّ الجريمة. وخلا الجوّ لها ولابن أخيها الخليفة الظاهر<sup>٢</sup>، الذي أقام الأرض وأقدها على الدروز. وهم يلعنونه إلى الأبد، وينكرون عليه انتسابه إلى الحاكم، جلّ ذكره، ويدعون به «دجال العرب» وبـ«الدجال الأعظم»، وبـ«دجال الدجاجة»...

## ٢ - ثار شخصي:

ومن الروايات من يجهد في تبرئة «ستّ الملك»، وتعمل في نفي تهمة تدبير الجريمة عنها. فالمقرّبي، أعظم مؤرّخي مصر الإسلامية، وعنه أخذنا كثيراً، بالرغم من أنّه ينسب التهمة إليها في اتّعاظ الحنفاء<sup>٣</sup>، يعود فينفي الاتّهام. فهو ينقل عن المسبّحي، مؤرّخ الدولة الفاطميّة، ووزير الحاكم وصديقه، ويقول: «في المحرمّ سنة ٤١٥ / ١٠٢٤ قبض على رجل من بني حسين، ثار بالصعيد الأعلى، فأقرّ بأنّه قتل الحاكم بأمر الله في جملة أربعة أنفس تفرّقوا في البلاد، وأظهر قطعة من جلدة رأس الحاكم، وقطعة من الفوطة التي كانت عليه! فقيل له: لم قتلته؟ فقال: غيرة الله وللإسلام. فقيل له: كيف قتلته؟ فأخرج سكّيناً ضرب بها فؤاده فقتل نفسه، وهو يقول: هكذا قتلته. فقطع رأسه وأنفذ به إلى الحضرة مع ما وجد معه. وهذا هو الصحيح في خبر قتل الحاكم، لا ما تحكيه المشاركة في كتبهم من أنّ أخته قتلته»<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> كان قد عينه الحاكم وليّاً للعهد سنة ٤٠٤ هـ. يستحق لعنة الدروز.

<sup>٢</sup> انظر: النجوم الزاهرة ٤ / ١٨٥، عيون المعارف للقضاعي ١٨١ - ٢، والذهبي في وفيات سنة ٤١١ ص ٢٢، ومراة الزمان ٤٠٥ - ٤٠٨، ابن خلّكان ٢ / ١٦٧، ابن الأثير ٨ / ١٠٨، اتّعاظ الحنفاء ٦٩ ب - ٧٠ أ، أخبار الدول المنقطعة ٢٥٨، نهاية الأرب ٢٦ / ٥٨... وغيرهم.

<sup>٣</sup> اتّعاظ الحنفاء، ورقة ٦٩ ب و ٧٠ أ.

<sup>٤</sup> خطط مصر للمقرّبي، ج ٤ ص ٧٤.

### ٣ - رواية الاختفاء المقصود:

ومن الروايات من يأخذ بفكرة اختفاء الحاكم عمداً. وهو رأي كتاب «سَيْر البيعة المقدسة»، المخطوط الكنسي في ترجمة «الأنبا زخاريا»، البطريك القبطي المعاصر للحاكم. تقول الرواية: «إن الحاكم خرج إلى الجبل ذات ليلة، وسار في الجبل، ومع ركابي واحد، إلى أن بلغ «حلوان». ثم نزل عن حماره، وأمر الركابي أن يُعَرِّقَهُ، ففعل. ثم أمره بالانصراف إلى القصر، وتركه بمفرده. فعاد الركابي كما أمر. فلما لم يعد إلى القصر في اليوم التالي، سأل رجال القصر هذا الركابي عن سيده، فأجابهم بأنه تركه في حلوان، وعاد وحده نزولاً على رغبته. فمضوا في طلبه، فوجدوا الحمار معرقباً، وبحثوا عن الحاكم في كل موضع فلم يجدوه، ولم يقفوا له على خبر أو أثر.»

### ٤ - رواية الهجرة الأبدية:

أما رواية «أبي صالح الأرمني في كتاب «تاريخ الكنائس» المنسوب إليه فهي شبيهة بالرواية السابقة من حيث سياقها. يقول: «وبهذه الناحية (أي حلوان) نزل الإمام الحاكم عن الحمار الذي كان راكمه، وتقدّم إلى الركابي الذي كان يصحبه إلى حيث يذهب بأن يعرقب الحمار، وذهب هو وحده إلى داخل البرية، ولم يرجع يعود، ولا عُرف أين توجه إلى يومنا هذا (أي إلى نهاية القرن السادس الهجري) وكان ذلك سنة إحدى عشر وأربعمائة»<sup>١</sup>.

### ٥ - ترهب الحاكم:

ومن الروايات أيضاً من يقول: «إن كثيراً من الناس اعتقدوا، حين اختفاء الحاكم، بأنه لجأ إلى مكان بالصحراء، واعتنق النصرانية. ثم ترهب، وقضى أيامه هناك». ويضيف «ابن العبري»، صاحب هذه الرواية، بأنه، حينما كان بدمشق، سمع بعض الأقباط يقولون: إن

<sup>١</sup> تاريخ الكنائس المنسوب إلى أبي صالح الأرمني، ص ٥٢ ب.

الحاكم، حينما اشتدّ في مطاردة النصارى، ظهر له المسيح، كما ظهر لبولس الرسول، فأمن به، وتوارى سرّاً في الصحراء حتى توفي<sup>١</sup>.

## ٦ - العقيدة الدرزية في «غيبية الحاكم»:

يقول حمزة بـ«غيبية» الحاكم، وبفقدته، واختفائه، وبأنه لم يميت ولم يُقتل، بل أراد امتحان دعائه والمنتمين إلى دعوته، فارتفع عنهم إلى السماء، وسيعود يوماً ليملأ الأرض عدلاً وقسطاً، ويدين البشر كافة... ولنا عودة إلى هذه العقيدة في كلامنا على اليوم الأخير، يوم الدين والحساب، لأنها من أصول الدرزية الرئيسية.

ولكن، هل يكون حمزة وأعوانه من الدعاة، هم الذين دبّروا فكرة الغيبة؟ ويكونون، بالتالي، هم الذين قتلوه! أو اشتركوا في قتله؟ أو أقنعوا الحاكم بأن يختفي؟ أو أجبروه على ذلك؟ بحجة أن يتمكّنوا من تقوية دعوتهم ومن التدليل على ألوهيته؟

هذه أسئلة تخطر على البال. وقد لا تكون بعيدة كل البعد عن الحقيقة، وعن جرأة حمزة وأصحابه، الذين كانوا أهلاً لكل اجترأ، وهم الذين اجترأوا على تأليهه، وعلى سفك الدماء البريئة، وعلى سب الأنبياء، وعلى نبش قبور الأولياء، وعلى نقض دعائم الأديان...



مهما تكن أسباب اختفاء الحاكم أو نهايته، فإننا، ونحن نتتبّع العقيدة الدرزية وإيمانها، لا نستطيع إلاّ الأخذ بفكرة «الغيبة»، على ما هي في «رسائل الحكمة». لقد غاب الحاكم وسيعود في نهاية الدهر.

<sup>١</sup> تاريخ ابن العبري السرياني؛ انظر «سلفستر دو ساسي» الجزء الأول ص ٤١٧ من كتابه «عرض ديانة الدروز» (بالفرنسية).

## خاتمة الفصل

تاريخ الحاكم بأمر الله من أدهش تواريخ البشر. وقد تصعب، بالحقيقة، قراءته، لأنّه يفوق معطيات عقلنا الطبيعي في تصديق ما جاء فيه. وعلى الذين يستطيعون تتبّع أحداثه، بدعم من نعمة إلهية خاصة، أن يعيدوا فيه النظر، لأننا اكتفينا منه بالنذر اليسير. والذين ذهلوا، مثلنا، بأحداثه المثيرة، لا بدّ لهم من اتّخاذ أحد الموقفين:

أمّا موقف «سلفستر دو ساسي» الذي يقول، بعد أربعين سنة من البحث والتنقيب «انني بتّ لا أفهم كيف تسمح العناية الإلهية للعقل البشري أن يهوى بمثل ما هوى إلى هكذا شذوذ!...<sup>١</sup> وأما موقف «الشيخ محمد مالك الأشرفاني» في كتابه «عمدة العارفين»، الذي استقصى أخبار الحاكم وخراباته، ونقلها سنة فسنة، كما نقلنا نحن، وعرف كل ما يمكن أن يعرف عن أبعادها ومآلاتها... ومع ذلك يرى لها تفسيراً روحانياً وشرحاً ضوياً، يدلّان «على الوجود والتنزيه والتوحيد والتأليه واللاهوت والقدرة والجبروت...»<sup>٢</sup>. وقد قيل في هذا الكتاب بأنّه «لا يبلغ العالم من علماء بني معروف رتبة العلم إذا لم يكن متقناً الوقوف على عمدة العارفين»<sup>٣</sup>، وبأنّه: «اشتهر عند بني معروف اشتهاً واسعاً، لم ينل مثله كتاب آخر إلا كتب الأمير السيّد»<sup>٤</sup>، وأيضاً: «لعل هذا الكتاب هو آخر ما ألف على هذا المستوى في بابيه في المجتمع المعروف في لبنان وديار الشام حتى اليوم»<sup>٥</sup>.

أمّا موقف حمزة وسائر الدعاة الأولين فهو أنّ جميع أفعال «مولانا، هي رموزات وإشارات لبطلان النواميس، وهلاك الجواميس، وتمييز الطواويس»<sup>٦</sup>، أي أنّ غرابيات الحاكم هي لـ«حكمة لاهوتية»، المقصود منها التبرؤ «من جميع المذاهب والمقالات والأديان والاعتقادات كلّها»<sup>٧</sup>، وتكذيب «الجواميس» أي الأنبياء كافة من آدم حتى محمد مروراً بنوح وإبراهيم وموسى وعيسى، واتباع الدعوة التوحيدية و «الافادة من جميع الحدود»<sup>٨</sup> أي «الطواويس».

<sup>١</sup> الصفحة ٢ من «توطئة» كتاب «دو ساسي» (بالفرنسية).

<sup>٢</sup> عمدة العارفين، مخطوط، جزء ٣، ص ٤١.

<sup>٣</sup> عجاج نهويض، الأمير السيّد عبد الله التتوخي، ص ٢٤١.

<sup>٤</sup> نفس المرجع، ص ٢٣٩.

<sup>٥</sup> نفس المرجع، ص ٢٤١.

<sup>٦</sup> كتاب فيه حقائق... ١١ / ٩٨.

<sup>٧</sup> ميثاق ولي الزمان ٥ / ٤٧.

<sup>٨</sup> نفس المرجع.



وإذا كان لا بدّ لنا من موقف فإننا سنقفه بعد الكلام على عقيدة التجليّ الإلهي محور الدين الدرزي وقلبه، وذلك لأنّ الله الذي ظهر في الناسوت رحمة بالإنسان وطمأنينة له قد جعل ذاته قدوة للإنسان ومثالاً. ويتوجّب على الإنسان إذن أن يقتدي ويتشبه بصورة الله الناسوتية، وإلاّ لا يكون للظهورات الإلهية عبر التاريخ أية فائدة ترجى... ..



# الفصل الثاني أوهية الحاكم

أولاً - نزعة التأليه في التاريخ

ثانياً - معجزات الحاكم الإلهية

ثالثاً - التوحيد

## أولاً - نزعة التأليه في التاريخ

هذا التاريخ البشري لجنون الحاكم بأمر الله لم يستطع أن يخفي جنون الحكمة الإلهية، التي تحسب، عند الناس الهالكين، جهالة، لكأن «الحماقة من الله أكثر حكمة من الناس... وما كان في العالم من حماقة فذاك ما اختاره الله ليخزي الحكماء... إنها حكمة لم يعرفها أحد من رؤساء هذه الدنيا»<sup>١</sup>. وقد ورد في الكتاب: «سأبيد حكمة الحكماء وأزيل ذكاء الأذكياء»<sup>٢</sup>.

هذا الكلام ليس لحمزة بن علي مؤسس دعوة التوحيد، بل هو للقديس بولس. ولكن حمزة، أمام جنون الحاكم، كالقديس بولس، أمام جهالة الصليب. مثله، يأخذ على الناس الذين «يطلقون أسنتهم بما يشاكل أفعالهم الرديّة، وما تميل إليه أديانهم الدنيّة... ولم يعرفوا بأنّ أفعال مولانا، جلّ ذكره، كلّها حكمة بالغة، جدّاً كان أم هزلاً. يُخرج حكمته ويظهرها بعد حين... ولو نظروا إلى أفعال مولانا، جُلّت قدرته، بالعين الحقيقيّة، وتدبّروا أشاراته بالنور الشعشعاني، لبانت لهم الألوهيّة والقدرة الأزليّة والسلطان الأبديّة...»<sup>٣</sup>.

فدعوة حمزة إلى تأليه الحاكم لم يكن أمراً مستحدثاً في التاريخ البشريّ العامّ، ولا في التاريخ الإسلاميّ. ولم يكن حمزة ليتجرأ عليها لو لم يكن له في العصور السالفة مثيل ارتضت بهم البشريّة كلّ الرضى.....

هذه الظاهرة عاشتها مصر الفرعونيّة، قبل حمزة بألاف السنين، ورأت في ملوكها «ظلّ الله على الأرض»، فبنت لهم الصروح الضخمة والمقابر الفخمة، فكرمهم الناس، وسجدوا لهم، وأودت بهم الخشية حتى العبادة... واستمرّت هذه الظاهرة في خبايا الذهن وعصبيّات الدماء. واعتقد المصريون «أنّ الإله المحلّي يظهر لعباده في شكل واضح جليّ. فكما أنّ روح الإنسان تأوي جسده الظاهر، كذلك يتخذ الإله له مأوى خاصاً يكون فيه مظهراً له... وادّعى الفراعنة أنّهم خلفاء الآلهة على الأرض، وزعموا أنّهم تقمّصوا أرواحهم»<sup>٤</sup>. وتسمّى أحد الملوك باسم أخناتون الذي «ادّعى الألوهة»<sup>٥</sup>. وفي عهد الأغريق دخلت مصر

<sup>١</sup> الرسالة الأولى إلى أهل كورنتس ١ / ٢٥، ٢٧، ٢ / ٨.

<sup>٢</sup> سفر المزامير ٣٣ / ١٠، ١ كورنتس ١ / ١٩.

<sup>٣</sup> كتاب فيه حقائق... ١١ / ٩٨ - ٩٩.

<sup>٤</sup> ذيل «الملل والنحل» للشهرستاني، تأليف محمّد سيّد كيلاني، دار المعارف بمصر ١٩٢٢ م، ص ٣ - ٤.

<sup>٥</sup> نفس المرجع، ص ٦ و٨.

عبادة الأبطال، وكان لحكام المصريين قبوراً يحج إليها العابدون، ويقَدِّسونها. فدخل هؤلاء الحكماء في زمرة الآلهة، فكان منهم أمحوتب<sup>١</sup>.

وكانت النزعة التأليهية نفسها في بلاد فارس شديدة المراس. بل أصبحت أبان العهد الساساني (٢٢٤ - ٦٥١ م) على أشدها. «ولقد لقيت نظرية الحق الملكي المقدس قبولاً عند الخلفاء الفاطميين، وأصبح الإمام في نظر الناس ظل الله في الأرض، كما أصبح شخصاً مقدساً. وقد استمرت فكرة تقديس الخلفاء الفاطميين رائجة في مصر»<sup>٢</sup>.

ولكن، قبل الفاطميين، في بدء الدعوة الإسلامية، قام من يقول بتقديس «علي بن أبي طالب»، وباعتباره أعظم مقاماً من النبي محمد، وبالقول إن فيه جزءاً إلهياً انتقل من صلبه إلى أولاده فأحفاده...

فكان أول من دعا إلى ذلك «عبد الله بن سبأ» الذي قال في علي «إنه لم يمت في الحقيقة، وإنما شبّه للناس، وأنه سيرجع من السحاب». وقال في موته: «لو جئتمونا بدماعه في مائة صرة لعلمنا أنه لا يموت حتى يذودكم بعصاه»<sup>٣</sup>. وغلا ابن سبأ وأصحابه في الكلام فقالوا يوماً لعلي: «أنت هو»، أي أنت الله. فغضب علي، وأمر مولاة قنبراً بأن يلقيهم في النار. فجعلوا يقولون، وهم يُلقون في النار: «الآن صحّ عندنا أنه الله، لأنه لا يعذب بالنار إلا الله». ثم أمر علي بنفي ابن سبأ إلى المدائن. بيد أن هذا لم يكن ليثني ابن سبأ عن مواصلة الدعوة لعلي، وبالقول برجعة علي وانتظار رجوعه، وبحلول الجزء الإلهي فيه. وقد ذهب أيضاً إلى القول بأنه يجيء في السحاب وأن الرعد صوته والبرق سوطه، وأنه سينزل بعد ذلك إلى الأرض فيملؤها عدلاً بعد أن ملئت جوراً»<sup>٤</sup>.

وقامت أيضاً فرقة الجناحية وزعمت «أن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب حي لم يمت، وأنه في جبل أصبهان، وهو مهدي هذه الأمة الذي بشر به النبي وأخبر أنه يملأ الأرض عدلاً وقسطاً، وأنه لا يموت حتى يجيء ما بين مشرق الشمس ومغربها، ويقود الخيل بنواصيها، وتتفق عليه الأمة، ويدين بدينه أهل الملل. وقالوا بأن روح القدس انتقلت من النبي إلى علي إلى الحسن فالحسين ثم إلى محمد»<sup>٥</sup>. وفي كتاب الفرق للبغدادي أن عبد الله بن محمد «زعم أنه رب، وأن العلم ينبت في قلبه كما تنبت الكماة والعشب»<sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> نظر عباس محمود العقاد، الله، دار المعارف بمصر ١٩٦٤، ص ٦٥ - ٧٤. E. Drioton, La Religion Egyptienne, in «Les Rel. de l'O. - A.», Lib. Fayard 1957, p. 9-53.

<sup>٢</sup> الدكتور حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٢٦٦.

<sup>٣</sup> الجاحظ، البيان والتبيين، القاهرة ١٣١٣ هـ، ج ٢ ص ٧٣.

<sup>٤</sup> الشهرستاني، الملل والنحل، ج ٢ ص ١١.

<sup>٥</sup> الشهرستاني، الملل والنحل، ٢ / ٣٧ - ٣٩.

<sup>٦</sup> البغدادي، كتاب الفرق بين الفرق، ص ١٥.

ثم جاءت فرقة الخطابية، المسمّاة بالمخمّسة «لأنهم زعموا أن الله هو محمّد، وأنه ظهر في خمسة أشباح وخمس صور مختلفة: ظهر في صورة محمّد، وعليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين... وزعموا أن محمّداً أوّل شخص ظهر، وأوّل ناطق<sup>١</sup>، لم يزل بين خلقه موجوداً بذاته، يتكوّن في أيّ صورة شاء... وإنما أظهر نفسه بالإنسانيّة والبشرانيّة لكي يكون لخلق به أنس، ولا يستوحشوا ربّهم... وزعموا أنّ محمّداً كان آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى... وأنه كان يظهر نفسه لخلق في كل الأديار والدهور»<sup>٢</sup>.

ثم ظهرت فرقة الكيسانيّة فزعم أصحابها «أن محمّد ابن الحنفية (ابن عليّ من أبي طالب) حيّ لم يمت، وأنه في جبل رضوى، وعنده عين من الماء وعين من العسل، يأخذ منهما رزقه، وعن يمينه أسد، وعن يساره نمر، يحفظانه من أعدائه إلى وقت خروجه، وهو المهدي»<sup>٣</sup>.

ولما قامت الدولة الفاطميّة الاسماعيلية شاعت فكرة تقديس الأئمّة وعصمتهم وتألّيفهم بين الناس. فخطب أحد شعراء المغاربة الخليفة عبيد الله المهدي بهذه الأبيات:

حلّ برقادة المسيح	حلّ بها آدم ونوح،
حلّ بها أحمد المصفي	حلّ بها الكبش والذبيح
حلّ بها الله ذو المعالي	وكلّ شيء سواه ريح... <sup>٤</sup>

وغلا ابن هانئ الأندلسي في مديح الخليفة المعزّ، ونسب إليه بعض صفات الألوهيّة، وأنشد في «حضرته» هذه الأبيات:

هو علّة الدنيا ومن خلقت له	ولعلّة ما كانت الأشياء...
لا تسألن عن الزمان فإنّه	في راحتك يدور حيث تشاء
ندعوه منتقماً عزيزاً قادراً	غفار موبقة الذنوب صفوحاً...
ما شئت، لا ما شاعت الأقدار	فاحكم، فأنت الواحد القهار...
فقد شهدت له بالمعجزات كما	شهدت لله بالتوحيد والأزل <sup>٥</sup>

<sup>١</sup> الناطق هو كل نبي جاء أو «نطق» بشريعة.

<sup>٢</sup> القمي، المقالات والفرق، ص ٥٦ - ٥٩.

<sup>٣</sup> البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٤٧.

<sup>٤</sup> ديوان ابن هانئ، ص ٩٦.

<sup>٥</sup> ديوان ابن هانئ، ص ٧ - ١١، ٣٤ - ٣٦، ٩٦، ١٦٤.

ونظرة الناس التآليهية هذه لخلفائهم جعلتهم يعتقدون في أنفسهم أنهم كذلك، أعلى من سائر البشر، وأنهم لم يختصوا ببعض الحقوق الإلهية فحسب بل بصفات الله أيضاً؛ من ذلك ما كان يدعيه المعزّ لنفسه، وقد ظهر في عباراته: «أنا كلمات الله الأزلية، وأسماؤه التامات، وأنواره الشعشعانيات، وأعلامه النيرات، ومصايحه النافذات، لا يخرج منا أمر، ولا يخلو منا عصر...»<sup>١</sup>.

ووصلت هذه الظاهرة التآليهية إلى الحاكم بأمر الله على أشدها. فقد أمعن في ادعائه الألوهة، وأمعن الدعاة في الدعوة إليها.



---

<sup>١</sup> رسالة المعزّ إلى الحسن الاعصم القرمطي يعلمه بمقامه الجليل...

## ثانياً - معجزات الحاكم الإلهية

يقول الدروز إن الحاكم بأمر الله مرّ بمرحلتين: مرحلة الإمامة ومرحلة التجرد. كانت الأولى منذ «وجوده» سنة ٢٧٥ هـ حتى نهاية السنة ٣٠٧ هـ. وكانت الثانية من سنة ٣٠٨ حتى سنة ٤١١، ما عدا سنة ٤٠٩ التي غاب فيها وتوقفت الدعوة، لذلك فهي تخرج من تاريخ الموحدين. وتسمى مرحلة الإمامة بـ«دور الستر»، ومرحلة التجرد بـ«دور الكشف». وفي الدورين حدثت له معجزات تدلّ على ألوهيته:

في دور الإمامة كان «الإمام الحاكم» انساناً كاملاً «يتجلّى فيه الروح الإلهي، يرى ويتكلم ويلمس، وله ظلّ، إنّما أرادته نافذة وأمره مطاع. هو، شكلاً، كالخلق، وعالٍ، معنى، عن الخلق؛ يُجري الأقدارَ ولا تجري عليه... فهو إلهيّ الذات والصفات، وهو الحادّ لكل حدّ، وغير محدود»<sup>١</sup>. أمّا في دور التجرد فقد «ظهر» الحاكم إليها بصورة ناسوتية، غير ملموسة ولا محسوسة، لا يأكل ولا يشرب، ولا تأخذه سنة، يُظهر معجزاته للخلق، لا يُعرف ولا يُوصف، يبرز للعيان متى شاء، ويختفي متى شاء، لا ظلّ له ولا كيفية مرئية. إنّ إله حقّاً شفق بالبشر فظهر لهم بالناسوت وبأشهرهم حيث هم.

«أمّا معجزات الحاكم تعالى، في دور الإمامة، فهي أكثر من أن تحصى. فمن جملة معجزاته الدالة على ألوهيته وقدرته ما ذكره في السيرة المستقيمة<sup>٢</sup>، من قهر الملوك، وقتل الجبابرة، وظهوره وحده بين الأعداء أنصاف الليالي بلا سيف ولا سكين، ويمشي في أوساط ذراريهم وأولادهم، ويعرفهم بحقيقته، فيضطربون جميعاً لهيبته، ويدّلون ويخافون سطوته، ويخضعون لعزته وقدرته وظهوره أيضاً إلى الأماكن الخطرة، وليس معه غير الركابيّة والمؤذنين. هذا، والملوك والأعداء مجتمعة حول القاهرة لأجل ملاحظته ومحاربتة، ويخرج إلى بين الأعداء في مَحْفَةٍ تحملها أربعة من الأضداد المشركين، وتَشَقُّ به في أوساط المارقين الناكثين والمنافقين، وما من العساكر قبيلة إلاّ وقد قتلّ ساداتهم، والرعيّة كلّهم أعداؤه في الدين، وأعجب من هذا، أن المَحْفَةَ تمشي وحدها بلا حاملٍ يحملها وريح يسوقها، بل يكون سيرها بنفسها وقت الهجرة العظمى»<sup>٣</sup>.

«ومن معجزاته الدالة على تنزيهه، لما كان يظهر في الحرّ الشديد وقت الرمضاء والهجرة العظمى، وتسودّ وجوه العساكر التي معه، وتتغيّر هيئاتهم وصفاتهم ممّا يكابدونه من

<sup>١</sup> توفيق سليمان، أضواء على تاريخ مذهب الدروز، ص ٩ - ١٠.

<sup>٢</sup> رسالة السيرة المستقيمة من «رسائل الحكمة»، رقم ١٢ ص ١١١ - ١٢٩.

<sup>٣</sup> مختصر البيان في مجرى الزمان، مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم ١٤٤١، ورقة ٦٥ أ - ب.

التعب الشديد والحرّ العظيم، وهو سبحانه على حالته التي خرج بها من الحرم المقدّس الذي هو القصر، ولم تؤثر الشمس فيه»<sup>١</sup>.

«ومن معجزاته الدّالة على تنزيهه كونه يُوري الخلائق ناسوته صورةً بشريّة، لا تأكل ولا تشرب ولا تلمس، ولا ظلّ لها في الشمس، ولا خيالاً في الماء، ولا مثيلاً في المرأة؛ ومع هذا يروونه الخلائق في دور الإمامة هيئةً بشريّةً وصورةً إنسانيّةً ظاهرةً بالنطق والخطاب... وكان إذا ظهر وهو راكب الأتان في الشمس ولا يرون للراكب ظلّاً. ولما كان يسير في الرمضاء والشتاء قصداً لبيان المعجز، فلا يسودُّ له وجه، ولا تؤثر الشمس فيه، كما تفعل في وجوه العساكر التي في خدمته. ولما يسير في الشتاء عند نزول المطر الشديد فتتغرّق العساكر وأثوابهم ببلىّ الأمطار وهو سبحانه يرجع على حالته التي خرج بها من الحرم المقدّس، ولم يلحقه شيء من ذلك. وكان إذا ظهر في وقت الريح الهبوب والغبار العظيم فتسودُّ وجوه العساكر وتدمع أعينهم ويصيبهم ذلك الغبار، وهو سبحانه لم يلحقه شيء من ذلك. وكان إذا مرّ وهو راكب الأتان عنه الحوض الملاصق لبستان المختصّ<sup>٢</sup> فيشرب الأتان من ذلك الحوض، فيرون العالم خيالاً الأتان في الماء، ولا يرون للراكب خيالاً. وكان إذا مرّ أيضاً قبالةً امرأةً صقيلةً منصوبةً في مكان، فيرون الناس خيالاً الأتان في المرأة، ولا يرون للراكب خيالاً، وكان إذا ظهر ليلاً ونهاراً في ضوء الشمس أو القمر فلا يرى له ظلّ، وكان إذا رفعت إليه الرقاع التي هي أوراق جسمانية، فيتناولها بيديه في ظاهر الأمر ويقراها بألفاظ جسمانية تسمعها الحاضرون ويشاهدون ذلك ويرون ظلّ الرقعة ولا يرون ظلّاً ليديه.

فجميع هذه معجزات دالة على تنزيهه عن البشريّة»<sup>٣</sup>.

وبهذا الأسلوب يكمل صاحب «مختصر البيان في مجرى الزمان» ذكر معجزات الحاكم في «دور الستر»، فيظهر علم الحاكم للغيب عندما كان بعض الناس يعملون ما قد نهى عنه خفية «ويعتقدون أنّه لا يعلم بذلك، فيطلبهم الحاكم تعالى ويعرفهم أفعالهم ويعاقبهم»<sup>٤</sup>. «ومن جملة ما كان يأمر به هو أنّه تعالى أمر عند ذكره في الضمائر بالترجّل من ظهور الدواب. وبرز الأمر العالي بأنّ من ذكر الحاكم في ضميره وهو راكب، فليترجّل. فالمثبّك فيه

<sup>١</sup> نفس المرجع، ورقة ٦٥ ب - ٦٦ أ.

<sup>٢</sup> «بستان المختصّ» مكان فيه اليوم جامع المقسّي وهو يطلّ على الخليج الناصري (انظر المقرّبي، الخطط ٣ / ١٩٦ - ٢٠٢).

<sup>٣</sup> «مختصر البيان في مجرى الزمان»، مخطوط، ورقة ٦٦ أ - ٦٧ أ.

<sup>٤</sup> نفس المرجع، ص ٦٧ أ.



يُغالط في ذلك فيطلبه الحاكم جلت قدرته ويعاقبه، ويقول له: أنت ذكرتني في المكان الفلاني، وما ترجلت. واشتهر ذلك عند الخاصّ والعام بأنه يعلم المغيبات ويظهر المعجزات»<sup>١</sup>.

لم يكن يذهب عن خاطر الحاكم ما يجول في ذهن أصحاب دعوته، ولم يكن هو ليمنعهم عمّا يجول في خاطرهم. فالتاريخ العامّ يثبت، بدوره، ما جال في خاطرهم. فقصر علينا المؤرّخون جملة أحداث تشير إلى ادعاء الحاكم الألوهة ومعرفته الغيب.

يخبرنا ابن زولاق (+ ٣٨٧)<sup>٢</sup> أنّ الحاكم «نادى في الناس ألا يغلق أحد بابه ولا حانوته... وأصبح الناس يستغيثون، فأحضر صنماً كان عنده، يسمّى أبا الهول، فكان كل من أضع شيئاً يجلس بين يديه، ويقول له: يا أبا الهول! ضاع كذا وكذا، فيقول له شخص داخل الصنم: ما ضاع منك أخذه فلانٌ ووضعَه في المكان الذي يقول عليه الصنم، فيحضر لصاحبه، ثم ما زال على ذلك حتى قرّر جميع ما ضاع لأربابه. ثمّ صلب اللصوص وعادت الناس في أمان ينامون في بيوتهم وأبوابهم مفتوحة، وحوانيتهم كذلك، لم يسرق لهم شيء، حتى إذا وقع من أحد درهم يبقى في مكانه لا يجسر أن يأخذه أحد، حتى يأتي إليه صاحبه فيأخذه، ثم ينادي: رحم الله من اعتبر بغيره».

وذكر نفس المؤرّخ حكاية أخرى يقول فيها: «إنه وقع من شخص كيس فيه ألف دينار عند باب جامع ابن طولون، واستمرّ في مكانه أسبوعاً كاملاً لم يجسر أحد على أخذه، حتى مرّ به صاحبه، وأقام الدليل على ملكه له»<sup>٣</sup>.

وفي المخطوط نفسه: إن الحاكم اتّخذ لنفسه جواسيس من النساء يندسسن في دُور بعض الناس مخصوصين، وكان من واجبهنّ أن يكتشفنّ ما يحدث فيها، ثمّ يقدّمنّ تقاريرهنّ عن ذلك إليه في اليوم التالي. فإذا ما أصبح الخليفة استدعى هؤلاء الناس للمثول بحضرته، فيخبرهم بتفصيل كل ما حدث في دُورهم. ولم ينسَ أيضاً أن يتّخذ جواسيس آخرين، مهمّتهم أن يقدّموا له تقارير بكل ما يحدث في الطرقات. وكانت نتيجة هذا وذاك أن أصبح بعض الناس يعتقدون أنّه يعلم الغيب»<sup>٤</sup>.



<sup>١</sup> نفس المرجع، ص ٦٧ أ - ب.

<sup>٢</sup> مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم ١٨١٧: فضائل مصر، ورقة ٥٣ أ وما يليها. يلاحظ أنّ المخطوط منسوب لابن زولاق، لأن ابن زولاق توفي قبل هذه الحادثة، أو أن جزءاً منه يكمله مؤرخ آخر مجهول...

<sup>٣</sup> نفس المرجع، ورقة ٥٤ ب.

<sup>٤</sup> نفس المرجع، ورقة ٥٦ ب. انظر أيضاً مخطوط بودليان ٣٧٠.

أما معجزات الحاكم في «دور الكشف» فلا تحصى؛ وهذه، طبعاً، من اختصاص أصحاب الدعوة، لأنهم وحدهم استطاعوا النفوذ إليها والإيمان بها. وهي براهين ساطعة على ألوهية الحاكم وقدرته العظيمة.

يخبرنا صاحب «مختصر البيان»، نقلاً عن رسالة «الغاية والنصيحة» لقائم الزمان حمزة بن علي<sup>١</sup> فيقول: «ومن البراهين الدالة على قدرته تعالى، لما كنت العساكر مجتمعة للمحاربة، وهم زائد عن عشرين ألف رجل، حائطة بمسجد ريدان<sup>٢</sup>، وهم في آخر يوم في التاسعة وأربعمائة للهجرة، فبينما هم في أشد قتال، عند غروب الشمس، فإذا بالحاكم تعالى قد تجلّى بالوحدانية وكشف لهم ذاته على شرائف القصر المشرف على مسجد ريدان، فلما شاهدوه العساكر المذكورة، صعقوا جميعاً لهيبته، ووقعوا إلى الأرض مغشياً عليهم. فهذه معجزة عظيمة.

«ومن البراهين الدالة على وحدانيته كونه في زمان التجريد، يوري ذاته للناظر الموحد كهيئة صورته، وإذا نظر إلى ناسوت الباري، سبحانه، فإيريه صورة نفسه لا غير وهيئة ذاته، كما ينظر في المرأة، كما قال<sup>٣</sup>: وإنما ينظر الناظر إلى صورة نفسه إذا توهم أنه ينظر إلى المشار إليه كالناظر إلى جوهر حديد المرأة، كلما جدد النظر إليه لم يجد إلا صورة نفسه، ويرجع بصره خاسئاً حسيراً إليه»<sup>٤</sup>.

«ومن عجائب القدرة الربانية أنه إذا كانوا جماعة من الموحدين ينظرون إليه في ساعة واحدة، وهم رجال ونساء وشيوخ وشباب فكل منهم يرى نظير صورته لا غير، ولم ينظر نظير صورة غيره، وكل منهم يعرف الآخر بما رأى. وهذا النظر للموحدين خاصة، لا لغيرهم. واما المشركين فيردّوه بشراً على حالة الإمامة. والنظر إلى الصورة الناسوتية بهيئة المرأة، تبعاً لليقين والإيمان...»<sup>٥</sup>.



يكفيها هذا القدر من شهادات كتب التاريخ ورسائل الحكمة والشروحات الدرزية لها. وكلها تحمل تصرفات الحاكم البشرية معنى إلهياً، وتعتبرها معجزات خارقة لقدرته العلية،

<sup>١</sup> انظر «رسائل الحكمة» رقم ١٠، ص ٨٣ - ٩٦.

<sup>٢</sup> مسجد خارج القاهرة، أخذه حمزة قاعدة لنشر الدعوة.

<sup>٣</sup> القول لقائم الزمان حمزة.

<sup>٤</sup> مخطوط «مختصر البيان في مجرى الزمان»، ورقة ٦٧ أ - ٦٨ ب. فيه شهادات وافية من رسائل الحكمة، وهو يعتمد عليها في وضع براهينه على ألوهية الحاكم ووحديته.

<sup>٥</sup> «مختصر البيان...»، ورقة ٦٨ ب - ٦٩ أ.

وبراهين على وحدانيته. ويبدو أنّ الحاكم نفسه كان معدّاً لأن يتقبّل مثل هذه الترجمات الروحية لتصرّقاته المادّية، بدليل ما ذكره المؤرّخون المعاصرون له.

لكنّ «رسائل الحكمة» لا تكفي بهذا وحسب، بل راحت تطلق عليه أوصافاً وأسماء لا تجوز إلاّ على الله. وقد نعجز عن ذكرها كلّها، لأنّ جميع صفحاتها تزخر بالكلام عليها. لهذا، سنقتصر على القليل منها، مع بعض المراجع المستطاعة إليها. ففي «ميثاق وليّ الزمان» الذي يكتبه الدرزيّ على نفسه اقرار صريح ودليل لنا:

«توكّلت على مولانا الحاكم الأحد، الفرد الصمد، المنزّه عن الأزواج والعدد». ويختم يقوله: «من أقرّ أن ليس له في السماء إله معبود، ولا في الأرض إمام موجود، إلاّ مولانا الحاكم، جلّ ذكره، كان من الموحدّين الفائزين» (٥ / ٤٧ - ٤٨).



## ثالثاً - التَّوْحِيد

إذا كان أفلاطون استطاع أن يركِّز جميع صفات الله على محور صفة «الخير»، حتى أصبح الله، عنده، هو «الخير المطلق»، الذي عنه تصدر الموجودات جميعها... وإذا كان أرسطو وصف الله بـ«الكائن» الذي عنه تصدر الكائنات بجميع صفاتها وأحوالها... فإن حمزة بن علي اعتبر صفة «التوحيد» ذلك المحور الذي تدور عليه وتخرج منه وتعتمد على مفهومه جميع الصفات.

«بالتوحيد عُرفت جميع الأشياء، لا بالأشياء يُعرف التوحيد»<sup>١</sup>، و «بمعرفة تجريد التوحيد يتم الرشد والتأييد»<sup>٢</sup>، وأن «علم الحقيقة هو توحيد مولانا جل ذكره»<sup>٣</sup>، و «أن التوحيد هبة من الواحد للموحدين»<sup>٤</sup>... هذه هي القواعد التي أقامها أصحاب الرسائل، نقلاً عن الحاكم جل ذكره، الذي، على حد قول حمزة «أقام قواعد توحيدته التي هي تمام البناء في وقتنا هذا بمشيئته»<sup>٥</sup>.

وفي شرف التوحيد قال بهاء الدين: «أما بعد فإن التوحيد للمولى جلت آلاؤه أعظم المطلوبات، وأنفس المدخرات، وأشرف المكتسبات، لأنه ثمرة ما سلف في العصور الخالية من المتعبّات، وميزان القسط الذي به قامت الأرض والسماوات. فبصحة التوحيد تصل الأنفس الطاهرة إلى الثواب الأبدي والكمال الأخير. وبالقصور عنه تُخلد الأنفس الخبيثة في العقاب والخزي وبئس المصير.

«فالتوحيد للمولى جلت آلاؤه أول المفترضات، وحقائق الديانات كما قال (حمزة)، من أشار إلى توحيدته ونزّهه عن صفات خلقه وعبّده: أول الديانة بالله معرفته، وكمال معرفته نظام توحيدته، ونظام توحيدته نفي صفات المخلوقين عنه»<sup>٦</sup>.

بهذا السبب سُمّي أتباع حمزة بـ«الموحدين»، ودينهم هو دين التوحيد، ودعوتهم هي «دعوة التوحيد»، وهم «أهل التوحيد»<sup>٧</sup>. وبهذا يتميّزون عن سائر الديانات وأهلها، فسار عوا،

<sup>١</sup> الشافية لنفوس الموحدين ٥٨ / ٤٥٩، أيضاً التوحيد ٧٤ / ٦٥٦.

<sup>٢</sup> أيضاً التوحيد ٧٤ / ٦٥٦.

<sup>٣</sup> ميثاق النساء ٨ / ٧٠.

<sup>٤</sup> الشافية لنفوس الموحدين ٥٨ / ٤٥٩.

<sup>٥</sup> السيرة المستقيمة ١٢ / ١٢٣.

<sup>٦</sup> الشافية لنفوس الموحدين ٥٨ / ٤٥٣ - ٤٥٤.

<sup>٧</sup> «الموحدون»: انظر: ٦ / ٦٠، ٦١ / ٥، ٤٨ / ٩، ٧٥ / ٥٨، ٤٦ / ٦٩، ٥٩٤ / الخ... «دعوة التوحيد» انظر: ١٠ / ٨٦، ٤٦ / ٣٥٠، ٤٧ / ٣٥٤، ٧٣ / ٦٤٠، ٧٤ / ٦٥٦، ٦٦٠ / الخ... «أهل التوحيد» انظر: ٦ / ٦١، ١٢ / ١١٤، الخ...

في دور الكشف، إلى الدخول فيه والاقرار به. وقد أعلن حمزة، عند ظهوره، نهاية الشرائع كلها، وإبطال الأنبياء والأوصياء جميعهم، لأنّ نور التوحيد قد بان: «والآن (في دور الكشف) فقد بلغ الباطل نهايته، وأن خموده، وتبطل دعائمه، وكسر عموده، ويكون التوحيد ظاهراً أبداً على جميع الأديان، وعبادة مولانا جل ذكره في السرّ والإعلان»<sup>١</sup>.

جميع دعائم الإسلام لا معنى لها إن لم تُفد حقيقة التوحيد وتُشير إليه: ف«الصلاة التي هي لازمة في خمسة أوقات... هي صلة قلوبكم بتوحيد مولانا... على يد خمسة حدود»<sup>٢</sup>، «والزكاة... في الحقيقة توحيد مولانا جلّ ذكره وتركيبه قلوبكم وتطهيرها»<sup>٣</sup>، «والصوم هو بالحقيقة... صيانة قلوبكم بتوحيد مولانا جلّ ذكره»<sup>٤</sup>، «والبيت (أي الحجّ إلى مكة، والبيت هو الكعبة) هو توحيد مولانا جلّ ذكره... والموحدون أولياء مولانا جلّ ذكره، سكنت أرواحهم فيه. وربّ البيت هو مولانا جلّ ذكره في كل عصر وزمان»<sup>٥</sup>، و«الجهاد الحقيقي هو الطلبة والجهاد في توحيد مولانا جلّ ذكره ومعرفته»<sup>٦</sup>...

وجميع تعاليم القرآن والحقائق الإسلاميّة لا معنى لها إن لم تدلّ على التوحيد: ف«البرّ هو توحيد مولانا جلّ ذكره»<sup>٧</sup> في آية تقول: «ولن تتالوا البرّ (أي التوحيد) حتى تتفقوا تتفقوا ما تحبون»، و«العرش علم التوحيد لمولانا»<sup>٨</sup>، و«دار السلام» في سورة يونس ١٠ / ٢٥ تعني توحيد الإمام: «السلام هو الإمام، وداره توحيد مولانا»<sup>٩</sup>، «وجنّة النعيم» في سورة الواقعة ٥٦ / ٨٨ تعني دعوة التوحيد، إذ كان توحيد مولانا جلّ ذكره هو النعيم السرمد»<sup>١٠</sup>. «أمّا من كان من المكذّبين (آية) بالتوحيد، «الضالّين» (آية) عن حقائق الدين «فنزل من حميم» (آية) يعني دعوة الظاهر، و«تصليّة الجحيم» (آية) يعني انجسام قلبه بالكفر والشرك»<sup>١١</sup>.

هذا التوحيد يقوم على «نفي التشبيه عنه (عن المولى) من جميع المعاني والجهات. (وهذا لا يكون) إلا بنفي البنوة والأبوة، ونفي الأزواج والأولاد والأمّهات، التي ظهر بها في

<sup>١</sup> البلاغ والنهائية، ٩ / ٧٤.

<sup>٢</sup> النقض الخفي ٦ / ٥٦، انظر كتاب فيه حقائق ١١ / ٩٩ - ١٠٠.

<sup>٣</sup> النقض الخفي ٦ / ٥٧.

<sup>٤</sup> النقض الخفي ٦ / ٥٨.

<sup>٥</sup> النقض الخفي ٦ / ٦٠ - ٦١.

<sup>٦</sup> النقض الخفي ٦ / ٦١.

<sup>٧</sup> النقض الخفي ٦ / ٥٧.

<sup>٨</sup> ميثاق النساء ٨ / ٧٠.

<sup>٩</sup> البلاغ والنهائية ٩ / ٧٩.

<sup>١٠</sup> الغاية والنصيحة ١٠ / ٨٦.

<sup>١١</sup> الغاية والنصيحة ١٠ / ٨٦ - ٨٧.

دور الستر... تعالى عن التشبيه والتحديد وجميع الصفات. فحقائق التوحيد والتنزيه والتأليه هو الذي تفرّد به المولى إله الأرض والسموات»<sup>١</sup>.



من مفاهيم «التوحيد» إذن ألا يكون للحاكم أيّة نسبة إلى أحد من البشر: لا أب له، ولا ابن، و لا عمّ، ولا خال... «الحذر الحذر أن يقول واحد منكم بأنّ مولانا جلّ ذكره ابن العزيز، أو أبو عليّ، لأن مولانا سبحانه هو هو في كل عصر وزمان، يظهر في صورة بشرية وصفة مرئية، كيف يشاء وحيث يشاء... وأمّا من قال واعتقد بأنّ مولانا جلّ ذكره سلّم قدرته ونقل عظمته إلى الأمير عليّ، وأشار إليه بالمعنوية فقد أشرك بمولانا سبحانه غيره... فمن كان منكم يعتقد هذا القول فليرجع عنه ويستقل منه ويستغفر المولى جلّ ذكره ويقدّس اسمه»<sup>٢</sup>.

والتوحيد يعني أيضاً أن ليس للحاكم صفات بشرية مادية، كالأكل والشرب والتعب والنوم، أو أن يكون له حاجات جسدية كالبول والغوط والعرق وغير ذلك: «لا يقدر أحد منهم يقول بأنّه شرب ماء، ولا أكل طعاماً، ولا رآه أحد عند بول ولا غائط. حاشاه وسبحانه من ذلك... ولا أحد يقول... إنه شاهده يفعل شيئاً ممّا ذكرناه من تعب أو أكل أو شرب، حاشاه سبحانه من ذلك وتعالى...»<sup>٣</sup>، و «حاشاه من الوقوف والسير والجلوس والنوم واليقظة»<sup>٤</sup>.

والتوحيد يعني أيضاً أن الحاكم لا يدخل في نطاق المخلوقين، نبياً كان أم وصياً أم إماماً أم ولياً أم أي شخص مخلوق آخر. فهو قد «تنزّه عن جميع النطاق (الأنبياء) والأسس (الأوصياء) والأئمة الهادين»<sup>٥</sup>. و «كل ما يُقال فيه من الأسماء، مثل الإمام، وصاحب الزمان، وأمير المؤمنين ومولانا... كلّها لعبيده، وهو أعلى وأجلّ ممّا يقاس أو يحدّ أو يوصف»<sup>٦</sup>.

والتوحيد يعني أن ليس لمولانا ضدّ أو شبه أو ند أو نظير أو كفؤ أو غير ذلك. يقول حمزة: «إياكم أن تظنّوا بأنّ الضدية لمولانا سبحانه، لأنه بلا شبه ولا ندّ ولا نظير. وال ضد لا

<sup>١</sup> أيضاح التوحيد ٧٤ / ٦٥٦.

<sup>٢</sup> البلاغ والنهاية ٧٧ / ٧٨ - ٧٧، انظر أيضاً: رسالة إلى ولي العهد ٢٦ / ٢٢٣ - ٢٢٤، وإليه أيضاً باسم «خمار بن جيش» ٢٧ / ٢٢٥ - ٢٢٦، ورسالة إلى بني أبي حمار ٤٤ / ٣٤٠...

<sup>٣</sup> السيرة المستقيمة ١٢ / ١٢٨.

<sup>٤</sup> كتاب فيه حقائق ١١ / ١٠٥.

<sup>٥</sup> الغاية والنصيحة ١٠ / ٢٨٣، وأيضاً: كشف الحقائق ١٣ / ١٣٠.

<sup>٦</sup> النفض الخفي ٦ / ٦٢، ٦٣.

يكون إلا للشكل والمثل. ومولانا... ليس له شبه في الجسمانيين، ولا ضد في الجرمانيين، ولا كفو في الروحانيين، ولا نظير في النفسانيين، ولا مقام له في النورانيين...<sup>١</sup>.

وفي ذروة التوحيد أن يتنزّه الحاكم عن الصفات والأسماء والأوهام والخواطر... وجميع صفات المخلوقين، فهو «يجلّ عن وصف الواصفين وإدراك الانام»<sup>٢</sup>، و «لا يدخل في الخواطر والأوهام»<sup>٣</sup>، «ولا تقدر على وصفه اللغات ولا يدخل تحت الأسماء والصفات»<sup>٤</sup>، والصفات»<sup>٥</sup>، وهو «يتعالى عن مقالات السفلى»<sup>٥</sup>، و «أعلى وأجلّ ممّا يقاس أو يحدّ أو يوصف»<sup>٦</sup>، وهو «جلّ ذكره أعظم من أن يوصف أو يدرك»<sup>٧</sup>.

ولكن إن أطلقنا على الحاكم بعض الصفات والكمالات فإنّ ذلك ممّا جرت عليه ألسنة الناس واعتادوا عليه لكي يدركوا بعض معانيه. يقول حمزة: «نقول: أمير المؤمنين جلّ ذكره من حيث جرت الرسوم والتراتب على ألسنة الخاصّ والعام. ولو قلنا غير هذا لم يعرفوا لمن المعنى والمراد، فتعمى قلوبهم عنه، وهو سبحانه ليس كمثل شيء، وهو العليّ العظيم»<sup>٨</sup>.

من هذه الصفات الإلهية ما لا نستطيع حصره، لأنّ صفحات الرسائل تزخر بها بما لا يحدّ. يقول بهاء الدين: «أمّا بعد، فالقدرة والجلال والتنزيه والاعظام والتقدّيس والتأليه للإله الحاكم المنفرد بالابداع المتعالي عن سمة ما يدخل تحت تفكّر الأشخاص والأنواع، القاصرة عن توهمه الخواطر والأفكار، العاجزة حصوراً عن تصوّره الأبواب والأبصار، الذي تفرّد بجلال الملكوتية وعظم الجبروت، وتوحّد بكمال القدسية ونزاهة اللاهوت...»<sup>٩</sup>.

ويقول أيضاً: «... التوحيد والإعظام والإجلال والإكبار والتسليم والتقدّيس والتنزيه والاقرار... إلى المولى الإله الحاكم الجبار، المتعالي عن مختلجات الهواجس والأفكار، والمنزه في توحّده عن دقائق الألفاظ، المقدّس في الإشارة إلى جبروته عن اكتناه النواظر والاحاظ»<sup>١٠</sup>.

<sup>١</sup> البلاغ والنهاية ٩ / ٧٥. إن المقصود من «الجسمانيين وال...»، خمس مراتب من الخلائق المتدرجة في السموّ.

<sup>٢</sup> ١٨٥ / ١٧، ١٤٦ / ١٤، ١١١ / ١٢، ٩٧ / ١١، ٦٤ / ٧، ٤٩ / ٦، الخ.

<sup>٣</sup> ٢٠٨ / ٢١، ١٣٠ / ١٣، ١١١ / ١٢، ٩٧ / ١١، ٦٤ / ٧، الخ.

<sup>٤</sup> ٦٢ / ٦، ٧٧ / ٩، ١٤١ / ١٣، ١٤٧ / ١٤، الخ.

<sup>٥</sup> ٧٣ / ٩

<sup>٦</sup> ٦٢ / ٦

<sup>٧</sup> ١٥٣ / ١٤

<sup>٨</sup> النقض الخفي ٦ / ٦٣.

<sup>٩</sup> تقليد سكين ٤٦ / ٣٤٩ - ٣٥٠.

<sup>١٠</sup> اقرأ في الرسائل: الجمهيريّة ٥٠ / ٣٦٦، التعنيف والتهجين ٥١ / ٣٧٢، رسالة الوادي ٥٢ / ٣٧٧، القسطنطينية ٥٣ / ٣٨٢ - ٣٨٣، التعقّب والافتقاد ٥٥ / ٤١٨ وما يلي، الايقاظ ٥٦ / ٤٣٥، الموسومة بالحقائق ٥٧ / ٤٤٢ - ٤٤٣، رسالة العرب ٥٩ / ٤٦٤، رسالة اليمن ٦٠ / ٤٦٩، رسالة الهند ٦١ / ٤٧٤، التقرير



إلا أن مفهوم التوحيد عند الدروز يقوم على نفي «التشبيه»، كالمعتزلة، وعلى نفي «التعطيل»، على غير ما تقول المعتزلة. ونعلم أن المعتزلة كانوا أشد من نفي الصفات عن الله، ولكنهم، بنظر الدروز، أخطأوا في اعتبارها نفس الذات الإلهية؛ بهذا منعوا عن الانسان امكانية معرفة الله؛ لأن «تعطيل» الصفات، باعتبارها عين الذات، جعل الله بعيداً كلي البعد، و «أي عدل يقتضي أن يكون (الله) فوق سبع سموات على كرسي فوق السماء السابعة... وقد كلفنا مع هذا عبادته ومعرفته؟»<sup>١</sup>. لأجل هذا قرر حمزة اثبات التوحيد بهذا الأسلوب:

«لا أقول بأنه (الله) له مكان معروف، فيكون محصوراً فيه وتخلوا بقية الأمكنة منه، ولا يخلو منه مكان فيكون عاجز القدرة... ولا أقول إنه شيء فيقع به الهلاك، ولا أقول إنه لا شيء فيكون معدوماً مفقوداً، ولا هو على شيء فيكون محمولاً عليه، ولا هو في شيء فيكون محاطاً به، ولا متعلق بشيء فيكون قد التجأ إليه...»

«بل أقول، ضرورة لا حقيقة، بأنه سبحانه باري كل شيء ومكون كل شيء ومصورهم من نوره...»<sup>٢</sup>، أي إن ضرورة معرفته أجبرت حمزة على «قول» بعض الصفات، لكن الحقيقة تقضي بأن نقول بأن الله «منزه عن جميع الأسماء والصفات والأجناس واللغات والأشياء كلها»<sup>٣</sup>. هذا هو مفهوم «التوحيد»: تنزيهه لا تعطيل. وبهذا يبتعد دين الدرزية عن الإسلام وسائر الأديان الذين قالوا بالتوحيد ولكنهم لم يتجرأوا على تنزيهه لئلا يقعوا في التعطيل، والذين وقعوا في التعطيل باتوا لا يعرفون الله أبداً. لذلك سمى الدروز بـ «بني معروف» أي الذين عرفوا الله، لأن «المعرفة – عندهم – هي لما شوهد وعوين»<sup>٤</sup>.

بهذه المعرفة العيانة ندخل إلى عقيدة هي من صلب دعوة التوحيد: التجلي الإلهي

عبر الدهور.



والبيان ٦٢ / ٤٨٠، السفر إلى السادة ٦٨ / ٥٣٩، التحذير والتنبيه ٣٣ / ٢٤٢، الزناد ٣٧ / ٢٧١، الرشيد والهداية ٣٩ / ٢٨٢... المناجاة ٢٩ / ٢٢٩... الدعاء المستجاب ٣٠ / ٢٣٤ وما يلي، التقديس دعاء السادقين ٣١ / ٢٣٨ الخ...

<sup>١</sup> من دون قائم الزمان ٦٧ / ٥٢٩.

<sup>٢</sup> رسالة كشف الحقائق ١٣ / ١٤١. اقرأ مجمل هذه الصفحة وما يلي.

<sup>٣</sup> نفس المرجع.

<sup>٤</sup> الشافية لنفوس الموحدين ٥٨ / ٤٥٤، أيضاح التوحيد ٧٤ / ٦٥٦.



## الفصل الثالث

# التجلي الإلهي

أولاً - مبادئ التجلي

ثانياً - كيفية التجلي

ثالثاً - غاية التجلي

## أولاً - مبادئ التجلي

عقيدة التجلي الإلهي، في الدرزية، هي، بالحقيقة، أجلّ العقائد وأشرفها. تعتمد على مبادئ لاهوتية رزينة، وفلسفية صريحة، وروحانية عميقة. إنها نقطة الدائرة في دعوة التوحيد، ومحور جميع العقائد، على الإطلاق. عليها تركّز «الرسائل» وكدها، وإليها توجه همّها، ومنها تستقي روحها، وفيها تغمس حبرها، حتى أصبحت، بالنسبة إليها، «حكمة»، بالفعل. «موضوع التجلي، على حدّ قول أحد الدروز المستنيرين، هو موضوع يحتلّ في عقيدة التوحيد مركزاً مهماً، إن لم نقل المركز الأهمّ»<sup>١</sup>.

يحقّ لـ«بني معروف» أن يفتخروا بلقبهم هذا، لأنهم فازوا بـ«معرفة» اللاهوت في صورة الناسوت. «والجهل، بالحقيقة، هو انكار تجليّ الربّ في الناسوت»<sup>٢</sup>. و«التجليّ اطلالة بارقة من الحواسّ الروحية العميقة في النفس إلى الحواسّ الظاهرة قابلة الخداع والتمويه. بهذا يغدو الخالق قريباً من حواسم الظاهرة القاصرة، ويبطل كلّ تضليل، وتتقوى عبادة العدم إلى الأبد»<sup>٣</sup>.

على الإيمان بهذه العقيدة الشريفة يقوم الدين، وعلى الاقرار بها يكون في الدنيا «موحدون» «عارفون» فائزون بمعرفة الله وبالسعادة. ومن أنكرها أنكر على الإنسان حظّ معرفة الله والفوز بالنصر الأخير، بل هو يؤمن بالعدم. ونصوص «الحكمة» عليها لا تعدّ ولا تحصى. وقد يكون أجمل أسلوب فيها عند الكلام عليها. وقد لا تفهم سائر عقائدها إلا بالنسبة إليها. وإننا لنعجب حقاً من التعتيم عليها.

تقوم عقيدة التجليّ هذه على مبادئ، يجمل بنا استخلاصها من ألبان الحكمة وأسرارها:

١ - إن تجليّ الله في صورة الإنسان هو مبادرة إلهية، باشرها الله بنفسه، وليس للإنسان في الكشف عنها أيّ فضل، كما ليس من حقّه أن يقبلها أو أن يرفضها، لأنّ ما قام به الله ودعا إليه لا يحقّ لأيّ الاعتراض عليه. وفي ذلك تصرّح الحكمة:

<sup>١</sup> الدكتور سامي مكارم، أضواء على مسلك التوحيد، ص ١٢٧.

<sup>٢</sup> مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم ١٤٣٦، ورقة ٣٦ أ ب.

<sup>٣</sup> سامي أبو شقرا، مناقب الدروز في العقيدة والتاريخ، ص ١٤.

«والذي أظهر المولى جلّ اسمه نفسه منه (أي من الحجاب الذي هو الإنسان) كيف يشاء، بلا اعتراض عليه... وبه (أي بهذا الحجاب) دعا الخلق بنفسه إلى نفسه، وبأشْرَ العبيد بالصورة المرئية ومخاطبة البشرية»<sup>١</sup>.

٢ — إن العالم الروحاني يستحيل الإيمانُ به إن لم يدلّ عليه العالمُ المحسوس. «فأياً صورة تتحقّق لمن يعتقد هذا الاعتقاد الفاسد؟»، أي أيّة حقيقة يدركها الإنسان إن لم يجد لها في عالمه الحسّي دلالة عليها؟ «فما لا يصحّ (أي ما لا يعرف بالحواس هو) موهوم معدوم»<sup>٢</sup>. وإذا كان «العالم الروحاني أفضل الأشياء كلّها، فإيا ليت شعري ما نفعهم من تفضيلهم (له)، وهو، كما يزعمون، جواهر معدومة لا حقيقية لها (أي غير معروفة)، وإنما تصحّ الأشياء (الروحانيّة) بحقيقتها إذا ظهرت»<sup>٣</sup>.

معنى ذلك أنه إذا ما لم يكن للإنسان دليل من عالمه المحسوس على العالم الروحاني فلن يكون باستطاعته معرفة شيء منه. لهذا يقتضي على الله الروحاني، لكي يعرف، أن يخلق لنا دليلاً عليه من عالمنا، وأصحّ دليل أن يظهر لنا لتراه عيوننا وتلمسه أيدينا.

٣ — إذا كان الله عادلاً فيقضي عليه عدله أن يعرفنا بذاته لكي يكلفنا فيما بعد بعبادته. ولئن كان باستطاعة الله أن يبعث لنا برسل وأنبياء فإنّ لهؤلاء مواقف بشريّة قد تحجب عنا المعرفة الحقيقية لله، فخير معرفة لله أن يتجلّى بنفسه: «والخلق مجتمعون أن الباري جلت قدرته عادل. (ولكن) أي عدل يقتضي أن يكون العالم الروحاني، كما يزعمون، جواهر بسيطة، لا محدودة ولا مدروكة، ثم يكلف العباد معرفتها؟! وما في وسع أحد من العالم يفهم ولا يبصر ولا يتعلّم إلا من صورة حسّيّة ناطقة مميّزة»<sup>٤</sup>.

في هذا المعنى يقول أيضاً: «لمّا وجدنا العالم مولودون جهّال لا يعلمون... ولم يكن لهم وصول أن يعلموا المعقولات على ما هي إلاّ بالمحسوسات، أوجبت الحكمة أن يظهر لهم صورة من حيث هم. فأنست الصورة لصورهم من حيث الجنسيّة»<sup>٥</sup>.

٤ — ومن العدل أيضاً أن يترك الله عرشه وسماؤه السابعة، ويتقرّب من عباده ليكون بوسعه تكليفهم بمعرفته، لأن العباد يعجزون عن معرفة ما خلف الجدار القريب منهم فكيف حالهم مع ساكن السماء العليا؟

<sup>١</sup> رسالة الردّ على النصيري ١٥ / ١٧٣.

<sup>٢</sup> من دون قائم الزمان ٦٧ / ٥٢٦.

<sup>٣</sup> نفس المرجع، ٦٧ / ٥٢٧.

<sup>٤</sup> نفس المرجع، ٦٧ / ٥٢٧.

<sup>٥</sup> رسالة بني أبي حمار ٤٤ / ٣٤٠.

أي عدل يقتضي أن يكون فوق سبع سموات على كرسيّ فوق السماء السابعة كما يزعمون المشركون، وقد كلفنا مع هذا عبادته ومعرفته. فهل في وسع أحد من العالم أن يعرف ما خلف الجدار الذي هو أقرب إليه من كل قريب إن لم يكشف عنه وينظره بعينه ويصحّحه بقلبه وإلا فلا يعرفه. فنعود بالمولى إلى أن ننسبه أنه احتجب بهذه الحجة ثم كلفنا مع ذلك عبادته ومعرفته. بل قد ظهر تعالى بهذه الصورة الناسوتية التي تشاكلنا. هذا من حيث المجانسة والمقابلة. فهذا نفس العدل»<sup>١</sup>.

٥ — إن الإيمان بتجليّ الله يتيح للإنسان مجال طاعته لأوامر الله، إذ «كيف تجوز الطاعة لمن لم يظهر إلى العالم فيُعَرَف ويُعَيَّن عليه باسمه ونعته. فيُوصَف، وتخرقُ أَسْمَاعُ العوالم أوامره ونواهيه، وينتشر في الآفاق مذهبه، ويُفصَحُ به للعوالم، ويقوم به الحجة على الأمم حُججِه ودواعيه. فعند ذلك تقوم حجته على الأمم، إذا عُرِفَتْ أوامره وزواجره، وشاعت في العرب والعجم... فهذه الدلالات المحققة بالبرهان ينفسد قول جميع الطوائف ممن ادّعى طاعة قائم أو هادٍ أو مُنْتَظَرٍ لم يظهر إلى العالم ويثبّت علمه ودعوته فيهم بواضح البيان، وتقوم حجته بأشهار دعوتيه بأمره ونهيه على جميع أهل النحل والأديان»<sup>٢</sup>.

٦ — ثم إن الله، إذا لم يظهر لعباده، تسقط عنهم الحجة، ويُعذرون في توقّفهم عن طلب الحق: «إن كان (الله) معدوماً (أي غير ظاهر العيان) فقد سقطت الحجة عن الخلق، وكان الكلّ معذورين في توقّفهم عن طلب الحق»<sup>٣</sup>. لذلك فهو «ليس بمعدوم، (وذلك) لتقوم الحجة بوجوده (بظهوره) على كافة بريته»<sup>٤</sup>.

ثم إن المعدوم غير الظاهر للعيان مُختلفٌ فيه، «لأن المعدوم تقع في أخباره الزيادة والنقصان، والموجود (الظاهر) أنت تشاهده بالعقل والبرهان بالعيان، وتقف على تبطيل العدم، وتتفي عن مولانا جلّ ذكره جميع الأباطيل والتّهم»<sup>٥</sup>. لهذا فـ«العاقل اللبيب لا يطلب العدم ويترك الموجود»<sup>٦</sup>.

٧ — إذا كان العالم يشكّون بوجود الله فسببه واضح «لأنهم يعبدون من لا يسمع ولا يسمع ولا يضرّ ولا ينفع. ولا يدرون هل عبادتهم (هي) مرادّه، أو أراد منهم شيئاً ممّا أجازته عقولهم ولم توعه لعلّتها افهامهم. وهذا نفسُ الشك»<sup>٧</sup>. فالذين يشكّون بالله ويكفرون به، هم

<sup>١</sup> من دون قائم الزمان ٦٧ / ٥٢٩.

<sup>٢</sup> رسالة السفر إلى السادة ٦٨ / ٥٤٥.

<sup>٣</sup> الشافية لنفوس الموحدين ٥٨ / ٤٥٥.

<sup>٤</sup> القسطنطينية ٥٣ / ٣٨٦.

<sup>٥</sup> رسالة التنزيه إلى جماعة الموحدين ١٧ / ١٨٩.

<sup>٦</sup> نفس المرجع.

<sup>٧</sup> من دون قائم الزمان ٦٧ / ٥٢٨ - ٥٢٩.

الذين لم يروه لِيَحْرَفُوهُ، ولم يَسْمَعُوهُ لِينَالُوا مِنْهُ الْحَقِيقَةَ، ولم يُشَاهِدُوهُ لِينْتَفِعُوا مِنْ وَجُودِهِ، ولم يشعروا برأفته بهم ليطمئنوا إليه:

«غلط الخلق عن ضياء نورك بك، فاستوحشوا من جهة ما ظهر لهم من شبه مجانستهم، فشكوا فبقوا حيارى بما تراءى لهم سكارى، عاجزين شاكين جاحدين. وأنس بك الموقنون بعهدك، والمؤمنون بميثاقك وعقدك... فظاهرُك قبلَةُ العارفين، وباطنُك سرُّ العابدين، عبدوك منه لما عرفتهم بنفسك كههم...»<sup>١</sup>.

٨ — إنَّ التفاضل بين الأديان يكون بالنسبة إلى التجلّي: إلى التقرب منه والإيمان به. يكون الدين صحيحاً بقدر ما يقترب من هذه الحقيقة. بالإيمان بالتجلّي الإلهي يُصبح أولياءُ الدين «رجالَ أعرافٍ وساداتِ الأمم»، ويكون الثواب والعقاب:

«إنّي أقول: إنَّ الباري، جلَّت قدرته، لو كان معدوماً (أي غير ظاهر في الكون) لتساوت الفرقُ كُلُّها في التنزيه والتجريد، وارتفع التفاوتُ والتفاضلُ المؤديان إلى الثواب والعقاب بحقيقتيَّة التوحيد.

«وكذلك أيضاً أقول: إنَّ الباري، جلَّت قدرته، لو كان موجوداً على صورة مخالفة لبريئته، أو ظهر إليهم بمعنى يليق لعظمة ألوهيته، لم يشكَّ فيه أحد من البريئة، وارتفع التفاوت والتفاضل، وسقط الثواب والعقاب... بالكلّيّة. بل هو موجود لأوليائه العارفين، معدوم عند أضعادهم السهوة المخالفين...»<sup>٢</sup>.

٩ — لا بدّ في المرتكز الثابت لعقيدة كل دين أن يقوم عليها البرهان. وعقيدة كل دين تكون صحيحة بالنسبة إلى إيمانها بـ«تحرك» الله صوب الإنسان، أي بمجيء الله إلى الإنسان مراراً وتكراراً عبر الأدوار البشريّة، وبغيابه أيضاً مراراً وتكراراً عبر الأكوار، أي بتعاقب أدوار «الكشف» وأكوار «الستر». وفي هذا التعاقب حكمة إلهية بالغة، إنَّ من جهة الله، وإنَّ من جهة الإنسان: فمن جهة الله، يكونُ اللهُ غيرَ عادلٍ إنَّ غابَ إلى الأبد أو إنَّ استمرَّ ظاهراً إلى الأبد، ومن جهة الإنسان يكونُ ثوابه حقيقياً إذا ما امتحنَ في إيمانه بظهور الله وغيابه:

«إنَّ العالمَ كُلَّهُ ما اختلفوا في أنَّ الباري قادر. فأين قدرته لو غاب الدهرَ كُلَّهُ لا يَظهر؟ أليس يكون قد عجزَ عن الظهور؟ وأيضاً فلو ظهر الدهرَ كُلَّهُ ثم لم يَغبَ لَعجزَ عن الغيبة!

<sup>١</sup> المناجاة مناجاة وليّ الحق ٢٩ / ٢٣٢.  
<sup>٢</sup> معراج نجات الموحدين ٦٩ / ٥٨٧.

«ولو ظهر في كل الظهورات بصورة واحدة وعلى حالة واحدة لكان ذلك عجزاً. فأبيّ إله لمن يدعي أن له إلهاً غائباً عاجزاً عن الظهور. وليس من صفة القادر العجز. فالمولى جلّ ذكره إله الأولين والآخرين، قادر في جميع الأحوال: غاب وظهر، بظهورات مختلفات الصور، لأنه جلّ ثناؤه في ظاهر الأمر ظهر في حدّ الطفوليّة ثم الكمال. ثم إنّه جلّت قدرته اعتلّ جسمه في ظاهر الأمر لئلا يكون عاجزاً عن ذلك<sup>١</sup>. فمن هذه الجهة صحّ إن العجز من القادر قدرة.

«وأيضاً فلو غاب ولم يظهر لما تحقّق المعبود، ولا صحّ ما أشارت إليه الحدود<sup>٢</sup>. ولو ظهر ثم لم يرغب لكانت العبادة جبراً وقسراً، ولتساوى في ذلك أهل الأرض حتى لم يختلف فيه اثنان، وكان ذلك عجزاً منه، في الخلق، إذا كان العالم كلّهم علماء ليس فيهم جاهل، وكلّهم موحدون ليس فيهم مشرك، وكان العالم مجبراً لا مثاب ولا معاقب، لأنّ المجبر لا مثاب ولا معاقب. وهذا نفس العجز إذ لم يقدر على اظهار العالم والجاهل، والناقص والفاضل، والشيء وضده لتكمل القدرة وتتمّ الحكمة، ويتحقّق المعبود، وتظهر جميع الحدود، أهل التوفيق والتسديد.

«وفي ذلك يقول العالم:

«ظهر الإله لخلقه بالصورة المرئيّة عدلاً ومنّاً ليس فيه خفيّة»<sup>٣</sup>.

فمن أجل امتحان الإنسان واختباره، واستحقاقه الثواب أو العقاب ظهر الله ثم غاب، ثم ظهر ثم غاب، حتى الظهور الأخير بـ«الحاكم»:

«ظَهَرَ لِحَلْقِهِ كَخَلْقِهِ، امْتِحَانًا وَامْتِنَانًا وَابْتِحَارًا. فَكَانَ امْتِحَانُهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَابْتِحَارُهُ لَهُمْ هِدَايَتَهُمْ إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ»<sup>٤</sup>.

١٠ — إنّ التجلّي الإلهي ضرورة ماسّة للإنسان، وذلك لكي يكون له، بظهور الله فيه، مثال يتمثله، وهداية يهتدي بها، وقدوة له في حياته وعمله. فلولا التجلّي لما عرف الإنسان عن الله شيئاً، تماماً كالذي لم يسمع كلمة فكيف يمكنه الكلام؟ أو كالذي يريد عملاً ولم يرَ أحداً يعملُه قبله ليقْتدي به! فالإنسان لا يستطيع إحداث شيء من ذاته إن لم يتمثّل أمامه مَنْ

<sup>١</sup> الكلام هنا عن الحاكم بأمر الله الذي انتابه مرض عضال أقعده...

<sup>٢</sup> «الحدود» هم الدعاة الخمسة الذين أظهروا دين التوحيد...

<sup>٣</sup> من دون قائم الزمان ٦٧ / ٥٢٩ - ٥٣٠.

<sup>٤</sup> رسالة الزناد ٣٧ / ٢٧١.

يَعْمَلُ مِثْلَهُ. وبتعبير فلسفي: إِنَّ كُلَّ مَعْلُولٍ يَأْخُذُ وَجُودَهُ وَعَمَلَهُ مِنْ عِلَّتِهِ، وَالْعِلَّةُ الْأَخِيرَةُ هِيَ اللَّهُ. تقول الحكمة:

«قد صحَّ عند كل ذي عقل ومعرفة بالحقيقة وفضل، إن المولود لو كان أبواه أخرسان (أخرسين) لا ينطقان، ثم لم يسمع من غيرهما كلاماً كان أخرس لا ينطق. وإذا كان أبواه ناطقين كان ناطقاً. فإذا اطردنا المعلول في العلة لا بدَّ من معلِّ لجميع الأشياء لا يتجاوز حدَّه والصورة لا تقبل إلا من صورة. فصحَّ إنَّ المبدع جلَّ ذكره ظهر في القدم بهذه الصورة المرئية للمقابلة والمجانسة... والدليل على ذلك أن ليس على وجه الأرض أحدٌ يُحَدِّثُ صنعةً من ذاته إلا أن يكون قد سبق إليها غيره أو إلى ما يجانسها ويشاكلها...»<sup>١</sup>.

١١ — بقي مبدأ هام وهو ضرورة وجود «دليل» على هذا التجلّي، و «حمزة» هو هذا الدليل، وهو «الواسطة» إليه، و «الوسيلة»، وهو «حجّة الكشف» والبرهان عليه. إن الإنسان، وحده، لا يستطيع معرفة اللاهوت في صورة الناسوت، إن لم يُكشَفْ له ذلك. وخير كاشف أو دليل على ذلك هو «العقل الكلّي»، علة العلل، وأصل كل الموجودات. هذا العقل هو الآخر، تجلّى في جميع التجلّيات الإلهية، في أشخاص معيّنين. وكان «حمزة بن علي» هو العقل في دور الحاكم. تقول الحكمة:

«وأدلّ دليل على إمامة قائم الزمان (حمزة) إنه أتى بصد العالم (أي على غير ما هو متعارف عليه) لأنّ جميع النطقاء والأسس وأصحاب الأدوار والأكوار أشاروا إلى عدم موهوم وأبعده عن حواس العالم. وإنّ قائم الزمان... دعا إلى موجود ظاهر، وإله في جميع الأمور قادر قاهر...»<sup>٢</sup>.

وتقول أيضاً في ضرورة الدليل: «إن قائم الحق، المهدي المنتظر، قد قام في أشرف المقامات، وأوجب الحجّة على العوالم بظهوره بالبراهين والدلالات... وأقام على الأمم حججه وبيّناته، ونشر دعوة التوحيد في الآفاق... لنلا يقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير... ثم غاب، سلام الله على ذكره، بعد ايجاب الحجّة على العوالم... اثباتاً لحججه على العوالم، وتمييزاً للطائع المظلوم من المرتدّ الشاك الظالم، وإقامة للقسط والحقّ والعدل في يوم المعاد والقضاء الفصل...»<sup>٣</sup>.



<sup>١</sup> من دون قائم الزمان ٦٧ / ٥٣١.

<sup>٢</sup> نفس المرجع، ص ٥٣١.

<sup>٣</sup> السفر إلى السادة ٦٨ / ٥٤٦ - ٥٤٧، انظر ٢٩ / ٢٢٩... الخ.

هذه هي مبادئ التجلي الإلهي الأحد عشر. وقد نستطيع ايجازها والتوقف عند بعضها؛ لكننا آثرنا تفصيلها لإثبات أهميتها، وإظهار حقاها. فعقيدة «الظهور» الإلهي في الكون ماسّة، لأنّ دين التوحيد يقوم عليها. وقد تسميها أيضاً «الكشف» الإلهي، وذلك نسبة إلى كشف الله نفسه للبشر رحمة بهم وطمأنينة لقلوبهم.

إنّك تستطيع أن تجهل أشياء كثيرة عن الدرزيّة، ولكنك لن تكون درزياً حقيقياً إن لم تعرف عقيدة التجلي الإلهي. «هذا منطق التوحيد الدرزي في التجلي، لفظاً ومعنى. فهل حوسب هؤلاء الفقهاء الدروز، ونودي بهم مارقين!»<sup>١</sup>... إنّ إلهاً لم يظهر فهو لا يوجد، ومن لا يوجد فهو بحكم العدم. وأكثر ما يخشى الدروز في دينهم هذا العدم.



---

<sup>١</sup> سامي أبو شقرا، مناقب الدروز في العقيدة والتاريخ، ص ١٥.



## ثانياً - كَيْفِيَّةُ التَّجَلِّي

إذا ثبت لدينا التجلّي الإلهي عند الدروز، يبقى السؤال الأهم: كيف تجلّى الله في العالم؟ أين تجلّى؟ في الإنسان أم في أي موجود آخر؟ وبتعبير درزيّ آخر: مَنْ هو «المُقام» الذي استحقّ أن يكون لله «حجاباً»؟ و «المُقام» يعني: «صورة الناسوت... الذي نراه ونشاهده»<sup>١</sup>، و «الحجاب» أيضاً هو الناسوت<sup>٢</sup> و «المحجوب» هو اللاهوت...

أول ما تُثبِتُ «الحكمة» أنّ الله اختارَ صورةَ الإنسان «مُقاماً» للاهوته، لا كما تقول سائر الأديان، بأنّه ظهر في شجرة أو في جبل... قال حمزة بن علي:

«... أظهر (الله) لنا حجابَه الذي هو محتجب فيه، ومُقامَه الذي يَنطِقُ منه، لِيُعَبَدَ ظاهراً، رحمةً منه لهم، ورأفةً عليهم. والعبادة في كل عصر وزمان لذلك المقام الذي نراه ونشاهده، ونسمعُ كلامَه ونخاطبُه.

فإنّ قال قائل: كيف يجوز أن نسمعَ كلامَ الباري سبحانه من بَشَرٍ، أو نرى حَقِيقَتَه في الصورِ؟

قلنا له، بتوفيق مولانا جلّ ذكره وتأييده:

أنتم جميع المسلمين واليهود والنصارى تعتقدون بأنّ الله عزّ وجلّ خاطب موسى ابنَ عمران من شجرة يابسة، وخاطبه من جبل جامد أصمّ، وسمّيته كليماً الله لما كان يسمع من الشجرة والجبل. ولم ينكرْ بعضكم على بعض. وأنتم تقولون بأنّ مولانا جلّ ذكره ملكٌ من ملوك الأرض. ومن وُلِّيَ على عددٍ رجالٍ كان له عقلُ الكلِّ. ومولانا جلّ ذكره يملكُ أبوابَ ألوفٍ كثيرة ما لا يُحصى ولا تُقاس فضيلته بفضيلة شجرة أو حجر. وهو أحقّ بأن يَنطِقَ الباري سبحانه على لسانه، ويُظهرَ للعالمين قدرته منه ويحتجبَ عنهم فيه. فإذا سمعنا كلامَ مولانا جلّ ذكره، قلنا: قال الباري سبحانه كذا كذا. لا كما كان موسى يسمع من الشجرة هفيفاً، فيقول: سمعت من الله كذا كذا.

وهذه حجة عقلية لا يقدر أحدكم يُنكرها.

وقد اجتمع في القول بأنّ لمولانا جلّ ذكره عقولَ الأُمَّة، وأن الشجرة والحجر لا تُفهم وتَعقل عن الله. ومن يَفهم ويعقل عن الله أحقّ بكلام الله وفعله ممّن لا يَعقل عنه. وإن كانت

<sup>١</sup> كتاب الدرر المضيئة... (قاموس) ص ٦٠٩، يستشهد بـ ١٣ / ١٤٢.  
<sup>٢</sup> نفس المرجع، ص ٢٠ - ٢١.

الشجرة حجابَه فالذي يَعْقِل وَيَفْهَم أَحَقُّ أَنْ يَكُونَ حِجَابَ اللَّهِ مَنْ لَا يَعْقِلُ وَلَا يَفْهَمُ. وكيف يجوز للبارى سبحانه أن يحتجب في شجرة ويخاطبَ كليمة منها، ثم تحرق الشجرة ويتلاشأ حجابُه. سبحان الإله المعبود...»<sup>١</sup>.

ويؤكد بهاء الدين أيضاً بأنّ «المقام» الإلهي هو الإنسان لا غيره، فيقول: «إن ابن آدم غرضُ الباري من جميع المخلوقات لأنّ جميع العالم العلوي والسفلي له ومن أجله. فلما صحّ ذوي العلم والمعرفة والفهم أنّ ابن آدم أفضل الأشياء كلها وجب أن يحتجب الباري جلّت قدرته في أجلّ الأشياء، لأنّ ضدّ أجلّ الأشياء أقلّ الأشياء، وضدّ العالم الجاهل. فنعودُ بالمولى من سوء اعتقاد من يعتقد أنّه في الأموات. الجهال التي لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع»<sup>٢</sup>.

إنّ ظهور الله في صورة الناسوت لم يُفقره في شيء، لأنّه، مع ظهوره، يبقى باطناً محجوباً. وبكونه إلهاً لا تستطيع الصورة الإنسانية حصره، وعلى قربه من الإنسان وظهوره فيه يبقى بعيداً متعالياً، ورغم ظهوره يستطيع الغيبة أن يشاء. يقول قائم الزمان:

«... الذي لم يزل باطناً في ظهوره، ظاهراً فيما بطن، يقوم بناسوته في كل عصر وزمن، وليس بمحصور في الناسوت فيغيب عنه علم الملكوت، لكنّه يتجلّى ويتدانى ولا يتدلّى. ظهوره من غير زوال ولا تنقل، وغيبته من غير حركة ولا تقلقل، بل ظهوره بالشيء إقباله عليه، وغيبته به توفيةً منه إليه»<sup>٣</sup>.

ثم إنّ الصورة الناسوتية التي تجلّى فيها الله، لا يمكنها أن تكون هي الله بكماله، لأنّ الله سبق وظهر في عدّة صور بشرية عبر الأدوار. ولكننا لا نستطيع القول بأنّ الله هو غير هذه الصورة لئلا يكون الإنسان مخدوعاً بتظاهر إلهي غير حقيقي. يقول التميمي:

«لا نقول: إن هذه الصورة المرئية (في مقام الحاكم) هي هو، فنجعله محصوراً محدوداً... بل نقول: إن هو (الله) هي (الصورة) استتاراً وتقرباً وتأنيساً بغير حدّ ولا شبه ولا مثل... هذه الصورة الظاهرة تراها بعين الطبيعة فتظنّها صورة كصورتك. فإذا دنوت منها بعين العلم لم تجدها صورة، ووجدت الله عندها، كذلك لاهوت مولانا هو الأزليّ الأبدي الذي لا يُحدّ ولا يُوصَف.

وأيضاً مثل هذه الصورة الظاهرة، إذا رأيتها كمثّل الناظر في جوهر المرأة، فهو يرى نظير صورته بغير لمس ولا إدراك كيفية، ولا تحديد ماهية. فإذا أردت تلمسها لمست

<sup>١</sup> كشف الحقائق ١٣ / ١٥٣ - ١٥٤، انظر أيضاً: ١٤ / ١٥٤.

<sup>٢</sup> من دون قائم الزمان ٦٧ / ٥٢٩.

<sup>٣</sup> المناجاة مناجاة وليّ الحقّ ٢٩ / ٢٣٠.

صورتك. وإذا غيرت ما بصورتك تغيرت في عينك، وذلك إذا كان نظرك سالماً من القذى والرمد وإن كان به عارضٌ أذية لم تتظر تحقيقَ صورتك. كذلك ناظر هذه الصورة المرئية بمقدار علمه وتحقيقه يكون نظره لها...»<sup>١</sup>.

ويوضح حمزة كيفية ظهور الله وكيفية معرفتنا به بقوله: كما أننا لا ندرك العقل اللطيف الروحاني، بل ما يظهر من العقل، هكذا فإننا لا ندرك حقيقة الله، بل ما يظهر من الله في صورة الناسوت. يقول:

نضرب لكم مثلاً... فمثله كمثل شخص ناطق جسماني، وله روح لطيف متعلق بذلك الجسد الكثيف، وله عقل يدبر الأشياء بذلك العقل وهو يعلم أين منتهى عقله. والناس لا يعلمون بعقله ولا بموضعه، ولا حقيقته، ولا يدركون من عقله إلا بمقدار ما يظهر من عقله... ولا يقدر أحد يقول إنَّ العقل يظهر بلا جسم لأنَّ الروح لا تتركه إلا بالجسم»<sup>٢</sup>.

هذه الصورة الإنسانية التي كانت «مقاماً» لله في دورنا هذا، حلت أو «ظهرت» في «الحاكم». فهو «ناسوت الحجاب الذي احتجب (الله) عنا فيه، والمقام الذي ينطق منه، وهو ما نراه من صورة بشرية»<sup>٣</sup>، وهو «المُظهرُ ناسوته للعالم المُسمَّى مقامه بالحاكم»<sup>٤</sup>، أو هو «الصورة المرئية الظاهرة لخلقه بالبشرية، المعروف عند العالم بالحاكم»<sup>٥</sup>.



إنَّ أسلوب «الحكمة» في الكلام على التجلي رائع جداً، قلماً نجد له مثيلاً في اللغة العربية. ويجدر بنا نقل بعضه للدلالة على أهميّة موضوع التجلي وجدارة أهل التوحيد بسير غوره. فوضوح الرؤية فرض على أصحابها وضوح التعبير. ووضوح التعبير دلّ على معرفة صحيحة.

تقول الحكمة: إنَّ الله «ظهر لخلقه بخلقه من حيث خلقه»<sup>٦</sup>، و «هو المولى جلّ ذكره الذي ظهر لخلقه بخلقه، ظاهراً مكشوفاً لعبيده العارفين به»<sup>٧</sup>، وهو «المتجلي لخلقه بخلقه من

<sup>١</sup> كتاب تقسيم العلوم... ٣٦ / ٢٥٨ - ٢٥٩.

<sup>٢</sup> البلاغ والنهاية ٩ / ٨٠.

<sup>٣</sup> رسالة سبب الأسباب ١٤ / ١٥٤.

<sup>٤</sup> رسالة التنزيه إلى جماعة الموحدين ١٧ / ١٨٥.

<sup>٥</sup> رسالة البلاغ والنهاية... ٩ / ٧٩.

<sup>٦</sup> الصبحة الكائنة ١٩ / ٢٠٣.

<sup>٧</sup> من دون قائم الزمان ٦٧ / ٥٢٨.

حيثُ خَلَقَ الخالقُ<sup>١</sup>، و «المتجلّي لِخَلْقِهِ كَخَلْقِهِ مِنْ حَيْثُ خَلَقَهُ»<sup>٢</sup>، «واحتجب بما خَلَقَهُ مِنْ خَلْقِهِ»<sup>٣</sup>...

وبأسلوب آخر تعبّر «الحكمة» عن ظهور الله في البشر حيث هم، أي في مواقعهم، كما هم، في صورتهم، في صحّتهم ومرضهم، في غناهم وفقرهم، في ذلّهم وعزّهم... تقول الحكمة:

«إنّه يظهر لهم من حيث هم، كما أوجب، في صور كصورهم»<sup>٤</sup>. وإنّه «أوجد ذاته لهم كما حكم... فهو الظاهر لتثبيت الحجّة على الناس، وهو الباطن الذي لا يدرك بالحواس... ظهر لهم كمهم ليقع الإيمان به حقاً وسدقاً (صدقاً). ثمّ تأنّس إليهم، فتبّت الحجة عليهم... أحسن إلى الخلق فيما فعل، إذ قام فيهم ظاهراً موجوداً»<sup>٥</sup>.

إذا عجز الإنسان عن فهم بعض مظاهر الناسوت فكيف حالهم عندما يواجهون اللاهوت! «من لم تدرّكوا ناسوته الذي أظهره لكم من حيث أنتم، ولم تقفوا على كنهه أفعاله البشرية، فكيف تدرّكون لاهوته بالكليّة، أو تحوّلون بقدرته، أو توحدّونه بحقيقة أحدانيّته؟ سبحانه وتعالى...»<sup>٦</sup>.

أمّا كتاب «المصحف المنفرد بذاته» فهو يُضاهي «رسائل الحكمة» من حيث كلامه على التجلّي الإلهي، ويكاد يكون كالقرآن في إعجازه وامتانة أسلوبه. وهو، كالحكمة، يركّز تعبيره في هذا المجال، يقول داعياً الله بشكل صلاة من القلب الخاشع:

«مولاي الحاكم! سبحانك في تجلّيك هذا! ظهرت لنا، فرأيناك بأعيننا، وبقلوبنا، وبأفكارنا، وتوجّهنا إليك، فخاطبتنا، واطمأنّت بك حالاتنا...»<sup>٧</sup>.

«مولاي سبحانك! لك الحمد على آلائك أن تسميت بأسمائنا، وظهرت بأشباحتنا، وأفعالنا، ثم تجرّدت عن جميع صفاتنا، ودعوتنا إلى الحقيقة والمعرفة والوجود والتنزيه...»<sup>٨</sup>.

<sup>١</sup> تقليد الرضى وسفير القدرة ٢١ / ٢٠٩.

<sup>٢</sup> بدء التوحيد لدعوة الحق ٧ / ٦٧.

<sup>٣</sup> الرسالة الموسومة ببدء الخلق ٨٦ / ٧٥٨.

<sup>٤</sup> الموسومة بالإسرائيلية ٧٢ / ٦٢٥ - ٦٢٦، انظر: ٥٣ / ٣٨٦.

<sup>٥</sup> المناجاة مناجاة ولي الحق ٢٩ / ٢٢٩.

<sup>٦</sup> رسالة البلاغ والنهية... ٩ / ٧٥.

<sup>٧</sup> مصحف المنفرد بذاته، المنسوب لقائم الزمان، مخطوط، ص ١١٧.

<sup>٨</sup> نفس المرجع، ص ١٢٣.

«الهي! سبحانك! أنت الحاكم، الفرد، المتجلّي أماننا، الظاهر لأعيننا وبصائرنا، أنت الذي نراك رؤيتنا أنفسنا»<sup>١</sup>.

«تبارك الذي أدركه الواصلون في تجلياته من حيث هم، لا من حيث هو... سبحان مَنْ فَنِيَتْ ذَوَاتُ مَحَبِّهِ فِي مَشَاهِدَةِ ذَاتِهِ، فَتَجَلَّتِ الذَّاتُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ تَجَلَّتِ الْأَشْيَاءُ عَلَى ذَاتِهَا»<sup>٢</sup>.

«لكي لا يكون للناس على الله حجة، ظهر لهم فيما بينهم»<sup>٣</sup>، فَاتَّخَذَ «ذَلِكَ الْجَمَالَ الْأَزَلِيَّ لِنَفْسِهِ فِي كُلِّ مَقَامٍ اسْمًا خَاصًّا وَهَيْكَلًا مَخْصُوصًا»<sup>٤</sup>، «فَصَارَ ظَهْرُ الْخَالِقِ صُورَةً إِنْسَانِيَّةً لِيُؤَنِّسَ بِهَا... وَلِهَذَا... تَجَلَّى رَبُّكَ لِلذِّينِ آمَنُوا، فَرَأَوْهُ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَخَاطَبُوهُ فِي أَلْسِنَتِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ، وَجَالَسُوهُ، وَكُنَّا لِمَجْلِسِهِمْ شَاهِدِينَ، وَاحْتَجَبَ عَنِ أَعْيُنِ الذِّينِ كَفَرُوا»<sup>٥</sup>.



---

<sup>١</sup> نفس المرجع، ص ١٢٠.  
<sup>٢</sup> نفس المرجع، ص ٢٠٧ - ٢٠٩.  
<sup>٣</sup> نفس المرجع، ص ١٣.  
<sup>٤</sup> نفس المرجع، ص ١٨.  
<sup>٥</sup> نفس المرجع، ص ٦٩ - ٧٠.

## ثالثاً - غاية التجلي

الغاية من ظهور الله في صورة الإنسان مزدوجة: الأولى تقوم على ضرورة معرفة الله، إذ لو بقي الله بعيداً في سمائه السابعة لما عرفه إنسان؛ والثانية تقوم على شفقتة بالإنسان ومحبتة له... والغايتان مبادرة إلهية، لا فضل للإنسان بها. وكلاهما لخلاصه وسعادته، في حال قبوله لها. وقد تكون الأولى ضرورة إلهية لا مناصاً منها، تماماً كضرورة ظهور العلم من العالم ليعرف بعلمه، وإلا كان بمنزلة الجاهل. يقول الموحّدون:

«لَمَّا كَانَ الْبَارِي<sup>١</sup> سُبْحَانَهُ مَوْجُوداً فِي مَحَلٍّ وَجُودِهِ السَّابِقِ، بِلَا بَدَايَةٍ وَلَا مَكَانٍ، مَعْنَى لَاهُوتِيّاً بغير صفة ولا زمان، وتوحيداً صمديّاً<sup>٢</sup> وعلماً محيطاً بغير نسيان، وقدساً ملكوتياً بغير نقصان، موجوداً من واحد، معبوداً قبل كل عابد... موجوداً في ذاته قبل وجود الواصلين، منزّه ذاته بذاته قبل تنزيه المنزهين، معبوداً في ذاته بذاته قبل عبادة العابدين، موحّداً في ذاته بذاته قبل توحيد الموحّدين، فلماً لم يكن سواه، ولا وجدان لعالم بمعناه، ولا عارفاً بمعجزات اقتداره إلاّ إيّاه، فاقتضت إرادته الفعّالة وحكمته التامة إظهار المخلوقات والموصوفات المصنوعات لتكون برهاناً على توحيده، ويستدلّ بها على وجوده، كما قال: الموجد للموجودات ليوجد...»

«فلماً كان من صفات الموجد إظهار الموجودات، ومن صفات الصانع إظهار المصنوعات، ومن صفات القادر إظهار القدرة، ومن صفات العالم إظهار العلم، ومن صفات الحكيم إظهار الحكمة. وكل موجود لا يُظهِرُ موجوداته فهو مجهول، وصانع لا يُظهِرُ مصنوعاته فهو مُهْمَل، ومن لم يقدر على إظهار قدرته فهو عاجز، وعالم لا يُظهِرُ علمه فهو جاهل، وحكيم لا يُظهِرُ حكمته فهو سفيه، وكان الباري سبحانه هو القديم والصانع الجدير والقادر القدير والعالم الخبير والحكيم البصير...»<sup>٣</sup>.

لقد اقتضت حكمة الله من الله إذن أن يظهر ويتجلى لكي يعرف على حقيقته، ويوحّده الموحّدون، ويعبده العابدون؛ ولكي يعرف العالم ذاته بذاته. فكما «أن الروح لا تُدرك إلاّ بالجسم، كذلك مولانا جلّ ذكره، بظاهر ناسوته، عرفنا بلاهوته، ومن حيث نحن. ومن صورنا خاطبنا، وإلاّ فما عرفناه، ولا أدركناه. فأظهر لنا صورته المرئية ومقامه البشرية»<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> ليس هو الاسم الحقيقي لله قبل ظهوره. الحقيقة أنّه لم يكن له اسم بعد.

<sup>٢</sup> التوحيد الصمدي هو غير المعروف، لأنّ الله لم يظهر ليعرف.

<sup>٣</sup> مختصر البيان في مجرى الزمان، ورقة ٣ ب - ٤ ب.

<sup>٤</sup> رسالة البلاغ والنهاية... ٩ / ٨٠.

ولو افترضنا أنّ الله لم يظهر بالصورة الإنسانيّة، وأراد للإنسان أن يعرفه كما هو بلاهوته، لاستحال ذلك على الإنسان نفسه، إذ ليس بمقدورٍ وعاءٍ صغيرٍ أن يسعَ أكبرَ منه، وليس بمقدورِ المخلوق أن يرتفعَ إلى مستوى الخالق، إن لم يمنّ عليه الخالق بما يناسب طبيعته. قالت الحكمة: «فبتقدير أحكامه امتنّ على خلقه بوجود صورته من جنس صورهم، فخطبتهم الصورة بالمألوف من أسمائهم، فأنست العقول إلى ظاهر صورته، واستدرجهم إلى معرفته، بلطف حكمته، امتناناً منه على خلقه. فبخفائه لعظيم قدرته تثبت الصنعة واستقرت. ولو انكشف لها معرفة مبدعها من غير تأنيسٍ ولا تدريجٍ لصعقت لقدرته وخرت. فسبحان مولانا الحاكم...»<sup>١</sup>.

بهذا أوجبت الحكمة الإلهية أن يتسمّى بأسماء البشر، ويتخذ صورتهم، ويعمل أعمالهم، ويتبنّى عجزهم ومرصهم وضعفهم وقرهم. تقول الحكمة: «فلما كانت العبيد عاجزين عن النظر إلى توحيد باريهم إلا من حيث هم، وفي صورهم البشريّة، أوجبت الحكمة والعدل أن يتسمّى بأسمائهم حتى يدركون بعض حقائقه...»<sup>٢</sup>.

ثم يوجز «الأمير السيّد» إمكانيّة معرفة الله الناجمة من ظهوره الإلهي في الصورة البشريّة بأربعة، فيقول: «والشواهد على المشافهة بهذه الأربعة: الهيئة، والأسماء، والمخاطبة، والأفعال»<sup>٣</sup>. وهو يعني بذلك أنّ الله اتخذ هيئة الإنسان، واسمه، وخطبه بكلام مسموع والتزم أفعاله؛ بهذه الأربعة استطاع الإنسان معرفة اللاهوت.



أمّا الغاية الثانية فهي رحمة الله بالإنسان. فلولا ظهور الله في صورة البشر لما شعر الإنسان قط بمحبّة الله له وبرأفته به. «فكما أنّ تجلّيه أعظم الرحمة، فإنكاره وجده أعظم السخط»<sup>٤</sup>. فلأجل هذه الرحمة الشاملة «أظهر (الله) لنا حجابيه (بصورة الحاكم) الذي هو محتجب فيه، ومقامه الذي ينطق منه، ليعبد موجوداً ظاهراً، رحمة منه لهم، ورأفة عليهم»<sup>٥</sup>.

هذه الرحمة الحاصلة من التجلّي هي مبادرة الهيئة، مجانيّة، لا فضل للإنسان فيها، ولا استحقاق، بل أفاضها الله عليه دون أن يكون له عليه أيّ حق. لقد «أسبغ (الله) عليكم نعمته

<sup>١</sup> رسالة الغيبة ٣٥ / ٢٥١.

<sup>٢</sup> السيرة المستقيمة ١٢ / ١٢٣.

<sup>٣</sup> الأمير السيّد التنوخي، تفسير رسالة كشف الحقائق، ص ٦٦٦.

<sup>٤</sup> مخطوط «تفسير رسالة كشف الحقائق» للأمير السيّد، ص ٦٦٣.

<sup>٥</sup> رسالة كشف الحقائق ١٣ / ١٤١ - ١٤٢.

بغير استحقاق تستحقونه عنده، ولا واجب لكم عليه، بل أنعم عليكم بلطفه، وقرّبكم منه برحمته، وباشركم في الصورة البشريّة، والمشافهة لكم بالوعيّة، لعلّكم تدركون بعض ناسوته الأنسيّة...»<sup>١</sup>.

ثم تستفيض «الحكمة» في أشكال رحمة الله بتجلّيه الإلهي، ويتقرّبه من الإنسان. فهي لطف لا حدود له، ورفق بالبشر، وطمأنينة لقلوبهم، وأنس لعقولهم، وشفقة بهم بالغة، واستدراج لهم لتقبله أفهامهم... بهذا يصبح في طاقتهم مقابلة اللاهوت.

تقول «الحكمة»: «تقرّب إلينا بنا، وأنس عقولنا بصورنا، وظهر لنا بجميع أفعالنا، لتقبله أفهامنا»<sup>٢</sup>. وتقول أيضاً:

«أظهر لنا الناسوت رفقاً بنا، واطمأننيّة لقلوبنا، لأنّ ليس في طاقتنا مقابلة اللاهوت»<sup>٣</sup>. وتقول أيضاً: «سبحان من أظهر حكمته، فأعجز بريته، الظاهر لنا بصورنا، تأنيساً لنا، واطمأننيّة لعقولنا، فخطبنا بنا، حكمة بالغة، وآية معجزة»<sup>٤</sup>. وتقول أيضاً: «أظهر لنا ناسوت صورته تأنيساً للصور، فحارّ فيها الفكر حين أفكر»<sup>٥</sup>. وأيضاً: «أظهر لنا فينا... أنسيّة لعقولنا، وشفقة منه علينا»<sup>٦</sup>. وبالنتيجة، إنّ الله هو «الظاهر لتأنيس الصور»<sup>٧</sup>.



لقد تعمّدنا نقل هذه النصوص لأهميّة الموضوع، وللتأكيد على عقيدة هي أساس الديانة الدرزيّة. وقد وعّاها الموحّدون، وتكلّموا عليها، وبحثوا فيها، وأقروا بأهميّتها. ورغم الحيطة المضروبة على الدرزيّة وعقائدها، نرى الدروز المعاصرين يكتبون عنها بصراحة ووضوح، فقال «سامي أبو شقرا» مثلاً: «إنّ الخالق الحقّ يتجلّى لعباده، تذكراً وتأنيساً، من دور لدور...»<sup>٨</sup>. ويستشهد بـ«رسائل الحكمة»، وهو من النوادر جدّاً في الكتب الدرزيّة الحديثّة، فيقول: قالت الرسائل: «ثمرة الكمال مشاهدة البارئ»، وتقول: «لا حجة لكم على الله لأنّه

<sup>١</sup> رسالة البلاغ والنهاية... ٧٥ / ٩.

<sup>٢</sup> كتاب فيه تقسيم العلوم... ٢٥٨ / ٣٦.

<sup>٣</sup> رسالة النساء الكبيرة ١٨ / ١٩٦.

<sup>٤</sup> نفس المرجع، ص ١٩٥.

<sup>٥</sup> رسالة الغيبة ٣٥ / ٢٥٠.

<sup>٦</sup> رسالة الانصاء ٢٤ / ٢١٩.

<sup>٧</sup> رسالة الغيبة ٣٥ / ٢٥٠.

<sup>٨</sup> مناقب الدروز في العقيدة والتاريخ، ص ١١، انظر ص ١٥.



عرفكم ذاته»، ثم تعيد: «لقد ظهر لهم وهم ليقع الإيمان به حقاً وصدقاً... أيضاً: «إن الله لا يحتجب عن خلقه، ولكن حجته عنهم أعمالهم»<sup>١</sup>.

ولكنّ مبدأ «التقيّة» والحذر يعود بأبي شقرا إلى الاحتراز ليفسر هذا التجلّي تفسيراً روحياً. فالله، بنظره، يُري الإنسان «ذاته رؤيةً روحيةً لا ماديةً»<sup>٢</sup>. وينكر، بالتالي، على تجلّي تجلّي الله أيّ نوع من أنواع التجسد المادي، فيقول: «إنّ الله لم يتلبس جسداً مادياً، ولا أثرياً، ولا ظلاً لجسد، إنّما كل كنهه»<sup>٣</sup>. ... نغني أنفسنا من التوقّف عند هذا الكلام لكثرة ما فيه من مغالطات عقائدية؛ ولكننا نشير فقط: ما معنى «تلبس جسداً؟ علماً بأنّ هذا التعبير غريبٌ كل الغرابة عن أسلوب الحكمة. وما معنى «كل كنهة»؟ فهل يقصد كل حقيقة اللاهوت ظهرت في صورة الناسوت! الله أعلم.

وكذلك هو الأمر عند السيّد كمال جنبلاط، فهو يقول بـ«بطلان الحلول والتجسد»، ويفسر: «أمّا الحلول أو التجسد، فلا يمكن لأحد السرمدي القائم الثابت أن يحلّ أو أن يتجسد في المتنوع الذي من طبيعته وابداعه التبدّل والتغيّر والزوال. هذا من منطق المحال»؛ ولكنه يعود ليقول بـ«التنزل والتجلّي»، ويفسر ذلك بالنسبة إلى الإنسان، لا بالنسبة إلى الله، ويقول: «يحصل ذلك (التجلّي) عندما المتحقّق الحكيم يتخلّص من تلك الأدميّة، فتفيض عليه الصفات الربّانية وتتجلّى فيه الأنوار الإلهية»... وهذا لا يكون «إلاّ عندما تموت هذه النفس الأنانيّة الفرديّة في الإنسان»... الخ<sup>٤</sup>. ثم يدعم نظريته بما استطاع من نصوص صوفيّة للمتصوّفين المسلمين دون ذكر نصّ من «الحكمة»<sup>٥</sup>.

ويختلط علينا الكلام عند الدكتور سامي مكارم، فهو يقول ويعترف بأنّ موضوع التجلّي، وهو موضوع يحتلّ في عقيدة التوحيد مركزاً مهماً إنّ لم نقل المركز الأهمّ. ويأخذ على السفير النجار معالجته له «في صفتين» فقط، في حين أنّه يحتاج «إلى كثير من التقصي العلمي والتعمّق في البحث». ويحيلنا الدكتور إلى أقوال صوفيّة لا حصر لها، دون ذكر نصّ واحد من «الحكمة»<sup>٦</sup>. ثم يأخذ على السفير قوله «بتأليه الأشخاص أو بالتجسد»، ويردّ عليه بنصوص «المسالك الصوفية العرفانية القديمة والحديثة»<sup>٧</sup>.

<sup>١</sup> نفس المرجع، ص ١٥.

<sup>٢</sup> نفس المرجع، ص ١٥.

<sup>٣</sup> نفس المرجع، ص ١٦.

<sup>٤</sup> مقدمة كمال جنبلاط على كتاب «أضواء على مسلك التوحيد»، ص ٣٣.

<sup>٥</sup> نفس المرجع، انظر ٣٣ - ٣٦...

<sup>٦</sup> أضواء على مسلك التوحيد... ص ١٢٧، ١٢٨، حتى ص ١٣٥.

<sup>٧</sup> نفس المرجع، ص ١٠٥ و ١٠٦.

ولكأنّ «فؤاد الأطرش» يردّ على الدكتور مكارم في قوله: «وقضية الألوهية هذه كقضية الإسراء والمعراج، لا يجدى بحثها ولا يضير من واقعها الاعتراف بها أو إنكارها... فالمنكرون لها كالمؤمنين بها، كلاهما صادق»<sup>١</sup>. وهو ردّ ذكي، فيه الكثير من الدهاء، وخاصة عندما ينبّهنا بقوله: «نكرر تأكيدنا أنّ ما نبثه في موضوع الألوهية (ألوهية الحاكم، وهو عنوان الفصل) هو بحث عام لا يمثّل رأى المذهب، كما أنّنا غير مكلفين لإجراء مثل هذا البحث»<sup>٢</sup>. ولكي يبرّر بحثه يسأل: «سؤال أخير في هذا الموضوع: هل يوجد في هذا العصر إله متجسّد على الأرض؟ نجيب: نعم يوجد...»<sup>٣</sup>.

وهكذا وبهذا الأسلوب يعالج الدروز عقيدتهم الأساسية. وهي معالجة لا تستحقّ منّا أي اهتمام، لأنها لا تعتمد النصوص إطلاقاً.



---

<sup>١</sup> الدروز، مؤامرات وتاريخ وحقائق، ص ٢٢١.  
<sup>٢</sup> نفس المرجع، ص ٢٢٧، ملاحظة ١ في ص ٢٢٦.  
<sup>٣</sup> نفس المرجع، ص ٢٣٠.

## الفصل الرابع

### «سفرُ التكوين» الدرزي وأدواره

- أولاً – دور العليّ الأعلى
- ثانياً – دور البارّ
- ثالثاً – أدوار الإعداد للكشف الحاكمي

## أولاً - دورُ العليِّ الأعلى

«كان البارى ولم يكن معه أحد، بلا بداية، ولا مكان، معنى لاهوتياً، بغير صفة ولا زمان... موجوداً في ذاته، قبل وجود الوجودين، منزّه ذاته بذاته... معبوداً في ذاته... موحداً في ذاته بذاته»<sup>١</sup>. لم يكن له اسم ليعرف به، ولم يكن له أيّ ظهور في الكون ليتعيّن فيه. لقد كان بحكم المجهول، لأنّ «كل موجود لا يظهر موجوداته فهو مجهول، وصانع لا يظهر مصنوعاته فهو مهمل»<sup>٢</sup>.

لهذا «دلّنا مذهب التوحيد دلالة صريحة صحيحة على أنّ التجلّي كان اثنين وسبعين دوراً. ظهر الله فيها لخلقه بصورتهم، لابطال حجتهم، بقولهم: إنّنا لا نعبد إلهاً لم نره قط. وهذه الأدوار نعرف عشرة منها، بعضها بالمكان والزمان، وبعضها بالمكان دون الزمان. أمّا الباقي من الأدوار فلا نعرف عنه شيئاً»<sup>٣</sup>. وهكذا فـ«الكشفات جميعها، من العليِّ إلى الحاكم اثنين وسبعين لا غير»<sup>٤</sup>.

كان أوّل ظهور إلهيّ في الكون باسم «العليِّ الأعلى»، وهو أطول أدوار الدنيا، وقاعدة الأدوار جميعها، «تجلّى حيث هي القدس»<sup>٥</sup>. عن هذا الدور الغارق في الماضي السحيق لا نعرف شيئاً كبيراً سوى أنّه كان «العقل» يحتلّ فيه منزلة «الإمام» الذي يعود إليه فضل كشفه. وكان اسم الفرقة الناجية «الموحدين»، واسم الضدّ «ابليس»، واسم الميثاق «الجنة»<sup>٦</sup>.

وقد أشارت إليه «الحكمة» عابراً، فقال حمزة: «اعلموا، أيّدكم المولى بطاعته: إن آدم الصفا الكلّي فهو نو معة<sup>٧</sup>، وقد خدم في دعوة التوحيد والعبادة لمولانا العليِّ الخبير، في الأعصار الماضية، قبل هذا الدور (الدور اللاحق) الذي لقّب فيه بآدم»<sup>٨</sup>. ومع هذا، ينكر «دو ساسي»، خطأ، وجود هذا الدور<sup>٩</sup>.

<sup>١</sup> مختصر البيان في مجرى الزمان، مخطوط رقم ١٤٤١، ورقة ٣ ب - ٤ أ.

<sup>٢</sup> نفس المرجع، ورقة ٤ أ.

<sup>٣</sup> توفيق سليمان، أضواء على تاريخ مذهب التوحيد، ص ٥٣ - ٥٤.

<sup>٤</sup> مخطوط المكتبة الوطنية بباريس، رقم ١٤٣٦، ورقة ٧ أ.

<sup>٥</sup> توفيق سليمان، نفس المرجع السابق، ص ٥٤.

<sup>٦</sup> كتاب الدرر المضية واللمع النوارنية... فصل «ع» باب «ل»...

<sup>٧</sup> سيأتي الكلام على هذه الألفاظ.

<sup>٨</sup> السيرة المستقيمة ١٢ / ١١٣.

<sup>٩</sup> انظر كتاب «سلفستر دو ساسي» المذكور (بالفرنسية) ج ١ ص ١٩.

واستمرّ دور العليّ مدّة تقدّر بـ ٣٤٣ مليون سنة، على حدّ قول حمزة: «... من وقت ابداعه العقل الكلّي إلى حين ظهور آدم الصفا وسجود الملائكة له، وهو تمام سبعين دوراً، بين كل دور ودور سبعون أسبوعاً، بين كل أسبوع وأسبوع سبعون عاماً؛ والعام ألف سنة ممّا تعدّون»<sup>١</sup>.

ومع ظهور الله في «العليّ» ظهرت «حدوده» وسائر العوالم كافّة.

## ١ - العقل الكلّي:

«وجد» العقل على الشكل الآتي: «لما كان «الباري» منفرداً بذاته، غنياً عن مخلوقاته، منزهاً عن صفات مصنوعاته، جعل للموجودات جميعها علّة وسبباً، يتنزّه به الباري عن مباشرة الابداع بذاته المقدسة. هذه العلّة هو العقل الكلّي»<sup>٢</sup>.

«جعله الباري غاية المبدعات، وعلّة الكائنات، ومدبّر جميع المخلوقات. فهو بكر القدرة، وحجاب العظمة، وقابل الوحي، وعالم المراد، وفريد السرّ، ومفيض الأمر، وبدعة النور، وخصيصة العلم، ووسيلة الرحمة، ومجري النعمة، وينبوع الحكمة، وإرادة المبدع، وصفيّ الباري. به انتظم الكون، وظهرت مراتب العلل، وكملت منازل الخلق. وهو مكوّن الأكوان، وإمام الأئمّة، ومسيح الأزمان»<sup>٣</sup>.

ظهر «العقل الكلّي، صلوات الله عليه، من نور الباري سبحانه فكان جوهرًا كاملاً، ونوراً صافياً، فعلاً فيما دونه من العلل والمعلولات، مفعولاً بتأييد العالّ سبحانه، قابلاً في جوهره كل شيء بالقوّة، متحرّكاً لطلب المادّة والزيادة، مخصوصاً في جوهره بالأسماء النورانيّة، كالارادة، والعلّة، والعقل، والسابق، والأمر، وذو معة، والابداع، والرّوح، والهادي، والوحي، والوسيلة»<sup>٤</sup> الخ...

والعقل منوع في ذاته «بالكمال، والقوّة، والفعل، والعلم، والاطّلاع، والتمييز، والاحاطة، والحفظ، والذكر، والنورانيّة، والشعشعانيّة، واللطافة، والصفاء، والضياء، والاشراق، والشفاف، والنبوّة، والهداية، والافادة، والزيادة، والطاعة، والثبات، والحياة،

<sup>١</sup> السيرة المستقيمة ١٢ / ١٣٤، كشف الحقائق ١٣ / ١٥١.

<sup>٢</sup> مختصر البيان في مجرى الزمان، ورقة ٤ ب. انظر أيضاً: «النقط والدوائر» ص ٣ - ١٣، والنجار «إمامة العقل في مذهب الموحدين»...

<sup>٣</sup> مختصر البيان... ورقة ٥ أ.

<sup>٤</sup> نفس المرجع، ورقة ٥ أ و ب.

والحركة، والبقاء، والأزليّة، والدوام، والزمان، والمكان، والحلول، والانتقال، بداية بلا نهاية، ودوام لا تدركه الغاية»<sup>١</sup>.

لقد خصّه الباري «بالصفات الشريفة: كالعلم، والنبوة، والاطلاع، والهداية، والدلالة، والرحمة، والحقيقة، والرّسليّة، والافادة، والسعادة، والوسيلة، والفضيلة، وما شاكل ذلك... وخصّه أيضاً بالأسماء الرّفيعة: كالإمام، والناطق، والرسول، والهادي، والداعي، والتدبير، والديان، والبرهان، والدال، والدليل، والحجّة، والنبى، والوليّ، والحقّ، والصدق، والشاهد، والمجازى، والمثيب، والمعاقب، وما شاكل ذلك... وخصّه أيضاً بالأمثال البديعة: كالشمس والبحر، والجبل، والسماء، والعلم، والصراط، والكتاب، والفتيق<sup>٢</sup>، والرئبال، واليعسوب، والقلم<sup>٣</sup>، والقاف<sup>٤</sup>، والألف بالابتداء، والألف بالانتهاء، وما شاكل ذلك»<sup>٥</sup>.



دعا العقل، في دور العليّ، إلى التوحيد، فاستجاب له قوم يُقال لهم «البنّ»، لأنّهم «بانوا عن المشركين»<sup>٦</sup>، وهؤلاء هم «الجنّ» الذين «كانوا يعبدون العدم»<sup>٧</sup>.

هذا العقل كان «علّة العلل» و «سبب الأسباب»، في حين أن العليّ هو «معلّ علّة العلل» ومسبّب الأسباب. «بالعقل كوّنّت جميع الكائنات، فكان «به تكوينهم، لقوله: «أنّما أمره، إذا أراد شيئاً، أن يقول له كن. فيكون»<sup>٨</sup>، هو «أصل نقطة البيكار»<sup>٩</sup>، «مدروك محسوس، يأكل ويشرب»<sup>١٠</sup>، عكس «العليّ» الذي لا يدرك. وهو غاية الموجودات، قال له العليّ: «لا دخل أحد جنّتي، أي ميثاقي، إلّا بك ومحبتك، ولا احترق بناري، يعني ظاهر الشرائع الناموسيّة، ... أحد إلّا بتخلّفهم عنك ونفاقهم عليك. من أطاعك فقد أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني...»<sup>١١</sup>.



<sup>١</sup> مختصر البيان... ورقة ٥ ب.

<sup>٢</sup> الفتيق «ظاهره فحل الجمال المكرّم، وحقيقته إمام الزمان» (الدرر).

<sup>٣</sup> من القرآن: «اقرأ وربّك الأكرم، الذي علّم بالقلم» (سورة القلم ٤).

<sup>٤</sup> سورة «ق» في القرآن رقم ٥٠ آية ١.

<sup>٥</sup> مختصر البيان... ورقة ٢٤ أ.

<sup>٦</sup> السيرة المستقيمة ١٢ / ١١٤.

<sup>٧</sup> نفس المرجع، ١٢ / ١١٣.

<sup>٨</sup> كشف الحقائق، ١٣ / ١٣٢، مستشهادة بسورة يس ٣٦ / ٨٢.

<sup>٩</sup> كشف الحقائق، ١٣ / ١٣٢، انظر كتاب «النقط والدوائر».

<sup>١٠</sup> كشف الحقائق، ١٣ / ١٣٢.

<sup>١١</sup> نفس المرجع. انظر ص ١٣٢ - ١٣٣، ١٤٠، ٣٩ / ٢٨٢ الخ...

يجب أن نعرف إنه ليس في مجموعة «رسائل الحكمة» والشروحات عليها أوسع من الكلام على العقل ودوره وصفاته. وقد تكون كلها في تمجيده، وعرافان جميله، والاعتراف بفضله، ومعرفة دوره في كشف التوحيد، عبر جميع الأدوار... هذا العقل قد ظهر، بأشكال وأسماء مختلفة، في الكشوفات اللاحقة جميعها. سيظهر باسم «آدم الصفا» وباسم «حمزة» في دور الحاكم...

## ٢ - الضد:

كان جوهر العقل قابلاً للطاعة والمعصية قبولاً متساوياً: شاهد العقل وجود العلي، وأوراه العلي ذاته المقدسة، وتقرب إليه بالأنسيّة، وقال له: «أقبل»، فأقبل على توحيد العليّ اقبالاً كلياً، ثم قال له: أدبر، أي تولّ عن جميع من يُشرك بي غيري ويعبد سواي، فعلم العقل بوجود قوم عصاة يُشركون بالعليّ ويعبدون سواه<sup>١</sup>.

ثم تحرك جوهر العقل نحو مبدعه فتولّد من تلك الحركة الحرارة، وهي الطاعة؛ ولما سكن في توحيد مبدعه واستقرّ باطمأنينة اليقين، فتولّد من ذلك السكون برودة، وهي المعصية. وعندما سكن العقل مطمئناً إلى ذاته، ونظر إلى نفسه بعين الفردانية والعظمة، ورأى ذاته بلا نظير يشاكله، ولا ضدّ يقاومه، ولا ندّ يُعادلُه... تولّد من هذه النظرة إلى الذات الضدّ اللعين.

لقد وُجِدَ الضدّ إذن من «اعجاب» العقل بنفسه، وظهر منه بغير مُرادِه، كرهماً منه. وفي ذلك بيان قدرة العليّ الذي يَخْلُقُ من النور المحض ظلمة محضة... إلا أن العليّ أمرَ الضدّ بطاعة العقل، فأبى وخاصم ونازع وتكبر، وطلب الرئاسة على العقل... وعلم العقل أنّها محنة ابتلاه بها العليّ، أي اختبره بها لما نظر إلى ذاته وأعجب بنفسه، فأقرّ عند ذلك بالعجز والضعف، واستغفر من العليّ عن ذنبيه، وتضرّع إلى مولانا العليّ الأعلى ليُوجِدَ له «معيناً» على الضدّ المُخالف: فَخَلَقَ له «النفس».

## ٣ - النفس:

<sup>١</sup> انظر مختصر البيان... ورقة ٨ - ١٢ ب.

جعل العليّ للعقلِ اذن «مُعِيناً» على الضدِّ، لما أظهره في سؤاله من حُسْنِ التوكُّلِ السادق، والتضرُّعِ الصحيح، والشوقِ الشديد، والاقرارِ بالعجزِ، والاستغفارِ عن الذنبِ... وهكذا صار الضدُّ سبباً لخلقِ المُعِينِ الذي هو «النفْسُ الكليَّة»، صلَّى اللهُ عليه. وكان وجودُ النفسِ من بين نورِ العقلِ وظلمةِ الضدِّ، لأنَّ العقلَ والُضدَّ سَبَقَا في الابداع. ومعنى ذلك: إنَّ الباري حرَّكَ جوهرَي النورِ والظلمةِ حتى لَقَّحَ بعضُها ببعض، فظهر منها جوهرٌ ثالثٌ، وهو النفس.

ولكن الغالبَ في النفسِ من نورِ العقلِ، لأنَّ العقلَ طلبَه واشتاقَ إليه، فكان انجذابه إلى العقلِ أكثر؛ لذلك أُفيضَ عليه من نورِ العقلِ الجزءُ الكبير، ومن ظلمةِ الضدِّ النزرُ اليسير. وأمرَ العليُّ سبحانه النفسَ بطاعةِ العقلِ، وعرفه أنه الواسطةُ الكليَّة، والوسيلةُ إلى الرحمةِ الأزليَّة، والمنفردَ بالدرجةِ العليَّة، فأقبلَ النفسُ على طاعةِ العقلِ، وجعله العقلُ «خليفته»، و«ذا مصته»، لأنَّه امتصَّ العلمَ منه، وتالياً لخدمته، سامعاً له، مطيعاً لأمره<sup>١</sup>.

#### ٤ - الأساس:

لما قام العقلُ خَلْفَ الضدِّ وقامَ النفسُ قُدَّامَه، راغَ الضدُّ عنهما يميناً وشمالاً، واحتاجَ «مُعِيناً» له عليهما، فوجدَ «المعِينُ المؤلِّفُ»، أي «الأساس»، وهو الضدُّ الآخرُ للنفس. «وسمِّي مؤلِّفٌ لأنَّه يُؤلِّفُ الضدَّ على جميعِ مفاسده»<sup>٢</sup>. ... وبذلك أصبحت «حالةُ الازدواجِ في كلِّ شيءٍ ما بين نورٍ وظلمة، وطاعةٍ ومعصية، وطائعٍ وعاصي، ومعينٍ على الطاعةِ ومعينٍ على المعصية، وهدايةٍ وضلالٍ، ونقصٍ وكمال، ودعوةٍ توحيديةٍ ودعوةٍ تليديَّة، ونفوسٍ باقيةٍ وأجسادٍ فانية، وفرائضَ توحيديةٍ ودعائمَ تكليفيةٍ، ودورٍ كشفٍ ودورٍ ستر...»<sup>٣</sup>. هذا الازدواجِ هو سببُ وجودِ الخيرِ والشرِّ في العالم.

#### ٥ - الكلمة:

<sup>١</sup> انظر مختصر البيان... ورقة ١٠ أ وما يلي.

<sup>٢</sup> مختصر البيان... ورقة ١٠ ب.

<sup>٣</sup> نفس المرجع، ورقة ١٥ أ و ب.



واحتاج النفس، كما احتاج قلبه العقل، إلى مُعينٍ على الأساس. فكان «الكلمة». وهذا معنى قول الحكمة: «احتاج العقل إلى مُعين يكون له على يمينه (أي يمين الضد)، واحتاج النفس إلى معين يكون له على شماله (أي شمال الضد) لينحصر الضد بينهم»<sup>١</sup>، فظهر الكلمة الأزليّة. والغالب فيه نورُ العقل والنفس أكثرُ من ظلمة الضدّ والأساس. وكان الكلمة، بسبب كثرة نوره، طائعاً للعقل والنفس، وقابلاً أوامرهما، وممثلاً لأمر العليّ الأعلى<sup>٢</sup>.

## ٦ - السابق:

ثم انفعَل جوهر الكلمة بالحركات التأييديّة المتّصلة إليه من العلل الروحانيّة السابقين له في الإبداع، أعنى العقل وال ضدّ والنفس والأساس، فظهر من الكلمة جوهر «السابق» قابلاً أيضاً للخير والشرّ قبولاً متساوياً، وفيه من النور الجزء الكبير، ومن الظلمة النزر اليسير، فشهد وجود العليّ أيضاً، وعرفه وأطاعه، واهتدى بهداية مَنْ فوقه، وهم العقل والنفس والكلمة، وأطاعهم كما أمره باريه<sup>٣</sup>.

## ٧ - التالي:

ثم انفعَل جوهر السابق بحركات العلل الروحانيّة التي فوقه، المتحركة بتأييد العليّ، فظهر من جوهره الشريف جوهر «التالي» الذي هو العلة الأخيرة. فكان أيضاً عنده قبول الخير والشرّ قبولاً متساوياً... وبهذا ثبت عدلُ الله في خلقه. وفي التالي الجزء الكبير من النور والنزر اليسير من الظلمة، لموجب الاختصاص الربّاني...<sup>٤</sup>.

هذه الجواهر السبعة هم «أرواح مجردة، قبل حلولهم في الأجسام البشرية. ولم يكن من جميع الكائنات موجود إلاّ هذه الجواهر الخمسة، وجوهر الضدّ والأساس»<sup>٥</sup>، وهي جميعها علة جميع الكائنات. خمسة منها هي علة كل خير، واثنان سبب كل شرّ وفساد في الدنيا.

<sup>١</sup> نفس المرجع، ورقة ١٤ ب، كشف الحقائق ١٣ / ١٣٥ - ١٣٦.

<sup>٢</sup> مختصر البيان... ورقة ١٧ أ - ١٨ أ.

<sup>٣</sup> نفس المرجع، ورقة ١٨ أ.

<sup>٤</sup> نفس المرجع، ورقة ١٨ أ - ب.

<sup>٥</sup> نفس المرجع، ورقة ١٨ ب، وما يلي.

وليس للعليّ الأعلى، بعد أن أوجدها، أية مداخلة في الكون، لقد فوّض إلى العقل كل شيء، وتعاون العقل مع سائر «الحدود» فكان منهم عالمان: عالم الخصيصة، وعالم المساواة.

أما عالم الخصيصة فهم حروف السدق<sup>١</sup> وحروف الكذب<sup>٢</sup>. والغالب في حروف السدق من نور العقل على قدر درجاتهم الأعلى بالأعلى. وأما حروف الكذب ففيهم من ظلمة الضدّ الجزء الكبير. حروف السدق موجودون في أشخاص كاملة، يرشدون الخلائق إلى معرفة الخالق، ويعرّفونهم الحلال والحرام، ويحذرونهم من الخطايا والأثام، ويفيضون عليهم العلوم والمعارف الروحانيّة والجسمانيّة، ويأخذون عليهم العهود، ويجرون فيهم الأمر والنهي، ويبسطون لهم الوعد والوعيد... والمطلوب من الخلق معرفة السبعين حدّاً من أذرع السلسلة<sup>٣</sup>... أما حروف الكذب الأربعة والعشرين فهم يقومون بالمضادّة، ويزيّنون للخلق الزخرف والمحال، ويسقونهم من عين الضلال، ويشيرون إلى العدم<sup>٤</sup>. ولكن ليس لحروف الكذب شريعة ظاهرة<sup>٥</sup>، ولا دعوة قائمة في دورا العليّ هذا<sup>٦</sup>.

أما عالم المساواة فهي النفوس الناطقة جميعها، وهي درجتان: درجة الذكوريّة، ودرجة الأنوثيّة. والنور والظلمة فيه سواء. برزت جميعها من جوهر «التالي» صوراً منفصلة الذوات، متّصلة الموادّ بعقلها، منفعة بها. وهي أرواح مجردة بغير أجسام ولا زمان ولا مكان ولا صفة جسمانيّة ولا عيان. بل هي صور روحانيّة، معدودة الكميّة، محدودة بجهاتها، مستقرّة في أماكنها، غارقة في بحر عظمة اللاهوت. ولما حلّت النفوس الناطقة بالأبدان، بفعل عوامل طبيعيّة وكواكبية، مدّهم العليّ بالخيرات والبركات وسرعة التعليم للنطق باللغات ومعرفة أصناف البلاغات واكتساب الصناعات ودرك الحسابات...<sup>٧</sup>.



<sup>١</sup> السدق تُكتب بالسين، وكذلك كل مشتقاتها، وذلك حتى يناسب مجموع حروفها، في حساب الجمل، ١٦٤ حدّاً، لأن: س = ٦٠، د = ٤، ق = ١٠٠.

<sup>٢</sup> الكذب في حساب الجمل مجموعته: ٢٦، لان: ك = ٢٠، د = ٤، ب = ٢. اثنان منهم يرمزان إلى الناطق وأساسه، والباقون أولادهما في الشرّ.

<sup>٣</sup> من سورة الحاقة ٦٩ / ٣٣ «ثم في سلسلة ذرعتها سبعون ذراعاً»، انظر تفسيرها ومعناها في رسالة كشف الحقائق ١٣ / ١٣٧ - ١٣٨...

<sup>٤</sup> «العدم» هو نكران الله أو عدم الإيمان به «ظاهراً» و «متجلبياً»...

<sup>٥</sup> الشريعة الظاهرة لم تبتدئ إلا في الدور التالي لهذا الدور.

<sup>٦</sup> انظر: مختصر البيان... ورقة ٢٠ أ - ب، ٢٤ ب - ٢٥ ب.

<sup>٧</sup> نفس المرجع، ورقة ٢٠ ب - ٢٣ ب...

لقد استمرّ دور العليّ الأعلى في الصورة الناسوتية مدّة طويلة جداً، لأنّ الخلائق كانت في ضعف بالغ، ممّا احتاجت فيه إلى طول مدّة التجليّ لينتبين الخير من الشرير والطائع من العاصي والثابت من المرتدّ...

وفي هذا الدور انقسمت الخلائق قسمين: قسم للجنة وقسم للنار. القسم الأوّل هو فريق الهدى، والثاني هو فريق الضلال. بقي الأوّل على هدايته من البداية حتى يوم القيامة، وكذلك الثاني. وما تكرّرُ الكشوفات الربّانية إلاّ لثبوت الحجة على كل منهم وقطع المعاذير من جميع الخلق.

وكانت الخلائق في دور العليّ معروفة باسم: الطمّ والرّمّ والحنّ والجنّ، وكان فيهم شرائع غير مدوّنة في كتاب، واستمرت مدّتهم، كما قلنا، ٣٤٣ مليون سنة... وفي نهايتها، أي في دور الجنّ، غاب «مقام العليّ الأعلى»، وغاب لغيبته صفيه العقل، ثم النفس، ثم سائر الحدود، ثم بقيّة حروف السدق. وفي آخر شريعة الجنّ حيث كان «أهل الحقّ» الموحدون ساكنين مستورين ظهر مقام الباري تعالى... وظهرت معه جميع الحدود، وأظهروا معهم دعوة التوحيد من جديد. وعاد الأمر كما بدا.



ولكن يبدو لنا أنّ هناك، في الكتب الدرزية، نقصاً وتناقضاً، فيما يخصّ المرحلة الممتدّة بين دور العليّ ودور البارّ أو الباري، وقد وعدنا حمزة في كشفها دون أن يحقّق وعدّه، وذلك عندما قال في «كشف الحقائق»: «وسنذكر لكم، في غير هذا الكتاب، أسماء مولانا سبحانه التي سمى بها ناسوته وتظاهر به للعالم من وقت ابداعه العقل الكلّي إلى حين ظهور آدم الصفاء (في دور البار)»<sup>١</sup>.

لهذا سيكون دور البارّ هو الدور الواحد والستون، فيكون إذن أدوار عديدة في المدّة الطويلة بين دور العليّ ودور البارّ.



<sup>١</sup>كشف الحقائق ١٣ / ١٤٣.

## ثانياً - دَوْرُ الْبَارِّ

ظهر «البارّ» أو «الباري» في آخر شريعة «الجنّ». وكان أهل الحق ساكنين في تأويل شريعة الجنّ. وظهر، لظهوره، العقل في «آدم الصفا الكلي» أو «شطنيل» الذي دعا إلى التوحيد في شريعة الجنّ، فاستجاب له قوم يُدعون بـ«البنّ»، وهم الذين «بانوا عن المشركين»<sup>١</sup>.

لقد ظهر البارّ في هَجَرَ<sup>٢</sup>، من قول أحد الموحّدين لأخيه: «اهجُر إبليسَ وحزبَه». فيقول: قد هجرته. فبذلك تُسمّى مدينة صُرُنَّة (في بلاد اليمن) هَجَرًا<sup>٣</sup>. والبارّ لَفْظٌ فارسيٌّ من «بَارْخُدَاي» ومعناه «الإله الأعظم أو إله الآلهة»<sup>٤</sup>.

وكان أصل ولادة «آدم الصفا» ببلاد الهند، بمدينة يقال لها أَدْمِينِيَّة. خرج من بلده إلى أن وصل إلى بلاد اليمن على مدينة صُرُنَّة، ومعناها المعجزة<sup>٥</sup>، حيث ظهر البارّ. ومن صِرْنَة أَطْلَقَ «شطنيل» الدعاة الاثني عشر، وبشّر بالدعوة التوحيدية، فلقّب بأبي البشر، «لأنّ البشرَ ههنا هم الموحّدون، لأنهم بُشّروا بآدم، وقبِلوا منه التوحيد. فصار أبوهم في الدين»<sup>٦</sup>.

وينكر حمزة على اليهود والمسلمين الذين يقولون بولادة آدم الصفا من التراب، أو إنّه «بلا أب ولا أم»، أو يكون اسمه من «آدم الأرض، أي وجه الأرض»، أو «لأنّه مغبّر اللون»<sup>٧</sup>... بل إنّ البارّي خلقه من أجلّ الأشياء وأعزّها...<sup>٨</sup>

ثم ظهر «الضدّ» الذي هو إبليس باسم «حَارَت بن تَرْمَاح» وكان أصله من مدينة أصبهان، وهو ساكن في المعجزة. «ولم يكن في ذلك الوقت إمام ظاهرًا الا «شطنيل». وقد أمر مولانا البارّ الملائكة، وهم الدعاة، بأن يسجدوا لشطنيل، أي يُطيعوه. فأطاع جميعهم، غير حارت، فإنّه أبى واستكبر، ونظر إلى شطنيل وقال: «أنا خيرٌ منه، أي أعلى منه منزلة، فأخْرَجَ من الجنّة، أي من الدعوة، وأسقطَ من جملة الحدود»<sup>٨</sup>.

<sup>١</sup> السيرة المستقيمة ١٢ / ١١٤.

<sup>٢</sup> توفيق سليمان، أضواء على تاريخ مذهب التوحيد، ص ٥٤.

<sup>٣</sup> السيرة المستقيمة ١٢ / ١١٥.

<sup>٤</sup> نفس المرجع، ١٢ / ١١٨.

<sup>٥</sup> نفس المرجع، ١٢ / ١١٤.

<sup>٦</sup> السيرة المستقيمة ١٢ / ١١٥.

<sup>٧</sup> نفس المرجع، ١٢ / ١١٣.

<sup>٨</sup> نفس المرجع، ١٢ / ١١٤.

ثم ظهر «النفس» بصورة «أخنوخ» أو «آدم الثاني الذي نطق به القرآن أنه عصى ربه<sup>١</sup> فسمي لذلك بـ«آدم العاصي»<sup>٢</sup>، وهو حجة آدم الصفا. ولقب بـ«حوًا» لأنها احتوت على جميع المؤمنين. وقيل إنها أم البشر، لأنها منصوبة لرضاعتهم بالعلم الحقيقي وتربيتهم وترقيتهم من درجة إلى درجة إلى أن يبلغوا حدّ البلاغ»<sup>٣</sup>.

ثم ظهر «الكلمة» بصورة «شرخ» أو آدم الثالث أو «آدم الناسي الذي قيل إنه نسي ربه ولم يجد له عزماً». ظهر بمدينة سرّماناً. ولما التقى به شظنيل، وأخذ عليه العهد، قال له: «أريد أن أجعلك أساساً لحدودي». فقال له شرخ: «إن شئت أنت شئت أنا. فسماه شيتاً».

إلا أن أخنوخ وشرخ أصغيا إلى حيلة الشيطان، وهو «الهبّال معاون حارت»<sup>٤</sup>، ونسي ونسي شرخ ما أخذ عليه من العهد، وادّعى منزلة شظنيل، فبدت سؤاتهما، وأسقطا من المنزلة التي كانا فيها. فأقاما سنين يبكيان على ما فعلا ويسألان الإمام شظنيل العفو والمغفرة، فرحمهما شظنيل وسأل البار أن يعفو عنهما، فعفا عنهما. وهذا معنى ما جاء في القرآن: «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه»<sup>٥</sup>، وردّهما إلى المنزلة التي كانا فيها وقربهما إليه<sup>٦</sup>.

ثم بثّ آدم الكلي دعائه وحججه الاثني عشر في جميع البلاد، وكان منهم رجل يدعى «صرصر» راح يبشر بالتوحيد في الاحساء، وأخذ العهد على خلق كثير. وكان منهم القرامطة... إلا أن هؤلاء بدّلوا في الدين وارتدوا وأضاعوا التوحيد، وأتبعوا شهوات بني العباس... ولا بدّ يوماً من رجوعهم إلى ما كانوا عليه «حتى لا يبقى بالحرّمين مشرك ولا كافر ولا منافق»<sup>٧</sup>.

واستمرّ التوحيد مكشوفاً في دور البارّ مدّة طويلة، إلى أن غاب مقام البار، وغاب لغيبته صفيّه شظنيل، وتخلّف بعده أخنوخ، وقام شرح بالدعوة الروحانية يدعو إلى توحيد البار، ودام الموحدون على حالهم، ودام باب الدعوة مفتوحاً حوالي ألف سنة، حتى تغيّرت أحوالهم، ومالوا إلى المشركين، فغضب عليهم البار، وأظهر لهم الشرائع الناموسية التكليفية، الواحدة بعد الأخرى، كما يلي:

<sup>١</sup> سورة طه ٢٠ / ١٢١.

<sup>٢</sup> السيرة المستقيمة ١٢ / ١١٢.

<sup>٣</sup> نفس المرجع، ١٢ / ١١٥.

<sup>٤</sup> سورة طه ٢٠ / ١١٥.

<sup>٥</sup> مختصر البيان في مجرى الزمان، ورقة ٣٨ ب.

<sup>٦</sup> سورة البقرة ٢ / ٢٧.

<sup>٧</sup> السيرة المستقيمة ١٢ / ١١٩.

<sup>٨</sup> نفس المرجع ١٢ / ١١٦.

## ١ - شريعة نوح:

هو نوح بن لَمَك. كان أول من قام بشريعة، ونهى عن طاعة آدم، وأشار إلى العدم، وإلى نفسه. وكان أساسه «سام» واثنا عشر حجة بين يديه. فدخل أهل الحق (الموحدون) قاطبة في شريعته، وكانت قوتهم في معرفة التوحيد ضعيفة جداً بمثابة قوّة الولد وهو مكمّن الأب<sup>١</sup>.

## ٢ - شريعة إبراهيم:

وهو إبراهيم بن آزر، وأساسه إسمعيل. دخل أهل الحق في شريعته، ثم في شريعة أساسه التأويلية، وصارت قوتهم في معرفة التوحيد بمثابة العلقّة من الجنين. وظهر في أيامه من الصالحين إسحق ويعقوب ويوسف وغيرهم من حروف السدق<sup>٢</sup>.

## ٣ - شريعة موسى:

وهو موسى بن عمران، وأساسه هارون، ثم يشوع بن نون. دخل أهل الحق في شريعتهم، وصارت قوتهم في معرفة التوحيد كمبلغ المضعّة من خلق الإنسان. وظهر في زمانهم من الأنبياء الصالحين أشعيا وأرميا وحزقيال ومخائيل ودانيال وداوود وسليمان وأملخا وشعيب وأيوب... ومن الحكماء الفاضلين فوثاغورس وأفلاطون وأرسطاطاليس، وغيرهم<sup>٣</sup>.

## ٤ - شريعة عيسى:

هو عيسى بن يوسف، أساسه شمعون الصفا، وحججه الحواريون الاثنا عشر. انتقل أهل الحق إلى شريعتها، وكانت قوتهم في معرفة التوحيد كمبلغ العظم من خلق الإنسان.

<sup>١</sup> انظر: ١٢ / ١٢٠، ٣٦ / ٢٦٣، مختصر البيان... ورقة ٤٢ - ٤٣.

<sup>٢</sup> نفس المراجع...

<sup>٣</sup> انظر: ١٢ / ١٢٠، ٣٦ / ٢٦٣، مختصر البيان، ورقة ٤٤ أ.

ظهر في زمانهم أنبياء صالحون أمثال «السيد المسيح» الذي هو «يسوع» عليه السلام<sup>١</sup>، وأصحاب الأنجيل الأربعة: يحنّا ومثّا ومرقص ولوقا، سلام الله عليهم. هؤلاء كانوا يفيضون الوحي إلى عيسى، ويُدعون الحقائق التوحيدية في شريعته<sup>٢</sup>.

## ٥ - شريعة محمد بن عبد الله:

وهو النبي محمد، وأساسه علي بن أبي طالب<sup>٣</sup>. قام محمد بشريعة الإسلام. ودخل أهل الحق قاطبة في شريعته. وكان سلمان الفارسي<sup>٤</sup> «يمدُّ» محمدًا، ويفيض الوحي عليه. ولما قام علي بن أبي طالب بالتأويل دخل أهل الحق في تأويله، واستمروا عنده حتى انقضت مدة سبعة أئمة بعده، وهم من ذريته: الحسن والحسين وعلي زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق وإسماعيل<sup>٥</sup>.

وكانت شريعتا محمد وعلي أقوى الشرائع، لأن محمدًا ظهر بسيفه، وقام على العالمين بعنفه، ونسخ جميع الشرائع كافة بشريعته، وهدم بنيانهم ببنيته، وبذل دعواتهم بدعوته... وبذل في الناس السيف، وسبى ذراريهم وأولادهم، وأباعهم في الأسواق والشوارع<sup>٦</sup>.

## ٦ - شريعة محمد بن إسماعيل:

هو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق... بن علي بن أبي طالب. ختم الشرائع وأتمها، أي لا يكون بعد شريعته شريعة تكليفية. وكان له «أساس قائم بدعوة باطنة ولم نعلم اسمه»<sup>٧</sup>. وهو كالنطقاء أو الأنبياء السابقين، ولكنه لم يكن له «العزم» ليكون له كتاب أمثالهم. ولقوة شريعة النبي محمد وعظم تكاليفها استغرقت شريعة محمد بن إسماعيل، وأخفت كتبها، حتى لم تُعرف عندنا. ولقوة شريعة علي بن أبي طالب التأويلية الباطنة استغرقت أيضاً تأويل

<sup>١</sup> منذ الآن يجب أن نلاحظ الفرق والتمييز بين عيسى ويسوع...

<sup>٢</sup> انظر: ١٢ / ١٢١، ٣٦ / ٢٦٣، مختصر البيان، ورقة ٤٤ أ و ب.

<sup>٣</sup> يُسمّى علي بن أبي طالب بعض المرات بعلي بن عبد مناف. كلاهما واحد.

<sup>٤</sup> سلمان الفارسي أحد الصحابة الأوائل للنبي محمد. سيرته معروفة.

<sup>٥</sup> هؤلاء الأئمة، مع علي بن أبي طالب يؤلفون الأئمة الإسماعيلية.

<sup>٦</sup> انظر: ١٢ / ١٢١، ٣٦ / ٢٦٤، مختصر البيان، ب - ٤٤ ب - ٤٦ ب.

<sup>٧</sup> مختصر البيان، ورقة ٤٦ ب.

أساس محمد بن إسماعيل. لذلك بقي أهل الحق على شريعة النبي محمد وشريعة أساسه علي. وكان مبلغ عقولهم في معرفة التوحيد كمبلغ العظم إذا كُسي لحماً وصار صورةً مخطّطةً مشخّصةً بلا روح من الإنسان الحي الناطق<sup>١</sup>.



ثم تختلف المراجع الدرزيّة في شأن الناطق السابع. فمنها من يعتبر «سعيد المهدي»، وهو «عبيد الله المهدي» مؤسس الدولة الفاطميّة، ناطقاً سابقاً، وأساسه «ميمون القداح». ولكنهما لم يكن لهما العزم لوضع شريعة تكليفية، فبقي أهل الحق مستورين في شريعتي النبي محمد وأساسه علي بن أبي طالب... ومنها من يعتبر «آدم الناسي» ناطقاً سبق بشريعته جميع النطقاء اللاحقين... فيكتمل بذلك عدد النطقاء السبعة، على حدّ قول «الحكمة»: «وكل شيء إذا بلغ سبعة انتهى ووجب تغييره وحدث غيره»<sup>٢</sup>.

بيد أنّ رسالتي الحكمة: «السيرة المستقيمة» و «تقسيم العلوم» لا تذكر «سعيد المهدي» كناطق سابق، في حين أنّ شروحات الحكمة، أمثال «مختصر البيان في مجرى الزمان» تكمل العدد سبعة بسعيد المهدي هذا. والذي نعلمه أنّ اعتبارنا لسعيد ناطقاً أو غير ناطق لا يضير «الحكمة» بشيء....

وبهذا الغموض ينتهي دور البارّ. ولنا عودة إلى الشرائع التي أغرقت «التوحيد» بظلام دامس، في فصول تابعة، لأنّها كانت عليه شرّاً.



<sup>١</sup> انظر ١٢ / ١٢٢، ٣٦ / ٢٦٤، مختصر البيان، ورقة ٤٦ ب - ٤٨ أ.  
<sup>٢</sup> الجزء الأول من سبعة أجزاء ٤١ / ٣١٨.



## ثالثاً - أدوارُ الأعداد للكشف الحَاكَمِي

### ١ - دور أبي زكريّا:

لمّا قرب الفرج وهجم زمان الكشف الأخير (في دور الحاكم) أوجبت الحكمة ظهور مقام أبي زكريّا في وقت الإمام الثالث للإسماعيليين أحمد بن محمد بن إسماعيل<sup>١</sup> وفي صورته البشرية<sup>٢</sup>، أي إنّ أبا زكريّا هو نفسه أحمد بن محمد الملقّب بـ«أحمد الرضى» الذي اضطهده المأمون الخليفة العباسي، وفنك بعامة أسرته، حتى اضطّر إلى النزوح عن الأهواز، حيث كان متخفياً تحت أسماء عديدة وأزياء مختلفة، واستقرّ في تدمر سنة ١٩٣ هـ.

وبعد اشتداد الاضطهاد، ترك أبو زكريّا تدمر إلى سلمية ما بين حمص وحماه. في أيامه ظهر أخوان الصفاء برسائلهم السريّة، وبدعوتهم الباطنية، وهم عند الدروز «رعيل من أهل التوحيد الأول... الذين كانوا يشرحون شرحاً يستمدونه من الإمام أحمد»<sup>٣</sup>. وكان حجّته في الدين عبد الله بن أحمد بن ميمون القداح<sup>٤</sup>.

ظهر العقل الكليّ في دور أبي زكريّا بصورة أسماها المولى قارون، وكان قارون عجمياً. وظهر النفس بصورة «أبي سعيد الملطي أمّا سائر الحدود فلا نعلم عنها شيئاً نظراً لتخفيهم وكثرة الاضطهادات عليهم، ولذلك لم يكن لأبي زكريّا ملك في الدنيا. إلاّ أنّه يذكر له من المعجزات أنّه سُجن يوماً وُقيدَ بسلاسل حديدية وأُقلّ عليه. ولمّا جاء السجان في الغد لم يجده، ورأى الحبس على هيئته لم تتغيّر، ووجد القيد مقفولاً لم يُفتح»<sup>٥</sup>.

### ٢ - دور العليّ:

هو الحسين بن أحمد بن محمد بن إسماعيل، كُنّي بالحسين الوفيّ ولقّب بـ«العليّ»، وهو غير اسم المقام الأوّل الذي رأيناه باسم «العليّ الأعلى». لم يبق لشيعة الحسين من القوة

<sup>١</sup> هو الثالث من الائمة المستورين.

<sup>٢</sup> تقسيم العلوم، ٣٦ / ٢٦٦.

<sup>٣</sup> سليم أبو إسماعيل، الدروز، وجودهم ومذهبيهم وتوطنهم... ١ / ١١٩.

<sup>٤</sup> أمين طليح، أصل الموحدين، ص ٤٤ - ٤٥.

<sup>٥</sup> مختصر البيان في مجرى الزمان، ورقة ٤٨ ب - ٥٠ أ، ٥١ ب.

ما يمكنها من المقاومة الفعلية، فعمد الحسين إلى تنظيمات سرية أتقن أمر إدارتها اتقاناً يعادل شدة الضغط عليه. اتخذ من العلم سلاحاً وامتحن التجارة وأثرى منها ثراءً كبيراً بالإضافة إلى وارداته من المؤمنين بدعوته<sup>٢</sup>.

اتخذ عبد الله القداح مستودعاً له، وأقامه حجةً ظاهرةً لدعوته. أما معجزاته فكانت «كثيرةً. ولم يصل إلينا منها شيء»<sup>٣</sup>. يقول التميمي فيه: «لمّا أنشئت السماء الرابعة، وهو قيام عبد الله بن أحمد، وهو من ولد ميمون القداح، ظهر المولى سبحانه بصورة أسماها علياً»<sup>٤</sup>.

### ٣ - دور المعل:

هو علي بن الحسين بن أحمد بن محمد بن إسماعيل. جال بعض الظلام عنه عندما راحت الدولة العباسية تنشغل باخماد الفتن والثورات، من ثورة الزنج الذين احتلوا البصرة، إلى حرب أحمد بن طولون الذي احتل الشام... كان علي كثير الحيلة شديد الحذر لا يستقر في مكان. وكان يظهر بمظهر التجار، يجوب صحاري تدمر والمشرق.

من معجزاته أنه «كان يسافر وحده بألف جملٍ مُحمّلةً من البضائع والأموال وليس معه سوى غلامٍ واحد... وكان إذا قصدت اللصوصُ تسرق شيئاً فيأتون إلى جانب البضائع فيجدون المعلَّ حاضرًا في ذلك المكان، ثم يأتون إلى جانب آخر فيجدونه حاضرًا. وكلّما حاولوا أخذ شيء فيجدوا المعلَّ حاضرًا عنده. فلم يقدروا أن يأخذوا شيئاً»<sup>٥</sup>.

ترك المعلُّ طفلاً اسمه محمد، عُرف فيما بعد باسم «القائم بأمر الله»، وكفّله «سعيد الخير» الذي عُرف فيما بعد باسم «عبيد الله المهدي». وسلم المعلُّ أمواله لسعيد لينفق منها على القائم.



<sup>١</sup> سليم أبو إسماعيل، المرجع السابق، ص ١ / ١٣٦.

<sup>٢</sup> أمين طليح، أصل الموحدين، ص ٤٧.

<sup>٣</sup> مختصر البيان، ورقة ٥٢ ب.

<sup>٤</sup> كتاب فيه تقسيم العلوم ٣٦ / ٢٦٦.

<sup>٥</sup> مختصر البيان في مجرى الزمان، ورقة ٥٢ أ و ب.

يُلاحظ أن هذه الأدوار الثلاثة متلاحقة، وسريّة، لم يستطع فيها الدعاة إعلان التوحيد، لشدة الاضطهاد عليهم. وقليلًا ما تذكرها الرسائل لعدم وجود أيّ نشاط توحيدي لها<sup>١</sup>.

#### ٤ - دور القائم بأمر الله:

يقول قائم الزمان حمزة: «وتسمّى مولانا جلّ ذكره بالقائم لأنه أول ما ظهر للعالم بالملك والبشريّة في أيام النطّاء الناموسية الشركيّة، فقام على العالمين بالقوّة والقدرة، وأقام للموحدين قسطه أي عدله في هذا الموضع، وأقام قواعد توحيدته التي هي تمام البناء في وقتنا هذا بمشيئته»<sup>٢</sup>.

استلم القائم ابنُ المعلّ الحكَمَ عن عبيد الله المهدي - لعنه الله - وفي رأسه تدور أحلام الزحف على مصر كأول عمل يدشنُ به عهده. إلا أن ثورة الأدارسة كادت تهددُ الدولة الفاطمية وتقضي عليها. فعزم القائم على إخمادها والانقضاء عليها، وحول أنظاره عن مصر إلى المغرب، فأخمد ثورتها. وقام «أبو يزيد الخارجي» بثورة أخرى حتى أصبح على أبواب «المهديّة» عاصمة الدولة. فاستجدّ القائم بزعيم صنهاجة «زيري بن مناد» حتى قضى عليه. وقام «الروم» من جهتهم بحملات على «جنّوا» و «سردينيا» فأرسل إليهم القائم جيوشه واستمرت الحروب بين الدولتين طيلة عهده. وهكذا زالت أحلام الاستيلاء على مصر<sup>٣</sup>.

#### ٥ - دور المنصور بالله:

بدأ حكمه في مواجهة الخوارج الذين طوّقوا عاصمة الدولة الفاطمية. وكان زعيمهم هو نفسه «أبو يزيد بن كيداد الخارجي» الذي اتخذ القيروان قاعدة لثورته. واستمرّ حكمه في معالجة ما أساء إليه هؤلاء الثوّار، حتى قضى عليهم في معركة «سوسة» التي تُعتبر من المعارك الخالدة في التاريخ. و «أمر ببناء مدينة المنصورية تخليدًا لذكرى هذا الانتصار»<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> انظر: ٣٦ / ٢٩٦، ٢٦٩، ١٢ / ١٢٢...

<sup>٢</sup> السيرة المستقيمة ١٢ / ١٢٣.

<sup>٣</sup> انظر: القائم بأمر الله للدكتور عارف تامر، دار الجيل...

<sup>٤</sup> أمين طليح، أصل الموحدين، ص ٥٩. انظر كتاب «المنصور بالله» للدكتور عارف تامر، رقم ٣ في «الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين، دار الجيل بيروت سنة ١٩٨٠ / ١٤٠٠.

## ٦ - دور المعز لدين الله:

بدأ حكمه بالقضاء التام على الثورات الدلخية، ففضى على دولة الأدارسة قضاءً كاملاً، وحطم نفوذ الأمويين في الأندلس، ودانت له جميع قبائل البربر، وأخضع ثوار الخوارج، وشن على الروم حروباً طاحنة، وتوسّع في إيطاليا والمغرب عامّة... ثم راح بمعاونة القائد الفاتح جوهر الصقلي، يفكر بغزو مصر.

ففي سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م سار جوهر إلى مصر، فخضعت له الاسكندرية، وزحف على الفسطاط (أي مصر القديمة) واستولى على مناحيها، حيث وضع أسس مدينة القاهرة. وزال عنها سلطان العباسيين وعملائهم الاخشيديين. وخرج المعز من المنصورية، ودخل القاهرة، وسكن القصر الذي بناه له جوهر، وأصبحت القاهرة، من ذلك الحين، عاصمة الدولة الفاطمية.

ثم رأى جوهر ضرورة فتح الشام باعتبارها خط الدفاع الأول عن مصر. «وبذلك يكون قد سبق محمد علي الذي كان يرى أنّ خط الدفاع عن مصر يجب أن يكون في سوريا، لا في مصر نفسها»<sup>١</sup>. ثم إن الاستيلاء على بلاد الشام له أهمية في القضاء على القرامطة الذين بدأوا يناوئون الفاطميين، وفي القضاء على الروم الذين يشكلون خطراً مدهماً عليهم، وفي ضبط نفوذ العباسيين ومطامعهم في العالم الإسلامي... وكان لجوهر ما أراد، حتى امتدت الدولة الفاطمية أيام المعز من المحيط الأطلسي غرباً حتى الخليج العربي شرقاً. ولم يبق لحكم العباسيين سوى بغداد. وقضى المعز قبل تحقيق أحلامه البعيدة

## ٧ - العزيز بالله:

تفاقم في أيامه خطر أفتكين التركي الذي خرج على الدولة العباسية واستقل بالشام وساعده القرامطة، فرماهم العزيز بالقائد جوهر، فلم يستطع جوهر القضاء عليهم، فاستتجد بالعزيز الذي قام بنفسه بهذه المهمة. ولم يقض عليهم إلا بعد جهد طويل، عندما أسر أفتكين واقتاده إلى القاهرة حيث أكرمه وأحسن معاملته.

<sup>١</sup> تاريخ الدولة الفاطمية للدكتور حسن ابراهيم حسن، ص ١٥١.

من مآثر العزيز بالله إنه كان شغوفاً بالعلم، قريباً من العلماء، فاستقدم أبا الفرج يعقوب بن كلس، وجعله أول وزرائه، وكان ذائع الصيت في شهرته العلمية. ثم ولى الوزارة أيضاً عيسى بن نسطورس النصراني، ومنشأ اليهودي. وكان طبيبه نصراني يدعى أبو الفتح منصور بن مقشّر المصري، وكانت له منزلة سامية في الدولة. قضى العزيز ببليس واستلم الحكم ابنه الحاكم كما رأينا.



يعتبر الدروز أنّ هذه الأدوار، التي مررنا على ذكرها، كانت استعداداً مباشراً للكشف، إذ بها انكشف التوحيد ظاهراً معروفاً. ولكن وقت فتح أبوابه للدخول فيه لم يحن بعد، ولا حتى في أيام الحاكم الأولى ما قبل سنة ٤٠٨ هجرية.

ويعتبرون أيضاً، على حدّ قول حمزة قائم الزمان، بأنّ «الحاكم... وهو المعزّ وهو العزيز وهو الحاكم جلّ ذكره، يظهر لنا في أيّ صورة شاء، كيف يشاء»<sup>١</sup>، وكما يقول التميمي بأنّه «وقت قيام المنصور والمعزّ والعزيز... والحاكم... وكلّهم واحد»<sup>٢</sup>.

ويقولون بأنّه «لما قام مولانا الحاكم جلّ ذكره بصورة التوحيد، انكشف المكنون... فصار كشف المكنون هو توحيد مولانا جلّ ذكره،... فانكشف في وقتنا هذا، وزال كل مستور، وزهق المغرور، وانجاز وعده لا يبور»<sup>٣</sup>.

ويؤمنون بأنّ من عرف دور الحاكم استغنى عن الأدوار السابقة، لأنّ دور الحاكم هو أعظمها وأشرفها وأكملها وأوضحها وتمامها. في ذلك يقول التميمي: «ولا لكم أن ترغبوا إلى ذكر ما تقدّم لأنكم في غنى عنه بالوجود. وظهور الحاكم بين أيديكم ظاهراً مكشوفاً، وحجّته ظاهرة مرئية قد أغنى ذوي العقول بها عن البحث فيما تقدّم»<sup>٤</sup>؛ لأنّ الحاكم هو «الحاكم على جميع النطاق والشرائع، المنفرد عن جميع المخلوقات والبدائع»<sup>٥</sup>.



<sup>١</sup> رسالة ١٢ / ١٢٢ - ١٢٣.

<sup>٢</sup> رسالة ٣٦ / ٢٦٩.

<sup>٣</sup> رسالة ٣٦ / ٢٦٩.

<sup>٤</sup> رسالة ٣٦ / ٢٦٧.

<sup>٥</sup> رسالة ١١ / ١٠٤.

## الفصل الخامس

### حُدُودُ دَعْوَةِ التَّوْحِيدِ وَخَوْنَتُهَا

- أولاً - معنى الحدود ومعرفتهم  
ثانياً - العقل - حمزة بن عليّ  
ثالثاً - النفس - إسماعيل التميمي  
رابعاً - الكلمة - محمد بن وهب القرشي  
خامساً - السابق - أبو الخير سلامة السامري  
سادساً - التالي - بهاء الدين المقتنى  
سابعاً - خونة الدعوة

## أولاً - معنى الحدود ومعرفةهم

حدود دعوة التوحيد خمسة. كانوا منذ البدء، وظهروا مع كل ظهور إلهي بصُورٍ جسمانية بشرية. عرفنا بعضهم وجعلنا آخرين، لكن جميعهم تشخصوا في كل دور من أدوار الكشف.

«الحدود» من آية قرآنية تقول: «تلك حدود الله، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات»<sup>١</sup>، وكثيراً ما وردت في القرآن كما ترى: «تلك حدود الله فلا تتعدوها»<sup>٢</sup>، و «من يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون»<sup>٣</sup>، و «تلك حدود الله يبينها لقوم يعملون»<sup>٤</sup>، و «من يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه»<sup>٥</sup>، و «من يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها...»<sup>٦</sup>.

و «الحدود»، في المفهوم التوحيدي، هم غاية الوجود «وقد تناهت فيهم الكمالات من سائر الوجوه»<sup>٧</sup>، وهم القيمون على كشف التوحيد في مختلف أدوار الكشف؛ وهم «وزراء» الله في خلقه؛ و «الوسائط» بينه وبين العباد<sup>٨</sup>؛ «وهم وسائط الله، وسفراؤه، وأبواب رحمته، وينابيع حكمته، ومفاتيح نعمته»<sup>٩</sup>؛ هم «سادات الأمم، الدعاة إلى التوحيد، المحققين... والسفرة الموقنين»<sup>١٠</sup>، «رجال الأعراف الأطهار»<sup>١١</sup>، و «شهداء الدين»<sup>١٢</sup>، و «آيات التوحيد»<sup>١٣</sup>، «وقواعده»<sup>١٤</sup>.



هؤلاء الحدود وُجدوا كما يلي: «أبدع (مولانا) من نوره الشعشعاني الكامل العقل الكلي، وأبدع من نور العقل النفس الحقيقي، وأبدع من نور النفس الكلمة، وأبدع من نور

<sup>١</sup> سورة النساء ٤ / ١٣.

<sup>٢</sup> سورة البقرة ٢ / ٢٢٩.

<sup>٣</sup> نفس المرجع.

<sup>٤</sup> سورة البقرة ٢ / ٢٣٠.

<sup>٥</sup> سورة الطلاق ٦٥ / ١ بها تستشهد رسالة الشمعة ٣٨ / ٢٧٩.

<sup>٦</sup> سورة النساء ٤ / ١٤، انظر: ٢ / ١٨٧، ٩ / ٩٧، ٤ / ٨٥ الخ..

<sup>٧</sup> كتاب الدرر المضيئة واللمع النورانية، باب «د»، فصل «د»...

<sup>٨</sup> منشور في ذكر اقالة سعد ١٠٤ / ٨١٢ وغيرها.

<sup>٩</sup> مخطوط ١٤٣٨ في معنى الجوارح السبعة، ورقة ٩٩ ب.

<sup>١٠</sup> رسالة السفر إلى السادة ٦٨ / ٥٣٨.

<sup>١١</sup> الإسرائيليات ٧٢ / ٦٣٣، انظر مقدمة هذا البحث، ص ٢٠.

<sup>١٢</sup> رسالة الهند ٦١ / ٤٧٧.

<sup>١٣</sup> انظر: ٣١ / ٢٣٩، ٥٠ / ٣٦٩، ٣٨ / ٢٧٧، ٤٢ / ٣٢٠ الخ.

<sup>١٤</sup> رسالة التنبيه والتأنيب... ٤٢ / ٣٢٠.

الكلمة السابق، وأبدع من نور السابق التالي، وأبدع من نور التالي الأرض وما عليها، والأفلاك الدائرات والبروج الأث عشر والطبائع الأربعة والهيولى الذي هو الطبع الخامس...»<sup>١</sup>.

وهؤلاء الحدود «مُشَخَّصون في وقتنا هذا في حضرة مولانا الحاكم»<sup>٢</sup> كما يلي: العقل مُشَخَّصٌ بحمزة بن علي، والنفس مُشَخَّصٌ بإسماعيل التيمي، والكلمة مشخَّصٌ بمحمد بن وهب القرشي، والسابق أو الجناح الأيمن مشخَّصٌ بأبي الخير سلامه السامري، والتالي أو الجناح الأيسر مشخَّصٌ بعلي بن أحمد السموقي المعروف ببهاء الدين المقتنى...

هؤلاء الحدود يؤلّفون «شمعة التوحيد»<sup>٣</sup>: إن «النار الذي يتعلّق بالشمعة لطيف وكثيف، فاللطيف فيه لسان النار العالي الأحمر الذي تعتريه زرقعة، يُخْفَى مرّة ويظهر مرّة، وذلك دليل على قائم الزمان حمزة بن علي بن أحمد؛ والنار الذي يُوقَد الشمع دليل على حجّته إسماعيل بن محمد بن حامد؛ والشمع دليل على الكلمة محمد بن وهب؛ والقطن دليل على السابق سلامه بن عبد الوهّاب؛ والطست الذي هو الحسكة دليل على التالي علي بن أحمد السموقي»<sup>٤</sup>.

هؤلاء الحدود كُشِفوا إذن عن التوحيد، ودعوا الناس للدخول فيه، ثم أغلقوا، بعد مدّة، بابّه. تارة نرى في «رسائل الحكمة» ذكراً لأربعة حدود، فلا يكون حمزة بينهم، لأنه هو علّتهم خارج عنهم، وطوراً هم خمسة فيكون حمزة من جملتهم. فلا عبرة بذلك.



كل درزيّ موحدٌ عليه واجبٌ معرفتهم بأسمائهم ومراتبهم ومنازلهم وألقابهم وكنياتهم وأدوارهم، وإلا لا يكون من الموحّدين السادقين: «مَنْ عَرَفَ هَؤُلاءِ الحُدُودَ، رُوحَانِيّاً وَجِسْمَانِيّاً، وَعَرَفَ دَرَجَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بَانَ لَهُ تَوْحِيدُ مَوْلَانَا الْقَائِمِ الْحَاكِمِ بِذَاتِهِ»<sup>٥</sup>، «فعلَيْكُمْ معاشر المستجيبين الموحّدين لمولانا جلّ ذكره بمعرفة مولانا وحده... ثم معرفة حدوده...»<sup>٦</sup>، «يجب على سائر الموحّدات أن يعلمن أن أوّل المفترضات عليهن معرفة

<sup>١</sup> رسالة سبب الأسباب ١٤ / ١٤٦.

<sup>٢</sup> نفس المرجع ١٤ / ١٥٩.

<sup>٣</sup> انظر الرسالة الموسومة بالشمعة ٣٨ / ٢٧٨، ٢٨١ مرتين و٢٧٧.

<sup>٤</sup> نفس المرجع، ٣٨ / ٢٧٨.

<sup>٥</sup> الكتاب المعروف بالنقض الخفي ٦ / ٥٩.

<sup>٦</sup> الكتاب المعروف بالنقض الخفي ٦ / ٦٣.



مولانا... ثم معرفة قائم الزمان... ثم معرفة الحدود الروحانيين بأسمائهم ومراتبهم وألقابهم»<sup>١</sup>.  
أمّا الذين لا يعرفون هذه الحدود فليسوا من الموحّدين بحال. أو من خالف حدّاً منهم  
فقد ظلم نفسه وخرج من جملة الموحّدين. قالت الحكمة: «مَنْ عُدِمَ معرفةُ هذه الخمسة حدود لم  
يَعْرِفِ التوحيد في وقتنا هذا. وكان توحيدُهُ دَعْوَى. فليعلم الموحّدون ذلك ويعتقدوه، ولا يعبدوا  
المولى بلا معرفة. فقد قال: «وتلك حدود الله، ومن تعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه»<sup>٢</sup>.  
وقال قائم الزمان: «من كذب على إمامه، أو خالف حدّاً من حدود التوحيد... فقد خرج  
من جملة الموحّدين، وصار من الكافرين بنعمته، الجاحدين لسلطانه وعظّمته»<sup>٣</sup>.



فمعرفة الحدود إذن ضرورة واجبة للموحّدين، وقد لا يفوزون بالخلاص إن جهلواهم،  
لأن الحدود هم وسيلة الخلاص ووسائطه.



---

<sup>١</sup> ميثاق النساء ٨ / ٧٢.  
<sup>٢</sup> رسالة الشمعة ٣٨ / ٢٧٩ وهي تستشهد بسورة الطلاق ٦٥ / ١.  
<sup>٣</sup> رسالة البلاغ والنهاية... ٩ / ٧٦ - ٧٧.

## ثانياً - العقل - حمزة بن عليّ

إنّ العقل الذي تشخّص في جميع أدوار الكشف بأشخاص عديدة مختلفة الصور والأسماء، ظهر، في هذا الدور، دور الحاكم، باسم حمزة بن علي بن أحمد الزوزني الخرساني الفاطمي. وهو الفائل عن نفسه: «ثم رجعنا، في وقتنا هذا، على يد آدم زمانكم، حمزة بن عليّ بن أحمد الصفاء: كما بدأنا أولّ خلق نُعيده<sup>١</sup>. إن مولانا جلّ ذكره (هو) الفاعل ذلك، وهو القادر القهار»<sup>٢</sup>.

ويعترف حمزة بأنّه كان منذ الدهور؛ وأنّه هو العقل الكلّي، وهو آدم الصفاء، وأنّه هو الذي دعا الناس إلى التوحيد «في سبعين عصراً، ما منها عصر إلاّ ويظهرني مولانا جلّ ذكره فيكم، بصورة أخرى، واسم آخر، ولغة أخرى. أعرّفكم ولا تعرفوني، ولا تعرفوا أنفسكم»<sup>٣</sup>.

وفي المعنى نفسه يقول: «اصطفاني (المولى) وأبدعني من نوره الشعشعاني من قبل أن يكون مكان، ولا إمكان، ولا أنس، ولا جان. وهو (المولى) من قبل أن يخلق آدم الناسي بسبعين دوراً، بين كل دور ودور سبعون أسبوعاً، وبين كل أسبوع وأسبوع سبعون عاماً؛ والعام ألف سنة ممّا تعدّون. وما منها عصر إلاّ وقد دعوتُ العالمين إلى توحيد مولانا بصور مختلفة ولغات مختلفة»<sup>٤</sup>.

ويبدو أنّ حمزة كان آخر ظهورات العقل في العالم: لقد «قام بالتوحيد آخر قائم... إليه انتهت أدوار الإمامة... والقائم، عليه السلام، لا يقومُ بعده غيره، لأنّه تمامُ الأدوار ونهايتها... وعَرَفَ العالمُ أنّ لا خَلْفَ له»<sup>٥</sup>.



لحمزة صفات العقل جميعها، بل حمزة هو العقل، والعقل هو حمزة. ولكنّ العقل، في ظهوره بحمزة، اتخذ لغة أهل زمانه، «بحسب طاقة العالم، وما يتّسع في خواطرهم، وتستطيع

<sup>١</sup> سورة الأنبياء ٢١ / ١٠٤.

<sup>٢</sup> السيرة المستقيمة ١٢ / ١١٧.

<sup>٣</sup> الغاية والنصيحة ١٠، ٩٤.

<sup>٤</sup> رسالة سبب الأسباب ١٤ / ١٥١، انظر ١٣ / ١٣٤.

<sup>٥</sup> الموسومة بإيضاح التوحيد ٧٤ / ٦٧٠ - ٦٧١.

عليه ألسنتهم»<sup>١</sup>. وقد لا نستطيعُ حصرَ صفات حمزة جميعها، فـ«رسائل الحكمة» مغمورةٌ بها. ولكننا نقتصر، هنا، على ما يقول حمزة عن نفسه:

«الحمْدُ لمن أبدعني من نوره، وأيدني بروح قدسه، وخصني بعلمه، وفوض إليّ أمره، وأطلعتني على مكنون سره.

فأنا أصلُ مبدعاته، وصاحبُ سره وأماناته، المخصوصُ بعلمه وبركاته.

أنا صراطه المستقيم، وبأمره حكيمٌ عليم،

أنا الطور، والكتاب المسطور، والبيت المعمور،

أنا صاحبُ البعث والنشور،

أنا النافعُ بإذنِ المولى سبحانه في الصور،

أنا إمامُ المتقين والعلمُ المبين ولسانُ المؤمنين وسندُ الموحدين،

أنا صاحبُ الرجفة، وعلى يدي تكون النعم المترادفة،

أنا ناسخُ الشرائع، ومهلكُ أهلِ الشرك والبدائع،

أنا مُهدِمُ القبلتين، ومُبيدُ الشريعتين، ومُدْحِضُ الشهادتين،

أنا مسيحُ الأمم، ومَنِي إفاضة النعم، وعلى يدي يحلُّ بأهلِ الشرك النقم،

أنا النارُ الموقدة، التي تطلعُ على الأفتدة،

أنا مُمِدُّ الحدود، والدالُّ على توحيد المعبود، ومُفني أهلِ الشرك والجحود،

أنا مُجرِّدُ سيفِ التوحيد، ومهلكُ كلِّ جبارٍ عنيد،

أنا قائمُ الزمان، وصاحبُ البرهان، والهادي إلى طاعة الرحمن»<sup>٢</sup>.

إنَّ أصعب ما يعترضنا في بحثنا هذا التوقفُ على كمالات حمزة، كما نستصعب شرحها لاتساع معانيها، لأنَّ كل ما في التوراة والإنجيل والقرآن يقع عليه: «جميع ما في القرآن والصحف وما نزله (المولى) على قلبي من البيان ومن الأسماء الرفيعة يقع على عبده الإمام»<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> رسالة سبب الأسباب ١٤ / ١٥٩.

<sup>٢</sup> رسالة التحذير والتنبيه ٣٣ / ٢٤٢ - ٢٤٣. انظر أيضاً الرسائل التالية: ١٧ / ١٩١ وما يلي، ٢٢ / ٢١٤، ٣٢ / ٢٤٠، ٣٤ / ٢٤٧، ٣٦ / ٢٥٩، ٥٣ / ٣٨٣؛ ٧ / ٦٨، ٩ / ٧٦، ١١ / ٩٧، ١٣ / ١٣٢، ١٤ / ١٥٧، رسالة ١٤ بكاملها، ١٠ / ٨٥، ١٢ / ١٢١، ١١ / ١٠٧، ٢٥ / ٢٢١، ٢٢ / ٢١٦، ١٣ / ١٣٣، ٥٨ / ٤٥٧، ١٨ / ١٩٦، ١٠ / ٩١، ١١ / ١٠٠، الخ... .. انظر أيضاً: كتاب النقط والدوائر، ومختصر البيان، وغيرها...

<sup>٣</sup> رسالة سبب الأسباب ١٤ / ١٥٩، وأيضاً ٢٢ / ٢١٤.

رغم كل هذا الفيض من الصفات، يجدر بنا معرفة بعضها، لأنّ فيه ما يميّز حمزة عن سائر الحدود. ففي رسالة «ذكر معرفة الإمام، وأسماء الحدود العلوية روحانياً وجسمانياً» هذه المميزات. يقول صاحب الرسالة: «الأسماء الواقعة على مولاي قائم الزمان: الأوّل منها: علّة العلل، والثاني: السابق الحقيقي، والثالث: الأمر، والرابع: ذو معة<sup>١</sup>، والخامس: الإرادة. العقل الكلي روحاني؛ واسمه جسماني: حمزة بن علي بن أحمد، هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا سبحانه وشدة سلطانه»<sup>٢</sup>.



إنّ صفات حمزة تدلّ على مهامّه وأدواره في دعوة التوحيد. وقد يكون من خصائصه وحده كتابة «الحكمة»، وإنّ كتّب سواهاً بعضاً منها فبتكليف منه صريح. ومن كتّب رسالة ما، عليه أن يقف على إرادته ومعرفته، كما أنّ كل من يقرأ شيئاً عليه أن يكون قد انتدبه لذلك. ومن خالف هذه الشريعة يُعتبر هو ومن يسمعه من العصاة. يقول بصراحة:

«وليس لأحد من الحدود أن يؤلّف كتاباً، ولا يقرأ على من استجاب، إلّا بأمر من نديب لهدايتهم، ونُصِبَ لإمامتهم. فإنّ قرأ عليهم كتاباً بغير أمر فقد عصى القارئ والمستمعون جميعاً، لأن الإمام ينطق بتأييد مولانا جلّ ذكره روحانياً بلا واسطة. والدعاة يتكلّمون من علمه تعليماً مشافهة، فإذا عملوا شيئاً بغير أمر كان بالرأى والقياس»<sup>٣</sup>.

ويعترف إسماعيل التميمي بأنّه لم يستطع كتابة شيء لولا أمر صريح من قائم الزمان حمزة: «أمرني مولاي قائم الزمان، والنور التمام، عليه من معبوده أفضل التحيّة والسلام، بتصنيف هذا الكتاب، فرجعت إلى روجي لأنظر مبلغ فهمها ومجهود طاقتها، فوجدتها عن ذلك عاجزة، فلم يمكني مخالفتها، فعلمتُ علماً يقيناً أنّه لم يأمرني بتصنيف هذا الكتاب إلّا ومواده تطرّفني، وبعلمه يهديني، إذ كانت من المولى جلّ ذكره الموادّ إليه متصلةً، وهي عن سائر الناس أجمعين منعزلة. فتيقنت أنّ القوّة منه اليّ واصله إذ كنتُ منه امتصّ، والذكر لي منه مختصّ. فحسستُ عند حلول أمره بقوة لم أعهدّها قديماً من عمري كلّ. فألّفتُ هذا الكتاب

<sup>١</sup> «سُمّي ذو معة لأنه وعاء توحيد مولانا بلا واسطة» (١٠ / ٩٢) ولأنّه «هو الذي وحّد المولى بالحقيقة لأنه ذو معة وقلبه مع المولى لا يفارقه، وهو الدالّ على التوحيد المحض، ومنه القصد وإليه» (٣٨ / ٢٧٨).

<sup>٢</sup> ذكر معرفة الإمام... ٣٢ / ٢٤٠.

<sup>٣</sup> رسالة التنزيه إلى جماعة الموحدين ١٧ / ١٩٢.

<sup>٤</sup> لهذا يلقّب إسماعيل بـ«ذو مصّة» لأنّه امتصّ العلم من الإمام.

بما أيديني به تلقينا، وفي الصحف روحانيًا. فما كان فيه من صوابٍ وجزالةٍ خطابٍ فهو منه وراجع إليه، وما كان فيه من خطأٍ وزللٍ فهو منِّي وإليَّ منسوبٌ»<sup>١</sup>.

وكذلك بهاء الدين يعترف هو الآخر بأنَّ جميع ما وضعه من كتبٍ ورسائلٍ في مجموعة الحكمة هو من «بركات قائم الزمان ووليِّ الفضل والاحسان»<sup>٢</sup>.



أمَّا الرسائل التي وضعها حمزة في مجموعة «رسائل الحكمة» فهي من رقم ٥ حتى ٣٥ من الجزء الأول والثاني ورسالة ٤٤ من الجزء الثالث. ومن المشكوك فيه أن تكون رسالة ٣٣ من تأليفه، وذلك لإطلاقه فيها لفظة «مولاي» على نفسه؛ غير أنَّه من الجائز أن تكون هذه اللفظة وحدًا مقحمة في النص.

وهناك رسائل لحمزة لا توجد في هذه المجموعة، منها ما يشير إليها بذاته كـ«كتاب المنفرد بذاته» الذي تذكره الرسالة ١٧ مرتين<sup>٣</sup>، وكتاب في الزواج عنوانه: «الشرعية الروحانية في علم اللطيف والبسيط والكتيف» المذكور في الرسالة ١٥.

ومنها ما نراه مذكوراً في مخطوط مكتبة فيينا رقم ١٥٧٧ فهرست فلوجيل تحت عنوان «الرسالة الموسومة بالدرِّ المكنون في حقائق الهزل عن المَلِكِ المَصُونِ مولانا الحاكم»، ورقة ٨ ب، و «الرسالة الموسومة بالدماغه الزهرية في الردِّ على النصيري وإله النصيرية»، ورقة ٤٢ ب.



ومن مهمّات حمزة الرئيسة نسَخُ جميع الشرائع والنواميس. وربّما جاء حمزة وظهر في هذا الدور من الكشف لأجل هذه الغاية، وذلك لكي يُرجع التوحيد إلى أصوله وصفائه، ذلك التوحيد الذي كان منذ البدء، قبل مجيء النبيين والنواميس. وسنتوقّف عند هذه المهمّة في فصل لاحق، ولكن يجدر بنا الإشارة إليها هنا والتنبيه لها. وربّما أيضاً عرّفت به الحكمة بأنّه «مسيحُ الأزمان، محلُّ معاقِدِ المَلَلِ، وناسخُ الأديان، وقاتلُ إبليس والشيطان، ومهلكُ العجلِ

<sup>١</sup> تقسيم العلوم ٣٦ / ٢٥٩ - ٢٦٠، انظر: رسالة الشمعة ٣٨ / ٢٨١.

<sup>٢</sup> رسائل: ٦٤ / ٤٩٧، ٦٧ / ٥٢٦، ٤١ / ٣١٠ وغيرها.

<sup>٣</sup> وهو موجود مخطوط بين يدينا بعنوان «مصحف المنفرد بذاته» ٢٧٠ ص.

والشيصبان<sup>١</sup>، المنتقم من أهل الكفر والطغيان، وماحق لأهل الخلاف والعصيان<sup>٢</sup>. وربما أخيراً «جعلهُ المولى بفيضِ حكمته لِشِرَاعِ نواميسِ الأبالسة (النطقاء) قاطعاً محللاً، ولزخرفهم الملبوسِ على الأممِ ناقِضاً مفللاً»<sup>٣</sup>.

ولم تغب عن خاطر حمزة مهمته هذه، فهو يقول عن نفسه: «أنا مُهدم القبلتين<sup>٤</sup>، ومُبيدُ الشريعتين<sup>٥</sup> ومُدحضُ الشهادتين»<sup>٦</sup>.



### حمزة والدعاة:

ولد حمزة - أو «وُجِدَ» كما يقول الدروز - يوم الخميس في ٢٣ ربيع الأول سنة ٣٧٥ هـ الموافق ١٣ آب سنة ٩٨٥ م؛ وهو نفس التاريخ الذي «وُجِدَ» فيه الحاكم. أصله من زوزن في بلاد فارس، جاء مصر سنة ٤٠٥ هـ. واتفق مع بعض الأصحاب على العمل في اعلان دعوة التوحيد في بدء السنة الثامنة بعد الأربعمائة للهجرة.

وكان من هؤلاء الذين يحسن بنا تسميتهم، لكثرة ورودهم في الكتب الدرزية، ولأهميّة دورهم: أبو الخير سلامة بن عبد الوهاب السامري، وأبو عبد الله محمد بن وهب القرشي، أبو ابراهيم اسماعيل بن محمد التميمي<sup>٧</sup>. هؤلاء، كما يقول الدروز، هيأوا أجواء الدعوة، كلّ منهم استمرّ في دعوته سبع سنين، حتى «نودي بحمزة بن علي إماماً للموحدين. وكان عمره آنذاك نحو ثلاث وثلاثين سنة»<sup>٨</sup>. «واتخذ الدعاة مسجداً ريدان، خارج أسوار القاهرة، مركزاً لهم يجتمعون فيه»<sup>٩</sup>، «وسمي هذا المسجد بدار الهجرة الجامعة»<sup>١</sup>، لأنّ جميع الدعاة هاجروا إليه بانتظار إعلان الدعوة.

<sup>١</sup> الشيصبان من أسماء الشيطان الرجيم (لسان العرب / شصب) وهو، عند الدروز، لقب «الأساس» علي بن أبي طالب (الدر ص ٣٣ / شصب).

<sup>٢</sup> رسالة التعقب والافتقاد ٥٥/٤١٧، انظر ٤٨ / ٣٥٨ الخ...

<sup>٣</sup> رسالة اليمن ٦٠ / ٤٦٩، انظر ٦١ / ٤٧٧ الخ...

<sup>٤</sup> «القبلتين» يعني: مكة وبيت المقدس.

<sup>٥</sup> «الشريعتين» هما شريعة «التنزيل» و«الظاهر»، أي شريعة أهل السنة، وشريعة «التأويل» و«الباطن» أي شريعة شيعة عليّ.

<sup>٦</sup> «الشهادتين» أي «أشهد أن لا إله إلا الله»، ثم «محمّد رسول الله». انظر رسالة ٣٣ / ٢٤٣، ٣٤ / ٢٤٨ الخ...

<sup>٧</sup> سيأتي الكلام عليهم في الفصول اللاحقة...

<sup>٨</sup> تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي، ص ٦٠.

<sup>٩</sup> نفس المرجع.

وأقام حمزة دوراً للقضاء خاصةً بالموحدين. وحظي بتأييد الحاكم المطلق، وفي ذلك يقول الأنطاكي: «وكان أصحاب الهادي (حمزة) يلقون الحاكم في كل يوم في القرافة (موضع في القاهرة) للسلام عليه، وهو مع ذلك يعتني بالهادي ويسأله عن عدد ما حصل في بيته من أهل دعوته ويظهر منه المشورة بالكثرة»<sup>٢</sup>. وكثر عدد المستجيبين للدعوة حتى بلغ «ستة عشر ألفاً»<sup>٣</sup>.

«ومن الذين استجابوا إلى دعوة التوحيد عدد من كبراء الدولة والأعيان، كالشريف فخر الدولة أبي يعلا حمزة بن أبي العباس الحسيني نقيب الطالبين (المنتسبين إلى علي بن أبي طالب) في بلاد الشام، وأمراء آل تنوخ: أبي الفضائل عبد الخالق بن محمد، وأبي الحسن يوسف بن مصبح، وأبي اسحق ابراهيم بن عبد الله الذين كان أسلافهم من دعاة النذر. وإلى أبي اسحق ابراهيم بن عبد الله، الذي كان أميراً بالبيرة<sup>٤</sup> في ناحية الغرب من جبل لبنان، ينتسب الأمير ناهض الدولة أبو العشائر بحتر بن شرف الدولة علي بن الحسين جدّ الأمراء البحتريين من آل تنوخ أمراء بيروت والغرب في جبل لبنان»<sup>٥</sup>.

«ومن الأعيان الذين استجابوا إلى دعوة التوحيد أيضاً يمكننا أن نعدّ الأمير أبا الفوارس معضاد بن يوسف الفوارسي، من أعيان ناحية الغرب كذلك، وزمّاح بن مفرّج بن دغفل بن جراح الطائي، وأخاه جابراً، وهما من أمراء الرملة، والأمير عزّ الدولة أبا العلي رافع بن أبي الليل بن عليان الذي أصبح فيما بعد أمير بني كلب، والشيخ أبا الخير سلامة بن جندل من أعيان بني جندل التميمي في وادي التيم، وسلاطين الاحساء من القرامطة الملقبين بالسادة: أبا الفضل الطاهر، وأبا العباس، والعبّاس، وأبا الفضل العمران، وأبا اسحق المعلي، وأبا الفتح الفرّج، بالإضافة إلى راجبال ابن سومر الذي تسلّم أمور دعوة التوحيد في الهند»<sup>٦</sup>.

## حمزة والدّرزي:

<sup>١</sup> نفس المرجع.

<sup>٢</sup> تاريخ الأنطاكي، ص ٢٢٤.

<sup>٣</sup> تاريخ الموحدين الدروز، ص ٦١ مستشهداً بتاريخ الأنطاكي ص ٢٢٤.

<sup>٤</sup> عمدة العارفين، ٣ / ١٢٢، راجع كذلك ابن الفلانسني، ص ٨٣.

<sup>٥</sup> عمدة العارفين، ٣ / ١٣٩ - ١٤٢.

<sup>٦</sup> صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، تحقيق لويس شيخو، ص ٤٧.

<sup>٧</sup> نفس المرجع، ص ٤٢.

<sup>٨</sup> عمدة العارفين، ٣ / ١١٨ ... انظر تاريخ الموحدين... ص ٦٢.

وكان من الدعاة أيضاً محمد بن إسماعيل الدرزي الملقب بنشكتكين، وحسن بن حيدرة الفرغاني المسمّى بالأخرم، وعليّ بن أحمد الحبال، والعجمي، والأحول، وخطّح ماجان، ومعاند، وأبو منصور البرذعي<sup>١</sup>، وغيرهم... هؤلاء أصحاب التعاليم الفاسدة وأصحاب «الطوارق والبوائق»<sup>٢</sup>، خاطبهم حمزة بقوله: «وما منكم أحد إلا وقد نصحتة بحسب الهداية إلى دعوته. فمنكم من استجاب ونكت... وكتبنا عليهم الميثاق، وأباعوا الديانة في الأسواق، ومالوا إلى الشهوات والأعواق»<sup>٣</sup>.

هؤلاء جميعهم عملوا، بالاتفاق مع حمزة، على اعداد الدعاة، وتهيئة الأجواء لإعلان الدعوة، وكتابة الحكمة بخطوطها العريضة، وتنظيم الاجتماعات، وتسيير أمور المبشرين، وتوزيع الأدوار، والحصول على تأييد الحاكم...

وتوالت اجتماعاتهم في جامع ريدان المحصن منذ سنة ٤٠٥ هـ، وأقروا الوقت الملائم. إلا أنّ الدرزي، الذي كلف بملازمة البلاط ونشر الدعوة بين الموظفين، حاز برضى الحاكم الذي قرّبه منه «وفوض الأمور إليه». وبلغ منه أعلى المراتب، بحيث أنّ الوزراء والقواد والعلماء كانوا يقفون على بابيه، ولا ينقضي لهم شغل إلا على يده، وكان قصد الحاكم الانقياد إلى الدرزي المذكور فيطيعونه»<sup>٤</sup>.

واستغلّ الدرزي موقعه في القصر وتسلّطه على بيت المال، و«غرّه ما كان يضربه من زغل الدنانير والدرهم»<sup>٥</sup>، واستقلّ بكتابة الرقاع إلى بعض دعاة الإسماعيليين، فكتب إلى ختكين داعي دعاة الإسماعيلية يطلب إليه الانضواء تحت لوائه، كما كتب إلى وليّ عهد المسلمين عبد الرحيم بن الياس الذي كان يمثّل عقيدة الحاكم التوحيدية، وكتب إلى متولّي الغلمان الأتراك... وإلى غيرهم<sup>٦</sup>، يدعوهم إلى دعوته.

وظنّ نفسه، والناس تنقاد إليه، أنّه أولى بالإمامة من حمزة، وأنّه يستطيع اعلان الدعوة قبل أوانها، فباشرها فعلاً، وأعلنها سنة ٤٠٧ هـ. وكان الخلاف الكبير يقع بينه وبين حمزة. وكتب إليه حمزة يحذّره: «إن كنت تدّعي الإيمان فأقرّ لي بالإمامة، كما أقررت في الأول... حتى تصحّ عبادة مولانا... فإذا فعلت هذا مالت قلوب العالم الينا، وارتفعت ألسنتهم عنّا...»<sup>٧</sup>.

<sup>١</sup> رسالة الصبحة الكائنة ١٩ / ٢٠٣.

<sup>٢</sup> نفس المرجع، ١٩ / ٢٠٢.

<sup>٣</sup> نفس المرجع، ١٩ / ٢٠٣.

<sup>٤</sup> أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج ٤ ص ١٨٤.

<sup>٥</sup> رسالة الغاية والنصيحة ١٠ / ٩٣.

<sup>٦</sup> تاريخ الأنطاكي، ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

<sup>٧</sup> رسالة الرضى والتسليم ١٦ / ١٨٢.



إلا أن الدرزي مضى في غيّه وغطرسته ومعاندته، «وأظهر الضديّة»، وأصبح، بنظر حمزة والدروز من بعده، «الضدّ» على الاطلاق. لقد كان في الأوّل «طائعاً لباريه. إلا أنه أظهر المنافسة، وطلب اللعين الرئاسة... وأظهر الضديّة، وجادل باريه»<sup>١</sup>. كما أصبح غطريساً متكبراً متبختراً متعسفاً مدّعياً حاسداً عاصياً. يقول فيه حمزة:

«وغطريس هو نشتكين الدرزي الذي تغطرس على الكشف بلا علم ولا يقين. وهو الضدّ الذي سمعتم بأنه يظهر من تحت ثوب الإمام ويدّعي منزلته ويكون له خوارٌ جولةً بلاد دولة، ثم تنطفي ناره. وكذلك الدرزي كان من جملة المستجيبين حتى تغطرس وتجرّ وخرج من تحت ثوب الإمام وادّعى منزلته حسداً له واعجاباً بروحه. وقال قول إبليس... وقال: أنا سيّد الهاديين، يعني أنا خيرٌ من إمامي الهادي... وأبى أن يسجدَ لمن نصبه المولى جلّ ذكره وقلده واختاره وجعله خليفته في دينه وأمينه على سرّه وهادياً إلى توحيده وعبادته. فتغطرس على الدين... طلباً للرئاسة...»<sup>٢</sup>.

والدرزي، بنظر حمزة والدروز، هو «العجل»، والعجل هو «الضدّ». يقول حمزة: «والعجل هو ضدّ وليّ الزمان الذي هو القائم بجميع الحدود... وسمّي الضدّ عجلاً لأنه ناقص العقل، عجول في أمره، له خوار. وهو يتشبهه بقائم الزمان بلا حقيقتة ولا برهان»<sup>٣</sup>. وبذلك، أصبح كل ضدّ يسمّى بـ«العجل»، فجميع الأنبياء هم «عجول»، والساعون وراءهم هم أيضاً «عجول»، لأنهم جميعاً أصداد التوحيد. وقد يكون «محمّد» العجل الأكبر لأنّ شريعته كانت أظلم الشرائع<sup>٤</sup>...

والدرزي هو أيضاً «الخنزير» الذي هو «الضدّ الروحاني المشبه روحه بمولانا جلّ ذكره. وقد دعوته ورضي بذلك وأقرّ لي بالعبودية ضرورة لا ديانة»<sup>٥</sup>، أي أجبر على ذلك لمنفعة ماديّة دون أن يكون مؤمناً.

والدرزي، على ما يبدو من كلام حمزة، لم يحصل على أيّة رسالة من رسائل الدعوة التي وضعها حمزة وإسماعيل التميمي وغيرهما، وقد طلب منه ذلك دون جدوى: «قد سألني مراراً بكثرة أن أدفع إليه شيئاً من كتب التوحيد ممّا ألفته، فلم أفعل ذلك، ممّا تقرّست فيه من العقابيّة الرديّة... فنظرت فيه بنور مولانا جلّ ذكره وتأييده، ولم أفعل أسلمه شيئاً ممّا طلبه،

<sup>١</sup> الكتاب المعروف بالنقض الخفي ٦ / ٥٠ - ٥١.

<sup>٢</sup> رسالة الغاية والنصيحة ١٠ / ٩٢ - ٩٣.

<sup>٣</sup> رسالة البلاغ والنهاية ٩ / ٧٥، انظر رسالة ٤١ / ٣١١.

<sup>٤</sup> سترى ذلك بتوسّع في فصل «الدرزيّة والإسلام».

<sup>٥</sup> رسالة الرضى والتسليم ١٦ / ١٧٨.

فتردّى بالكبرياء، وقال: «أنا خيرٌ منه وأعلى». ولم يعلم بأنّ الغالبَ من أعانه المولى جلّ ذكره...»<sup>١</sup>.

ثم راح الدرزي يدعو البرذعي إليه، ويحوّله عن حمزة، فأعطاه دنائيرَ كثيرة، «وأوعده بالمركوب والخُلع، فمضى إلى عنده، وفتح له أبوابَ البلايا والكفر»<sup>٢</sup>، ولذلك يتّهمهما حمزةُ بأنّهما «نطقا بغير معرفة ولا علم. وعملا لغير وجه مولانا جلّ ذكره. وأعليا البناء بغير أساس. وما أصاب أحدٌ منهما ما أصابه إلاّ باستحقاق وعدلٍ من المولى سبحانه على يدي»<sup>٣</sup>.

ولعدم حصول الدرزي من تعاليم الحكمة شيئاً، كتب إليه حمزة يحذّره من تعاليم يقوم بها على هواه، وقال له: إن «الذي تطلبه أنت من الكشف ليس لك عليه قدرة، ولا بفعله طاقة، لأنّ له روحاً وجسماً، وما بيدك شيء منهما، لأنّ الروح هو العلم الحقيقي، وأنت صِفْرٌ منها، ما تعرف ما طحاها. وقد أظهرتُ أنا من العلم الحقيقي المكنون ما تعجز أنت عنه وجميعُ العالمين»<sup>٤</sup>. ثم يتّهمه بأنّه كان «أولَ مَنْ عمل برأيه، وقاس العلم بهوائه... فأسقط من مرتبته وأخرج من دعوته ومنزلته»<sup>٥</sup>.

بسبب ذلك «عمل الدرزي في نقل رئاسة الدعوة إليه»<sup>٦</sup> فكتب إليه حمزة تحذيراً آخر يقول له فيه بأنّ الإمامة «لا تنقسم في شخصين في وقت واحد، إذ كانت الإمامة نوراً كلياً شعشعانياً، لا يتجزأ ولا يدنّسه ندّ ولا يغيّره ضدّ...»<sup>٧</sup>.

وهكذا، كما «ظهر» العقل الكلّي بحمزة بن علي، «ظهر» الضدّ الذي هو إبليس بـ«نشتكين الدرزي». وهي محنة ابتلاه بها المولى. وكما ظهر إبليس من اعجاب العقل بنفسه، كذلك ظهر الدرزي «من تحت ثوب الإمام»<sup>٨</sup>. وكما كان لإبليس معاونون يعملون في ضلال الموحّدين، كان للدرزي أيضاً دعاة أفسدوا التوحيد وعلموا بحسب أهوائهم الشنيعة.

وبسبب تعاليمهم هذه علّقت دعوة التوحيد سنةً كاملةً، وهي التاسعة بعد الأربعمئة، وغابَ الحاكم، وغاب الإمام حمزة، وغاب جميع الدعاة. وانقطع النصّ، وظهرت البدع،

<sup>١</sup> رسالة الرضى والتسليم ١٦ / ١٨١.

<sup>٢</sup> نفس المرجع، ١٦ / ١٨١.

<sup>٣</sup> نفس المرجع، مستشهداً بسورة ص ٣٨ / ٧٦.

<sup>٤</sup> رسالة الرضى والتسليم ١٦ / ١٨٢.

<sup>٥</sup> رسالة التنزيه إلى جماعة الموحّدين ١٧ / ١٩٢.

<sup>٦</sup> أبو المحاسن، النجوم الزاهرة ٤ / ١٨٤.

<sup>٧</sup> رسالة الصيحة الكائنة ١٩ / ٢٠٣.

<sup>٨</sup> رسالة الغاية والنصيحة ١٠ / ٩٢.

<sup>٩</sup> لذلك لا نرى رسالة واحدة في مجموع الحكمة من سنة ٤٠٩ هـ.

وكثر نشاط الأضداد، ونكثَ بعضُ الدعاة، وتراجع «المرتدون» الخونة... وكانت هذه السنة امتحاناً عسيراً على الموحدين واختباراً شديداً لإيمانهم...

### غيبة التاسعة:

محنة عسيرة أصابت الدعوة في مهدها ومن كل صوب، من الداخل ومن الخارج. لقد انقسم الدعاة بعضهم عن بعض، فكان الدرزي والبرذعي والأخرم وأبو جعفر الضرير ومعاند وغيرهم، من جهة؛ وكان حمزة وحدوده الأربعة وسواهم من جهة ثانية. وكان أهل جميع الأديان من سنة وتأويلية ونصارى ويهود على الدعوة عواناً. وكاد الجميع يقضي عليها... ولكن حمزة تدبّر الأمر وتفادى الكارثة، فأعلن اغلاقها سنة كاملة.

في هذه السنة ٤٠٩ هـ هدأ نشاط الدعاة، وغابوا عن مسرح الأحداث. وراحوا يعيدون النظر في تنظيم صفوفهم، ويعدون الدعاة والمعاونين، ويعالجون رسائل جديدة، ويختلفون بالحاكم ليتداركوا الأمور الصعبة والأحوال المستعصية.

«غير أن تعليق الدعوة لم يثن الدرزي عن نشاطه. بل شجعه اعتكاف الحاكم واعتزال حمزة بن علي على المضي في دعواه واستجلاب من يستطيع استجلابه إليه... وهكذا فلا تكاد سنة ٤٠٩ هـ ان تشرف على الانتهاء حتى تكون نقمة أهل القاهرة على الدرزي قد بلغت مبلغاً جعلتهم، في ٢٨ ذي الحجة ٤٠٩ / ٨ أيار ١٠١٩، يتصدون للدرزي ويُلحقون به هزيمة ذهب ضحيتها نحو أربعين قتيلاً من أتباعه<sup>١</sup>. ويبدو أن الدرزي، في محاولة منه أخيرة لرأب الصدع بينه وبين القاهريين وانجاء دعوته من فشل نهائي، سعى إلى مفاوضة أهل القاهرة، وأقنعهم بالتصدي لحمزة بن علي الذي كان معتكفاً مع بعض من الموحدين في مسجد ريدان المحصن الواقع خارج أسوار القاهرة.

«وهكذا نجح الدرزي بتحويل النقمة على حمزة بن علي. وقد انضم الدرزي إليهم، ليزحف — فيما قال — ما ينيف على العشرين ألفاً لقتال إمام الموحدين. وتقول مصادر التوحيد<sup>٢</sup> إنه لم يكن مع حمزة بن علي في حصنه ذلك إلا نفر قليل لا يتجاوز الاثني عشر، منهم خمسة لا يصلحون للقتال نظراً لكبر السن أو صغره. أما السبعة الآخرون فهم: إسماعيل بن محمد التميمي، ومحمد بن وهب القرشي، وسلامة بن عبد الوهاب السامري — وهؤلاء

<sup>١</sup> في هذا إشارة إلى «الصيحة الكائنة» ١٩ / ٢٠٤.  
<sup>٢</sup> في هذا إشارة إلى الرسالة ١٩ / ٢٠٥، و ١٠ / ٩٤، ١٦ / ١٧٩.

كانوا دعاة النذر – والمقتنى بهاء الدين علي بن أحمد الطائي، وأيوب عن علي، ورفاعه بن عبد الوارث، ومحسن بن علي. وقد استطاع حمزة بن علي ومن معه أن يصمدوا أمام المهاجمين خلف تحصينات المسجد. وعند المغرب، وكانوا قد بلغوا أشدَّ درجات الضيق، أطلَّ الحاكم عن شرفة قصره المشرف على المسجد. فلما رأت الجموع الخليفة كفوًا عن القتال وتراجعوا ورُفِعَ عن حمزة بن علي الحصار ليعود بعودة الحاكم ونصرته له إلى سابق عهده.

«وفي صباح تلك الليلة، أي في الأوَّل من محرّم سنة ٤١٠ هـ / ١٠ أيار سنة ١٠١٩ م قتل الدرزي بأفعاله (٢)، واستقام الوضع مجددًا واستؤنفت الدعوة. فعاد الدعاة إلى سابق نشاطهم يدعون في مختلف الامصار.»<sup>١</sup>.

### نهاية الدرزي:

في رأى الدروز عامّة أن الدرزي قتل سنة ٤١٠ هـ<sup>٢</sup>. وهم يعتمدون بذلك على ما جاء في تاريخ الأنطاكي<sup>٣</sup> وفي الرسالة ١٩. إلا أن رأياً آخر يرجّح إبعاده إلى بلاد الشام، وهو رأى المؤرّخين غير الدروز. وقد يكون الرأى الأكثر صواباً للأسباب التالية:

إن الذين يقولون بقتله يعتمدون إلى الرسالة ١٩ المؤرّخة في شهر شعبان من السنة الثانية لحمزة، أي ٤١٠. ولكنّ هذه الرسالة لا تذكر صراحة بأنّ الدرزي قتل مع سائر القتلى؛ ثم إنّها لم تُوجّه إليه شخصياً، بل إلى أصحابه، إذ هي تبتدئ بما يلي: «رسالة من هادى المستجيبين المنتقم من المشركين بسيف مولانا سبحانه، إلى أصحاب نشتكين المعتقلين»<sup>٤</sup>، وليس إلى نشتكين بالذات. وإنّها أيضاً تشير إلى كثيرين هربوا من المعركة مع أهل القاهرة بقولها: «وهرب من هرب»<sup>٥</sup>.

ثم إن شمس الدين أبا المظفر بن قزأوغلي في تاريخه «مرآة الزمان» يدلّ صراحة على هربه إلى بلاد الشام بعد ثورة الناس عليه. يقول: «فتار الناس عليه، وقصدوا قتله، فهرب منهم. وأنكر الحاكم أمره خوفاً من الرعيّة. وبعث إليه في السرّ مالا، وقال: أخرج إلى

<sup>١</sup> تاريخ الموحدین الدرّوز السیاسی فی المشرق العربی، ص ٦٤ - ٦٥، وهو یستشهد بالرسالتین ١٠ و ١٩ و بیوسف العقیلي فی خبايا الجواهر، ص ٧٣٠... وهو أمر نادر جداً عند کتبه الدرّوز...

<sup>٢</sup> انظر: تاریخ الموحدین الدرّوز السیاسی... ص ٦٤، و عبد الله النجار، مذهب الموحدین الدرّوز، ط ٢، ص ١٦٧...

<sup>٣</sup> تاریخ الأنطاکی ص ٢٢٢ - ٢٢٣ حیث یقول إن ترکیباً قتله...

<sup>٤</sup> رسالة «الصیحة الکائنة» ١٩ / ٢٠٢.

<sup>٥</sup> نفس المرجع ١٩ / ٢٠٤.

الشام، وانشر الدعوة في الجبال، فإنَّ أهلها سريعو الانقياد. فخرج إلى الشام، ونزل بوادي تيم الله بن ثعلبة، غربيّ دمشق، من أعمال بانياس. فقرأ الكتاب على أهله (أي على أهل وادي التيم)، واستمالهم إلى الحاكم، وأعطاهم المال. وقرّر في نفوسهم الدرزي التناسخ، وأباح لهم شرب الخمر والزنا، وأخذ مال من خالفهم في عقائدهم وإباحة دمه. وأقام عندهم يبيح لهم المحظورات إلى أن انتهى»<sup>١</sup>.

والله أعلم.

وهكذا «لمّا انقضت التاسعة تجلّى البارئ سبحانه بالوحدانيّة، وكشف توحيده في أول السنة العاشرة، واستمرّ الكشف إلى قرب آخر السنة الحادية عشر، وعادت الدعوة التوحيدية كما بدأت في السنة الثامنة من تجلّي المعبود وظهور الحدود وكشف التوحيد ودحض التلحيد ونشر الدعوة وفيض الحكمة وتصنيف الرسائل وكتابة المواثيق ونسخ الشرائع ورفع التكليف...»<sup>٢</sup>.

### غيبه حمزة الأخيرة:

في نهاية السنة الحادية عشرة بعد الاربعمائة من الهجرة، غاب حمزة بن علي غيبته الأخيرة. وسلّم مقاليد الدعوة إلى المقتنى بهاء الدين علي بن أحمد الطائي. وكانت غيبه حمزة هذه أثر غيبه الحاكم في ٢٧ شوال سنة ٤١١ / ١٢ شباط ١٠١٢. ثم غاب معهما جميع الحدود، ما عدا بهاء الدين المقتنى الذي وقع عبء الدعوة عليه. وفي ذلك قالت الحكمة: «لمّا... ثبتت حجّة الحقّ على كلّ الأمم، وتجلّى (الحقّ) للبشر من حيث تخيل النظر، احتجب بنوره عن خلقه، فلم يقف له أثر، واستتر لغيبته وليّه الهادي النذير (حمزة)، وغاب لغيبته صفيّه البشير (اسماعيل التميمي)»<sup>٣</sup>.

ولكن، أين كان موضع الغيبه هذه؟ إنه أمر مجهول لدينا. ولكنّ حمزة وما زال موجوداً، يرسل الدعاة سرّاً، ويوجّه نشاطهم من مكان اختفائه. «في اعتقاد الموحّدين أن غيبه حمزة هذه كانت امتحاناً لهم وإخلاصهم لدعوة التوحيد»<sup>٤</sup>. وعنها قالت الحكمة: «إن غيبتي

<sup>١</sup> النجوم الزاهرة، ج ٤ ص ١٨٤.

<sup>٢</sup> مختصر البيان في مجرى الزمان، ورقة ٧٢ ب وما يلي.

<sup>٣</sup> الموسومة بأحد وسبعين سؤالاً / ٧٣ / ٦٣٦ - ٦٣٧.

<sup>٤</sup> تاريخ الموحّدين الدروز في المشرق العربي، ص ٦٥.

عنكم غيبة امتحان لكم ولجميع أهل الأديان. فمن وفى منكم بما وثق عليه ولم ينكص على عقبه فسأوتيّه أجراً عظيماً، وأنيله مقاماً كريماً»<sup>١</sup>.

وقالت أيضاً: «ثم غاب سلام الله على ذكره بعد ايجاب الحجة على العوالم في ملكوت باريه إلى أجل يتممه بمعالم حكمته وينتهيه اثباتاً لحججه على العوالم، وتمييزاً للطائع المظلوم من المرتدّ الشاك الظالم، واقامة للقسط والحق والعدل في يوم المعاد والقضاء والفصل، بأمر يتّصل بحول باريه، ويتمّ ببركة قائمه وهاديه»<sup>٢</sup>.

وبعد غيبة الحاكم بشهرين أرسل حمزة «رسالة الغيبة» رقم ٣٥، على يد أبي يعلا إلى الموحدّين في بلاد الشام. وكانت الأخيرة من يده.



---

<sup>١</sup> الاعذار والانذار ٣٤ / ٢٤٨، انظر: ٧٦ / ٦٩٠، ٦٤ / ٤٩٨.  
<sup>٢</sup> رسالة السفر إلى السادة ٦٨ / ٥٤٦ - ٥٤٧، انظر أيضاً ٧٤ / ١٦. رسالة السفر إلى السادة ٦٨ / ٥٤٦ - ٥٤٧، انظر أيضاً ٧٤ / ١٦.

## ثالثاً - النفس - إسماعيل التميمي

هو أبو ابراهيم إسماعيل بن محمد بن حامد التميمي، الحدّ الثاني من حدود التوحيد الخمسة. وهو بمقام «النفس الكلّية» التي تشخّصت فيه في دور الحاكم. كتب إليه حمزة يقلّده مرتبته التوحيدية، ومنزلته الدينية. جاء في كتابه:

«من عبد مولانا (حمزة)... إلى أخيه وتاليه، وذى مصّة علمه، وثانيه، آدم الجزئي، الذي اجتباّه (اختاره) بعلمه، وهداه بحلمه، وغدّاه بسلمه، أخنوخ الأوان، وإدريس الزمان، هرمس الهرامسة، أخي، وصهري، أبو ابراهيم إسماعيل بن محمد التميمي، الداعي...  
«إنّي نظرت إليك... فجعلتك خليفتي على سائر الدعاة والمأذونين والنقباء والمكاسرين وجميع الموحدّين بالحضرة الطاهرة وفي سائر جزائر الأرض وأقاليمها.

«وأسميتك بصفوة المستجيبين، وكهف الموحدون، وذى مصّة علم الأولين والآخرين. وجعلت لك الأمر والنهي على سائر الحدود، تولى من شئت، وتعزل من شئت. فما رأيت فيه من صلاح وعملته فهو أمري، وما نهيت عنه فهو نهبي. ومن خالفك فقد خالفني، من أطاعك فقد أطاعني»<sup>١</sup>.

وفي أمكنة كثيرة من مجموعة «رسائل الحكمة»، يعتبر إسماعيل هذا في الدرجة الثانية بعد حمزة: «فأولهم وأعظمهم فعلاً ذو معة (حمزة)، وبعده ذو مصّة»<sup>٢</sup>، أي إسماعيل الذي «امتصّ علمه من قائم الزمان»<sup>٣</sup>. ويكنّى بـ«المشيئة» وبـ«الحجة الصافية الرضية» وبـ«صفوة المستجيبين، وكهف الموحدّين»، وبـ«الشيخ المجتبي»... الخ<sup>٤</sup>.

وفي الرسائل القليلة التي وضعها إسماعيل يعطي نفسه ذات الألقاب والصفات والمهامّ التي يضيفها عليه حمزة<sup>٥</sup>. ويشبه نسبته إلى حمزة كنسبة الزناد إلى الحجر «ولو مكث الزناد طول الدهر ملقى بلا قادح ولا حجر يحركه، لما ظهر من الزناد نار. وإنّما ظهور النار من

<sup>١</sup> سجل المجتبي ٢٠ / ٢٠٦ - ٢٠٧.

<sup>٢</sup> رسالة التنزيه إلى جماعة الموحدّين ١٧ / ١٩١.

<sup>٣</sup> كتاب فيه تقسيم العلوم ٣٦ / ٢٥٨.

<sup>٤</sup> تقليد المقتنى ٢٢ / ٢١٦، انظر ذكر معرفة الإمام ٣٢ / ٢٤٠.

<sup>٥</sup> انظر ٣٩ / ٢٨٢، ٣٢ / ٢٤٠، ٢١ / ٢٠٩ الخ...

الزناد بالقادح والحجر. كذلك النفس»<sup>١</sup>. فالنار كامنة في الزناد، وفي الحجر، ولولا القادح لما  
لما كانت. و «الزناد والحجر زوج مزدوج، ذكر وانثى.. والنار متولدة من بينهما...»<sup>٢</sup>.  
ثم يعطينا درجته من حمزة كما يلي: «أوجدني (قائم الزمان) منه لقوة ابداعه ومادته.  
وجعلني تاليه وحجته وزجته وقابل صورته ومودع سره وحكمته. وأفاض علي نوره وبركته.  
وأوجد مني حدود دعوته... فأنا النفس. ومنزلتي من إمام الهدى بمنزلة القمر من الشمس.  
فاسمعوا أيها الموحدون نصّ الحكمة تسعدوا... وأوصلوا شكري بشكره وشكر جميع  
الحدود»<sup>٣</sup>.



عُرف عن إسماعيل أنه وضع في مجموعة الحكمة خمس رسائل، من رقم ٣٦ إلى ٤٠  
في الجزء الثاني منها. والرقم ٤٠ «شعر النفس» وهي قصيدة بعثها إلى أهل جبل السماق بيتاً  
فيها عقيدة التوحيد.



غاب مع غيبة حمزة، واختفى عن مسرح الأحداث بسبب الاضطهاد، ونظراً  
لمصاهرته بقائم الزمان. له في الدعوة «انتعشر حجة في الجزائر، وسبعة دعاة للأقاليم  
السبعة»<sup>٤</sup>.



لم يعط شيئاً جديداً فيما كتب سوى أنه شرح نظرية حمزة وقربها للأفهام بكثرة  
استعاراته وأمثاله. يقول الدروز بأنه بدأ يعدّ العدة قبل كشف الدعوة بسبع سنين، فهياً بذلك  
لمجيء حمزة واستلامه الإمامة الحقيقية.

<sup>١</sup> رسالة الزناد ٣٧ / ٢٧٤.

<sup>٢</sup> نفس المرجع ٣٧ / ٢٧٥.

<sup>٣</sup> الموسومة بالرشد والهداية ٣٩ / ٢٨٣.

<sup>٤</sup> الموسومة بكشف الحقائق ١٣ / ١٣٧.



## رابعاً - الكلمة - مُحَمَّد بن وَهَب القرشي

هو «الكلمة، الشيخ الرضى، سفير القدرة، فخر الموحدين، وبشير المؤمنين، وعماد المستجيبين، وكلمتهم العليا روحاني، واسمه جسماني: أبو عبد الله محمد بن وهب القرشي الداعي»<sup>١</sup>.

هو ثالث الحدود الروحانية التوحيدية. هو «الكلمة» في دور العلي الأعلى، و«شرح» أو «آدم الناسي» في دور البار. لا أحد يعلوه في الدعوة غير إسماعيل التميمي<sup>٢</sup>. تقع عليه مهمة ملاطفة الموحدين، وحثهم على الخدمة، وتلقي الأخبار من النقباء، ورفعها إلى حمزة<sup>٣</sup>.

يبدو أنّ منزلته الدينية هذه كانت لوحد قبله، توفاه الله، وكان يلقب بـ«الشيخ المرتضى، قدس المولى روحه»<sup>٤</sup>. وقد تسلّم القرشي مرتبته وعلومه وكتبه التوحيدية، وهو الذي واره التراب واهتم بدفنته<sup>٥</sup>. لا نعرف عنه أنه كتب شيئاً من رسائل الحكمة أو من سائر الكتب التوحيدية. له «اثعشر حجة وسبعة دعاة للأقاليم السبعة، لأنّ للكلمة نظير ما للنفس»<sup>٦</sup>.

من توصيات قائم الزمان إلى القرشي:

«اجمع شمل الموحدين. وكن لهم في نفاسهم وأعراسهم وجنائزهم على السنة التي رسمت لهم...»

«ومن رأيت من جميع الحدود والدعاة والمأذونين والنقباء قصر عن الخدمة وبان لك منه زلة فابدله بغيره...»

«أوصهم بحفظ بعضهم بعضاً. ولا يمشي أحدٌ منهم إلا ومعه شيء من السلاح وأقله سيكين...»

<sup>١</sup> انظر: ٣٢ / ٢٤٠، ٢٢ / ٢١٦، ٢١ / ٢٠٨ مرتين.

<sup>٢</sup> تقليد الرضى وسفير القدرة ٢١ / ٢٠٩.

<sup>٣</sup> نفس المرجع.

<sup>٤</sup> نفس المرجع.

<sup>٥</sup> نفس المرجع.

<sup>٦</sup> الموسومة بكشف الحقائق ١٣ / ١٣٧.

«مَنْ حُبِسَ عَلَى جَنِيَّةٍ أَوْ خَطِيئَةٍ وَسُومِحَ بِهَا فَاَمْضِ بِهَا إِلَى بَيْتِكَ وَاضْرِبْهُ بِالْعَصِيِّ  
ضَرْباً وَجِيعاً حَتَّى لَا يَعُودَ إِلَى خَطَاٍ لَا يَلِيْقُ بِالْمُوحِدِينَ، وَذَلِكَ فِي بَيْتِكَ مَوْضِعاً لَا تَكُونُ فِيهِ  
الْأَصْدَادُ...»

«احذر أن تتجاوز ما رسمتُ لك... قلُ الحقَّ ولا تستحي منِّي ولا تَفْرَعْ... لا تتقدّم  
من الحضرة (الحاكم) إلا بعد أن تدعوك. ولا تتكلم بحرف واحدٍ إلا بعد أن تسألك عنه... لا  
تُخَفِ عَنِّي جَمِيعَ مَا أَنْتَ فِيهِ... قلُ الحقَّ ولا تخشَ إلا ذنْبَكَ...»<sup>١</sup>.

هذه الوصايا الأخيرة تدلُّ على ضعفِ شخصيَّةِ القرشي أمام قائم الزمان، وخاصَّة  
عندما ينبّهه بمثل قوله: «لا تلجَّ في السؤال، ولا ترفع صوتك، ولا تحرك يدك، ولا تشير  
بعينك، ولا ترفع رأسك عند الكلام...»<sup>٢</sup>.



<sup>١</sup> تقليد الرضى وسفير القدرة ٢١ / ٢٢٠ - ٢١١.  
<sup>٢</sup> نفس المرجع، ص ٢١١.

## خامساً – السابق – أبو الخير سلامة السامري

هو «الجنّاح الأيمن، الشيخ المصطفى، نظام المستجيبين، وعزّ الموحدين، روحاني. واسمه جسماني: أبو الخير سلامة بن عبد الوهّاب السامري الداعي»<sup>١</sup>.

ليس في مجموعة «رسائل الحكمة» تقليد خاصّ به، كما هو لسائر الحدود؛ لكنّنا نستطيع معرفة القليل عنه في «تقليد المقتنى» رقم ٢٢. وقد يكون عدم ذكره كثيراً لأنّ المهمّة الموكولة إليه سرّيّة: «القوّة للسابق مستورة مكتومة»<sup>٢</sup>.

ومع هذا قد يكون قائم الزمان حمزة أرسل إليه تقليداً خاصاً ثمّ ضاع، أو لا يوجد في مجموعة «الحكمة»، بدليل ما أشار إليه حمزة في «تقليد المقتنى» بقوله له: «ولا يكون أخذك على المستجيبين خارجاً عمّا في تقليد أخيك المصطفى»<sup>٣</sup>. والمصطفى هو السامري نفسه. للسامري «اثن عشر حجّة لا غير»<sup>٤</sup>. ليس له أيّة رسالة في مجموعة «الحكمة».



<sup>١</sup> ذكر معرفة الإمام ٣٢ / ٢٤١.

<sup>٢</sup> تقليد المقتنى ٢٢ / ٢١٥.

<sup>٣</sup> نفس المرجع، ص ٢١٧.

<sup>٤</sup> الموسومة بكشف الحقائق ١٣ / ١٣٧.

## سادساً - التالي - بهاء الدين المقتنى

هو «الجنّاح الأيسر، الشيخ المقتنى، بهاء الدين، ولسان المؤمنين، وسند الموحّدين، الناصح لكافة الخلق أجمعين، روحاني. واسمه جسماني: أبو الحسن عليّ بن أحمد الطائي السموقي الداعي»<sup>١</sup>. المعروف بـ«الضيف»<sup>٢</sup>.

بهاء الدين هذا هو بالفعل «لسان المؤمنين وسند الموحّدين» وقد يكون حمزة اختاره لأجل كونه «صاحب القول المبجل». لقد كان، بحسب ما ورد في «تقليد المقتنى»، كاتباً بليغاً، ينمّق الكلم، ويحكم التّأليف. وكان يسرّ حمزة «عند سماع لفظه ومعجز تميّقه، وإحكام تآليفه». وأعتبر ذلك من أنعم المولى عليه. وعرفه أيضاً «بالذكاء والفتنة شخصاً حليماً. فأشرقت زهرة ألفاظه في سماء عقله وفكره وخاطره. وفاح نسيم زهرة عقيدته الصحيحة، فاستحقّ علوّ المنزلة ورفيع الدرجة»<sup>٣</sup>.

وبسبب معرفة حمزة به المتأخّرة عن معرفة سائر الحدود جعله في آخر المراتب. ولكنّه كلفه بالمهامّ الصعبة، وبإكمال الدعوة التوحيدية، وإعلانها، ووضع رسائل في الحكمة. فالفعل هو، في الحقيقة، له: «والفعل للتالي بأفعال صحيحة معلومة»<sup>٤</sup>. وقد يكون بهاء الدين، بسبب ذلك، أعظم من كل من شغل مرتبته هذه في الأدوار الماضية، ف«تالينا يقوم بها (بدعوة التوحيد) أعلى من كل حدّ قام»<sup>٥</sup>.

في الأدوار السابقة كان يقوم «النفس» مقام «الإمام» عند غيبته، أمّا في هذا الدور فالكلّ غاب ما عدا «التالي»: «وتخلّف بعدهم مولاي بهاء الدين (أي خلفهم)... وسبب خلفه المقتنى في هذا العصر الأخير لأن ما بعده شرائع ولا بقى إلاّ الجزاء والقيامة. وإلاّ الخلفة بعد غيبة الإمام فهي لحجته النفس الكلية في جميع الأدوار. وهذا العصر الأخير تخلّف (أي خلف) المقتنى سلام الله عليه، وتمّ الدعوة وكملّ هداية الخلائق، وخلّص بقيّة الموحّدين من دين التّأويل، وتمّ قيام الحجة على جميع الخلق...»<sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> ذكر معرفة الإمام ٣٢ / ٢٤١.

<sup>٢</sup> انظر: ٢٢ / ٢١٣ و ٢١٤.

<sup>٣</sup> تقليد المقتنى ٢٢ / ٢١٤ - ٢١٥.

<sup>٤</sup> تقليد المقتنى ٢٢ / ٢١٥.

<sup>٥</sup> نفس المرجع.

<sup>٦</sup> مختصر البيان في مجرى الزمان، ورقة ٧٦ أ - ب.

ولأجل ذلك طلب حمزة من بهاء الدين أن يكتب الميثاق على المستجيبين بـ«ضبط الحلية وإحكام الشهادة»<sup>١</sup>. وهو أمر هامّ يتعلّق به وحده، ويستطيع بهاء الدين ذلك لأنه يعرف، نظراً لسعة معارفه، أن يبيّن هويّة كل موحدّ ويعرّف عليه بما يميّزه بسمات وجهه، ويعرف كيف يحكم عليه الشهادة الحقّة.

ووضع حمزة لبهاء الدين جملةً موحدّين ليكونوا في خدمته وتحت أوامره، فكان منهم «حسن بن هبة الرقّاء، نقيب النقباء، ليكون هو وأصحابه فيما يعرض لك في المدينة (القاهرة) من المهمّات»<sup>٢</sup>. وحسن هذا كان وسيطاً بين حمزة وسفير القدرة محمد بن وهب القرشي. وعليه الآن أن يكون وسيطاً بين بهاء الدين وحمزة مع أصحابه المبتوثين في القاهرة. وحسن هذا «تدفع إليه كتبكم. فإنّها واصلة على يده»<sup>٣</sup>.

وعيّن حمزة لبهاء الدين «ثلاثة حدود يتمسكون به، أولهم الجدّ أيوب بن علي، وثانيهم الفتح رفاعة بن عبد الوارث، وثالثهم الخيال محسن بن علي»<sup>٤</sup>. ومعنى «الجدّ لأنه جدّ في طلب العلم من الإمام»، و «الفتح لأنه يفتح باب العهد والميثاق على المستجيبين»، و «الخيال لأنه يلوّح بعلمه ومكاسرته مثل الخيال، إذ كان التلوّيح بالكلام بغير كشف ولا تبيان»<sup>٥</sup>. وأهميّة هؤلاء تأتي من كونهم، مع الحدود الخمسة، يؤلّفون «شمعة التوحيد»<sup>٦</sup>. وهذا ما يشير، مرّة أخرى، إلى أهميّة بهاء الدين ودوره الفعّال في الدعوة.

وعرّف إسماعيل التميمي أيضاً أهميّة بهاء الدين هذه، فاعتبر أن التوحيد لا يقوم فعلاً إلاّ به وعليه، تماماً كـ«الطست» أو «الحسكة» الذي يحمل الشمعة... «إذا اتفق النار (العقل والنفس) والشمع (الكلمة) والقطن (السابق) قال: إنّي استعملت شمعة تبقى منفردة، تريد من يحملها. فإذا لم يكن لها حسكة تحملها بقيت ناقصة الآلة»<sup>٧</sup>. فبهاء الدين هو «آلة» التوحيد، حامله ومحركه...

هذا ما نعرفه من حمزة التميمي عن بهاء الدين. ولكننا نستطيع توضيح صورة المقتنى من الرسائل التي كتبها بنفسه وبعث بها إلى كافّة أنحاء الأرض. وفي معتقد الموحدّين «ما غاب مولاي بهاء الدين حتى قامت الحجّة على جميع الخلق. ولو تأخّر من الخلق شخص

<sup>١</sup> تقليد المقتنى ٢٢ / ٢١٧.

<sup>٢</sup> تقليد المقتنى ٢٢ / ٢١٧.

<sup>٣</sup> مكاتبة إلى أهل الكدية البيضاء ٢٣ / ٢١٨.

<sup>٤</sup> الموسومة برسالة الشمعة ٣٨ / ٢٨١.

<sup>٥</sup> رسالة التنزيه إلى جماعة الموحدّين ١٧ / ١٨٨.

<sup>٦</sup> الموسومة برسالة الشمعة ٣٨ / ٢٨١.

<sup>٧</sup> الموسومة برسالة الشمعة ٣٨ / ٢٧٨.

واحد لم تبلغه الدعوة لبقى له حجة على الله ورسوله... لهذا «بالحجة تقطعت معاذير الأنام»<sup>١</sup>.

لقد كتب بهاء الدين أربعة أجزاء على ستة من «رسائل الحكمة»، أي من رسالة ٤١ حتى ١١١ الأخيرة، ما عدا رقم ٤٤ التي يظن بأنها لحمزة. وبلغ دعوة التوحيد أقاصي الأرض. فكتب إلى الملوك والرؤساء وجميع البلدان، فراسل قسطنطين الثامن امبراطور بيزنطية، وراجبال زعيم الهند، وسادات العرب، واليمن، وجبل السمّاق، ووادي التيم، وحلب، وراسل المسيحيين، واليهود، وأهل السنّة، والشيعّة، وأهل التوحيد، والفلاسفة، وردّ على المنجمين، وراسل شيوخ الموحّدين الأطهار، أمثال آل عبد الله، وآل تراب، وآل سليمان. وقد شيوخاً كثيرين، وكتب رسائل توبيخ للمرتدين الخونة... الخ.

لقد وقع عبء الدعوة على أكتافه، بعد غيبة الحدود. وكانت الفترة التي تسلّم فيها مهامه صعبة جداً، هي فترة محنة وبلاء واضطهاد وتشريد وقتل... حتى عجز في النهاية من اكمال الرسالة. فأغلق أبواب الدعوة فيها إلى الأبد. وكان ذلك سنة ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م. وقد كتب في ذلك رسالته الأخيرة المسماة بـ«منشور الغيبة» رقم ١١١ حيث يوصي الموحّدين بهذا الكلام: «من وقعت به منكم محنة، وطلب منكم سبّ هذا العبد (أي المقتنى نفسه) فتنبرأوا منه (أي من المقتنى) وسيؤه. وإن طلب منكم لعنته فالعنوه. هذا عند الاضرار (أي عند الضرورة). والله العالم بما تظهروه وتكتموه»<sup>٢</sup>.



لكن، لنعد قليلاً إلى الوراء. قلنا إنّ الدعوة ظهرت سنة ٤٠٨، واستمرت سنة ٤٠٩، وعادت سنتي ٤١٠ و ٤١١، وفي أواخر هذه السنة غاب الحاكم وسائر الحدود، «وبويح لأبي الحسن علي بالخلافة، ولقب بالظاهر لا عزاز دين الله»<sup>٣</sup>. وما إنّ اعتلى الخليفة الجديد العرش حتى بادر إلى اضطهاد الموحّدين»<sup>٤</sup>. وكان السبب، بنظر الدروز، إنّ «الموحّدين لم يعترفوا بالظاهر إماماً لهم» فالإمامة الفاطمية انتهت، حسب معتقدهم، بالحاكم<sup>٥</sup> الذي سلّمها في الأوّل من محرّم سنة ٤٠٨ هـ إلى حمزة بن علي، وقد لقبه بإمام الزمان. إذن، كان الموحّدون في

<sup>١</sup> مختصر البيان في مجرى الزمان، ورقة ٧٦ ب - ٧٧ أ.

<sup>٢</sup> منشور الغيبة ١١١ / ٨٤٢.

<sup>٣</sup> تاريخ الأنطاكي، ص ٢٣٥.

<sup>٤</sup> تاريخ الموحّدين الدروز السياسي في المشرق العربي، ص ٦٦.

<sup>٥</sup> انظر: سامي مكارم، الحاكم بأمر الله... مقال في «الأبحاث» ج ٢٣.

نظر الخليفة الظاهر، خارجين عن طاعته لا يعترفون بإمامته، وبالتالي لا يدينون له بالولاء. لذلك كان لا بدّ له من استئصالهم بالسيف على حدّ تعبيره<sup>١</sup>.

«فلما اعتلى الظاهر عرش الخلافة الفاطمية، وكان قد مضى على اختفاء الحاكم نيّف وأربعون يوماً، عدّ كل يمين من الأربعين يميناً، التي قيل إنه أخذها على نفسه بالألّا يصيب الموحدّين بسوء، قبالة يوم واحد، حسب المصادر التوحيدية التي تضيف إن ذلك كان بمشورة أحد أخصام الموحدّين وهو صالح بن مرداس والي حلب<sup>٢</sup>. وهكذا أخذ الظاهر يسوم الموحدّين شتى أنواع الاضطهاد والتعذيب والتتكيل. وقد هدر دماءهم في مختلف أنحاء مملكته ودامت فترة الاضطهاد هذه نحو ست سنوات ونيّف»<sup>٣</sup>.

لقد استمرّت المحنة إذن من غيبة الحاكم سنة ٤١١ هـ حتى سنة ٤١٧ هـ. واستمرّت دعوة التوحيد معلّقة طيلة هذه المدّة، إلى ان تسلّم المقتنى كتاباً من قائم الزمان حمزة يأمره فيه باستئنافها. وقد لبّى المقتنى أمر حمزة وعادت الدعوة إلى سابق عهدها من النشاط<sup>٤</sup>. وكانت أوّل رسالة كتبها بهاء الدين «الجزء الأول من السبعة أجزاء»، وفيها يبشّر بقرب الفرج: «والفرج بمشيّته قريب. وقد مضى من المحنة أكثرها، وبقي أيسرها. فابشروا معاشر الإخوان الموحدّين، وبشّروا إخوانكم، واحذروا من القنط والضجر، واصبروا، فإنّ العاقبة لمن صبر»<sup>٥</sup>. وكان أمل المقتنى بانتهاء المحنة يعتمد على قاعدة درزيّة شهيرة، وهي إن «كل شيء إذا بلغ سبعة انتهى ووجب تغييره وحدث غيره»<sup>٦</sup>.

وهكذا استمرّت رسائل بهاء الدين تتوالى من سنة ٤١٧ حتى ٤٣٥ هـ. وهي تتصف بالشموليّة والعمق ومتانة الأسلوب وغنى المفردات وكثرة الألغاز وصعوبة الرموزات ونفاذ المنطق... قاعدتها تعاليم حمزة، وهي تشرّحها وتفسّرها وتغنيها بالصور والأمثال. وتشير إلى معرفة صاحبها بشتى الأديان والعلوم والصناعات. فهو يعرف المسيحية وتقاليدها وتعاليمها وأعيادها، حتى حسبه «دو ساسي» مسيحياً مرتدّاً<sup>٧</sup>، ويلمّ بقواعد الطب وأنواع الأدوية والأمراض<sup>٨</sup>، ويدرك طرق التجارة وآلات الزراعة وما إليها<sup>٩</sup>.

<sup>١</sup> تاريخ الموحدّين الدرّوز السياسي في المشرق العربي، ص ٦٧.

<sup>٢</sup> انظر يوسف العقيلي، خبايا الجواهر، ص ٧٣٨ - ٧٣٩.

<sup>٣</sup> مختصر البيان في مجرى الزمان، ٧٧ أ، عمدة العارفين ٣ / ١٩٣. وانظر «تاريخ الموحدّين الدرّوز السياسي...»، ص ٦٧.

<sup>٤</sup> عمدة العارفين ٣ / ١٠٥، والمرجع السابق، ص ٦٩.

<sup>٥</sup> رسالة الوصايا السبع (٤) / ٤١ / ٣١٩.

<sup>٦</sup> نفس المرجع، ٤١ / ٣١٨.

<sup>٧</sup> انظر كتاب «دو ساسي»، بالفرنسية، الجزء الأول، ص ٤٨٩.

<sup>٨</sup> انظر الرسائل: ٧٩ / ٧٢٦، ٨٧ / ٨٦٢، ١٠١ / ٨٠٠، ١٠٢ / ٨٠٣ - ٨٠٧، ١٠٥ / ٨١٥ الخ...

ولا يقلُّ بهاء الدين عنفاً عن حمزة في نقض جميع الشرائع والأديان، وكشف عوار الأنبياء والرسل وجميع الأوصياء. فهو القائل: «فوقَّ السيِّد... لاهتكنَّ عوار نواميس الأديان... ولأهدمنَّ قواعد النحلِّ الشريكية البدعية، ولأفسخنَّ المقالات المفرعة للشك والشرك في أصول الأديان بعد الاذان (أي أذن) في ذلك من قائم العصر مسيح الأزمان»<sup>٢</sup>.



---

<sup>١</sup> انظر الرسائل: ٧٧٥ / ٩٢ - ٧٧٧، ٩٣ / ٧٧٨، ٩٤ / ٧٨٠ - ٧٨٤، ٩٥ / ٧٨٥ - ٧٨٦، ١٠٠ / ٧٩٦ - ٧٩٨، والرسائل الأخيرة.  
<sup>٢</sup> الموسومة بالمسيحية وأمّ القلائد النسكية... ٥٤ / ٤١٦.



## سابعاً - خَوْنَةُ الدَّعْوَةِ

رغم يقظة بهاء الدين وحيطته دخل الدعوة أناسٌ «لم يكونوا بمستوى الرسالة التي أنيطت بهم. فقد لعبت في بعضهم الاطماع الشخصية، كما أنّ بعضهم الآخر لم يتسنّ لهم فهمُ الدعوة على حقيقتها. وقد اضطرّ المقتنى إلى العمل على القضاء على هؤلاء المرتدّين»<sup>١</sup>، كما عبّر عن ألمه وأسفه وكثرة الدموع التي أصابته بسببهم: «فبالله، لقد ألمّ قلبي ذلك، وفاضت عيناى بواكبِ الدموع الرّسل، أسفاً على ما بسأحتهم من الخرص أجرى إليه، ومن الغلط والتحريف ما لم أطلع عليه»<sup>٢</sup>.

ويبدو أنّ المرتدّين كانوا على بهاء الدين أشدّ بأساً من سائر أهل الأديان؛ وهو القائل: «ونحن من أهلنا على شفا جرف المصائب والمهالك»<sup>٣</sup>، وقد يكون المسلمون أرحم بالموحدين من هؤلاء الخونة: «فالنواصب (أهل السنّة) بنا ألطف وأرحم، والمؤمنون لنا منهم أغش وأظلم. ونحن بين أهل الخلاف (المسلمين) آمنون مطمئنون، وبين المدّعين الإيمان وجِلون خانفون»<sup>٤</sup>.

هؤلاء المرتدّون هم أوّل الخاسرين بين أهل الأديان. قال عنهم حمزة: «ولا يظنّ أحد ممّن ارتدّ من دين مولانا جلّ ذكره بأنّ رجوعه عن الدين ينجّيه من الظاهر، ولا هروبه يخلّصه من أولاد العواهر»<sup>٥</sup>. بل هم يخسرون انتماءهم إلى أيّ دين، ويخسرون الجنّة وسعادتها: «والذين ارتدّوا من دين مولانا جلّ ذكره، وشكّوا فيه، وكرهوا أفعاله، فهم المرتدّون، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ليس مع المسلمين، ولا النصارى، ولا اليهود، ولا مع الموحّدين العابدين الموجود. خسروا الظاهر والباطن، ولم يبلغوا إلى علم ما هو كائن. ليس لهم في السماء إله، ولا في الأرض لهم إمام. ذلك هو الخسران المبين»<sup>٦</sup>.

وإذا كان «غيار النواصب»<sup>٧</sup> علاقتان من الرصاص في أذني كل واحد منهم، وزنهما عشرون درهماً... وجاليته<sup>٨</sup> ديناران ونصف...»، وإذا كان «غيار أهل التأويل»<sup>٩</sup> ... علاقتين من

<sup>١</sup> تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي، ص ٦٩.

<sup>٢</sup> منشور إلى المحل الأزهر الشريف ١٠٦ / ٨٢٠.

<sup>٣</sup> الرسالة الواصلة إلى الجبل الأنور ١٠٩ / ٨٣٣.

<sup>٤</sup> مكاتبة الشيخ أبي المعالي ١١٠ / ٨٣٨.

<sup>٥</sup> الغاية والنصيحة ١٠ / ٨٧.

<sup>٦</sup> الغاية والنصيحة ١٠ / ٩١.

<sup>٧</sup> النواصب هم أهل السنّة، أي اليهود «يهود هذه الأمة» (٤٣ / ٣٣١) و «اليهود هم المخالفون أهل الظاهر» (٢٠١ / ١٨).

<sup>٨</sup> الجالية هي الجزية التي يدفعها أهل الأديان للموحّدين...

من الحديد في أذني كل واحد منهم، وزنهما ثلاثون درهماً... وجاليتيه ثلاثة دنانير ونصف...»، فـ«يكون غيار المرتدين علاقتين من الزجاج الأسود في أذني كل واحد منهم، وزنهما أربعون درهماً... وجاليتيه خمسة دنانير في كل سنة. وهم المنافقون»<sup>٢</sup>.

وكان أخطر المرتدين في وقت حمزة بن علي، وقد مرّ الكلام عليهم، محمد بن إسماعيل الدرزي الملقّب بنشتكين، الملقّب «بحرامي النهار»<sup>٣</sup> لأنه حاول أخذ الإمامة من قائم الزمان في أيامه، والدروز له لاعنون ومنه متبرّتون<sup>٤</sup>.

ويأتي بعده أبو منصور البرذعي الملقّب بـ«فرعون»، لأن «فرعون كان داعي وقته، فلما أبطأ الناطق (موسى) قال: «أنا ربكم الأعلى»، يعني إمامكم الأعظم»<sup>٥</sup>. وهو الذي حدّر منه حمزة بقوله: لم يزل أمر الدعوة جارياً حتى «احتال رجل منافق، واتصل على يد الداعي، وعرف جميع الحدود وعلومهم، ثم رجع إلى نفاقه وكفره، وتبين للمستجيبين زيفه ومكره. فرفع العقل (حمزة) علمه إليه (أي عنه) وستره عن جميع المنافقين عليه (أي على حمزة)»<sup>٦</sup>.

أمّا عبد الرحيم بن الياس، الذي عينه الحاكم ولياً للعهد، فقد «ظهرت أفعاله وبيان للناس قبْحُ باطله ومحاله»<sup>٧</sup>، وانقلب على الحاكم، وأصبح «من ألدّ أعداء الموحّدين. وقد قُتل وسُبي وأُحرق من الموحّدين عددٌ كبير»<sup>٨</sup>. وادّعى أنه «ابن عمّ أمير المؤمنين»<sup>٩</sup> أو أخوه<sup>١٠</sup>، وهو في الحقيقة «ابليس الأبلّس، ومعدن الشرك والوسواس، النّغل اللعين، والمسّيح الحزين»<sup>١١</sup>، وهو «ابليس المتشبه بالمولى سبحانه، ويزعم أنه جنس، ويدّعي عهد المسلمين»<sup>١٢</sup>، وهو من جملة تقمّصات ابليس: فهو نفس «أبي يزيد الذي حارب جيش مولانا القائم، وهو سعيد المهدي، لعنه الله، وهو أبرهة الأشرم صاحب يوم الفيل ضد سيّدنا عين الزمان، وهو حارت بن ترمّاح الاصبهاني الذي خرج من العقل بغير مراده، وهو ابليس لعنه

<sup>١</sup> أهل التأويل هم «النصارى أهل الباطن الواقفون مع اللعين». (١٨ / ٢٠١).

<sup>٢</sup> رسالة البلاغ والنهاية ٩ / ٨١، الرضى والتسليم ١٦ / ١٨٢ - ١٨٣.

<sup>٣</sup> عجاج نوبهض، الأمير السيّد التنوخي، ص د.

<sup>٤</sup> انظر الرسائل التالية: ١٠ / ٩٣، ١٦ / ١٨٢، ٩ / ٧٥، ٤١ / ٣١١، ١٩ / ٢٠٣، انظر صفحة ١٢١ وما يليها من هذا البحث.

<sup>٥</sup> الغاية والنصيحة ١٠ / ٩٣.

<sup>٦</sup> الموسومة بكشف الحقائق ١٣ / ١٣٩؛ انظر عن البرذعي: ١٦ / ١٨١، ١٩ / ٢٠٣ الخ...

<sup>٧</sup> رسالة الغيبة ٣٥ / ٢٥٧.

<sup>٨</sup> تاريخ الموحّدين الدروز السياسي في المشرق العربي، ص ٦٢ - ٦٣.

<sup>٩</sup> رسالة إلى ولي العهد... ٢٦ / ٢٢٣.

<sup>١٠</sup> رسالة إلى خمار بن جيش السليمانى... ٢٧ / ٢٢٥.

<sup>١١</sup> رسالة إلى خمار بن جيش السليمانى العكاوي ٢٧ / ٢٢٥.

<sup>١٢</sup> الغاية والنصيحة ١٠ / ٩٢.

الله في كل كتاب. وهو أخيراً «وليّ عهد المسلمين كبيرهم وإمامهم الأعظم (أي كبير الخوينة وإمامهم) لأنه بمنزلة الناطق محمد بن عبد الله»<sup>١</sup>.

ويجمل بنا ذكر سائر الخوينة المرتدّين الذين عملوا في تهديم دعوة التوحيد منذ اعلانها والكشف عنها. فكان منهم «عبّاس بن شعيب ولي عهد المؤمنين»<sup>٢</sup>، وختكين الداعي<sup>٣</sup>، وجعفر وجعفر الضرير<sup>٤</sup>، وأحمد بن العوام قاضي القضاة. هؤلاء الخمسة، مع عبد الرحيم بن الياس الياس هم «أشباح بلا أرواح. وهم كلّهم جاحدون لقدرته (قدرة الحاكم) كافرون بنعمته، مشركون بعبادته، جاهلون بأصول الدين»<sup>٥</sup>، وهم موجودون في أيامنا «لإقامة دعوة التوحيد»<sup>٦</sup>.

أما في أيام بهاء الدين المقتنى فكان عدد المرتدّين كبيراً. وقد كتب لكل منهم «التوبيخ» تلو «التوبيخ»، وعتهم بشرّ الأوصاف وأقبحها. واعتمد بهاء الدين، في ردّه على هؤلاء الخوينة، قاعدة ذهبية، يحسن بنا ذكرها واعتمادها. يقول: «مَنْ سَتَرَ عَلَى صَاحِبِ بِدْعَةٍ بِدْعَتَهُ فَقَدْ خَانَ قَائِمَ الْحَقِّ فِي دَعْوَتِهِ»<sup>٧</sup>. وَيَنْقُلُ عَنِ الْحَقِّ قَوْلَهُ أَيْضاً: «مَنْ بَاتَ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ لَيْلَةً وَاحِدَةً فَقَدْ تَلَّمَ مِنَ الدِّينِ تَلْمَةً وَهَدَمَ مِنْهُ قَاعِدَةً»<sup>٨</sup>.

وكان أوّل أصحاب البدعة «ابن البربرية الذي أقام في سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م في سبسطاس»<sup>٩</sup> دعوة نجح فيها باكتساب بعض الأتباع، ممّا اضطرّ المقتنى بهاء الدين إلى الذهاب إلى الاسكندرية حيث وجّه رسالة<sup>١٠</sup> يشهر بها هذا المرتدّ عن الدعوة. ويبدو أن هذه الرسالة كفته مؤونة اكمال الطريق إلى سبسطاس»<sup>١١</sup>.

<sup>١</sup> رسالة التنزيه إلى جماعة الموحدين ١٧ / ١٩١، انظر أيضاً رسالتي ٢٦ و ٢٧ بكاملها، و ٣٥ / ٢٥٧، ٤٤ / ٣٤٢ الخ...  
<sup>٢</sup> انظر رسالة ١٧ / ١٨٩ - ١٩١.  
<sup>٣</sup> انظر رسالة ٩ / ٧٩ و ١٧ / ١٩٠.  
<sup>٤</sup> انظر رسالة ١٧ / ١٩٠.  
<sup>٥</sup> انظر رسالة ٩ / ٧٩، ١٠ / ٩٤، ١٦ / ١٧٩.  
<sup>٦</sup> رسالة التنزيه إلى جماعة الموحدين ١٧ / ١٩٠.  
<sup>٧</sup> نفس المرجع ١٧ / ١٩١.  
<sup>٨</sup> توبيخ ابن البربرية. الرسالة الموسومة بالدامغة للفاسق النجس، الفاضحة لاتباعه أهل الردّة والبلس، ٧٦ / ٦٨٩.  
<sup>٩</sup> نفس المرجع.  
<sup>١٠</sup> تقع سبسطاس في مديرية الغربية في مصر، راجع إدارة التعداد في مصر، قاموس جغرافي للقطر المصري (بولاق ١٨٨٩، ص ٣٣).  
<sup>١١</sup> تاريخ الموحدين الدروز السياسي يعيّن رقم الرسالة بأعجوبة، ص ٦٩.  
<sup>١٢</sup> نفس المرجع، ص ٦٩.

يصف بهاء الدين ابن البربرية بهذه الألفاظ: إنه «المعتوه الشيطان... النجس... النخل الشيطان ابن البربرية... أول من ادعى في دور الكشف منزلة ولي الأمر... المعتوه الخائب الخياب وهو بالحقيقة المسيح الكذاب... الملعون الفاسق الدهاش... المارق البهات...»<sup>١</sup>.

لابن البربرية قصة مشينة يرويها لنا بهاء الدين بقوله: «وسيدّه ابن أبي خمار، ينزوه (يلوط به)، وأيوب أيضاً يعلو أمّه مريم العدوية (أي يزني بها) ويعلوّه (أي يلوّط به أيضاً)<sup>٢</sup>. ويورد «كتاب الدرر...» نفس القصة بقوله: «وقصّته أن رجلاً اسمه خمار استرقّه وكان يلوّط به ويزني بأمّه، وكان يأجر نفسه بفعل الفاحشة، وعاد ادعى منزلة الإمام، ونصب له حدوداً، وهو آخر الأشقياء المدّعين في الدنيا بعد الدجال (النبي محمد) وأولّ الفراعنة الهالكين في القيامة»<sup>٣</sup>. ويعتبره الدرر عامة أنه «حرامي الليل»<sup>٤</sup> لأنه ادعى الإمامة بعد غيبة الإمام حمزة.

أما «لاحق بن الشرف العبّاسي» فقد كان من ربحا قرب حلب. وكان أولاً داعياً في دعوة التوحيد، وأرسل إليه بهاء الدين بـ«تقليد» لقبه فيه «الشيخ المختار، ربّي الحقائق، والنجم السيار، الحميد الطرائق، أبي الفوارس الأمير (كنيته) ابن الشرف لاحق»، وسمّاه بـ«الشيخ الدّين الفاضل»<sup>٥</sup> الذي «أهلّتك لسيادة الدعوة الهادية والكلمة العالية... فتولّ ما أوليتك من سيادة الدعوة الهادية المهديّة بعزم»<sup>٦</sup>.

ولكنّ لاحق، على ما يبدو، كان قد تظاهر بالديانة والوفاء والكمال، إلى أن أشرقت على بهاء الدين أعماله القبيحة<sup>٧</sup> فراح يدّعي الألوهية، وأنّ روح الله حلّت فيه، ويعلم الإباحة<sup>٨</sup>. الإباحة<sup>٩</sup>. ويصفه المقتنى بـ«الطلق الخائب الناكث العاق، العاجز عن حميد الطاعة إلى العصيان والاباق، المخترص بالكذب والخلاف والشقاق، والسالك لسبيل أهل النكث والبلس والنفاق»<sup>١٠</sup>، ومثله «كمثل الأعجف الحمار المكودود في الدولاب لسقي الثمار، أو كالبغل المستخدم في الرّحى...»<sup>١١</sup>.

<sup>١</sup> تمسخ ابن البربرية ٧٦ / ٦٨٧ - ٦٩٦.

<sup>٢</sup> نفس المرجع ٧٦ / ٦٩٥.

<sup>٣</sup> كتاب الدرر المضية واللمع النورانية... لفظة «بربرية».

<sup>٤</sup> عجاج نويهض، الأمير السيد التنوخي، ص د.

<sup>٥</sup> رسالة تقليد لاحق ٤٥ / ٣٤٥.

<sup>٦</sup> نفس المرجع.

<sup>٧</sup> نفس المرجع، ص ٣٤٦.

<sup>٨</sup> كتاب الدرر المضية... باب «ق» فصل «ل».

<sup>٩</sup> توييخ ٧٦ / ٧٠٠ - ٧٠١.

<sup>١٠</sup> نفس المرجع ٧٦ / ٦٩٧...

<sup>١١</sup> نفس المرجع ٧٦ / ٧٠٢.

لقد كان سهلاً على بهاء الدين ترويض هذا «البغل» «إذ لم يكن لهذا الداعي دارُ هجرة يُقيم فيها، إذ كان ينتقل بحكم وظيفته في مراكز الدعوة المختلفة، فلم يكن بالصعب على المقتنى عزله، بخلاف ما حدث للداعي الآخر سُكَيْن الذي كان قد قلّده المقتنى أمورَ الدعوة في جزيرة الشام العليا منذ سنة ٤١٨ هـ / ١٠٢٧ م<sup>١</sup>. وقد بقي سُكَيْن في مركزه ذلك إلى سنة ٤٢٦ هـ / ١٠٣٤ - ١٠٣٥ م حين ظهر على حقيقته، بعد أن كان قد جمع حوله كثيراً من الاتباع فقويت شوكتُه وتعاضم شأنه لبعده في وادي التيم عن مركز الدعوة في مصر»<sup>٢</sup>.

سُكَيْن هذا، اسمه مسعود، ولقبه ابنُ الكردي، وأصله من بلاد حلب. جاء مصر بعد لاحق، ودخل في الدعوة، وكتب الميثاق، ثم أتى إلى وادي التيم، واتخذ له مغارةً في جبل تنورة، وجدَّ في العلم والعمل حتى برز على أقرانه، وساد على كثير من أهل زمانه، وصبر على محنة الدجال (ال خليفة الظاهر). فلما بلغتِ المقتنى أخبارُه قلّده واختاره، وسمّاه «الشيخ المرتضى، عصمة المؤمنين، وصفوة الموحدين... الشيخ الخير الفاضل والدين الراجح الكامل»<sup>٣</sup>. وأثنى عليه فقام في الدعوة نحو سبع سنين. ولم يزل كذلك إلى أن ظهر ما كان مكنياً في سريرته وغلبت عليه الضديّة وغير ما في نفسه فغيّر الله به وبأبناء جنسه»<sup>٤</sup>.

كتب إليه بهاء الدين رسالتين شديدي اللهجة: الأولى اسمها «الرسالة الموسومة بالقاصمة للفرعون الدّعيّ، الفاضحة لعقيدة الكذاب المعتوه الشقيّ»؛ يصفه فيها بالكذاب النّجس الموجب البلس والنفاق، والخائب الذي أحاد الموحّدين عن الحق وسقامهم نهلاً من السمّ الزعاق، وأهلك الجزيرة، وأهبّ فيها أرباح الخبال والفساد والإشراك والنفاق... وسبّ الإمام، وحرّف كتب الحكمة...»<sup>٥</sup>.

والثانية اسمها «توبيخ الخائب العاجز سُكَيْن»، كتبها بهاء الدين بعد أن استدعاه إليه في الاسكندرية في محاولة لإقناعه، ولكن سكيناً «وهو عندنا في الموضع (الاسكندرية) أخذ يفعل أفعال الشياطين، ويحتال علينا»<sup>٦</sup>، وكان يفرّ من موضع إلى موضع يعلم تعاليم فاسدة. فاضطر المقتنى إلى إرسال «الداعي أبو اليقظان عمّار إلى وادي التيم لإقناع شردمة سكين، وأصحبه برسالة منه إليهم يُعلمهم فيها بعزله سُكَيْناً فلما وصل الداعي عمّار إلى وادي التيم توجه إلى قرية كوكبا<sup>٧</sup>، مركز هؤلاء المرتدّين... فوثبوا عليه وضربوه وقتلوه خارج بلدتهم

<sup>١</sup> تقليد سكين ٤٦ / ٣٤٩ - ٣٥٣.

<sup>٢</sup> تاريخ الموحدين الدروز السياسي... ص ٧٠.

<sup>٣</sup> تقليد سكين ٤٦ / ٣٤٩ - ٣٥٣.

<sup>٤</sup> كتاب الدرر المضية واللمع النورانية... باب «ن» فصل «س».

<sup>٥</sup> الرسالة رقم ٦٤ ص ٤٩٢ - ٤٩٩.

<sup>٦</sup> الرسالة رقم ٧٨ / ٧٠٥ - ٧١٩.

<sup>٧</sup> عمدة العارفين للاشرفاني، ج ٣ ص ١٦٢.

وأخفوا جثته تحت رجمة من الحجارة...<sup>١</sup>. بيد أن بهاء الدين عاد فأرسل السيِّدة سارة ابنة أخيه، وقيل ابنة أخته<sup>٢</sup>. ولكنَّ سَكِيناً كان قد رجع إلى وادي التيم، وراح، بمعاونة «مصعب التيمي»، يجمع حوله المرتدِّين والمارقين، ويوشي لدى الخليفة الظاهر على المقتنى وأتباعه الموحدِّين، فاضطرَّ المقتنى إلى الهرب وستر الدعوة من جديد. يقول: «وأنا العبد الضعيف معذور لغلبة الشياطين في السياحة والهرب إلى وليّ الزمان والاستغاثة إليه»<sup>٣</sup>.

وقد نعجز عن تعداد أسماء الخونة المرتدِّين الذين حاربوا بهاء الدين ودعوة التوحيد على كل صعيد. وما كان للموحدِّين نصيب سوى التشريد والقتل والاضطهاد المرير. وإذا ما اضطرَّ المقتنى إلى كتابة رسالة أو إرسال مبعوث إلى مكان ما فبحذر وحيطة واختصار ورموز، وهو القائل «يجب الاقتصار بعد هذا في المكاتبه»<sup>٤</sup>، و «ما تمكن المكاتبه بأكثر من هذا»<sup>٥</sup>.



بقي لبهاء الدين المقتنى علينا حقّ: إنّه شخصيّة عالميّة أخفاها الموحدِّون على غير حقّ. رجل عظيم استطاع أن ينفذ في ظروف قاسية كلّها كانت تعاكسه. ولعلنا في الكشف عنه والحثّ إليه لن يكون لنا معاكس.



<sup>١</sup> تاريخ الموحدِّين الدروز السياسي في الشرق العربي، ص ٧٠ - ٧١.

<sup>٢</sup> عمدة العارفي، للأشرفاني، ج ٣ ص ١٤٩، ١٥٣.

<sup>٣</sup> الرسالة الموسومة بتمييز الموحدِّين ٦٦ / ٥٢٣.

<sup>٤</sup> مكاتبه رمز إلى الشيخ أبي المعالي ١٠٥ / ٨١٧.

<sup>٥</sup> مكاتبه رمز إلى آل تراب ١٠٨ / ٨٣١.

# الْفَضْلِ السَّادِسُ

## الدرزيّة والإسلام

- أولاً – عرض الموضوع
- ثانياً – بطلان الأنبياء والأديان والشرائع عامّة
- ثالثاً – بطلان شريعتي الإسلام: الظاهر والباطن
- رابعاً – بطلان محمد وشريعة الظاهر
- خامساً – بطلان عليّ وشريعة الباطن
- سادساً – نقض دعائم الإسلام جملة
- سابعاً – مصير مكة وبيت الكعبة
- ثامناً – العرب «كثّر فيهم الغدر» والخيانة
- تاسعاً – موقف دروز اليوم من الإسلام

## أولاً - عرض الموضوع

في معتقد المسلمين «إن الدين عند الله الإسلام»<sup>١</sup>، «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه»<sup>٢</sup>، و «من يُرد الله أن يُهديه يشرح صدره للإسلام»<sup>٣</sup>، و «هو على نورٍ من ربّه»<sup>٤</sup>. والإسلام، هو الدين التام الكامل الذي ارتضاه الله لعباده الصالحين: «وَأَتَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا»<sup>٥</sup>. وهو نعمة من الله يُشكر عليها بامتنان: «لَا تَمَنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ، بَلِ اللَّهُ يَمَنَّ عَلَيْكُمْ»<sup>٦</sup>. فالإسلام إذن هو دين الله، ولا دين سواه يُقبل عنده. إنه تمام الأديان جميعها، وكمال الشرائع، ونهاية الوحي، وخاتم النبوات.

لأجل ذلك، إذا أرادت الدرزية أن تقابل بالتسامح وتفوز بقبول المسلمين ورضاهم، عليها أن تتسجم مع الإسلام، وتتسبب إليه، وتأخذ بفرائضه، وتقيم دعائمه، وتعلم تعاليمه، وتجاهد في سبيله... إلا أن الأمر لم يكن كذلك، بل كان عكس ذلك. والدرزية في الحقيقة هي غير ما تعلنه في الظاهر. يريد الدروز مع المسلمين وفاقاً، ولكن ما يريدون لن يمحي ما في «رسائل الحكمة» من طعن وسب وشتم بالإسلام والمسلمين. لقد حاول الدروز مراراً وتكراراً، ويحاولون باستمرار ردّ تهمة مروّقه عن الإسلام، ولكن مروّقه كان أقوى من ردّ التهم.

حاول «الأمير السيد» تصدير الحكمة بسجلات حاكمة أربعة، تبرر انتماء الدرزية إلى الإسلام<sup>٧</sup>، ولكنها جاءت على هامش الحكمة، لا تفيد حتى في ردّ تهمة. هذه السجلات ركزت موضوعها على اعتبار الحاكم مسلماً «بنى الجوامع وشيّدتها، وعمّر المساجد وزخرفها، وأقام الصلاة في أوقاتها، والزكاة في حقها وواجباتها، وأقام الحجّ والجهاد، وعمّر بيت الله الحرام، وأقام دعائم الإسلام، وفتح بيوت أمواله، وأنفق في سبيله»<sup>٨</sup>. وجعلت الحاكم

<sup>١</sup> سورة آل عمران ٣ / ١٩.

<sup>٢</sup> سورة آل عمران ٣ / ٨٥.

<sup>٣</sup> سورة الأنعام ٦ / ١٢٥.

<sup>٤</sup> سورة الزمر ٣٩ / ٢٢.

<sup>٥</sup> سورة المائدة ٥ / ٣.

<sup>٦</sup> سورة الحجرات ٤٩ / ١٧.

<sup>٧</sup> هذه السجلات هي: «نسخة السجل الذي وجد معلقاً على المشاهد في غيبة مولانا الإمام الحاكم» ٢٧ / ١ - ٣٤، تاريخه «في شهر ذي القعدة سنة ٤١١»، و «هذا غلط - كما يقول مخطوط مختصر البيان، ورقة ٧٤ ب. لأن السجل المعلق ليس هو من نصوص الكشف، لأنه وجد معلقاً في غيبة المقام في السنة السابعة قبل التجريد». «السجل المنهي فيه عن الخمر» ٣٥ / ٢ - ٣٦، تاريخه سنة ٤٠٠. «خير اليهود والنصارى» ٣٧ / ٣ - ٤٥. بدون تاريخ. نسخة ما كتبه القرمطي إلى مولانا الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين عند وصوله إلى مصر «وجواب الحاكم» ٤٦ / ٤.

<sup>٨</sup> نسخة السجل المعلق ٣٠ / ١.



يصرّح في فضل الإسلام والمسلمين، ويقول: «إن أحسن الأمور عائدة إلى الإسلام والمسلمين»<sup>١</sup>...

والمعلوم عند الدروز أن «السجل هو الكتابُ المَبَاحُ المُطَلَقُ المَبذُولُ لكلِّ أحدٍ... لأنَّ المُقَامَ أباَحَهُ لمن يأخذُ منه. وكانتْ هذه الموعظةُ (في السجلِ المعلقِ) مباحةً لعمومِ أهلِ الدعوة من المسلمين، بقوله: ولا يُمنَعُ أحدٌ من نسخها وقراءتها...»<sup>٢</sup>.

ولكن غير هذه السجلات الأربعة مائة وسبع رسائل جميعها محظور غير مباح إعلانه. وعليه معتمدنا في اكتشاف حقيقة الدرزية وموقفها من الإسلام والمسلمين. ونترك، إلى خاتمة الفصل، معالجتنا لموقف الكتابِ الدروز المعاصرين الذين يحيلوننا باستمرار إلى هذه السجلات، دون سائر الرسائل.

أما الآن فنريد قولاً لم يُقلْ بعده، لأنه قولٌ خطيرٌ جدّاً، يذكرنا بموقفِ شاوول الطرسوسي من ناموس موسى. يقول الطرسوسي «إن لا سلطةً للناموسِ على الإنسان»<sup>٣</sup>، وإن البشرَ جميعهم، بمجيء المسيح، ماتوا عن الناموس، وإن الأهواءَ الأثيمةَ تعملُ فيهم متذرعاً بالناموس، وإن الخطيئةَ لم تُعرفْ إلا بالناموس، بل إنها اتخذتْ منه سبيلاً لتُتميتهم. لذلك فالعاملون بأحكام الناموس هم ملعونون جميعهم، لأنَّ الناموسَ لا يبرُّ أحدًا عند الله، فذاك أمر واضحٌ. ووُجِدَ الناموسُ بسبب المعاصي، وحاشا له أن يُحييَ أو أن يكونَ بوسعه تيريرَ الإنسان.

ولمّا جاء المسيح حرّرَ الإنسانَ من الناموسِ<sup>٤</sup>، وافتداه من لعنته. لقد كان الناموسُ كالمؤدّبِ الذي يزولُ دوره عندما يعي الربيبُ حرّيته. لهذا جاء المسيح مولوداً في حكم الناموسِ ليفتديَ الذين هم في حكم الناموس. لقد حرّرَ المسيحُ البشرَ ليكونوا أحراراً، وعليهم أن لا يعودوا إلى نيرِ العبودية، أي إلى التمسكِ بأحكامِ الناموس<sup>٥</sup>. والذين يلتمسون البرَّ من الناموسِ قد انقطعوا عن المسيح وسقطوا عن النعمة. لقد صلبَ المسيحُ معه الناموسَ، كما صلبَ الخطيئةَ والموتَ وإبليس<sup>٦</sup>.

لكأنّك، وأنت تقرأ رسائل شاوول الطرسوسي، تحسب نفسك مع قائم الزمان حمزة بن علي أو مع بهاء الدين المقتنى. هذان كذلك لم يتمكّنا من كشف دعوة التوحيد إلا بعد تنظيف

<sup>١</sup> السجل المنهي فيه عن الخمر ٢ / ٣٥.

<sup>٢</sup> كتاب الدرر المضيئة... باب «ل» فصل «س»، ص ٥٠٦ - ٥٠٧.

<sup>٣</sup> الرسالة إلى الرومانيين ٧ / ١ و ٤ و ٦ و ٧ الخ.

<sup>٤</sup> الرسالة إلى الغلاطيين ٣ / ١٠ الخ.

<sup>٥</sup> الرسالة إلى الرومانيين ٨ / ٢.

<sup>٦</sup> الرسالة إلى الغلاطيين ٥ / ١ و ٤ وما يلي.

<sup>٧</sup> الرسالة إلى الغلاطيين ٢ / ١٩.

قلوب البشر من الناموس، بل من جميع النواميس. ولن يكون الإنسانُ موحدًا صادقًا إلا بعد إعلان براءته «من جميع المذاهبِ والمقالاتِ والأديانِ والاعتقاداتِ كلِّها على أصنافِ اختلافاتها»<sup>١</sup>، ف«أولُ الدعوةِ التبرِّيِّ من زُخْرُفِ النواميسِ»<sup>٢</sup>، و«من الأبالسةِ (الأنبياءِ) أصحابِ الزخرفِ والناموسِ. وليسَ للعالمِ نجاةٌ إلا بالبراءِ منهم»<sup>٣</sup>، ذلك لأنَّ «المنطقاءَ (أي الأنبياءِ) والأسسَ (أي الأوصياءِ) طَمَسُوا معالمَ التوحيدِ، وخانوا في تأديةِ أمانتهِ، فضاقتْ مسالكُه، والتبستْ على الناسِ معالمُه»<sup>٤</sup>.

بسبب ذلك يجدر بنا التوقُّفُ عند رأي الحكمةِ في الأنبياءِ والشرائعِ عامَّة، وفي النبي محمدٍ وعليٍّ بنوع خاصٍّ. فللحكمةِ في ذلك مواقفٌ جريئةٌ...



<sup>١</sup> ميثاق وليِّ الزمان ٥ / ٤٧.

<sup>٢</sup> رسالة التنزيه ١٧ / ١٩٣.

<sup>٣</sup> كتاب فيه حقائق ما يظهر قدام مولانا... ١١ / ١٠٧.

<sup>٤</sup> تفسير رسالة كشف الحقائق للأمير السيِّد، ص ٢٤٥.

## ثانياً - بطلان الأنبياء والأديان والشرائع عامة

للتوحيد غايتان متكاملتان: الواحدة سلبية والأخرى إيجابية. أما السلبية فهي، كما ورد في «ميثاق وليّ الزمان»، البراءة «من جميع المذاهب والمقالات والأديان والاعتقادات كلّها على أصناف اختلافاتها». وجاء في شرح هذه الكلمات الأربع أنّها «جمعت جميع الشرائع الناموسية والمقالات الشركية والاعتقادات الكفرية. وليس هي مخصوصة بالشرائع الظاهرة بل شاملة لمذاهب الأسس وعبادة الأوثان والأصنام... ولكل عقيدة خارجة عن مذهب التوحيد، لأن هذه الأربعة المذكورة لم يخرج عنها أبداً مذهب فاسد ولا عقيدة واهية ولا أصل ولا فرع... فلأجل ذلك صدر صاحب الحق صلى الله عليه... وجعل فريضة التبرى قبل فريضة الطاعة والعبادة للحاكم تعالى، لأن كل وعاء مليء من شيء لم يسع معه غيره حتى يفرغ منه... وكل من لا ينصرف عن سائر الأديان ويدبر عنها بالكلية بعقله ونفسه وفكره وحسه انصرفاً كاملاً وادباراً تاماً لم يقدر على الاقبال بالكلية على عبادة الحاكم سبحانه...»<sup>١</sup>.

ومتى تبرأ الموحد من هذه المذاهب «يصح له الوصول إلى التوحيد. وكانت الشرائع جميعها والعقائد بأسرها في دور الستر تُشير إلى كشف التوحيد... فكانت المذاهب للتوحيد في دور الستر كالصدف للجوهر، وكالقشر للّب، وكالسنبلة للحب. فكان العمل بالمذاهب في ذلك الوقت مقبولاً لأجل التوحيد الكامن فيها، لا لأجل نفسها. فلما جاء أو أن كشفه ظهر الإمام المنتظر قائم الحق المؤيد من رب العالمين الذي هو صاحبه، وأظهره من صدفه وأخرجه من سنبله... واستغنى بنفسه عن كل المذاهب التي كانت أوعية له كاستغناء الحبة عن السنبلة لأن الحبة تحتاج إلى السنبلة في زمان نشوئها...»<sup>٢</sup>.

فدعوة التوحيد، إذن، هي «آخر الدعوات، وحدودها آخر الدعوة، وهي ناسخة لجميع المذاهب والانتحالات...»<sup>٣</sup>.

ومن هذا المنطلق يجدر التوقف على معتقد الدروز في جميع الأنبياء والأوصياء والأديان والشرائع بوجه عام. ثم ننتقل إلى نظرتهم في محمد وعلي وشريعتيهما الظاهر والباطن بوجه خاص.

<sup>١</sup> انظر مخطوط رقم ١٤٣٦ في المكتبة الوطنية بباريس، وهو في عنوان: «ميثاق يعني حجة ورباط على الخلق»، يفسر «ميثاق وليّ الزمان، ٢٢ أ...»

<sup>٢</sup> نفس المرجع ٢٢ أ - ٢٧ أ.

<sup>٣</sup> الرسالة الموسومة بأحد وسبعين سؤال... ٧٣ / ٦٤٠.

## ١ - بطلان الأنبياء والأوصياء:

هؤلاء «هم معادن النواميس الفانية الحشوية والأعمال الفاحشة الدنية»<sup>١</sup>. هم «أهل الزخاريف الحشوية»<sup>٢</sup>، بل هم حمير ودواب «الدواب هم النطقاء والأسس»<sup>٣</sup>، و«الحمير دليل على النطقاء»<sup>٤</sup>... وجميعهم من آدم إلى محمد بن إسماعيل، مروراً بنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد بن عبد الله، وجميع الأسس من هابيل إلى ابن القذاح، مروراً بسام وإسماعيل بن إبراهيم ويشوع بن نون وشمعون الصفا وعلي بن أبي طالب... لم يقم بينهم نبي أو وصي يدعو دعوة التوحيد الحقيقية. كلهم مقصرون ومشركون وملحدون وكافرون، و«كلهم شيء واحد في القول والعمور مختلفون في الصور»<sup>٥</sup>، و«كلهم يشيرون إلى توحيد العدم»<sup>٦</sup>، لأن جميعهم «النطقاء (الأنبياء) والأسس (الأوصياء) طمسوا معالم التوحيد، وخانوا في تأدية أمانته»<sup>٧</sup>، ولأن نفسهم «جميعهم من نوح إلى محمد بن إسماعيل هو نفس واحدة وهو ابليس اللعين»<sup>٨</sup>.

أمّا نوح بن لَمَك فكان «أول من قام بشريعة ونهى عن طاعة آدم، وأشار إلى العدم وإلى نفسه»<sup>٩</sup>.

«ثم قام إبراهيم وأساسه إسماعيل، يدعون الناس إلى عبادة العدم وتوحيد الصنم»<sup>١٠</sup>.

«ثم قام موسى بن عمران وأساسه هارون، يدعون إلى عبادة من لا يُشاهد وتوحيد من لا يُعرف»<sup>١١</sup>.

«ثم قام عيسى بن يوسف وأساسه شمعون الصفا، يدعون الناس إلى عبادة العدم وتوحيده»<sup>١٢</sup>.

<sup>١</sup> كتاب فيه حقائق ما يظهر... ١١ / ١٠٢.

<sup>٢</sup> السيرة المستقيمة ١٢ / ١١٢.

<sup>٣</sup> كتاب فيه حقائق ما يظهر... ١١ / ١٠٣.

<sup>٤</sup> نفس المرجع، ١١ / ٩٩.

<sup>٥</sup> السيرة المستقيمة ١٢ / ١٢٢.

<sup>٦</sup> كتاب فيه تقسيم العلوم... ٣٦ / ٢٦٣.

<sup>٧</sup> تفسير رسالة كشف الحقائق للأمير السيد، ص ٢٤٥.

<sup>٨</sup> نفس المرجع، ص ٥٢٤ - ٥٢٥.

<sup>٩</sup> رسالة السيرة المستقيمة ١٢ / ١٢٠، وكتاب تقسيم العلوم ٣٦ / ٢٦٣.

<sup>١٠</sup> نفس المرجع.

<sup>١١</sup> نفس المرجع.

<sup>١٢</sup> نفس المرجع.

«ثم محمدٌ وأساسه علي بن أبي طالب، وقد «ظهر محمد بن عبد الله بسيفه، وقام على العالمين بعُنفه، ونسخَ جميعَ الشرائعِ كافةً بشريعته، وهدم بنيانهم ببنيته، وبدلَ دَعَوَاتِهِم بدعوته... وبذل فيهم السيفَ وسبى ذراريهم وأولادهم، وأباعهم في الأسواق والشوارع ولم ينفَعهم ما كانوا عليه من دين آبائهم وأجدادهم»<sup>١</sup>.

«وظهر ناطقٌ غيرُهُ وهو محمد بن إسماعيل الذي ختمَ الشرائع وأتمها. أي لا يكون بعدها شريعةٌ تكليفيةٌ»<sup>٢</sup>.

هكذا انتهت أدوار هؤلاء الأنبياء السبعة. وبانتهائهم «بطلت دعاويهم لأنها تمويهات على الأمم، وغير جائزة إلا على أشباه البقر والغنم»<sup>٣</sup>. وهو أمر صريح من الباري تعالى لقائم لقائم الزمان بأن يترك الموحدون كل ما جاء به الأنبياء المتقدمون: «وأوصيكم بما أيديني به مولانا، وأمرني به من إسقاط لا يلزمكم اعتقاده، وترك ما لا يضرركم افتقاده من الأدوار الماضية الخامدة، والشرائع الدارسة الجامدة. وما منهم ناطقٌ إلا وقد نسخَ شريعةً من قبله من المتقدمين»<sup>٤</sup>.

ومن ما ينكر فساد الأنبياء بتكفيرهم بعضهم بعضاً؟! «وقد علم كلُّ ذي لبٍّ أن أصحابَ الشرائع قد قطع كلُّ منهم شريعةً من تقدم قبله. وهو يعلم أن أهلها لم يخالفوا شيئاً مما فرضه عليهم صاحبُ شريعتهم، وقد حللوا سبي بعضهم بعضاً وهلاكهم واستئصال شأفتهم»<sup>٥</sup>.

ويبدو أن الاختلاف الحاصل بين الأمم سببه هؤلاء الأنبياء: فإن «أصحابَ الشرائع قد أجبروا أممهم على الأعمال الجسمية، وقعدت بهم أعمالهم عن معالم الأمور الإلهية التوحيدية... وعلم كلُّ ذي لبٍّ أن الاختلاف ليس للأمم، وإنما هو لأصحابِ الشرائع، لأن كل واحدٍ منهم أمرَ أمته بجهاد الأمة الأخرى، وقتل بعضهم بعضاً. فكيف يكون الاختلاف إلا كذلك!»<sup>٦</sup>.

وبالنتيجة، إن الأنبياء والأوصياء هم، كما تسميهم «الحكمة»، «أبالسة الأزمان»<sup>٧</sup>، «وأبالسة الأدوار»<sup>٨</sup>، أو أيضاً «أبالسة الدين»<sup>١</sup> و «العصبة المارقة الدعية»<sup>٢</sup> و

<sup>١</sup> رسالة السيرة المستقيمة ١٢ / ١٢٣، تقسيم العلوم ٣٦ / ٢٦٤.

<sup>٢</sup> نفس المراجع.

<sup>٣</sup> رسالة السفر إلى السادة ٦٨ / ٥٤٦.

<sup>٤</sup> الرسالة الموسومة ببدء التوحيد لدعوة الحق ٧ / ٦٤ - ٦٥.

<sup>٥</sup> الرسالة الموسومة بالإسرائيلية ٧٢ / ٦٢٥.

<sup>٦</sup> رسالة التبيين والاستدراك ٧١ / ٦١٣ - ٦١٤، ٧٢ / ٦٢٥.

<sup>٧</sup> رسالة الايقاظ والبيارة ٥٦ / ٤٣٨.

<sup>٨</sup> التقرير والبيان ٦٢ / ٤٨٢، ٥٦ / ٤٣٨.

الدَّعِيَّة»<sup>٢</sup> و «عصاة الأمم ودجاجلة الفترة»<sup>٣</sup>. هم «أهل التلبيس والإبلاس»<sup>٤</sup>، و «دجاجلة العصور»<sup>٥</sup>...

جاء قائم الزمان حمزة فـ«جعله المولى لشرع نواميس الابالسة ناسخاً، ولما لبسوه على الأمم بزخرفهم قاطعاً فاسخاً، ومحللاً لربط كفرهم الذي عقده، وفاضحاً لمصائد سحرهم الذي نفخوه في آذانهم ونفثوه، وهادماً لمباني إفكهم المأسس على الضلالات، وقامعاً بالتوحيد جميع الآراء وأصناف المقالات»<sup>٦</sup>.

وحمزة قائم الزمان هو «الإمام القائم لتكيس أعلام الباطل، وهتك عقائد المُبَسِّين، والقاطع لشرع الفراعنة والأبالسة والعصبة المكذبين... الجاحدين... إيقاظاً للسهوة المُفترين... المرقة المرتدين الناكثين... وزجراً للشياطين، الفسقة المدعين المخترصين. ونبراً إلى الباري تعالى من نجس كل معتوه أفك مهين... العنصر الخبيث»<sup>٧</sup>.

بسبب ذلك يجب على الموحدين أن يتبرأوا من جميع الأنبياء والأوصياء، ويبغضوهم ويمقتوهم لأن جميعهم، دون استثناء، كذبة أرياء. يقول الأمير السيد: «أول البراءة منهم بغضهم ومقتهم بحيث لا يبقى في قلب الموحّد محبة لأحد منهم، لا قليل ولا كثير، ولو كان ولده وهو خارج عن الدين فيتبرأ منه. ثم البراءة من أفعالهم الرديّة وأقوالهم الكاذبة»<sup>٨</sup>.

## ٢ - بطلان الأديان:

أما الأديان التي جاء بها الأنبياء فجميعها باطل، وكذلك المذاهب التي تفرعت عنها. تعدد رسائل الحكمة بعضاً منها وتبطل دعاويها بقولها: «وهذه الفرق من الأمم فهم النصرانية والمسلمية واليهودية والمجوسية... ومن المذاهب كالنصيرية والقطعية والشمطية والكيسانية والزيدية والموسوية، وجميع من لم نسميه، فقد بطلت دعاويهم، لأنها تمويهات على الأمم وغير جائزة إلا على أشباه البقر والغنم»<sup>٩</sup>.

<sup>١</sup> التقرير والبيان ٦٢ / ٤٨٤.

<sup>٢</sup> القاصعة للفرعون الدعوي ٦٤ / ٤٩٩.

<sup>٣</sup> الحقائق والانداز والتأديب لجميع الخلائق ٥٧ / ٤٤٧.

<sup>٤</sup> رسالة التبيين والاستدراك ٧١ / ٦١٤.

<sup>٥</sup> التقرير والبيان ٦٢ / ٤٨٢.

<sup>٦</sup> رسالة الهند ٦١ / ٤٧٧، انظر: ٦٠ / ٤٦٩، ٦٢ / ٤٨١...

<sup>٧</sup> القاصعة للفرعون الدعوي... ٦٤ / ٤٩٢.

<sup>٨</sup> تفسير رسالة كشف الحقائق للأمير السيد، مخطوط، ص ٣٤٨.

<sup>٩</sup> السفر إلى السادة ٦٨ / ٥٤٥ - ٥٤٦.

ثم تعود الرسائل مرّة أخرى وتذكّر بعض هذه الأديان وتحكّم على تمزيق شرائعها وتقول: «وكلُّ شريعةٍ (بمعنى كل دين) من الشرائع الأربعة، البراهمة المتعلّقين بإبراهيم، واليهود المنسوبين إلى موسى، والنصارى المعروفين ببعيسى، وأتباع محمد بن أبي كبشّة، ومسوخ شريعته، يعتقدون ويُقرّون أنّ الباري جلت قدرته يتجلّى في يوم القيامة لبريّته... وحقيقته أن المولى، لعظيم قدرته، عند ظهور أمره ومشيبته، يأمُرُ بِتَمْزِيقِ شَرَائِعِ الْمُتَقَدِّمِينَ»<sup>١</sup>.

وقد تُعرّف «الحكمة» على قائم الزمان حمزة بأنه هو «القائمُ لنسخ الأديان»<sup>٢</sup>، وهو «مسيحُ الأزمان محلُّ معاقِدِ المِلَلِ، وناسخُ الأديان... المنتقمُ من أهل الكفر والطغيان، وماحقُ لأهل الخلاف والعصيان»<sup>٣</sup>، وهو «ناسخُ الشرائع والمِلَلِ»<sup>٤</sup>، و «ناسخُ النحل والمذاهب والمقالات»<sup>٥</sup>، الذي جعله المولى لـ «هدم قواعد النحل الإفكيّة وفسخها»<sup>٦</sup>...

فجميع الأديان إذن وجميع المِلَل والنحل والمذاهب والمقالات والفرق والشيع باطلّة من أساسها. وعلى قائم الزمان أن يقضي عليها، وينقضها بتمامها. وإن لم يتمكّن منها في هذا الدور من التاريخ، فإنّه سيكون له ذلك، بعون المولى، في نهاية الأزمان:

«إذا اشتهر من المشرق الصارمُ المُشرفي، وظهر من الحُجُبِ المستور الخفي، لتطهير الأرض وتغيير المِلَلِ، وقتل أبالسية الدين ونقل الدُول»<sup>٧</sup>. في ذلك الحين تُقام «حجّة الولي على على جميع أهل النحل والأديان بالدليل السادق وحقيقة البرهان»<sup>٨</sup>. وفي اليوم الأخير «إذا تلبّج صبحُ الليلة الغراء، وانقشع ظلامها، وقُطِعَ رأسُ النحل الشركيّة، وقُضِبَ سنامها، وتهدمت أركان النواميس، وتقلّلت معاقدها وانحل نظامها... عند ذلك تهتزّ الممالك بأقطار المعمورة المبنية»<sup>٩</sup>، فيكون، بالقضاء عليها، خلاصُ العالم ونجاته.

### ٣ - بطلان الشرائع:

<sup>١</sup> الموسومة بالحقائق والانذار والتأديب ٥٧ / ٤٤٦.

<sup>٢</sup> الرسالة في ذكر المعاد... ٧٠ / ٦٠١.

<sup>٣</sup> الموسومة بالتعقب والافتقاد... ٥٥ / ٤١٧.

<sup>٤</sup> الرسالة الواصلة إلى الجبل الأنور ١٠٩ / ٨٣٦.

<sup>٥</sup> الايقاظ والبشارة ٥٦ / ٤٣٦.

<sup>٦</sup> تقليد سكين ٤٦ / ٣٥٠.

<sup>٧</sup> التقرير والبيان ٦٢ / ٤٨٤.

<sup>٨</sup> الايقاظ والبشارة ٥٦ / ٤٤٠.

<sup>٩</sup> نفس المرجع ٥٦ / ٤٣٩.

جميع الشرائع التي جاء بها الأنبياء واحتوتها الأديان وبشّرت بها، فاسدة من طبيعتها. وهي سببُ فسادِ العالم وضلالهم أجمعين. لذلك عليها أن تزول: «الشريعة التي هي الزخرف واللّهو واللّعب، وقد دنا هلاكها»<sup>١</sup> بظهور قائم الزمان «الإمام القائم على الأمم بالحدّ والنعير، وعلى نواميس الأبالسة بالنسخ والتحليل والتغيير»<sup>٢</sup>. فهو «المحلُّ لمعاقد نواميس الأبالسة المفترعة والهادم لقواعد شرعهم المكذوبة المخترعة»<sup>٣</sup>، وهو «المؤيّد لاطفاء ما اشتعل من محرقات النواميس، والقائم لهدم ما بناه هامان وذبح ابليس، والمحاق لخور العجل والغطريس»<sup>٤</sup>. لقد جعله الباري تعالى «بالحقيقة قاطعاً لمضلاتّ النواميس»<sup>٥</sup>، و «ماحقاً الشرائع في أقطار الأرض»<sup>٦</sup>.

«الشريعة هي النار المحرقة للأجساد»<sup>٧</sup>، ومثلها «مثل الليل المظلم الذي لا نور فيه، لأنّ دعواتهم، أعني أصحاب الشرائع، إنما كانت مخالفةً لأمر الباري جلّت آلاؤه، ولتوهيم الناس، وإلى العدم والشرك والإبلاس»<sup>٨</sup>. «هي صدف بلا جوهر، وجسم بلا روح، وجيفة ملقاة لا فائدة فيها»<sup>٩</sup>. هي كالجدار الذي يستر تحتّه الحقيقة التي هي دعوة التوحيد. وهي كالتقشر فيما دين التوحيد هو اللب. وهي الجسم ودين التوحيد هو الروح»<sup>١٠</sup>.

بسبب ذلك يقول الأمير السيّد «إن الشرائع كلّها ماتت لما طلعت روحها. وروحها هي الحكمة التوحيدية التي كانت مدفونة فيها»<sup>١١</sup>. وهذه «الشرائع الناموسية الشركية ولّت وانقضت زمانها والشريعة التوحيدية أقبلت وأضاء شهابها»<sup>١٢</sup>.

الشرائع هي «النواميس المضلّة بالعدم»<sup>١٣</sup>، وهي «نار العذاب، وهي الهاوية والجحيم. وهذه الأسماء معنى الشريعة التي هوى أهلها وغوّوا ولقوا فيها العذاب»<sup>١٤</sup>، وهي «الظلم الصراح»<sup>١٥</sup>.

<sup>١</sup> كتاب فيه حقائق ما يظهر... ١١ / ١٠٧.

<sup>٢</sup> رسالة العرب ٥٩ / ٤٦٣.

<sup>٣</sup> تقليد الأمير ذي المحامد كفيل الموحدين... ٤٨ / ٣٥٨.

<sup>٤</sup> الموسومة بالحقائق والانذار والتأديب ٥٧ / ٤٤٣.

<sup>٥</sup> تقليد سكين ٤٦ / ٣٥٠.

<sup>٦</sup> تفسير كشف الحقائق للأمير السيد، ص ٣٢١ - ٣٢٢.

<sup>٧</sup> الغاية والنصيحة ١٠ / ٨٥.

<sup>٨</sup> تفسير كشف الحقائق، ص ٣٤٣.

<sup>٩</sup> نفس المرجع، ص ٩٣ - ٩٤.

<sup>١٠</sup> نفس المرجع، انظر أيضاً ص ١١٢، ومخطوط ١٤٣٦ ورقة ٢٤...

<sup>١١</sup> تفسير كشف الحقائق، ص ٢٢٦.

<sup>١٢</sup> نفس المرجع، ص ٢١١.

<sup>١٣</sup> الايقاظ والبيشارة ٥٦ / ٤٣٥ - ٤٣٦.

<sup>١٤</sup> رسالة الزناد ٣٧ / ٢٧٣.

<sup>١٥</sup> تفسير كشف الحقائق، ص ٢٢١.



لذلك لا بدّ من الخروج منها ومن ظلمتها إلى النور والحقيقة وفسيح التوحيد. والخروجُ منها كخروج الولد من ظلمة بطن أمه إلى سعة الدنيا المضاءة: «فخروجُ الولد من بطن أمه وضيقة على فسيح الدنيا وسعتها رحمةٌ عظيمة، وهكذا خروجُ الإنسان من ظلمة الشرائع إلى ضوء الوجود أوسعُ الرحمات»<sup>١</sup>. وهذا معنى قول الانجيل: «إني أبعثه في اليوم الأخير» يعني يعني اخراجه من ظلمة الشرائع إلى ضوء الوجود وفسيح التوحيد. وقوله أيضاً: «إنه يبعثُ مَنْ في القبور إلى أعلى القصور»، القبورُ هي الشرائع، والقصور توحيدُ الخالق الموجود. «وفي الحقيقة، إذا خرج الإنسان من ظلمة الشرائع وقتمتها وضيقتها وفسادها وعمها وتحديدها وتكاليفها إلى فسيح التوحيد وضيائه الباهر وشعاعه الزاهر فهو كالذي يخرج من بطن أمه وضيقة إلى فسيح الدنيا»<sup>٢</sup>. «فطرقُ الشرائع أصولها وفروعها مهلكةٌ مع الاصرارِ عليها»<sup>٣</sup>.

ومن أجل ظلمها لا بدّ من «مباعدتها والتبرّي منها»، فهو «من الفروض اللازمة الذي لا يصحُّ دينٌ لبشرٍ أبداً إلا بالتبرّي منها، لأنها صارفة لكل من اتبعها عن مشاهدة الجلال. وأعادنا الله منها بكرمه ولطفه»<sup>٤</sup>. وكلّ «من لا تتقبّحُ عنده الشرائعُ، وينفكُ من رباطها، ويتوبُ عنها، ويؤمنُ بالحقائق المدفونة فيها، فلا يتقبّلُ الله له إجابةً في دور الكشف»<sup>٥</sup>. بل لا يمكن لإنسان أن يعرف نفسه أو يعرف الله وما في الوجود من خير إن لم يمتنع عن الشرائع كافة: «فمن الممتنع أن المولود يعرف أمه ولا نفسه ولا ما يصل إليه، وكذلك من الممتنع أن المستقر في الشريعة وظلمتها يعرفها، ولا يعرف نفسه، ولا توحيد الوجود»<sup>٦</sup>.



هذه النصوص العامة لهدم الأديان والشرائع العامة هي بمثابة مقدمة للانقضاض على شريعتي محمد وعلي، أي شريعتي الإسلام اللتين هما: التنزيل والتأويل، أو الظاهر والباطن. ولم يسلم محمد أو علي من غضب قائم الزمان وبهاء الدين ثم من كافة الموحدين الذين أغلقوا باب دعوتهم التوحيدية بسببهما، وبسبب شريعتيهما الظالمتين، وأتباعهما للجنة الشياطين. وقد يكون زوال الإسلام علامةً لقرب نهاية الدهر الحاضر، وأذانا بحكم الموحدين الدائم في العالم

<sup>١</sup> نفس المرجع، ص ٢٤٦.

<sup>٢</sup> نفس المرجع.

<sup>٣</sup> نفس المرجع، ص ٣٤٥.

<sup>٤</sup> تفسير كشف الحقائق، ص ٢٢١.

<sup>٥</sup> نفس المرجع، ص ٣٤٠ - ٣٤١.

<sup>٦</sup> نفس المرجع، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

الآتي. بهذا يتيقن الدروز: «لقد ثبتَ لكم أن الدنيا قد زالتْ، وهي جميع الشرائع والأديان والعبادات»<sup>١</sup>. والمنتهي هم «النطقاء والأسس والشرائع»<sup>٢</sup>.



---

<sup>١</sup> رسالة بني أبي حمار ٤٤ / ٣٤١.  
<sup>٢</sup> الوصايا السبع للموحدين ٤١ / ٣١٨.

## ثالثاً - بطلانُ شريعتي الإسلام: الظاهر والباطن

في الحكمة الدرزية «الناس ثلاثة أجناس: فأهل الظاهر يُقال لهم مسلمون، وأهل الباطن يُقال لهم مؤمنون، وأهل قائم الزمان يُقال لهم موحدون»<sup>١</sup>. وفي مكان آخر: «الإسلام باب الإيمان، والإيمان باب التوحيد، لأن التوحيد هو النهاية الذي لا شيء أعلى منه»<sup>٢</sup>. «ولمّا ظهر التوحيد زالت قدرتهما جميعاً»<sup>٣</sup>، إذ إنّ الموحدين «يتخلّصون بتوحيد مولانا جل ذكره من حسو الشريعتين اللتين هما الظاهر والباطن»<sup>٤</sup>. و «مَنْ قَبِلَ مِنْ هَادِي الْعَالَمِ (حَمْزَةَ) وَعَبَدَ مَوْلَانَا الْعَلِيَّ الْحَاكِمَ كَانَ مِنَ الْفَائِزِينَ الَّذِينَ فَازُوا بِالتَّوْحِيدِ، وَتَخَلَّصُوا مِنَ التَّحْيِيدِ، الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ مِنَ الظَّاهِرِ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ بِشِرْكَ الْبَاطِنِ»<sup>٥</sup>.

وهكذا يكون الناس، في عصرنا الحاضر، على ثلاثة أجناس، أو على ثلاثة أديان:

١ - أهل الظاهر، سموا بذلك لأنهم يعتمدون على ما جاء في القرآن على ظاهره، أي دون تأويل أو اجتهاد في فهم حقيقته. ويسمّون أيضاً بـ«أهل التنزيل»، لأنهم يؤمنون بتنزيل آيات القرآن بحسب ترتيبها وحقيقتها كما وردت. هم إذن «أهل السنة»، لكنّ هذا الاسم قليل في رسائل الحكمة. وهم «النواصب» الذين ناصبوا العداة والشتم لعلي بن أبي طالب...

٢ - أهل الباطن، سموا بذلك لأنهم يعتمدون على باطن الحقيقة الموجودة في آيات القرآن، لذلك سموا أيضاً بـ«أهل التأويل» لأنهم يؤولون ويجتهدون في نقل معاني الآيات القرآنية من معانيها الظاهرة إلى معانيها المجازية الحقيقية. وقليلاً ما يسمّون بـ«الشيعة» كما هو المعروف عنهم، بل يغلب عليهم، في الحكمة اسم «التأويلية». وهم، كما نعلم على فرق وشيع متعددة...

٣ - أهل التوحيد، أو الموحدون، أو أصحاب «المسلك الثالث»، أو «الطريقة الوسطى»، أو «أهل المعرفة» و «الأعراف» ولكن لا نجد في الحكمة إطلاقاً اسمهم المعروف في التاريخ «الدروز».

<sup>١</sup> رسالة الشمعة ٣٨ / ٢٧٩.

<sup>٢</sup> البلاغ والنهاية ٩ / ٧٤ - ٧٥.

<sup>٣</sup> كتاب فيه حقائق ١١ / ١٠٧.

<sup>٤</sup> البلاغ والنهاية ٩ / ٧٥.

<sup>٥</sup> الموسومة ببدء التوحيد لدعوة الحق ٧ / ٦٨، انظر أيضاً: ٩ / ٨٠، ١٠ / ٩٦.

لقد دلت الحكمة الدرزية على أن القرآن أقرّ بوجود هذه الأديان الثلاثة، وذلك في قوله: «وَضَرَبَ بَيْنَهُمْ سُبُورًا، لَهُ بَابٌ، بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ، وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ»<sup>١</sup>. فـ«دلّ بأنّ الظاهر من قبلة العذاب، وأنه وصاحبه (محمد) عذاب، والباطن فيه الرحمة، ولم يقل هو الرحمة... فدلّ بأنّ الباطن يدلّ على الرحمة، وهو القسم الثالث في الدين»<sup>٢</sup>.

بعد هذا تتطرق رسائل الحكمة في وصف الظاهر والباطن، وتدعو إلى إسقاطهما والتخلّص منهما نهائياً وسريعاً، فنقول عن مولانا إنه «أسقط الباطن مثل ما أسقط الظاهر، إذ جعلهما في الحد سواء. فنظرنا إلى مَنْ يُنجِينَا مِنَ الْحَالَتَيْنِ جَمِيعاً، وَيُخَلِّصُنَا مِنَ الشَّرِيعَتَيْنِ سَرِيعاً، وَيُدْخِلُنَا جَنَّةَ النِّعَمِ الَّتِي هِيَ دَعْوَةُ الْقَائِمِ الْقَائِمِ الزَّمَانِ»<sup>٣</sup>.

ثم تعتبرهما معاً بهذه التعابير: «الفحشاء والمنكر هما الشريعتين الظاهر والباطن»<sup>٤</sup>، «الجور والظلم الشريعتان اللذان هما العدم والتشبيه»<sup>٥</sup>، «البول والغيط هما علم الظاهر والباطن»<sup>٦</sup>، و «هما في الحقيقة طريقتان مُضِلَّانِ فَاسِدَانِ لَا حَقِيقَةَ فِيهِمَا»<sup>٧</sup>، «الكفر والشرك هما الظاهر والباطن»<sup>٨</sup>. وأدل دليل على فسادهما تكفير أصحابهما بعضهم بعضاً: «أهل الظاهر يقولون إنّ دينهم هو الناجي، وأهل الباطن يقولون إنّ دينهم هو الناجي. والفريقان كاذبان لا نجاة فيهما، بل النجاة في الحكمة الأخرى التي هي توحيد الحاكم جلّ جلاله»<sup>٩</sup>.

وتفسّر الحكمة قول القرآن: «وما أدراك ما العقبّة! فَكُ رَقَبَةٌ»، بقولها: «فكُ الرقبة هو التخلّص من الشريعتين الظاهر والباطن»<sup>١٠</sup>. وفي قول القرآن «الله والرحمن» دليلاً على داعي التنزيل (محمد)، وداعي التأويل (علي)، وهما اليوم صامتان. دليل على نسخ الشريعتين وتبطليلهما؛ وإظهار الحقيقة ومحض الإمامة المرئية للمسلِك الثالث الذي أشارت إليه جميع النطقاء والأسس والأوصياء والأئمة واللوّاحق بهم وهو توحيد مولانا»<sup>١١</sup>. وعلى الحديث القائل: «مُلِّتِ الْأَرْضُ عَدَلًا وَقَسَطًا كَمَا مِلَّتْ جَوْرًا وَظُلْمًا»، فنقول: «مُلِّتِ الْأَرْضُ»،

<sup>١</sup> سورة الحديد ٥٧ / ١٣.

<sup>٢</sup> تقسيم العلوم ٣٦ / ٢٦١، الشمعة ٣٨ / ٢٧٩، انظر: ٥٨ / ٤٦٠، ٦٩ / ٥٩٤، ٧ / ٦٨، ٩ / ٨٠، ١٠ / ٩٦

كلّها تبيّن أقسام الدين...

<sup>٣</sup> الوصايا للموحدين ٤١ / ٣١٧.

<sup>٤</sup> النقص الخفي ٦ / ٥٦، انظر: ١١ / ١٠٢، ٤١ / ٣١٧.

<sup>٥</sup> تفسير كشف الحقائق، ص ٢٢٨ - ٢٢٩، الرضى والتسليم ١٦ / ١٣٨.

<sup>٦</sup> النقص الخفي ٦ / ٦٠، كتاب فيه حقائق ١١ / ١٠٩، تفسير، ص ٢٢٥.

<sup>٧</sup> تفسير كشف الحقائق، ص ٣١٦.

<sup>٨</sup> كتاب فيه حقائق ما يظهر قدام مولانا ١١ / ١٠٦.

<sup>٩</sup> تفسير رسالة كشف الحقائق، ص ٢٥١.

<sup>١٠</sup> كتاب فيه حقائق ١١ / ١٠٧، يستشهد بسورة البلد ٩٠ / ١٣.

<sup>١١</sup> البلاغ والنهاية ٩ / ٧٤.

الداعي، «عدلاً وقسطاً»، التوحيدُ والعبادة، «كما ملئتُ جوراً وظلماً»، وهو زخرف الشريعتين»<sup>١</sup>.

وفي الحكمة ما يشير على أنّ كلَّ تصرّفاتِ الحاكمِ الغريبةِ وأعماله المروعة وأحكامه المتناقضة، وما قام به من قتلٍ وظلمٍ وسفكٍ دماءٍ وعزلٍ وسجنٍ وجِدِّ وهزلٍ وزهدٍ وجماعٍ وغير ذلك، كلّها تشبِيرٌ وتعني نقضَ الإسلامِ وابطالَ شريعته: «إنَّ أفعالَ مولانا كلّها حكمةٌ بالغةٌ، جداً كان أم هزلاً»<sup>٢</sup>، من ذلك: «بلوغه إلى القصور، وهما قصران عظيمان خرابان، دليلٌ على بطلان الشريعتين وخرابهما»<sup>٣</sup>، ومن ذلك أيضاً «دواره حول المسجد، وقُدَّامُه عقبةٌ صعبةٌ، دليلٌ على التخلُّص من الشريعتين الظاهر والباطن»<sup>٤</sup>، ومنها أيضاً «قتله لرجلين، دليلٌ على قتلِ الناطقِ (محمّد) والأساسِ (عليّ) وتعطيلِ الشريعتين: التنزيل والتأويل، والهوانِ بالطائفتين: أهلِ الكفر والتلحيد»<sup>٥</sup>.

وهكذا «علمنا بأنه علينا سلامه ورحمته قد أسقطَ الباطنَ مثلما أسقطَ الظاهر»<sup>٦</sup>.

وتروح الحكمة تحذّر «كلَّ مَنْ ذَكَرَ عن نفسه أنه موحدٌ، وهو متمسكٌ بشيءٍ من الشرع، فقد أبطَلَ وكذَّبَ في قوله، بل هو ملحدٌ كافرٌ. ومَنْ كان من أهلِ الباطنِ تأويلياً وذكرَ عن نفسه أنه موحدٌ، فقد كَذَّبَ وأبطَلَ في قوله، بل هو مشرِكٌ كافرٌ»<sup>٧</sup>، وأيضاً «كل من ادعى التوحيدَ وهو يقول بالظاهرِ والباطنِ كان كاذباً في قوله»<sup>٨</sup>، لذلك «لا يجوز استقبالُ قائمِ الزمانِ الزمانِ وطاعتهُ وامتنالُ مراسيمه التوحيدية إلا بعدَ الطهارةِ الخالصةِ من الشريعتين الشركيةِ والكفريةِ»<sup>٩</sup>.



<sup>١</sup> الرضى والتسليم ١٦ / ١٧٨.

<sup>٢</sup> كتاب فيه حقائق ١١ / ٩٨.

<sup>٣</sup> نفس المرجع ١١ / ١٠٢.

<sup>٤</sup> نفس المرجع ١١ / ١٠٧.

<sup>٥</sup> كتاب فيه حقائق ١١ / ١٠٩.

<sup>٦</sup> النقض الخفي ٦ / ٥٦، انظر: ١١ / ١٠٢، ٤١ / ٣١٧.

<sup>٧</sup> رسالة الشمعة ٣٨ / ٢٨٠.

<sup>٨</sup> نفس المرجع ٣٨ / ٢٨٠.

<sup>٩</sup> تفسير كشف الحقائق، ص ٢٢٥ - ٢٢٦.

وبالنتيجة، بالتوحيد يتخلَّص الموحدون من «حشو الشريعتين اللتين هما الظاهر والباطن»<sup>١</sup>. وعليهم بالتتابع قائم الزمان الذي عرّف عن نفسه بقوله: «أنا صاحب المنزلتين ومُبيدُ الشريعتين»<sup>٢</sup>....



---

<sup>١</sup> البلاغ والنهابة ٩ / ٧٦.  
<sup>٢</sup> الاعذار والانداز ٣٤ / ٢٤٨، ٣٣ / ٢٤٣.

## رابعاً - بطلانُ مُحَمَّدٍ وشريعةِ الظاهر

كلُّ شيءٍ يَدُلُّ على أنَّ الإسلامَ قد بَطُلَ واضمحلَّ، وأنَّ التوحيدَ جاءَ بالنورِ والحقِّ. كلُّ ما في «الحكمة» يثبتُ أنَّ مُحَمَّدًا هو معدنُ الكذبِ والدجلِ، وأنَّ قائمَ الزمانِ جاءَ بالسدقِ والمعرفة. لقد انقضى، بظهور الدعوة التوحيدية، دورُ مُحَمَّدٍ، ونُسختُ شريعته الفاسدة بالتمام.

١ - أنَّ مُحَمَّدًا، بحسب ما تصفه الرسائل المقدسة، هو «الابليسُ الأعظم... الذي نَفَثَ سُمَّ نَجَسِهِ في أنيابِ شيعته»<sup>١</sup>، هو «الابليسُ المعتوهُ الشيطانُ، آخرُ عُكُورَاتِ مُجَوَّرِ الفلَكِ»<sup>٢</sup>، هو «ابليسُ الرجيم»<sup>٣</sup> و «ابليسُ اللعين»<sup>٤</sup>، هو «الدجالُ الرجيمُ الاجذع»<sup>٥</sup>، و «الدجالُ الخبيثُ الأعورُ الفاجر»<sup>٦</sup>، و «دجالُ العرب»<sup>٧</sup>، هو «المعتلُ الهَيَّال»<sup>٨</sup> و «العجل»<sup>٩</sup>... الخ.

وهو الإبلِيسُ الذي ادَّعى الوحيَ مِن الله ولفَّقَ عليه «الزورَ المكذوب»<sup>١٠</sup>، ثم رجع فنقضَ الوحيَ الذي زعم أنه أُوحِيَ إليه. «فظهر للناس ما كذبه على الله وزخرفَ عليه». فتناقضتِ الأقوالُ (أقواله) وصارت هَرَجًا لأفعالِ (أفعاله)»<sup>١١</sup>. «لقد عميتُ بصيرتُهُ... فمرَّةً يأمرُهُم باستقبالِ المشرق، ومرَّةً يأمرُهُم بالتوجُّهِ إلى المغرب»<sup>١٢</sup>.

وتبيَّنُ الرسائلُ تناقضاتِ تعاليمِ مُحَمَّدٍ، وتفنَّدُ أكاذيبَ القرآنِ، وكلُّها «مبيِّنٌ لقلَّةِ معلومه وعجزه وتحقيقُ لباطله»<sup>١٣</sup>. «فتأملوا لَكِنَّ هذا المسعورُ المفتون»<sup>١٤</sup>، «وتأملوا يا أهل الغفلة،

<sup>١</sup> رسالة اليمن ٦٠ / ٤٧٠، انظر: ٥٦ / ٤٣٩ ... الخ.  
<sup>٢</sup> تأديب الولد العاق ٦٣ / ٤٨٨. معنى ذلك أنَّ مُحَمَّدًا هو «آخر ذرَّات الكون» التي تتألَّف منها الأجسام الفاسدة الشريرة. ومن المعروف أن آخر الذرَّات في الفلسفة اليونانية تؤلَّف المادَّة العمياء.  
<sup>٣</sup> انظر: ٥٦ / ٤٤١، ٥٧ / ٤٤٥، ٥٨ / ٤٥٣ ... الخ.  
<sup>٤</sup> انظر: ٥٧ / ٤٤٨، ٥٨ / ٤٥٥ ... الخ.  
<sup>٥</sup> رسالة التقريع والبيان ٦٢ / ٤٨٠ ...  
<sup>٦</sup> انظر الرسائل ٥٦ حتى ٦٦ ص ٤٣٥ - ٥٢٥.  
<sup>٧</sup> رسالة التقريع والبيان ٦٢ / ٤٨٥.  
<sup>٨</sup> رسالة إلى الولد العاق ٦٣ / ٤٨٩.  
<sup>٩</sup> رسالة الحقائق والانذار ٥٧ / ٤٤٣، التقريع البيان ٦٢ / ٤٨٣.  
<sup>١٠</sup> رسالة التبیین والاستدراك ٧١ / ٦٠٨. يجب قراءتها بمجملها.  
<sup>١١</sup> نفس المرجع ٧١ / ٦٠٩.  
<sup>١٢</sup> نفس المرجع ٧١ / ٦١٠.  
<sup>١٣</sup> نفس المرجع ٧١ / ٦١٥.  
<sup>١٤</sup> نفس المرجع ٧١ / ٦١٥. «لَكِنَّ»: عَيَّ وَثَقَّلَ لِسَانَهُ.

هل... أَيْبُنُ من هذا... لكشفِ عَوَارِ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ؟<sup>١</sup>. ثم «انظروا ما مَوَّهَ به صاحبُ صاحبِ شريعةِ الإسلامِ ما هو، باللهِ، أعظمُ من الشَّطَنِ والتَّلبِيسِ وعبادةِ الأصنام...»<sup>٢</sup>.

قال محمدٌ فيما قال: إنه أُسْرِيَ به في ليلةٍ واحدةٍ من مَكَّةَ إلى مسجدِ بيتِ المقدسِ، وإنه عَرَّجَ به إلى السماءِ السابعةِ، وإنه جالَسَ الملائكةَ، وسمعَ نداءَ الربِّ. ولم يكن له دينٌ، ولا رَعَةً يزجراه عمَّا لَفَقَ من الزورِ والكذبِ»<sup>٣</sup>. ونَظَرَهُ رجلٌ يهوديٌّ قائلاً له: «يا محمدُ، ارتفعَ لنا من الأرضِ ذراعاً واحداً، ونحن نؤمنُ بك... فأفحِمِ الدعيُّ عن الجوابِ والقولِ. وتبيِّنْ للجماعةِ كذبَهُ على ذي المآنةِ والطَّولِ، وعلمُوا أنها زخاريفٌ لِيَسْتَجِدِبَ بها أموالَهُم، وحيَلٌ على الأمورِ الدنيويةِ يستحلُّ بها حرَمَهُم وعيالَهُم»<sup>٤</sup>.

ويجنِّدُ بهاءُ الدينِ المقتنى نفسه إلى إظهارِ عَوَارِ محمدٍ وفسادِ تعاليمه، ويختم رسالته بقوله: «لقد عرَفْتُ مثالبَ مَنْ أ ضلَّ العوالمَ، وأُشرتُ بالتعيينِ. وقد بلغَ العبدُ الناصِحُ بعضَ الغرضِ... فلنختم ذلك بالاعترافِ بالتقصيرِ»<sup>٥</sup>.

ولن ما قصرَ به بهاءُ الدينِ أكمله الأميرُ السيِّدُ جمالُ الدينِ التتوخي. فهو القائلُ: «إنَّ ممثوله (أي ممثل أبلِس) الذي هو محمدُ بن عبد الله يجمع نواميسَ النطقاءِ وزخرفهم أجمعين... لأنَّ غالبَ الظنِّ أنه لم يكن ظهرَ في ناطقٍ ولا في غيره من مبتدأِ الدنيا إلى زمانِ الكشفِ لا أشدُّ عُتُوًّا ولا أشدُّ ناموساً ولا أصرمُ سيفاً ولا أعظمُ قتلاً ولا أقوى كذباً ولا أعظمُ رغبةً في نسوانٍ وشهواتٍ بهيميةٍ ولا إباحةٍ معاصي من شخصِ الناطقِ محمدَ لَعَنَهُ اللهُ»<sup>٦</sup>.

وفسادُ محمدٍ ملازمٌ لفسادِ شريعته: فـ«محمدٌ شرَّعَ شُرُوعَاتٍ فاسدةٍ إبليسيةً، يَشِيرُ بها إلى العدمِ والتعطيلِ، ممَّا يشاكلُ عُنصره الفاسدِ. وأظهر تكاليفَ ناموسيةَ شركيةَ، وأباحَ محرَّماتٍ، وحرَّم محلَّاتٍ ما في بعضها الهلاكُ الكليُّ»<sup>٧</sup>.

ثم تصفِ الدرزيَّةُ شريعةَ محمدَ بالزنا، وتعتبرُ صاحبها ابنَ زنا، أو «إبليس» لأنَّ إبليس هو من «أبٍ لَيْسَ» أي «مَنْ لَيْسَ لَهُ أَبٌ»، أعني ابنَ زنا. وفي ذلك أن «الزنا بالنساء دليلٌ على شريعته. فصحَّ أن شريعته باطنُ الزنا. ومتَّبِعُوهُ أولادُ زنا حتماً. وقد صحَّ واتَّضحَ أن الشرائعَ الناموسيةَ مدلولٌ عليها بالزنا. وإن الزنا بالنساء شهوةٌ فاسدةٌ ظاهرةٌ للعيانِ. فصار المائلُ إلى الشرائعِ ولدَ زنا والمشكُّ في الحقيقةِ ولدَ زنا. والشرائعُ الناموسيةُ الشركيةُ شهوةٌ

<sup>١</sup> نفس المرجع ٧١ / ٦١٧.

<sup>٢</sup> نفس المرجع ٧١ / ٦١٨.

<sup>٣</sup> رسالة التبيين والاستدراك ٧١ / ٦١٨.

<sup>٤</sup> نفس المرجع.

<sup>٥</sup> نفس المرجع، ص ٦٢٢.

<sup>٦</sup> تفسير كشف الحقائق للأمير السيِّد، ص ٧٤٥.

<sup>٧</sup> تفسير كشف الحقائق، ٢٢٤.



وزنا باطني. وهو الزنا الأعظم. والزنا الحقيقي والسفاح الحقيقي هما عبادات العدم ومحبة الشريعة وأصحابهما والميل إليهم»<sup>١</sup>.

وفي شريعة محمد فروع كثيرة فاسدة، وخوارق كاذبة، وتعاليم مضلّة، تُعمي قلوب مَنْ سَلَكَهَا، وتطمسُ بصائرَ مَنْ تَعَلَّقَ بِهَا.

منها إسراءُ محمد... «وهذا كفرٌ وفسوقٌ، وما جرى أبداً».

ومنها إن المسلمين يعتقدون أن محمداً ما له ظلٌ في الشمس، وهذا الكفرُ الأكبر. ولم يكن هذا الأمرُ لغيرِ الله تعالى أبداً.

ومنها إن الإنسان إذا زنا بامرأة وجاءها منه بنتٌ فيجوزُ له زواجُها ويحلُّ ذلك ولو كان محققاً أنها ابنته.

ومنها إن الإنسان إذا اشترى ألفَ جاريةٍ فيحلُّ له وطءُ جميعهنَّ.

ومنها إن الإنسان إذا اجترأ على الزنا والقتلِ والسرقةِ وقطع الطريقِ وجميعِ المحرّماتِ حتى بلغ ثمانين سنة على هذه الحالة ثم تاب يوماً واحداً كان كيوم ولدته أمه ولا عقابَ عليه...».

«وأمثالُ هذه الفروع الفاسدة كثيرةٌ. فصارتِ الشريعةُ الظاهرةُ مضلّةً حتماً لزمّاً بهذه الأسباب. وجميعُ ما تعيّن كذبٌ ومحالٌ. فلعنهُ اللهُ عَلَى مُؤَسَّسِهَا وَمُرَكِّزِهَا وَمَنْ أَعَانَ عَلَيْهَا وَفَاعَلَهَا وَقَاتَلَهَا وَقَابَلَهَا. أعادنا اللهُ سبحانه وتعالى»<sup>٢</sup>.

ثم إن كلَّ ما جاء به محمدٌ من خوارقٍ ومعجزاتٍ هو كذبٌ وتدجيلٌ: فشريعتهُ «مشحونةٌ بذكره ونبوتهِ المجازيةِ بما فيها من الكذبِ الصريحِ والمعنى القبيحِ، كدلالته عليه إنه عرّج إلى السماء، وإن الماءَ نبعٌ من بين أصابعه، وإن الغزاةَ سلّمت عليه، وإن البعيرَ قبّلَ يديه، وما شاكل ذلك من الكذبِ المعظم»<sup>٣</sup>.

٣ — ولم يسلم القرآن من الكذب والتدجيل والفساد. فهو، بنظر محمد، كلام الله، وإنه منزل عليه، غير مخلوق، ولا مجعول، وإنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وقد طابق أصحابه (أي أصحاب محمد هذا القول) وجميعُ هذه الأمة (الإسلامية) وقد أجازوه

<sup>١</sup> نفس المرجع، ص ٥٠٦ - ٥١١، انظر رسالة ١١ / ١٣٦.

<sup>٢</sup> تفسير كشف الحقائق، ص ٧٢٨ - ٧٢٩، انظر ٧١ / ٦١٨.

<sup>٣</sup> تفسير كشف الحقائق، ص ٧٥٤ - ٧٥٥.

ورضوه ولم يُنكروه»<sup>١</sup>. كل هذا فاسد من أساسه، والقائلون به ضالّون مضلّون، وهم، بحسب ما يناديهم بهاء الدين، أهلُ بَلَهٍ وتدجيلٍ.

«فيا أهلَ البَلَهِ والتدليسِ والتشبيهِ! كيف يكونُ قولُكم في الكلامِ الذي نسبتموه إلى الله تعالى لا يأتيه الباطلُ من بين يديه، ولا من خلفه صدقاً. وقد اعتورته لإصلاحِ فسادِهِ ألسنُ النحويينَ واللغويينَ، ودخلَ عليه النقصُ والخللُ لخروجهم به عن مباني الدينِ. وكيف ينسأغُ في عقلِ ذي لبٍّ أنَ كلامَ الله تعالى يفتقرُ إلى إصلاحِ المخلوقينَ. وهذا ممّا يبيّنُ فسادَ شرعِ المخترصينَ، ويوضحُ إنهم خالفوا أمرَ الباري وخرَجُوا عن سننِ التوحيدِ والدينِ»<sup>٢</sup>.

٤ - أمّا المسلمون فهم الذين «استعبدَهم الإيليسُ الأعظمُ» (أي النبيّ محمّد) <sup>٣</sup> فيؤلّفون بالتالي حزبه وعُصْبَتَه. فهم «حزبُ الدجالِ»<sup>٤</sup>، و «عصبةُ الدجالِ»، أتباعُ الدجاجةِ في أقطارِ الأرضِ فوضى مُهمّلون»<sup>٥</sup>. ويوصفون بـ«الهلَكَةِ الأَغْفَالِ... الطُغَاةِ الفَسَقَةِ المَكْذِبِينَ... البهائمُ المهملون والسوائمُ المنكرون... المَرْقَةُ الهَلَكَةُ الغافلون... حزبُ الضلالِ آلِ البَلَسِ والشَطَنِ والعقوقِ والإباق... الخونةُ الذين أضرَموا نارَ الفتنِ على الموحدين»<sup>٦</sup>.

يخاطبهم بهاء الدين المُقْتَنِي بقوله: «تنبّهوا يا أهلَ البَلَسِ والضلالِ والعمى، وتيقظوا يا أولي السَّعْبِ والسَّسَافِ والظَمَى. فقد أَقْلَ شمسُ الدجالِ الأَعورِ (محمّد) وقَمَرُهُ (علي) في المُحَاقِ، وتضاءلتْ نجومُهُ (خلفاؤه) عن مطالعها بالنحوسِ والرجوعِ والاحتراقِ، وتزلزلتْ أرضُهُ بالخَسْفِ (مكة)، وأذنتْ سماءُهُ (ديانته) بالهبوطِ والانشقاقِ، لِزُهْرَةِ شمسِ الحقائقِ (حمزة)...»<sup>٧</sup>.

هم «أهلُ الشَطَنِ والغفلةِ والسهُوِ... أجلافُ الأممِ... أهلُ النَجَسِ والكذبِ والبهتانِ... العصبةُ الجاحدةُ المنكرةُ العميَّةُ عن الحقِّ... أتباعُ لِنَعَقَةِ شياطينِ الفترةِ... أوباشُ الأممِ وعُكُورَاتُ هذا الخلقِ... أهلُ النفاقِ والعودِ والفسقِ... العُصْبَةُ الضالَّةُ...<sup>٨</sup> يُشْبِهُونَ، لكنثرة شرهم على الموحدين، المسوخَ والذئاب... والثعابينَ الرُقُطَ والأساودَ الزُمُطَ والأرقامَ

<sup>١</sup> رسالة التبيين والاستدراك ٧١ / ٦٢٠.

<sup>٢</sup> رسالة التبيين والاستدراك ٧١ / ٦٢١.

<sup>٣</sup> رسالة اليمن ٦٠ / ٤٧٠.

<sup>٤</sup> رسالة تمييز الموحدين الطائعين ٦٦ / ٥١٦.

<sup>٥</sup> رسالة اليمن ٦٠ / ٤٧٠.

<sup>٦</sup> رسالة تمييز الموحدين الطائعين ٦٦ / ٥١١ - ٥١٥.

<sup>٧</sup> الأيقاظ والبشارة ٥٦ / ٤٣٧ - ٤٣٨.

<sup>٨</sup> توبيخ الخائب معلا ٨٢ / ٧٣٨ - ٧٤٣.

الشمط<sup>١</sup>. فهم «أوغادُ الأنام وأولادُ الحرام»<sup>٢</sup>... «الخونَةُ الأعتام»<sup>٣</sup> و «الأجلافُ الاغتام»<sup>٤</sup> الاغتام»<sup>٤</sup> و «الغفلةُ النوام»<sup>٥</sup>.

هم «أمةُ السوء»<sup>٦</sup> و «أهلُ السفه»<sup>٧</sup> و «الادعاء»<sup>٨</sup>، و «أهلُ الغدر والنكت، أهلُ الردة وأولاد الخبيث»<sup>٩</sup>، «أهلُ النصبِ والشكِّ والشركِ والانعكاسِ والظلمِ والابلاس»<sup>١٠</sup>، «أهلُ الكذبِ والنكتِ والزور»<sup>١١</sup>. هم «كذُرُ الأمم»<sup>١٢</sup> و «عصاةُ الأمم»<sup>١٣</sup> و «أوباشُ الأمم»<sup>١٤</sup> و «أجلافُ الأمم»<sup>١٥</sup> و «عبدَةُ العجلِ والصنم»<sup>١٦</sup>. هم «كالبقرِ السائمة والغنم»<sup>١٧</sup>، أو «أشباه البقر والغنم»<sup>١٨</sup> و «أخبيثُ الأمم»<sup>١٩</sup>. هم «أولادُ البغايا العواهر، وبقيةُ نسلِ أعتام البرابر أهلُ الخلاف... أئمةُ الجورِ الفسقةِ الفجار، أهلُ الحشوِّ والعُمى والصممِ والخرس، وأعانُ الدجاجلةِ بالغيِّ واللعنِ والبلس... أصحابُ الكرةِ الخاسرة... بقيةُ عصاةِ الأمم»<sup>٢٠</sup>. هم، «على أولياءِ الحق كالنمورِ الضاريةِ والسباعِ أو كالأرقامِ المزمنة والأفاع»<sup>٢١</sup>.

ليس للمسلمين عامَّة من فضيلةٍ. كل ما عندهم من موادِّ إبليسِ الرجيم، فهم «ما امتدوا — بحسبِ مفسري الحكمة — إلا من الموادِّ الإبليسيَّة، ولا تغدوا إلا من الأغذيةِ المبخرةِ السميَّة. فأجل ذلك تكلموا بالسنةِ خرسةً، ونظروا بأعينِ عميَّة، فضلُّوا وأضلُّوا... فما تعلقوا من داخلهم إلا بالفساد، ولا نطقوا إلا به»<sup>٢٢</sup>.

<sup>١</sup> مثلاً ضربه بعض حكماء الديانة ٤٣ / ٣٣٨.

<sup>٢</sup> تقليد لاحق ٤٥ / ٣٤٦.

<sup>٣</sup> الحقائق والانذار ٥٧ / ٤٤٩.

<sup>٤</sup> نفس المرجع، ٥٧ / ٤٤٤.

<sup>٥</sup> رسالة إلى العرب ٥٩ / ٤٦٥.

<sup>٦</sup> نفس المرجع ٥٩ / ٤٦٦، ...

<sup>٧</sup> كتاب أبي اليقظان ٦٥ / ٥٠٠ - ٥٠٧ بكاملها.

<sup>٨</sup> إلى الجبل الأنور ١٠٩ / ٨٣٥.

<sup>٩</sup> نفس المرجع.

<sup>١٠</sup> التقرير والبيان ٦٢ / ٤٨٤.

<sup>١١</sup> تأديب الولد العاق ٦٣ / ٤٨٩.

<sup>١٢</sup> التقرير والبيان ٦٢ / ٤٨٥.

<sup>١٣</sup> الحقائق والانذار ٥٧ / ٤٤٧.

<sup>١٤</sup> توبيخ الخائب محلاً ٨٢ / ٧٣٩.

<sup>١٥</sup> نفس المرجع، ٨٢ / ٧٣٩.

<sup>١٦</sup> التقرير والبيان ٦٢ / ٤٨٥.

<sup>١٧</sup> رسالة تمييز الموحدين ٦٦ / ٥١٣.

<sup>١٨</sup> السفر إلى السادة ٦٨ / ٥٤٦، ٥٩ / ٤٦٥.

<sup>١٩</sup> رسالة العرب ٥٩ / ٤٦٥.

<sup>٢٠</sup> نفس المرجع.

<sup>٢١</sup> إلى أهل اليمن ٦٠ / ٤٧٠.

<sup>٢٢</sup> تفسير كشف الحقائق للأمير السيد التنوخي، ص ٨٧.

٥ - والنتيجة هي «إن العقل بالحق يشهد ويقطع أن الأكثر. من أمته (أي أمّة محمد) والجم الغفير من رؤساء شرعته ليس لأحد منهم أمانة على تأدية كلمة واحدة من العدل... وإنهم في فهمهم للحق والحكمة أثله من الحمار والبغل. فكيف يكونوا شهداء على الناس!»<sup>١</sup>.  
ينتج أيضاً «إن شريعة محمد قد تقضت أيامها، (وكذلك) جميع النحل قد وهت قواها، وانحل نظامها»<sup>٢</sup>.

وينتج أيضاً إن إله المسلمين هو عدم لأنه لم يظهر مرة واحدة لعباده، ولم يأنسهم ويُعرفهم بنفسه: ف«ما كان لا يحد ولا يوصف ولا يدرك بشيء من الحواس (أي من يتجل) فأحرى به أن لا يكون شيئاً»<sup>٣</sup>.

وأيضاً إن محمداً «الناطق - لعنه الله - أصل لجميع المعاصي وجميع الأخلاق الفاسدة والعلوم الرديّة»<sup>٤</sup>.

وأخيراً إن «العجل» هو «الضد»، وال ضدّ الأعظم في أيّامنا هذه هو «محمد». ولكنّ جميع النطقاء هم أيضاً «عجول» لأنّ نواميسهم هي تكليفية إبليسية وضعت لطمس معالم التوحيد. وإذا ما اتهمّ الدروز بعبادة العجل فذلك لأجل أنّهم يخفون أسفار الحكمة في مجالسهم ضمن رأس العجل الذي يمثّل محمداً. فكما إنّ دعوة التوحيد مخفية في شريعة الإسلام، كذلك رسائل الحكمة مخفية في رأس العجل... بسبب ذلك عُرف الدروز، خطأ وضلالاً، بعباد العجل، فيما عبّاد العجل، بنظرهم، هم المسلمون وسائر أصحاب الشرائع الفاسدة...

إننا نعترف بعجزنا عن حصر كل ما قيل في محمد وشريعته وأتباعه ونهمس إليك أيّها القارئ بأننا لم نتجرأ على نقل كل ما في «الحكمة»...



<sup>١</sup> رسالة التبيين والاستدراك ٧١ / ٦١١.

<sup>٢</sup> رسالة القسطنطينية ٥٣ / ٣٨٩.

<sup>٣</sup> من دون قائم الزمان ٦٧ / ٥٣٤.

<sup>٤</sup> تفسير كشف الحقائق، ص ٣٧ - ٣٨.

## خامساً - بطلانُ عليٍّ وشريعةِ الباطن

ليست منزلةُ عليٍّ بن أبي طالب أفضلَ من منزلةِ محمدٍ بن عبد الله. كلاهما في الشرِّ والفسادِ سواء. وشريعةُ الاثنيَين في الضلالِ على اتفاق. شريعةُ عليٍّ هي «الشرك» بعينه، كما شريعةُ محمدٍ هي «الكفر» بعينه. وكل ما يصدرُ عنهما من علوم هو «سُمُّ قاتِلٌ»<sup>١</sup>. وقد علّم قائمُ الزمانِ في رسائله إلى النساءِ الموحداتِ «إنهما، محمدٌ وعليٌّ، لا يجوزُ لكنَّ أن تطعنَ أحداً منهما. وقد نهى الدينُ عنهما. ألم ترينَ أن المولى عزَّ وجلَّ قد ملكهُما الدنيا؟ أليسَ أشارَ لكنَّ بأنهما دنيانِ القدرِ؟ لأنَّ الدنيا سُمِّيتُ دنيا لأنها دنيَّة؟ وإن هذينِ الشخصينِ يتزيَّبا بزِيِّ المولى، وقد حصلَّا ضدَّين. فكيف تجوزُ عبادتُهُما في وقتنا هذا؟»<sup>٢</sup>، وقد أمرَ البارِي: «لا تسجدوا للشمسِ ولا للقمرِ، وهما الناطق (محمد) والأساس (علي)»<sup>٣</sup>.

١ - ماذا يكون إذن من شأن عليٍّ وأتباعه وشريعته الباطنيَّة بعدما كان شأنُ محمدٍ والمسلمين وشريعةُ الظاهرِ الكفرِ والفسوقِ والضلالِ! الحقيقةُ تنال من «الحكمة» و«الحكمة تقول: «بالحقيقة، إن عليّاً زوجةً ابليس اللعين محمد بن عبد الله هو أنجسُ الخلق بعدَ محمد»<sup>٤</sup>، وإنَّ محمدًا وعليّاً صارا «أصلاً لدينِ التلحيد الذي لم يرضاه اللهُ، ولا أمرَ به، بل أفاضاه من تلقاء نفسيهما، وأضلا به الخلائق في أقطار الأرض»<sup>٥</sup>.

بل «هما النحسان العظيمان لما اقترنا واتقفا وأتلفا وامتزجاً خرجَ من بينهما جميعُ العقائدِ الفاسدةِ والتكاليفِ والعباداتِ المحرقةِ والطرائقِ الرديئةِ. وجميع ما في الناس من الفساداتِ والمعاصي، من مبتدأ الدنيا إلى يوم القيامة فهو منهما ومن تأثيرِهما ومن مادتيهما وبحرهما الأجن الزعاق. فالأساسُ (علي) مُعينُ الناطق (محمد) على جميعِ مفاسدهِ لَعْنَةُ اللهُ»<sup>٦</sup>.

وعليٌّ بالنسبةِ إلى محمدٍ هو «زوجتهُ وأليفه وحليفه وسديقه على المروق والفسوق والعقوق، لأن النتائجِ الابليسيَّة والنواميسَ الشركيَّة من بينهما ظهرتُ ومنها خلقتُ وإليهما

<sup>١</sup> مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم ١٤٣٩، ورقة ٢٥ ب.

<sup>٢</sup> رسالة النساء الكبيرة ١٨ / ٢٠٠.

<sup>٣</sup> كتاب النقض الخفي ٦ / ٦٢.

<sup>٤</sup> تفسير كشف الحقائق للأمير السيّد التنوخي، ص ٧٣.

<sup>٥</sup> نفس المرجع، ص ٤١٢.

<sup>٦</sup> نفس المرجع، ص ٣٦.

نُسِبَتْ. فلا محرّمٌ في الدنيا إلا وهما أصله»<sup>١</sup>. ثم إن «كلّ علومٍ فاسدةٍ برزتُ منهما. فهي فروغٌ من هذا الأصل»<sup>٢</sup>.

٢ - وقد تكون شريعة عليّ المسمّاة بـ«الباطن» أخطرَ على الموحدين من شريعة محمد، لأن غايتها في تأليه عليّ تلامسُ عقيدة أهل التوحيد في تأليه الحاكم. لذلك فإن «شريعة الأساس مضلّة لمن تبعها ومثى عليها، لأن غايتها ومقصودها ومقتضاها ألوهية أولاده وأولاد أولاده... فصارت هذه العقيدة الفاسدة مضلّة على كل حال»<sup>٣</sup>.

ومن ذلك ما ينقله أتباع عليّ عنه قوله: «أنا الله رب العالمين». ويعلق على هذا القول أحدُ مفسري الحكمة: «كذب اللعين خراه الله. وينقل إلينا ما يروى عنه قائلًا: «والمأثورُ عنه أنّ بعضَ جماعته رآه في الحجاز وهو يسبحُ بين الصفا والمروة - وهما مكانان بالحجاز - فقال له: «يا مولاي! لمن تسبحُ وأنت الكل؟ وفي زماننا هذا حضرَ شخصٌ تأويلي (من أتباع علي) وقال: عليّ فوق، عليّ تحت، عليّ يمين، عليّ شمال، عليّ خلف، عليّ قدام. الله هو عليّ. فقيل له: كيف تقولُ هذا، وله أولاد، ويأكلُ ويشربُ؟ فقال: له أولادٌ مجاز. فصمّم على ذلك وانصرف. لعنَ الله الجميع... ثم... اعتقادهم أن ألوهيته المكذوبة نقلها إلى ولده الحسين ثم إلى ولد ولده عليّ ثم إلى ولده ولده... وهو أعجزُ العجزة...»<sup>٤</sup>.

بسبب هذا الاعتقاد الفاسد، سُميت شريعة عليّ بـ«الشرك» وهي بالحقيقة تدعو إلى الشرك. والشرك قد يكون أخطرَ من الكفر والتلحيد، لأنه يعملُ في السرّ، وينفذُ إلى العمق، ويبدلُ الحقائق، ويسري خفيةً «لأنّ الشرك أخفى من دبيب النملة السوداء على المسح الأسود في الليلة الظلماء». فعلى الموحدين أن يتنبّهوا وأن يعلموا إذن «أنّ الشرك خفي المدخل، دقيقُ دقيقُ السترِ والمسبّل. وليس منكم أحدٌ إلا وهو يُشركُ ولا يدري، ويكفر وهو يسري، ويجحد وهو يزدي. وذلك قول القائل منكم بأن مولانا سبحانه صاحبُ الزمان، أو إمام الزمان، أو قائمُ الزمان، أو وليُّ الله، أو خليفة الله، أو ما شاكل ذلك من قولكم: الحاكمُ بأمر الله، أو سلامُ الله عليه، أو صلواتُ الله عليه... فهو الشركُ بعينه»<sup>٥</sup>.

فخطرُ الشرك يكمنُ إذن في سهولة الخلطِ بين أوصافِ علي بن أبي طالب وأوصافِ المولى الحاكم: لقد «صحَّ عند الموحّد بأنّ الشرك الذي لا يُغفرُ أبدًا بأنّ يُشركَ بينَ علي بن

<sup>١</sup> نفس المرجع، ص ٣٧، مخطوط رقم ١٤٣٩، ورقة ٢٥ أ.

<sup>٢</sup> نفس المرجع، ص ٣٨، مخطوط، ورقة ٢٥ ب.

<sup>٣</sup> تفسير كشف الحقائق، ص ٧٢٥.

<sup>٤</sup> نفس المرجع، ص ٧٢.

<sup>٥</sup> رسالة النساء الكبيرة، ١٨ / ١٩٦.

<sup>٦</sup> رسالة البلاغ والنهاية ٩ / ٧٤.

أبي طالب وبينَ مولانا جلّ ذكره»<sup>١</sup>. من أجل ذلك يجبُ الحذرُ والحيطةُ. ولأجل ذلك تكون الباطنيةُ التأويليةُ، لعنةُ الله عليهم<sup>٢</sup>، على الموحدين شرّاً مستطيراً. ولهذا «صار عليُّ قبلةَ المشركين في أقطارِ الدنيا، شاعوا أو لم يشاعوا»<sup>٣</sup>.

٣ - أما ما أخذ الموحدين على شريعةِ عليّ فكثيرةٌ، لأن فيها فروعاً كثيرةً فاسدةً تضلُّ وتعمي من سلكها:

من جملة ذلك ما يسمّى بزواجِ المتعةِ، وهو «إن الرجل يأتي المرأةَ فيوافقها على شهورٍ معلومةٍ بدرأهم معلومةٍ، ويجعلُ ذلك فريضةً عن تراضٍ منهما. فإذا تمَّ ذلك الأجلُ وقبضتُ تلك الفريضةُ، فإنَّ أرادَ أن يصرفها أصرفها، وإنَّ أرادَ جدّاً لها فريضةً أخرى، وأقامتُ عنده، أو تأتيه إلى تمام تلك الفريضة. وذلك قوله (أي قول محمد في القرآن): ولا جناحَ عليكم فيما تراضيتُم به من بعدِ الفريضة. إن الله كانَ عليماً حكيماً»<sup>٤</sup>.

«فقد نسَخَ (محمد) لهذا الحكم، ونقضَ جميعَ شروطه في أبوابِ النكاح، وآلَ أمرُ أمته إلى الهرجِ والفسقِ والسفاح. وإذا كان ذلك كذلك فقد بطلتُ من قلوبِ الآباءِ صحّةُ الأولاد، والتبستُ بالحقيقةِ أنسابُ العباد»<sup>٥</sup>.

ويعلّقُ الأميرُ السيّد بقوله: «فهذا زنا صريح. وهو ثابتٌ في شريعةِ الأساس (علي) إلى الآن»<sup>٦</sup>.

«ومن جملة ذلك أيضاً في بلادِ الحجاز قومٌ حُسَيْنِيَّةٌ منسوبين إلى الحُسين بن عليّ، فسُاقَ مُرَاقٌ، فيرسِلُ هؤلاءُ الفسقةُ نساءهم إلى الحجاز ويُرَخِّصُوا العرَضَ في بذلِ نفوسهنَّ لأولئك الفسقةِ الحُسَيْنِيَّةِ، رجاءَ أَنهنَّ يَأْتِيهنَّ بأولادٍ حُسَيْنِيَّةِ. وهذا زنا محض. لعنهم اللهُ ثم لعنهم. ما أشدَّ فسقهم وأشدَّ ضلالِ مذهبهم أصلاً وفرعاً.

«فصارتُ شريعةُ الأساسِ مضلّةً بهذه الأسباب. ومن تعلقَ بها احترقَ وذاب. وغيرُ هذه (الأمر) المُعيّنةُ فروعٌ كثيرةٌ فاسدةٌ في هذه الشريعةِ الشركيّة»<sup>٧</sup>.

٤ - أما أصحابُ عليّ وأتباعُ شريعته فهم أهلُ الباطنِ والتأويلِ، «الواقفون مع اللعين صاحبِ الباطن»<sup>١</sup>. هؤلاء كانوا على الموحدين أشدَّ خطراً من أهلِ الظاهرِ والتزليلِ، لأنهم

<sup>١</sup> رسالة الردّ على النصيري ١٥ / ١٧٢.

<sup>٢</sup> تفسير كشف الحقائق، ص ٣٣٠.

<sup>٣</sup> نفس المرجع، ص ٤١.

<sup>٤</sup> رسالة التبيين والاستدراك ٧١ / ٦٠٩ - ٦١٠. سورة النساء ٤ / ٢٤.

<sup>٥</sup> تفسير كشف الحقائق، ص ٧٢٦.

<sup>٦</sup> نفس المرجع، ص ٧٢٧.

<sup>٧</sup> تفسير كشف الحقائق، ص ٧٢٧.

استسهلوا الدخولَ في دعوة التوحيد نظراً للتقاربِ الحاصلِ في العقيدة والنسب. يقول أحد مفسري الحكمة: إنه «في السنة الثامنة دَخَلَ مع الموحدين في الدعوة خَلْقٌ كثيرٌ من أهل التأويل، ورافقوهم في الإقرار لا غير، ولم يكتبوا عليهم موثيق. وكانت إجابتهم رياءً ونفاقاً لأجل العزِّ والجاه. وأيضاً لما كان الموحدون<sup>٢</sup> مرافقيهم في الأنسابِ الجسمانية<sup>٣</sup> فمألوا إلى الإقرارِ تشبهاً بالموحدين.

«وكذلك جُبلت طينتهم وألفت نفوسهم الإقرارَ في جميع الأعصار، كما قال. ومنهم مَنْ يعرفُ هذا ويعتقدُ بأنه الكفر، يعني يعرف أنه إذا أقرَّ بالوهية الحاكم سبحانه وهو معتقداً بشريته فيكونُ اقراره كفرةً وهو يتكلم به إن شاء أو أبى كما جرى على لسانه بالعادة. ولما كانت العادةُ سابقةً في الأدوارِ الماضية بأن لا بد من إقرارِ أهلِ التأويلِ بالتوحيد في كل كشفٍ فهذا أقرُّوا بتوحيد الحاكم سبحانه في هذا الكشفِ الأخير.

«والراجحُ إن المقربين هم الشيعةُ الإسماعيليةُ المقصرةُ لأجل مرافقتهم للموحدين في الأنسابِ. ولا بد من لزومِ حجةِ الإقرارِ بجميع فرقِ التأويلِ مع تكرارِ النفوسِ في الانتقالِ. ولما دَخَلَ (وا) أهلُ التأويلِ في الدعوة، وكانت إجابتهم ميلاً إلى الراحةِ والإباحةِ، فظهر منهم ومن المرتدين مخالقاتٌ وأحوالٌ ذميمةٌ في السنة الثامنة من جهةِ مجاهرتهم بالسبِّ والعداوةِ لأهلِ التنزيل، وما شاكل ذلك. فاستحقوا غضبَ الباري سبحانه، فامتحنهم واحتجبَ عنهم في السنة التاسعة...»<sup>٤</sup>.

بسبب هذا الخطرِ الجسيمِ المتأتي من انتسابِ أهلِ التأويلِ إلى الموحدين، لم توفرَ كتبُ الحكمة الطعنَ بهم ولعنَ تعاليمهم الفاسدة، فكتبَ بهاءُ الدين المقتنى رسالةً بعنوان «ذكرُ الردِّ على أهلِ التأويل»، يناديهم فيها بقوله لهم: «يا سهوة... ويا غفلة... ويا بلسة... يا متلثَ البهائم، ويا سلبةَ العرائم... يا خرصة... يا ظلمة... يا أهلِ النصفة... لقد ادعيتم البيهتان، وسلكتم طريقِ العدوان...»<sup>٥</sup>.



<sup>١</sup> رسالة النساء الكبيرة ١٨ / ٢٠١.

<sup>٢</sup> في الأصل: «كانوا الموحدين».

<sup>٣</sup> أي إن الموحدين وأهلِ التأويلِ كلاهما من فروعِ شيعة علي.

<sup>٤</sup> مخطوط «مختصر البيان...» رقم ١٤٤١، ورقة ٧٠ ب - ٧١ ب.

<sup>٥</sup> رسالة ذكر الرد على أهلِ التأويل ٧٥ / ٦٧٨ - ٦٨٣.



هكذا، وبهذه الصورة، يقضي الموحدون على شيعة علي بن أبي طالب، وعلى شريعته  
الشركية الفاسدة والمضلّة. ويومَ يحينُ زمنُ المَعَادِ الأخيرِ لن يبقَ من أهلِ التَأْوِيلِ واحدٌ أمامَ  
جبروتِ قائمِ الزمانِ «وسوفَ يُخَمَدُ حرُّها ويضمحلُّ العوار»<sup>١</sup>، وينتصرُ دينُ التوحيدِ.



---

<sup>١</sup> السيرة المستقيمة ١٢ / ١٢٤.

## سادساً - نقض دَعَائِمِ الإسلامِ جُملة

قيل في الحكمة: «ولا تستحسنوا الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بطن. ومن جملةِ الخبائثِ الدعائمُ السبعةُ الذينَ هم: الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحجّ، والجهاد، والولاية»<sup>١</sup>. هذه «الفواحش» و «الخبائث» قد نقضها الموحّدون واحدةً فواحدةً، ظاهرها وباطنها، أصولها وفروعها؛ وألف قائمُ الزمان في نقضها رسالةً سمّاها: «الكتاب المعروف بالنقض الخفي»<sup>٢</sup>، وبيّن، في سيرة الحاكم بأمرِ الله وتصرفاته وتعاليمه، كيفيةَ نقضها وبطلانها دعامةً دعامةً.

١ - نقضُ الشهادتين: «لا إله إلا الله / محمد رسول الله». إنّها تعني عند الموحدين غير ما تعنيه عند المسلمين. فهي دلالات لمداليل مختلفة: ف«لا إله إلا الله» كلمتان: «لا إله إلا الله»، الأولى سلبية، والثانية إيجابية، وهما دليل على «العقل والنفس». وهي أربعة فصول، أي أربع كلمات: «لا / إله / إلا / الله»، وهي دليل على الأصلين والفرعين في المذهب: العقل والنفس والكلمة والتالي. وهي سبع قطع، أي سبعة مقاطع صوتيّة دليل على النطق السبعة، والأوصياء السبعة، وسبعة أيّام الأسبوع، وسبع سموات، وسبع أرضين، وسبعة جبال، وسبعة أفلاك. وأمثال هذه أسابيع كثيرة. وهي أخيراً اثنا عشر حرفاً، دليل على اثني عشر حجة أساسية لدعوة التوحيد.

أما الشهادة الثانية «محمد رسول الله» فلها أيضاً مدلولات: فهي ثلاث كلمات «محمد / رسول / الله» دليل على ثلاثة حدود التوحيد: النفس والكلمة والتالي. وهي ست قطع دليل على ستة نطقاء أصحاب الشرائع الناموسية التكليفية الذين يخرج منهم محمد بن إسماعيل لأنه لم يكن له شريعة. وهي اثنا عشر حرفاً دليل اثني عشر حجة بازاء الحجج السابقة، وكذلك السماء اثنا عشر برجاً، والأرضون اثنتا عشرة جزيرة... الخ.

فالمقصود التوحيدي إذن من هاتين الشهادتين ليس هو نفسه مقصود المسلمين. ولئن سمعتَ الدروزَ يقولونها فإنهم يعنون بها أمراً من دينهم، وهي ترمزُ عندهم إلى بطلانِ محمدٍ والإسلامِ والمسلمينِ كافةً<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> تفسير كشف الحقائق، ص ١٨٤، مخطوط ١٤٤٠ ورقة ٧٩ أ.

<sup>٢</sup> كتاب النقض الخفي، رقم ٦ من الجزء الأول، ص ٤٩ - ٦٣.

<sup>٣</sup> انظر النقض الخفي ٦ / ٥٠ - ٥٤.

٢ - نقض الصلاة: يأمر القرآن بإقامة الصلاة في خمسة أوقات. ويقول: من ترك  
صلاته ثلاثاً متعمداً فقد كفر. ويأمر بقوله: «صَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ»<sup>١</sup>. فالصلاة والنحر اذن واجبان  
على المسلمين...

إلا إن «مولانا» بحسب الموحدين - له سنين بكثرة ما صَلَّى بناس، ولا صَلَّى على  
جنازة، ولا نَحَرَ في العيد... فَعَلِمْنَا بأنه قد نَقَضَ الصلاة والنحر... وأن لعبيده رخصة في  
تركهما<sup>٢</sup>. أما الاوقات الخمسة ثم الثلاثة فتعني الحدود الخمسة: العقل والنفس والكلمة  
والسابق والتالي ثم الجد والفتح والخيال، ومن أنكرها فقد كفر...

فالصلاة، بحسب دين التوحيد، بِمَعْنِيَّهَا الظاهر والباطن، هي «صلة قلوبكم بتوحيد  
مولانا. هذه هي الصلاة الحقيقية دون الصلاتين الظاهر والباطن»<sup>٣</sup>. وجميع ما يتبع الصلاة من  
«نحر، وحج وتضحية وصوم وفطر وتروية وخروج الناس إلى منى، ويوم عرفة، وإنما كانت  
جائزة في دور الستر، وإنما حين ظهر تعالى بالألوهية - في دور الكشف - فقد عرف  
حقيقتها من سلم للنهي والأمر»<sup>٤</sup>.

٣ - نقض الزكاة: لـ «قد أسقطها مولانا جل ذكره عنكم بالكلية». و «بطل باطن  
الزكاة... كما بطل ظاهرها. وإن الزكاة غير ما أشاروا إليه (المسلمون). وإنه في الحقيقة  
توحيد مولانا، وتزكية قلوبكم وتطهيرها من الحالتين جميعاً، وترك ما كنتم عليه قديماً»<sup>٥</sup>.

٤ - نقض الصوم: من فطر يوماً واحداً - بحسب المسلمين - وهو يعتقد أنه قد  
أخطأ وجب عليه صوم شهرين وعشرة أيام كفارة عن ذلك اليوم<sup>٦</sup>. ولما ظهر «مولانا هدم  
الصوم بكماله مدة سنين بكثرة بتكذيب هذا الخبر: صوموا لرؤيته واقطروا لرؤيته (أي رؤية  
الهلال)، وأمرنا بالافطار في ذلك اليوم الذي يعتقدون) المسلمون كلهم بأنه خاتم الصوم ولا  
يُقبلُ منهم الشهر إلا بصيامه. ولا يكون في نقض الصوم أعظم من هذا ولا أبين منه لمن نظر  
وتفكر وتدبر».

<sup>١</sup> سورة الكوثر من القرآن ١٠٨ / ٢.

<sup>٢</sup> النقض الخفي ٥٥ / ٦.

<sup>٣</sup> نفس المرجع ٥٦ / ٦.

<sup>٤</sup> رسالة أياض التوحيد ٦٦٢ / ٧٤، انظر: ٣١٥ - ٣١٧.

<sup>٥</sup> النقض الخفي ٥٧ / ٦.

<sup>٦</sup> انظر: سورة المجادلة ٥٨ / ٥٤، وسورة النساء ٩٢ / ٤...

والصوم — عند الموحدين — هو صومٌ عن الأكل — أي عن شريعة الظاهر —  
والشرب — أي شريعة الباطن، وذلك يعني أن الصوم هو «بالحقيقة غير الصومين المعروفين  
من الشريعتين، وهو صيانة قلوبكم بتوحيد مولانا جل ذكره»<sup>١</sup>.

<sup>٥</sup> — نقضُ الحجِّ: قال القرآن: «وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ  
سَبِيلًا»<sup>٢</sup>. وقال أهل الظاهر عن الناطق: إنَّ الحجَّ هو المجيءُ إلى مكَّةَ والوقوفُ بعرفاتٍ  
وإقامة شروطه... وَمَنْ دَخَلَ الْحَرَمَ كَانَ آمِنًا...

إِلَّا إِنْ الدُّرُوزَ رَأَوْا فِي هَذَا الْحَرَمِ قَتَلَ الْأَنْفُسِ وَنَهَبَ الْأَمْوَالِ، وشاهدوا داخلَ الكعبةِ  
السَّرِقَةَ. لذلك فإنَّ جميعَ ما يعملُه المسلمون من «شروطِ الحجِّ فهو ضَرْبٌ من ضُرُوبِ  
الجنونِ: من كشفِ الرؤوسِ وتَعْرِيبِ الأبدانِ ورميِ الجِمَارِ والتَّلبِيَةِ من غيرِ أن يدعوهم أحدٌ،  
وهذا من الجنون... ومولانا جلَّ ذكره قد قَطَعَ الحجَّ سنينَ كثيرةً، وقَطَعَ عن الكعبةِ كَسَوَاتِهَا.  
وقَطَعَ كَسَوَةَ الشَّيْءِ كَشَفَهُ وَهَتَكَ لِيَبَيِّنَ لِلْعَالَمِ أَنَّ الْمَرَادَ فِي غَيْرِهَا، وليسَ فيها منفعةٌ»<sup>٣</sup>.

وفي تفسير «الحكمة» لقول القرآن: «فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطَعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ  
وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ»<sup>٤</sup> أن «البيتَ هو توحيدُ مولانا»، و «ربَّ البيتِ هو مولانا»، و «الجوعُ  
يعني الظاهر»، و «الخوفُ يعني خوفَ الشكوكِ من الوقوفِ عند الأساس»<sup>٥</sup>.

<sup>٦</sup> — نقضُ الجهاد: بالجهادِ «قامَ محمدٌ وأظهرَ الإسلامَ، وجعلَه فرضاً على سائرِ  
المسلمين كافةً. وقد رَفَعَهُ مولانا عن سائرِ أهلِ الذمَّة». ونقضَ باطنَ الجهادِ وظاهره. والجهادُ  
الحقيقيُّ، عند بني معروف، هو «الطلبيةُ والجُهدُ في توحيدِ مولانا ومعرفةً، ولا يُشْرِكُ به أحدٌ  
من سائرِ الحدودِ، والتبرُّى من العدمِ المفقود»<sup>٦</sup>.

<sup>٧</sup> — نقضُ الولاية: قال القرآن: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ  
مِنْكُمْ»<sup>٧</sup>. وقال (وا) أهلُ الظاهرِ وسائرُ المسلمين كافةً بأنَّ الولايةَ لأبي بكرٍ وعمرٍ وعثمانٍ  
وعليٍّ، وكانت في بني أمية، ثم رجعتُ إلى بني العباس. وكل واحد منهم إذا جلس في الخلافةِ  
كانت ولايته واجبةً على المسلمين كافةً».

<sup>١</sup> النقض الخفي ٦ / ٥٧ - ٥٩.

<sup>٢</sup> سورة آل عمران ٣ / ١٧.

<sup>٣</sup> النقض الخفي ٦ / ٥٩ - ٦٠.

<sup>٤</sup> سورة قريش ١٠٦ / ٤ - ٥.

<sup>٥</sup> النقض الخفي ٦ / ٥٩ - ٦١.

<sup>٦</sup> نفس المرجع ٦ / ٦١.

<sup>٧</sup> سورة النساء ٤ / ٥٩.

«وقد نقضها مولانا جلّ ذكره وكتب لعنة الأولين والآخرين على كل بابٍ ونَبَّشَهُم من قبورهم»<sup>١</sup>، وأصبحت الولاية الحقّة لقائم الزمان.

هكذا، وبهذه الصورة، قضى دين التوحيد على كل ما يقوم عليه الإسلام، في ظاهره وباطنه، ودكّ أركانه، وأبطل تعاليمه، ونقض أسسه، وأول آيات القرآن بما يوافق مبادئه، وطعن بنبوّة محمد، وبولاية عليّ وإمامته، واعتبر أنّ كلّ ما في كتاب المسلمين يشير إلى دعوة التوحيد، وإلى قائم الزمان وحدود الدعوة: فـ«بسم الله الرحمن الرحيم» هي «صفات الإمام وحدوده»، و «الجنة» هي التوحيد، و «النار» هي الشرك، و «طول الجنة» هو العقل، و «عرضها» النفس... الخ

ولئن اعتمد الموحّدون على القرآن وتلوا آياته فالمقصود من ذلك غير مقصود المسلمين. وكم مرّة يصلّون على محمد جهراً ويذكرون اسمه الطيب على مسامع الناس، ثم يُدمّمون في سرهم «لعن الله من ذكرنا» أو «لعنة الله عليه»<sup>٢</sup>، أو يتتحنون عند ذكره<sup>٣</sup>...

هذه الدعائم الإسلاميّة السبع التي نقضها قائم الزمان، ونسخ بها شريعة محمد بتمامها وكمالها، وضع مكانها سبع دعائم توحيدية: «أولها وأعظمها سِدْقُ اللسان، وثانيها حِفْظُ الإخوان، وثالثها ترك ما كنتم عليه وتعيقوه من عبادة العدم والبهتان، ورابعها البراءة من الأبالسة والطغيان، وخامسها التوحيد لمولانا جلّ ذكره في كل عصر وزمان ودهر وأوان، وسادسها الرضى بفعله كيفما كان، وسابعها التسليم لأمره في السرّ والحدّثان»<sup>٤</sup>.



<sup>١</sup> النقض الخفي ٦ / ٦١ - ٦٣.

<sup>٢</sup> كما روى لنا أحد الشيوخ الموحدين الأفاضل...

<sup>٣</sup> سؤال ١٠٢ من تعليم الديانة الدرزيّة.

<sup>٤</sup> انظر: ٨ / ٧٢، ٧ / ٦٦، ٩ / ٧٤ و ٨٠، ١٠ / ٨٨، ١٦ / ١٧٩، ٤١ / ٣١١، ٤٥ / ٣٤٨...

## سابعاً – مَصِيرُ مَكَّةَ وَبَيْتِ الكَعْبَةِ

لم يبقَ في الإسلام شيء إلا طُعِنَ به: محمدٌ هو «الابليس الأعظم»، والإسلام «شريعة إبليسية تكبيلية»، والقرآنُ «أمدُّ سلمان الفارسي»، ودعائمُ الإسلام «نُقِضَتْ أصلاً وفرعاً»، العجائبُ التي جرت على يدي محمدٍ «كذبٌ وتدجيلٌ»، وعلي بن أبي طالب «أنجسُ خلقِ الله بعد محمدٍ»، والمسلمون «في فهمهم للحق والحكمة أبله من الحمار والبغل»، والخلفاء الراشدون «نُبِّشُوا من قبورهم»، والله، فيما يُعرِّفُ عليه المسلمون، «عَدَمٌ وكَلَا شَيْءٍ» مسخٌ مُتَعَالٍ قابِعٌ على عرشه فوق السموات السبع... ..

بقي النظرُ في أمرِ «مكة» محجة المسلمين، وفي «الحجر الأسود» قبلة المؤمنين. فما هو رأي «الحكمة» فيهما؟ وكيف يكونُ مصيرُهما في اليوم الأخير؟ إنَّك، والله، تُدْهَشُ لما ستقرأ، وقد لا تصدِّقُ ما ترى عيناك. ولكن الأمانة تقضي علينا الدقة في النقلِ والعرضِ، ولو سئمتَ من كثرة التردادِ وحشدِ النصوص. تسمع:

حمزة يحذرُ من الركونِ إليهما: «الحذر الحذر من الأقاويل الشركية والأفعال الكفرية. لا تركنوا إلى بيتِ خرابٍ، ولا تجلسوا تحت ركنٍ معاب... فتهلكوا عن بكرة أبيكم بالجوع المدام والعطش التمام»<sup>١</sup>.

وبهاء الدين المقتنى يعجب «من قوم قطعوا المفاوزَ، ولقوا في سفرهم الهزاهزَ إلى بلدٍ لم يكونوا بالغيه إلا بشقِّ الأنفسِ قصداً إلى حجرٍ أسودٍ وبيتٍ جلمدٍ، ليس فيه حياةٌ ولا نطقٌ. فأَيُّ عَجَبٍ أعجبُ من قومٍ هذا فعلهم؟! فيا ليت شعري ما نفعهم من تقبيلِ الحجرِ الأسود؟ وما اكتسابهم من العلومِ الحقيقية؟ هل فعلهم إلا كفعلِ النصارى في الصليب؟ بل هم أشدُّ عتواً، لأنَّ الصليبَ موجودٌ في كلِّ البلاد، والحجرَ الأسودَ يُسافرُ إليه أهلُ الضلالةِ من جميعِ العباد»<sup>٢</sup>.

### مكة! ماذا سيحلُّ بمكة؟

في نهاية الأزمنة سنهدمُ مكةَ وتُدكُّ على رؤوسِ حجيجها، سيحطمُ ركنها، ويسقطُ حرماًها، ويُهزَمُ المسلمون كافةً أمام قائمِ ال، زمانِ كـ«البيهائم والغنم»، ستهلكُ «مقطرة الكفر

<sup>١</sup> رسالة البلاغ والنهاية ٩ / ٨١.  
<sup>٢</sup> من دون قائم الزمان ٦٧ / ٥٣٣.

أعني مكة<sup>١</sup>، وستُهَدَّمُ أسوارُ «دارِ الفاسقينِ وَمَقِيلِ الأبالسةِ والشياطينِ»<sup>٢</sup>، وستدورُ «رُحَى الخسْفِ بديارِ الأنجاسِ»<sup>٣</sup>، وستبورُ «من أطرافها أرضُ الطغاةِ الفسقةِ المكذِبينِ»<sup>٤</sup>... يومها، سيكونُ النصرُ والغلبةُ للموحدين، وترُفَعُ رايةُ قائمِ الزمانِ فوقَ الجبالِ على رؤوسِ جميعِ البشرِ. وينتهي العالمُ، ويرتوي غليلُ أبناءِ حمزةَ بـ«أخذِ الثأرِ لدماءِ الموحدينِ المظلومينِ»<sup>٥</sup>.

### إليكم ما تقوله الحكمة من فم الحكمة نفسها:

«قد أفلَ شمسُ الدجالِ الأعورِ (محمد) وقمرُه (علي) في المحاق... وتزلزلتُ أرضُه (مكة) بالخسْفِ... إذا تبلَّجَ صبحُ الليلةِ الغراءِ، وقُطِعَ رأسُ النحلِ الشركيةِ، وقُضِبَ سنَامُها... إذا تهتكتُ أستارُ الإبلِيسِ الأعظمِ (محمد) مؤسسها في القديم.. عند ذلك تهتزُّ الممالكُ بأقطارِ المعمورة... إذا طلعتُ راياتُ المَلِكِ المظفَرِ المسعودِ (حمزة) من الفجِّ العميق... وأدارَ بديارهم (ديار المسلمين: مكة) رُحَى المنون... وفاضَ طوفانُ القيامةِ ببيعُوبِ الدماءِ، وتَعَجَّرَ شؤبُوبه لِهَدْمِ دَارِ الفاسقينِ (مكة) وهَمَا... فكسفتُ شمسُ (خلفاء) دجالِ السُّها (محمد)... فانتهبوا أيُّها الغفلةُ المكذِبونِ (المسلمون)»<sup>٦</sup>.

في اليومِ الأخيرِ إذا «صاحَ صائحُ القيامةِ والنشورِ (حمزة)، وأنَّ البعثَ لِمَنَ في الأجداثِ والقبورِ... أينَ المفرّ... إذا استُلَّ من غمدهِ الصارمِ الذَكَرِ (حمزة)، واقتدحتُ بالنارِ والشرِّ، وأنتِ السماءُ بغَيْشِ الأثيرِ والدخانِ، واسودَّ لعِظَمِ يومه الأفقَانِ، وأظلمتِ الأقطارُ لهلاكِ أولادِ الشيصبانِ (أهل التَّأويلِ أصحابِ علي)، وانكسفتُ شمسُ الرجيمِ الدجالِ (محمد)، وغاصَ في بحرِ الخِلافِ والضلالِ، وهتفَ بأهلِ النكتِ والارتدادِ طوفانُ السيفِ، وهلاكِ مَقْطَرَةَ الكفرِ وهدمها، أعني مكةَ وأهلَ الخيفِ. هنالك تبورُ الدجاجلةُ (النطقاء) في الآفاقِ والأقطارِ»<sup>٧</sup>.

<sup>١</sup> رسالة إلى أهل اليمن ٦٠ / ٤٧٢، تأديب الولد العاق ٦٣ / ٤٨٩.

<sup>٢</sup> تمييز الموحدين ٦٦ / ٥١٧، القاصعة للفرعون الدعي ٦٤ / ٤٩٣.

<sup>٣</sup> التقرير والبيان ٦٢ / ٤٨٣.

<sup>٤</sup> تمييز الموحدين ٦٦ / ٥١١.

<sup>٥</sup> انظر: «نظرية الثأر عند الدروز» فيما بعد.

<sup>٦</sup> رسالة الايقاظ والبيشارة ٥٦ / ٤٣٧ - ٤٤٠. انظر الرسالة بكاملها.

<sup>٧</sup> رسالة إلى أهل اليمن ٦٠ / ٤٧٢.

وتُنبّه الحكمة عما ستصيرُ إليه مكة فتقول: «تنبّهوا يا أهل البصائرِ الحائرة... فعن قليلٍ يتناهى الأجلُ محتومُ القدرِ، وتتكسفُ شمسُ الدجالِ (محمد) لظهورِ القائمِ المنتظرِ (حمزة)، ويفتضحُ أهلُ الشكِّ والنكثِ والارتيابِ (أهل التنزيلِ وأهل التأويلِ والمرتدون). إذا صرَفَ فَنَيْقُ الحقِّ بالمنسَمِ والنَّابِ، وصرَبَ بِجَرَانيه أعني مَكَّةَ من الكفرِ النَّبِجِ، وبَقَرَ خَاصِرَةَ الباطلِ وقرى المنحَر منه والودجُ.. إذا زخرَ بحرُ الحقائقِ (حمزة) من جانبِ الطورِ الأعلى (جبل مكة)، وصرَبَ مَوْجُهُ بالجريانِ فزلزلَ أركانَ الأرضينِ السفلا (وادي مكة)، وعصفتُ أرياحُه بالعذابِ والسخطِ على عصاةِ الأممِ (المسلمين)، ودارتُ رُحَى الخسْفِ بديارِ الأنجاسِ (مكة) وحلولِ النقم... هنالك تتصلُّ الأنوارُ ببصائرِ الموحدين، وينهضُ يَعْسُوبُ المؤمنينِ (حمزة)، ويتعالى ضياؤُه في الأفاقِ لكشفِ معلومِ الدينِ (الحكمة)، وتحلُّ أولياؤُه (الموحدون) بعد ظلمةِ الدجاجلةِ (الأنبياء) بالحرمِ الأمينِ (الكعبة).. فحينئذٍ انتظروا يا أمّةَ السوءِ (المسلمين) صيحةَ البوارِ... فيا لها من نقمةٍ إذا ظهرَ الأعورُ دجالُ العربِ (محمد)... فحينئذٍ انتظروا صيحةَ الفناءِ يا كدرَ الأممِ، ويا بقيّةَ عبدةِ العجلِ (محمد) والصنمِ»<sup>١</sup>.

وتسألُ الحكمةُ عن مصيرِ مكة والمسلمين، وتعتبرُ مكةَ «مقطرة الكفر»، أي منبعه حيثُ ينقطرُ الكفرُ منها تقطيراً، ويتوزعُ منها على جميعِ المسكونة، تقول: أين يُتأه بعالمِ النجسِ والهلاكِ والمروقِ (المسلمين)؟ وأين المفرُّ بأهلِ الارتدادِ والخلافِ والفسوقِ (خونة الدعوة)، من سيَلِ عَرَمٍ... يهدمُ الأركانَ من نواميسِ الشرعِ. أين يذهبُ من شواطئه (غضب حمزة) أهلُ الكذبِ والنكثِ والزورِ، إذا همرتُ رواعده بالبعثِ جبالَ الحرمِ من جانبِ الطورِ، وتلألأتُ أنواره بالسقفِ المرفوعِ والبيتِ المعمورِ (مكة)، وزمجرَ شؤبُوبُه بأرضِ البَحْرَيْنِ واليمامة، وسحبَ ذيلَه بالخسْفِ لمقطرةِ الكفرِ والبابِ الأعظمِ لتهامةِ (مكة)، وعكسَ دخانَه لذاتِ الفجاجِ والشعوبِ (أودية مكة وشعابها)، وسعرَ نارَه بها لهدمِ الهيكلِ (الكعبة) وإحراقِ بصائرِ القلوبِ (مكة)...<sup>٢</sup>.

وتصفُ رسائلُ الحكمةِ الموحدينِ الدروزَ بـ«المرتقبينَ لهدمِ دارِ الفاسقينِ (مكة) في ظلِّ آياتِ حقِّه وبنوده (أي حمزة)، البريينَ ممَّنْ شطنَ عنه لعمى بصيرتِه، وشكَّ في ظهورِه

<sup>١</sup> «صرف»: صوت ناب البعير إذا حگه على ناب آخر. «فنيق»: الفحل المكرم من الجمال، ممثوله حمزة. «المنسم»: خف البعير. «جران»: مقدم العنق. «النبيج»: العظيم. «بقر»: شق. «فري»: قطع. «المنحر»: موضع النحر أو الذبج. «الودج»: عرق في العنق يقطعه الذابح... المعنى جملة هو: عندما يكون حمزة في آخر الأيام أمام أبواب مكة متخذاً شكل حيوان جبار مكرم، عند ذلك يصرخ صرخة عظيمة تهتز لها أركان المدينة، فيرفس بخفيه أبوابها الدهرية، ويضرب أو ينطح بعنقه جدرانها، ويسقطها حجراً حجراً، حينئذ يزول عنها الكفر العظيم المتأصل بها، ويشق الباطل المتحكّم في كعبتها، ويقطع شريان الحياة منها. هكذا تخسف ديار الأنجاس إلى الأبد.

<sup>٢</sup> رسالة التفرغ والبيان ٦٢ / ٤٨١ - ٤٨٣.

<sup>٣</sup> تأديب الولد العاق ٦٣ / ٤٨٩.



لطول الأمدِ لِعَرَضِ نفسه وضلالتهِ وعنوده، الذين عَيَّنَتْهم أسفارُ حكمتِه بالبأسِ والنفاقِ والطغيانِ»<sup>١</sup>.

لقد «أَن هدمُ الحق (أي هدم حمزة لمكة) لتمام المقدور (لقرب الأجل) لمباني هُبلهم القديم العتيق (المباني الكعبة)، وتزلزلت أرضه (أرض البيت الحرام) للخسف بمثالي آياتهم ومدارس الشك والشرك الحقيق<sup>٢</sup>، وتقضت من أطرافها أرض الطغاة الفسقة المكذبين... أما تنتظرون إلى حكمة البار الحكيم، وارساله الزلازل لزوال أستار البيت العتيق القديم، وهجوم الرواجف لهدم المساجد والجوامع والبيع، إشارةً وأذاناً من البار لنقل الدول وتمحيق الشرع...»  
«أقولون إن الصواعق النازلة بأستار المشعر على راكع والبيت الحرام، وشققها للركن من معبدكم والمقام، وخراب المساجد والجوامع والبيع ببلد الشام...»<sup>٣</sup>.

«فها هو قد قُرب... قلع العلامة النجسة المعينة في كتاب دانيال بهيكل الدجال الخبيث الأعرور الفاجر (كعبة محمد)... وصرخت بأرجائها (أرجاء الكعبة) البكر الهُموس، وطحنتهم بأثقالها العوان الضروس، وكشرت للكشف عن نايه الرئبال الفروس، وهدر فينيق الحق بالصواعق والأرجاف، ونهض لأخذ الثأر سادات الأمم رجال الأعراف، وقام لنصرة أسباط الدين لهلاك آل الشطن والإباق والخلاف، وأحيط بذات الفجاج دار الفاسقين، وهدم مقبل الأبالسة والشياطين»<sup>٤</sup>.

في اليوم الأخير، حين يتجلى الحاكم من جديد، ويظهر قبَّله صفيه قائم الزمان حمزة «بالعسكر العظيم، فيظهر من الشرق حتماً، ويسحب ذيله قاصداً بيت مكة، فتلاقيه ملوك الدنيا من مشارقها إلى مغاربها... وتخر الجبابرة له بين يديه على ركبهم، وتجلس أعداؤه على التراب... فيظهر السيّد العظيم صلى الله عليه بعساكر وعظمت، ومعجزات وآيات، وهيبة وسلطان، وعز وإمكان، وخيل شرب عتاق، وزينة تبهر الآفاق... فحينئذ يتجلى الملك العالم جلّ جلاله، ويظهر بين تلك العساكر بالقدرة الربانية... وفي ذلك اليوم يأذن جلّ جلاله بخراب البيت العتيق الذي هو الكعبة...»

<sup>١</sup> القاصعة للفرعون الدعوي ٦٤ / ٤٩٣. سترفع، بعد هدم مكة، رايات حمزة على جبالها، ويدخل الموحدون إليها منتصرين...

<sup>٢</sup> «مثالي آياتهم»: الجوامع الكبار. «مدارس الشك»، أي المدارس المظلمة التي نشأت في الإسلام (الدرر، ص ٣٩٢).

<sup>٣</sup> «المشعر»: علامات الحج (الدرر، ص ٢٠٧).

<sup>٤</sup> تمييز الموحدين ٦٦ / ٥١١ - ٥١٧. مكة هي المكان الذي يرى فيه الأبالسة، أي الأنبياء، والشياطين، الأوصياء، راحتهم، ويأخذون فيها قلوبهم بعد عنانهم الكبير في افساد الخلق أجمعين.

«وإذا حلَّ بمكة يجري الحقُّ سبحانه (الحاكم) على يده (يد قائم الزمان) أموراً عظيمة، ما لا أذنَ سمعتُ، ولا عينَ رأيتُ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ...» (تفسير كشف الحقائق، ص ٧٨١ - ٧٨٦).



إنَّه يومٌ عسيرٌ جدًّا على مكة ومقدَّساتها.

وقد يكونُ أخطرَ ممَّا تُصبحُ عليه ما قيلَ عنها.

وقد لا تصحُّ النبوءاتُ على مصيرها التعيسِ، ولكنَّ ما قيلَ فيها مَحَا عنها قدسيَّتها إلى الأبد. قد لا تُهدمُ أركانُ الكعبة، إلاَّ أنَّ اعتبارها «دارَ الفاسقين» وتسميتها بـ«مقطرة الكفر» وبـ«مقيل الأبالسة والشياطين» ووصفها بـ«ديار الأنجاس»... وصمتُ على جبينها العارَ العظيم.



## ثامناً - العرب «كثُرَ فيهم الغدر» والخيانة

لم يوفّر بهاء الدين المقتنى بلداً من بلاد العرب وشعوبها إلا وجّه إليه رسالة يدعوها فيها إلى دعوة التوحيد، أو يلومها على ارتداده وخيانتيه. إلا أن أكثر العرب كان ذمياً؛ والمحمودون كانوا خمسة لا غير<sup>١</sup>. لقد كتب إلى العرب عامةً، وإلى أهل اليمن والاحساء وحلب وجزيرة الشام وجبل السماق ووادي التيم، كما كتب إلى أهل العراق وإيران والحجاز ومصر وغيرها. ويبدو أنه لم يكن معهم على وفاق، ولم تظهر منه لهم أية مودة. وقد وصفهم بشناعة، وخصهم بالطعن والقذف.

لقد كتب إلى العرب «من أهل العراقيين والزوراء، وما والآها، ومن بأرض فارس وأقطارها وما وراها، وجميع الأمم السالفة والآنفية، أولي الأسماء المتباينة والمتواطئة والمترادفة»، ووصفهم بـ «أهل النكث والتبديل والتضييع»، وبـ «أصحاب الأجسام الخالية من الأرواح، والهيكل القائمة كظلال الأشباح»، وبـ «عالم التلف واليوار»، «الغفلة النوم»، «أهل البلس والضلال والعمى»، «أولي السغب والسفساف والظمى». هم، بنظره، «كشوارد من الأنعام، أو كالعجم الأطراف الممنوعة من الفهم والكلام»، الذين «يأترون لفراعة بني العباس، ويذكرون نجسهم في صلواتهم». لقد سمعوا تعاليم النبي محمد «الإبليس الأعور الأشأم»، ووقعوا في حباله. ولما دخل بعضهم في الدعوة الجديدة، لم يلبث أن تركها وخان دعاتها، لأن أكثرهم «أهل شك وشرك وارتداد ومروق ونفاق»، مكذبون، فسقة، مارقون، سكارى، «في بحر الجهالة والتفريط غرقون»<sup>٢</sup>.

وليس أفضل منهم «أهل جبل السماق وأنطاكيًا والجزر والنقرة وجندي قنسرين وعزاز وحلب وبالس والرقتين ونهر الخابور والجزيرة ومبج ونهر الجوز والواديين ونهر الذهب» الذين طغى عليهم قرن الشيطان وطغى، وكثُرَ فيهم أهل الارتداد والنكث، الذين قاتلوا الموحدين بأسلحتهم، وعبدوا العجل (محمد) والجاموس (علي). ويطلب بهاء الدين من الله التقدير أن يجتث شجرتهم من أصولها<sup>٣</sup>.

وقد يكون سكان «الشاميين الأسفل والأعلا، ومن بالصعيد، والحجاز، وأرض اليمن، ومن بالجزيرة والعراقيين الأبعد والأدنى»، أكثر شراً وفساداً من كل العرب، لأن أكثرهم

<sup>١</sup> كتاب الدرر المضية... باب «ب» فصل «ع»، ص ٣٨ - ٣٩.

<sup>٢</sup> رسالة الايقاظ والبيشارة ٥٦ / ٤٣٥ - ٤٤١.

<sup>٣</sup> رسالة الحقائق والانداز والتأديب لجميع الخلائق ٥٧ / ٤٤٢ - ٤٥٢.

«جهلة، غفلة، نوام، تعاموا عن الحق»، حتى أضحوا «أخبث الأمم، أشباه البقر والغنم». وهم «أجلاف غلف القلوب، أو لاذ البغايا والعواهر»، «أهل الخلاف فراعنة العرب»<sup>١</sup>.

ولكن بين العرب سادات آمنوا بالتوحيد، ومنهم ستة أمراء من آل تنوخ وفروعهم جعلهم بهاء الدين «ملوكاً على رقاب العرب، وحكاماً فيها لأجل اعتناقهم دين الحق، وهم من كريم النسب»<sup>٢</sup>.

غير أن صفات أكثرهم ذميمة رذيلة لا مدحة فيها. فهم، كما عرف عنهم ابن خلدون، غدارون، خائنون، سهلوا الانقياد، لا دين لهم ولا وفاء. كذلك عرفهم بهاء الدين، فقال عنهم: «... والطريق السهلة فهي مع العرب، وقد كثر فيهم الغدر وقلّة الوفاء بالذمات. وقد أدلوا جآرهم بعد العز، وخأنوا في الرقائق والأمانات. وأهل الديانة منهم أيضاً فهم قليل، وقد شسعوا عنا لتغيير الأزمان والأوقات»<sup>٣</sup>.

أما أهل اليمن فهم، بنوع خاص، «الذين استعبدتهم الإبلis الأعظم (محمد) الذي سحر نار ضلالته، وبث غواته للفتك بأهل الحق... ونفت سم نجسه في أنيابهم... وقد ثاروا على الموحيدين كالنمور الضارية والسباع، أو كالأرقام المزمنة والأفاع»<sup>٤</sup>.

وأما أهل القاهرة والفسطاط (مصر القديمة) الناكثين عن دعوة التوحيد فقد سيطر على عقولهم الدجال الرجيم الأذع... وهم أهل البصائر الحائرة الكليّة، أولو الأنفس السقيمة العليّة، وأهل الشك والنكت والارتياب. نفوسهم نجسة خبيثة. طمس الران على عقولهم، فمنعهم التمييز بين الصحيح والسقيم. وهم أهل غدر ونكت، أمة سوء، مرقة فساق، كدر الأمم، وبقية عبدة العجل والصنم»<sup>٥</sup>.

هؤلاء المصريون، كما يقول عنهم بهاء الدين: «أحوجونا إلى التغرّب... ومنعونا التبرك بتراب حرم الميمونة القاهرة»<sup>٦</sup>.

ولم ينثن بهاء الدين عن قذف العرب بالشتائم واللاعنات، فراح يكتب إلى أهل وادي التيم «الآخيب»، و«الملعونة»، وأهل القاهرة ومصر «العاجزة نفوسهم عن قبول الحق لإلغها للخبل والانفسال، الخونة المنافيين الأنجاس المراق، الأفاكين، الهلكة، الاغفال، الكذبة المفترين، البهائم المهملين، الجحدة السوائم، حزب الضلال، آل البلس والشطن والعقوق

<sup>١</sup> رسالة العرب ٥٩ / ٤٦٣ - ٤٦٧.

<sup>٢</sup> الجمهيريّة، ٥٠ / ٣٦٥ - ٣٧١، انظر ٦٨ / ٥٤٧.

<sup>٣</sup> رسالة السفر إلى السادة ٦٨ / ٥٤٩.

<sup>٤</sup> رسالة اليمن ٦٠ / ٤٦٨ - ٤٧٣.

<sup>٥</sup> رسالة التفرّيع والبيان ٦٢ / ٤٨٠ - ٤٨٥.

<sup>٦</sup> توبيخ ابن البربرية ٧٦ / ٦٨٨.

والإباق... الذين لا ينزجرون عن المجاهرة بالفسق والمحارم، ولا يرتدعون عن السفه وارتكاب المآثم، الذين مزجوا الحكمة بالوساخة، والذين ضلّوا العوالم بمدّ حبالٍ إبليس...<sup>١</sup>.



مع هذا فـ«الدروز بعامة يعتقدون أنهم عربٌ عريقون في العروبة، ما داموا ينتسبون في غالبيتهم إلى قبائل تنوخ»<sup>٢</sup>، ويحتجّون لذلك بـ«ان أسماءهم عربية»، وبأنهم «من أصحّ الفروع العربية لفظاً لبعض الحروف الهجائية، أي الثاء والذال والطاء والقاف»<sup>٣</sup>، وبأن «لفظهم بالعربي الفصيح... لا يساويهم فيه أحد من جميع سكان سورية»<sup>٤</sup>.

ولن يني الدروز باستمرار عن تبرير انتمائهم إلى العرب والعروبة. ويؤدّون في كل مناسبة إعلان ذلك. فأمين طليع، لشدة خوفه على سلب العروبة عنه وعن بني معروف، لا يفتأ يردّد بـ«أنّ الدروز عربٌ أقحاح»، وبأنه «لا يوجد في العرب الجالين عن جزيرة العرب أصحّ عروبة منهم»<sup>٥</sup>. ومثله حافظ أبو مصلح: «والدروز عربٌ أقحاح، حافظوا على نقاوة دمهم منذ نشأتهم، فلم يختلطوا بالأتراك ولا بالفرنسيين. وهم يعتزّون بعروبتهم»<sup>٦</sup>. ومثله عبد الله النجار الذي يجعلهم «مضرب الأمثال في ديار العروبة»<sup>٧</sup>. أمّا الشيخ وديع تلحوق فيزياد على عروبيّ لبنان بقوله: «فكأنما كان وجود الطائفة الدرزية في هذه البقعة العزيزة لبنان جاء ليحفظ صفة العروبة والاستقلال الوطني بهذا الجزء من العالم العربي، عندما غمرته موجة الفتح الغربي في ذلك الحين»<sup>٨</sup>.

وقد يكون صاحباً «تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي»، أشدّ الغياري على عروبة الدروز الذين «ما عرفوا في تاريخهم أيّ انتماءٍ سياسي طائفي، بل كانوا دائماً حماة الأرض يدافعون عن هويتهم القومية العربية، ويدودون عن هذه الأمة ضدّ غزوات

<sup>١</sup> تمييز الموحدين الطائعين... ٦٦ / ٥٨٨ - ٥٢٥.

<sup>٢</sup> مذاهب الإسلاميين للدكتور عبد الرحمن بدوي، ص ٦٣٧.

<sup>٣</sup> سليمان أبو عز الدين، مجلة المقتطف، «أصل الدروز»، ص ٧٨ سنة ١٩٣٠.

<sup>٤</sup> شكيب أرسلان: «النقد التاريخي وعروبة آل معروف»، في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٦١ سنة ١٩٣١، ص ٤٥٥.

<sup>٥</sup> أمين طليع، أصل الموحدين الدروز، ص ٢٢ و ٢٣.

<sup>٦</sup> حافظ أبو مصلح، واقع الدروز...، ص ١١.

<sup>٧</sup> عبد الله النجار، مذهب الموحدين الدروز، ط ٢، ص ٢٣٤.

<sup>٨</sup> دور الدروز في التاريخ الوطني، في كتاب «الواقع الدرزي»، ص ٢١٨.

الأجنبي ومطامع المستعمر». بل إن تاريخهم «إنما هو تاريخٌ وطنيٌّ يستطيعُ أن يعطيَ  
المواطنَ العربيَ أمثلةً صالحةً في النضالِ الوطنيِّ»<sup>١</sup>. الخ...



---

<sup>١</sup> تاريخ الموحدين... ص ٩ و١٠، انظر ص ١٥ - ٣٦.

## تاسعاً – موقفُ دروز اليوم من الإسلام

إن أدهشَ وأغربَ ما نَفَجاً به اليومَ موقفُ الدروزِ المعاصرين من الإسلام والمسلمين. وقد يَضِيعُ قارئُ الكُتُبِ الدُرُزِيَّةِ المعاصرة ضياعاً تاماً لكثرة ما فيها من مغالطاتٍ حيالَ هذا الموضوع. فالدروزُ يُعلنون، في كل حين، انتماءهم إلى الإسلام، ويُظهرون، دونَ وَجَلٍ، فخرَهم بهذا الانتماء، ويُسارِعون، متأهبين، إلى ردِّ تهمةٍ مُروِّقهم عن الإسلام، حتى ولو لم يكنْ هناكُ متَّهَمون.

بل إن أكثرَ الكُتُبِ جرأةً في عَرَضِ العقيدةِ الدُرُزِيَّةِ تحاولُ تبرئةَ الدروزِ من هذه التَّهْمِ؛ ولو اضطرَّ أحدُهم إلى إنكارِ الحكمةِ ورسائلها، لَفَعَلَ. والفعلُ واجبٌ، لأنَّ «التَّقِيَّةَ»، كما ستري، ليستُ كتماناً سلبياً للحقيقة وحسب، بل هي تمويهٌ وتدليسٌ وتضليلٌ. ولن يستطيعَ أحدُنا، إن لم يتزوَّدْ بكلامِ «الحكمة»، أن ينالَ ذهنه أيُّ شكٍّ لعمق ما عندَ المعاصرين من نِفاقٍ، ولبراعةِ المضلِّين.

فها هو دكتور الفلسفة محمد علي الزعبي في كتابه «الدروز ظاهرهم وباطنهم»، يفتح صفحاته بقوله: «هذا الكتاب... قصدتُ (به) العثورَ على الحبلِ الذي يربطنا كمذاهبٍ وِفِرَقٍ بالجذرِ المعصوم: القرآن... تلك هي الحقيقة: إن جميعَ الأعضاء الذين يشكلونَ جسمَ المسلمين (ومنهم الدروز)... إن جميعهم مسلمون»<sup>١</sup>.

وعندما يريد الدكتورُ الردَّ على سألبي الدُرُزِيَّةِ نعمةً انتمائها إلى الإسلام، يقولُ لهم: هؤلاء «متجاهلينَ قوافلَ حجاجها المترددة بين مكة والشوف، ومعابدها التي لا تزالُ لآنَ تتمتعُ بكلمةِ مسجد»<sup>٢</sup>.

ثم يقدِّمُ لنا برهاناً قاطعاً على إسلاميةِ الدروز فيقول: «هناك شخصٌ اسمه إِيَاهُو، واسمُ والده كُوُهَيْن، واسمُ بنته دَيْنَه، واسمُ زوجته إِسْتِير، وهؤلاء جميعاً يتكلمون العبريةَ، ويفرحون بأعيادِ المظالِّ والفطيرِ والحانوكا. ماذا تقولون عن هذه الأسرة؟ نقول: هم يهود. وهناك شخصٌ اسمه محمد، واسمُ ولده علي، واسمُ ابنته فاطمة، واسمُ زوجته خديجة، ويُجيدون الحديثَ بالعربية. ماذا تقولون عن هذه الأسرة؟ نقول: هم مسلمون عرب، مسلمون وعرب، مسلمون وعرب، مسلمون وعرب...»<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> محمد علي الزعبي، الدروز ظاهرهم وباطنهم، ص ٦ - ٧.  
<sup>٢</sup> نفس المرجع، ص ٩، مجلة الضحى، شوال ١٣٨٦ / ١٩٦٧.  
<sup>٣</sup> نفس المرجع، ص ١٠ - ١١.

والدكتور أيضاً برهاناً من إقامة الشعائر الإسلامية «كشعيرة عيد الأضحى مثلاً، أو شعيرة الصلاة على الأموات، أو شعيرة عقود الزواج». فمن أقامها فعلى أي دين يكون؟ طبعاً على الإسلام<sup>١</sup>.

ويعتمد الدكتور على قول أستاذه ليردده على مسامعنا، وهو «إن النحلة المتفرعة من دين ما لا تسمى ديناً، بل مذهباً، فالعلوية والدرزية مثلاً، مذهبان من مذاهب الإسلام، لا دينان»<sup>٢</sup>.

ويتأوه الدكتور لجور التاريخ وظلمه وكذبه فيقول: «آه ما أكذب التاريخ الذي يدون بقلم السياسة؛ لقد نسي الفرنسيون، بل تناسوا أننا... اعتنقنا الإسلام منذ انبثاق فجره، ولا نزال نبذل المهج في سبيله». ثم يجيبه على تأوّهه هذا شيخ آخر ينطق من «أفلاذ كبده»، ويقول: «من لي بمن يبدد بقلمه الصريح الجريء هذه الظلمات، ويقذف في أفكار السواد المحموم من الناس، حقيقتنا نحن الموحدين، ليعلم الجميع صميم عربيتنا وعراقة إسلامنا»<sup>٣</sup>.

ويسمع الدكتور من شيخ آخر «لا ينطق إلا بما يتلجج في نفسه، ويدور في خلد» فيقول: «تبت يد السياسة التي تحاول تجريدنا من عربيتنا وإسلامنا... لقد... شرعوا (المعاون لنا) ينفثون بيننا، نحن المسلمين الإسماعيليين الموحدين، رسائل نبراً من محتوياتها، وقد حذرنا من مطالعتها كثيراً، بل ورأينا مقاطعتها»<sup>٤</sup>.

بعد هذا يروح الدكتور في تعليمنا بقوله لنا: إن «الموحدين فرع من الشجرة الإسلامية، وغصن من الأرومة العربية»<sup>٥</sup>، وإن «الأكثرية المطلقة من الموحدين حافظت على أركان الإسلام العملية، كما ورثوها منذ صدر الإسلام، إذ يعلمون علماً يقيناً إن المسلم من حافظ على أركان الإسلام، بريئة من التأويل الملتوية»<sup>٦</sup>. ويقول لنا: لقد «دامت جوامع الموحدين عامرة بأركان الإسلام... وتضاعف عدد الذين فهموا أركان الإسلام»<sup>٧</sup>.

ثم ينادي الدكتور الإسلام ويناجيه: «الإسلام! ما أعظم هذه الكلمة! ما أسمى هذا التوجيه! ما أعمق هذا الفهم! إن الإسلام صديق العقل السليم، وزميل المنطق المستقيم، ودعامة المصلحة العامة، وأخ الإنسانية الكبير... وعلينا - نحن الموحدين - المتخذين قِدوتنا رسول الله نفسه وأصحابه الأول الذين لا نزال نفتخر بعصر خلافتهم الذهبي». ولئلا يعتب الإمام

<sup>١</sup> نفس المرجع، ص ١٠.

<sup>٢</sup> نفس المرجع، ص ١٩.

<sup>٣</sup> نفس المرجع، ص ٢٠ - ٢١.

<sup>٤</sup> نفس المرجع، ص ٢٢.

<sup>٥</sup> نفس المرجع، ص ٢٥.

<sup>٦</sup> نفس المرجع، ص ٢٩.

<sup>٧</sup> نفس المرجع، ص ٢٩.



عليّ وشيعته على الدكتور، لا بدّ من توجيه كلمة لهم: ف«عليّ إمام، في العلم والشجاعة والزهد والتضحية. ومنّ أجدُرُ مِنّا بخدمة الإسلام، والتعاون مع الذين يخدمونه بإخلاص!»<sup>١</sup>.

وقد يظنّ القارئ بأنّ هذا الموقف من الإسلام هو موقف الدكتور. كلاً. إنّ حمزة نفسه يقول على لسان الدكتور: «لا خالق ولا معبود إلاّ الله، لا نبيّ ولا رسول بعد سيّدنا محمّد صلّى عليه وآله وسلّم». ويقدم لنا الدكتور حمزة بأنّه كان لا يبرحُ «يسهرُ على القيام بأركان الإسلام، وأنّ إيمانَ المسلم على مقدارِ تمسّكه بتلك الأركان. هذا هو الفهمُ الكاملُ الذي يطلبُه حمزة من مسلمي وادي التيم وغيرهم. فحتى ما نرغبُ عنه، راضين بما أورتتنا إياه عصورُ الجهل والانحطاط!؟»<sup>٢</sup>.

وهكذا «لبيّ» الدكتور طلبَ شيخه، وضاعفَ جهده، ورزقه الله من المراجع ما لم يكن في الحساب. وما هي إلاّ بضعة سنين من الجهد حتى تفتحت براعمُ حسنِ نيّته عن هذه الزهرة الفوّاحة. وها أنذا أزقّها لعشاق المعرفة كتاباً، ليتضاعفَ بنورِ الشمسِ عطرُها وشذاها، مُدعماً بمراجع موثوقةٍ مخطوطةٍ ومطبوعةٍ بالعربية وسواها»<sup>٣</sup>.

هذا الكتابُ بحسبِ مؤلّفه هو «زهرة فوّاحة». ولكننا، أمانةً منّا للعلم، نسمحُ لأنفسنا بوصفه «كتابَ نفاق». وأكبرُ ما فيه من نفاق اعتماده على مراجع لا علاقة لها بالدرزيّة إطلاقاً. فها هو ذا، مثلاً، لا يعتمد، من الرسائل المائة والإحدى عشرة، إلا على خمسةٍ فقط، وهي كما قلنا عنها مراراً، لا تمتُ إلى عقيدة دين التوحيد بصلة، هي «السجلُ المعلق، ومنشورُ الخمر، ورسالةُ التبشير بالإسلام (لعلّها «خبر اليهود والنصارى» رقم ٣) ورسالةُ الردّ على القرامطة، ورسالة الغيبة»<sup>٤</sup>. هذه الرسائل تعترفُ بنبوّة محمّد دون إخراج، وتعتبرُ الحاكمَ أميرَ المؤمنين وخليفةَ الله على الأرض. ويستطيعُ الدروز البوحُ بها دون حيلةٍ وحذر.

ولكننا نأسفُ فعلاً لتضليلِ الدكتور لنا بإثباتاتٍ علميةٍ تاريخيةٍ قد تتطلي على غير العارفين بالدرزيّة. فهو يقول: «هذا كل ما عرفه الموحدون من رسائل تعودُ لنفس القرن الذي عاش به الحاكمُ وحمزة وأبو يعلى، وتتفقُ مع القرآن والدعائم وما كان عليه جميعُ الموحدين في عصرِ السيّد التنوخي»<sup>٥</sup>. ونأسفُ للنفاق الذي صبغ به الزعبي العلمَ ليثبتَ بـ«التحليل

<sup>١</sup> نفس المرجع، ص ٣٠ و ٣١ و ٣٤.

<sup>٢</sup> نفس المرجع، ص ٥٤ - ٥٥.

<sup>٣</sup> نفس المرجع، ص ٢٤.

<sup>٤</sup> نفس المرجع، ص ٨١ - ٨٤.

<sup>٥</sup> نفس المرجع، ص ٨٤.

الكيميائي صحة هذه الرسائل فقط»<sup>١</sup>. وهو يعلنُ دونَ وَجَلٍ من التاريخ والعلم والحكمة نفسها فيقول: «وهذا المجموعُ (من الرسائل الخمسة فقط) هو وحده في الحقيقة الذي يُطلقُ عليه اسمُ كُتُبِ الحكمة»، ويُضيفُ «لقد جاءَ الحقُّ. فكلُّ رسالةٍ أو تأويلٍ أو توجيهٍ لا يتفقُ مع هذا المجموع المحفوظ الذي نجحَ في فحصِ التحليلِ الكيميائي، هو موضوعٌ بعدَ عصرِ السيدِ التتوخي. وهو ممّا دعونا به «الرسائل الطارئة»<sup>٢</sup>.

وهكذا يميّز الدكتورُ بينَ «الرسائل المحفوظة» و «الرسائل الطارئة»، ويتبيّنُ له أنّ هذه الأخيرة «بسيطرة التحليلِ الكيميائي، كُتبتْ بوقتٍ يتراوحُ بين الثلاثمائة والثلاثمائة وخمسين عاماً، أي بعدَ عصرِ السلطانِ سليم»<sup>٣</sup>. وقيمُ القيامةَ على «الكليروس اللبناني» الذي بثَّ «أفكاراً مسمية، وعالجَ الأمورَ بـ«عقلية متحجرة» و «نفس يهْمُها الربحُ قصدَ من خلالها الشهرة»، لأنه حاولَ كشفَ حقيقةِ الحكمة»<sup>٤</sup>.

ولكن، ما بالُ الدكتورِ محمدَ الزعبي يغيبُ تماماً عن حقيقةِ هذه «الرسائل الطارئة» كما يسميها، وينفي نسبتها إلى الدرزية!!! ألا يعلم الدكتور أن دروزاً مؤمنين جريئين طيّبين مستنيرين مثله، وعلى رأسهم شيخُ العصرِ محمد أبو شقرا شيخ عقل الطائفة الدرزية الذي تقبلَ الشكر والتقدير من صاحبي كتاب «تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي» الدكتورين عباس أبو صالح وسامي مكارم الدرزيّين<sup>٥</sup>، اللذين يُرجعنا باستمرارٍ إلى «الأصول التوحيدية» وسائر الدرزية!

ولن نحملَ محمدَ الزعبي وحده عبءَ هذا النفاق، بل أخلصُ الدروز لعقيدتهم يقفُ نفسَ الموقف من انتسابهم إلى الإسلام والمسلمين.

فحافظ أبو مصلح، في كتابه «واقع الدروز، معتقداتهم، خلواتهم، أدباؤهم»، لا يملُ من القولِ بأن الدروزَ «ينظرون إلى المسلمين كأخوانٍ لهم... وكانَ الدروز بالرغم من الافتراءات التي كانَ يُلقبها عليهم المسلمون الجاهلون لا يتنكّرون للإسلام، ولا يَعْمَلون ضده، ولا يحاولون المساسَ به... والمسلمون اليوم يعيشون في قراهم معزّزين مكرّمين»... ويقول «وأمّا أركانُ الإسلام الخمسة لا ينكرونها كما يُشاع عنهم»<sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> نفس المرجع، ص ٨٤.

<sup>٢</sup> نفس المرجع، ص ٨٤.

<sup>٣</sup> نفس المرجع، ص ٨٥.

<sup>٤</sup> نفس المرجع، ص ٨٦.

<sup>٥</sup> تاريخ الموحدين الدروز... «شكر وتقدير»، ص ٥.

<sup>٦</sup> حافظ أبو مصلح، واقع الدروز، ص ٨.

وكذلك هو موقف فؤاد الأطرش، في كتابه «الدروز، مؤامرات، وتاريخ، وحقائق» فهو يقول بصراحة: «الدروزُ إسلام، والانكار كالأثبات لا يُغيّرُ شيئاً من هذه الحقيقة الساطعة»<sup>١</sup>. ولكنه، بعد ذلك، تقومُ قيامته على الذين لا يميزون بين الإسلام والدرزية، فيقول: «قرأنا الجرائد ونقرأها، فإذا هي لا تذكر من طوائف هذا الوطن سوى المسلمين والنصارى واليهود... وهي لا تشأ أن تذكر أن في سوريا طائفة لها مقامها ولها نفوذها، لها آدابها ولها قوميتها، لها أخلاقها، ولها وطنيتها — ألا وهي الطائفة الدرزية الكريمة...»<sup>٢</sup>.

والعجبُ كل العجب أن يقع السفيرُ عبد الله النجار، بعد عرضه الشيق للعقيدة الدرزية وإطلاعه على نصوص الحكمة، في خطأ مثل هذا الخطأ... فهو أيضاً، وبدون جُرأةٍ منه، يريدُ حشرَ الدرزية بالإسلام، فيقول: «إن مذهب التوحيد يُوصي بممارسة الفرائض القرآنية»<sup>٣</sup> وثبت رأيه بما جاء في «السجل المعلق، وافتوى محمد شلتوت الذي أصدر البراءة من الأزهر بقوله: «لقد أرسلنا من الأزهر بعض العلماء كي يتعرفوا أكثر على المذهب الدرزي. وجاءت التقارير الأولى تبشّر بالخير. فالدروز موحّدون مسلمون مؤمنون»<sup>٤</sup>. ولكننا بتنا نخشى على الأزهر نفسه من سخرية السفير النجار نفسه...

أما مع السيّد بايزيد فقد يكون المسلمون مقصّرين عن الدروز في فهم الإسلام ومحبّته. فهو يقول بأنّ الدروز «إنما يعتبرون أنفسهم وديعة الإسلام. وهم يعتبرون القرآن المستند الرئيسي لمصادرهم الروحية ووحيمهم وتأملهم، كما يعتبرون الإنجيل والتوراة من الكتب المقدسة...» ويقول: «إنما الموحّدون هم المسلمين الحقيقيين والأولين»، وربما كانوا على تفوق في إسلامهم: «إنما الموحّدون الدروز هم في طبيعة المسلمين الحقيقيين توحيداً وتقرباً إلى وجهه تعالى، وإيماناً بوحيه وقرآنه وكتابه الكريم»<sup>٥</sup>.

أما أكبرُ صعوبة فتأتي من أكثر المسلمين معرفة بالدرزية. فالذين قرأوا رسائل الحكمة وكتبوا عن دعوة التوحيد، وآفوا نصوصها المقدسة، يصعب عليهم تصديق ما يقرأون:

فالدكتور محمد كامل حسين، على معرفته الصحيحة لعقيدة الموحدين، وتأكيدهِ خروجهم عن الإسلام، يعودُ، في خاتمة كتابه، ليعلّن مع عارف النكدي بـ«أن الدروز مسلمون، كانوا ولا يزالون، وأنهم لو لم يكونوا كذلك لصيرتهم عربيتهم مسلمين». ومع أمير

<sup>١</sup> فؤاد الأطرش، الدروز مؤامرات... ص ٩.

<sup>٢</sup> نفس المرجع، ص ١٤ - ١٥.

<sup>٣</sup> عبد الله النجار، مذهب الموحدين الدروز، ط ٢، ص ٢١٥.

<sup>٤</sup> نفس المرجع، ص ٢١٧.

<sup>٥</sup> أضواء على مسلك التوحيد «الدروز»، توطئة لبيازيد، ص ٧٣.

البيان العربي الأمير شكيب أرسلان بـ«أن الدروز فرقة من الفرق الإسلامية... يقولون أنهم مسلمون وقيمون جميع شعائر المسلمين، ويتواصون بمرافقة الإسلام والمسلمين في السرّاء والضراء، ويقولون إن من خرج عن ذلك منهم فليس بمسلم... ويحفظون القرآن». ومع الأمير السيّد جمال الدين التتوخي «الذي كان من الذين عملوا إلى العودة بالدروز إلى مذهب أهل الجماعة والسنة»<sup>١</sup>. وليت الدكتور حسين أطّلع على شروحات الأمير السيّد!

وأغرب من الدكتور حسين موقف الدكتور عبد الرحمن بدوي الذي عرف الدرزيّة ونقل رسائلها الخطيرة وتأكّد من مروقها عن الإسلام. ومع ذلك لا يزال يصرّ على إسلاميتهم، ويعتبر جمال الدين التتوخي خير مرجع لإصراره، وينقل عنه بأنّه «أمر بعمارة المساجد في القرى وتجديد الجوامع، وأنشأ الأوقاف... ثم جلب الفقهاء إلى النواحي، وأقام الخطب أيام الجمععات في كل قرية... ثم شدّد على القراءة الصحيحة في القرآن الكريم»<sup>٢</sup>. ويعتبر الدكتور أن «كل هذه الملامح تدلّ على تمسكه بالقرآن وبالصلاة الشرعية الإسلامية. ولا يذكر لنا أيّ مصدر أن أحدا من الدروز قد أنكر عليه شيئاً من هذا. وهذا يدلّ دلالة قاطعة على أنّ الدروز... لم يسقطوا الفرائض الدينية، ولم يطرحوا القرآن، ولم يترخّصوا في ركن من أركان الإسلام، وكانوا يؤدّون الصلوات في أوقاتها، ويؤدّن المؤذّنون في أوقات الأذان... ففي هذا دلالة قاطعة على حسن إسلام الدروز...»<sup>٣</sup>.

ونقول لهذا الدكتور ما قلناه للدكتور الأنف الذكر: أقرت ما كتبه الأمير السيّد في شروحات الحكمة؟! أم إنك تريد اكتساب الدروز إلى الإسلام بعفوك عنهم وعمّا يقولونه!!!

إن الذي يبدو لنا أننا وقّعنا جميعاً في حكم «التقيّة». لقد وقّعنا بين الدروز الذين يمارسون على المسلمين التقيّة ليحفظوا كيّانهم، وبين المسلمين الذين يمارسون التقيّة نفسها على الدروز ليربحوهم في حظيرة الإسلام. والله عون لنا من شرّ يتطير فوق رؤوسنا من كل صوب.

وزاد الشرّ تفاقماً فتوى صدرت عن جامعة الأزهر تعلن حقيقة إسلام الدروز، والتي ارتاح إليها الدروز والمسلمون جميعاً. جاء فيها: «... وحيث إن طائفة الدروز... ينطقون بالشهادتين، ويؤمنون بالقرآن، وبما جاء فيه من أحكام تتعلّق بالتوحيد والتشريع، ولا يحصل منهم بجانب ذلك إشراك لأحد مع الله ولا مناقضة للإسلام في قول ولا عمل، فهم مسلمون، ولا يجوز لأحد حينئذ أن يتّهمهم بعدم الإسلام، فإن اتّهمهم بعدم الإسلام يُثير الفرقة بين

<sup>١</sup> طائفة الدروز، تاريخها وعقائدها، ص ١٢٦ - ١٢٧.

<sup>٢</sup> مذاهب الإسلاميين، الدروز، ص ٦٤٧.

<sup>٣</sup> مذاهب الإسلاميين، الدروز، ص ٦٤٧ - ٦٤٨.

الجماعة الإسلامية، وربما كان هذا الاتهام مقصوداً لتلك الفرقة المشؤومة، ولذلك نهى الله عن هذا الاتهام بقوله تعالى: «ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً». والله تعالى أعلم<sup>١</sup>.

رئيس لجنة الفتوى بالأزهر

محمد عبد اللطيف السكبي



بقي علينا في الختام ملاحظة هي: إن جميع الدروز هم على غرار الدكتور الزعبي، يتنكرون، في الظاهر، لـ«رسائل الحكمة»، التي سماها الزعبي بـ«الرسائل الطارئة»، ويعتمدون، مثله، على «الرسائل - السجلات» الأربعة. ويُجمعون على القول بأن «الحكمة» لا يمكن أن يحظى بها إنسان، وأن «كتاب الحكمة» لا يوجد في أي مكان من العالم، بل لا يوجد منه سوى نسخة واحدة لا يعرف مكان وجودها إلا الله. وأسهل طرق التنكر، عند الجهال من الدروز، القول بأن هذه الرسائل ليست هي لهم، وهم لا يتعرفون عليها إطلاقاً<sup>٢</sup>.



<sup>١</sup> نشرت هذه الفتوى في مجلة الضحى (الدرزية) الجزء الثاني عشر، كانون أول سنة ١٩٦٨ / شوال ١٣٨٨ هـ. انظر: أمين طليع، أصل الموحدين الدروز، ص ١٠٥ - ١٠٧.

<sup>٢</sup> بقي على سوانا البحث في الدرزية وعلاقتها بسائر الأديان كاليهودية والمسيحية والنصيرية. ومن أراد عن ذلك فكرة واضحة عليه بالرسائل: ١٥ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٧٢ و ٧٣ و بكتاب «النصيريون العلويون».

## الفصل السابع

### نتيجة المجابهة بين الدرزية والإسلام

أولاً - محنة الدروز وشدة الاضطهاد

ثانياً - التقية

ثالثاً - استعمال الرموز والتأويل

رابعاً - سيف الانتقام والأخذ بالثأر

خاتمة الفصل

## أولاً - محنة الدروز وشدة الاضطهاد

إنّ موقف الدروز من الإسلام والمسلمين جرّهم إلى تاريخ حافل بالمحن والاضطهادات. منذ البدء شنّ المسلمون عليهم حرباً ضروساً بقيادة الخليفة الفاطمي علي الظاهر «الذجال اللعين». وبسبب ذلك غابَ الحاكم إلى الأبد، وغاب لغيبته صفية حمزة وسائر الدعاة، وتحمل بهاء الدين المقتنى عبء الدعوة وقيادتها بصبرٍ وألم ودموع. وقد عبّر في رسائله عن مآسي الموحدين ونكباتهم، كما سبقه إلى ذلك حمزة نفسه، لما تعرّض له من المحن والعداء.

لقد رأى حمزة العداوة مستحكمة على الموحدين يشنّها عليهم أهل الأديان والمذاهب عامّة، فقال: «إن أهل الشرائع يرون محبة الأعداء كافة، ولا يرون محبة رجلٍ موحدٍ»<sup>١</sup>. واعتبر المسلمون أشدّ الأعداء أذى بحق الموحدين: «والمسلمون الجاحدون (السنة) والمؤمنون المشركون (الشيعة) يقاتلونك في بيتك، وهم أذية لأهل التوحيد»<sup>٢</sup>.

بيد أنّ قائم الزمان، قبل غيبته الأخيرة، عرف الاستفادة من المحنة، وقال بضرورتها، لأنها تزيد الموحدين إيماناً وشفاءً ويقيناً: فـ«المستجيب إذا كان فيه شكّ ووقع في هذه المحنة خرج زيقه، وظهر ما كان فيه حتفه. ومن كان مؤمناً بالغاً في دينه سادقاً في قوله صحيحاً في فعله كلما زاده الزمان امتحاناً زاد في نفسه يقيناً وإيماناً، كالفضة الصافية البيضاء التي كلما زادت عليها النار في حماها زادت في جوهرها وشفائها، كذلك الموحد كلما أراد به مولانا جلّ ذكره امتحاناً فهو راضٍ به صابراً لحكمه»<sup>٣</sup>.

وفي رسالته الأخيرة إلى الموحدين ترك لهم هذه الوصايا: «معشر الإخوان لا تصحّ الديانة إلاّ عند الامتحان. ففي وقت السلامة والعافية يكون العالم متساويان (هكذا)، لا فاضل فيهم ولا مفضول، وإنّما تُنال الدرجات وارتقاء المنازل العالية المرتفعات بالصبر في وقت الشدة... فمن صبر على المكاره نال المسرات»<sup>٤</sup>.

ثم ينصح حمزة أتباعه بالصبر وبأن يكونوا مستعدين، لأن المحنة سوف تتقلب على أعدائهم: «كونوا أيها الأخوان على هبة من أمركم، ولا تظنّوا الذي أنتم فيه شراً لكم، بل هو خير لكم. فما تمرّ بكم إلاّ أزمان قلائل حتى ترون مخالفيكم قد أرمّلت منهم الحلائل، وأوقعوا

<sup>١</sup> الموسومة بكشف الحقائق ١٣ / ١٣٧.

<sup>٢</sup> الكتاب المعروف بالنقض الخفي ٦ / ٦١.

<sup>٣</sup> رسالة الرضى والتسليم ١٦ / ١٨٠.

<sup>٤</sup> رسالة الغيبة ٣٥ / ٢٥٣.

في الغوائل والمهالك، وسلبوا الأموال والممالك... فسوف أجعل أكبرهم لأصاغركم أعبد،  
وعزيزهم لأحدكم يطيع ويسجد، وأقتل المشركين والمرتدين بسيف مولانا الحاكم إله  
العالمين...»<sup>١</sup>.

ويوعدهم بتحطيم أعدائهم و «ملك ذراريهم وأموالهم وأرضهم، وخراب ديارهم،  
وسبي حريمهم، وأولادهم، وإخلاق دم رجالهم بدم كلابهم. ويؤسمون بسمّة العبيد. وتملك  
ضعفاؤكم منهم كل جبار عنيد... فاصبروا على الامتحان تناولوا المغفرة والاحسان»<sup>٢</sup>.

ويتضرّع حمزة إلى باريه مناجياً ويقول: «يا من له العزة والتمكين، انصرنا على  
أعداء الدين، المارقين الجاحدين الناكثين، الذين نكثوا عهدك وجدوا ميثاقك وعقدك، ومرقوا  
من دينك، وأظهروا الفساد في أرضك. فدمر عليهم بدمارك، كما دمرت على قوم عاد وثمود،  
ودمدم عليهم ببيوتهم. إنك علام الغيوب»<sup>٣</sup>.

أما بهاء الدين المقتنى فإنه يصف لنا المحنة التي كبدت الدروز العذابات المريرة  
والضحايا الكثيرة، ويتوجه إلى المسلمين «أعوان الدجال الرجيم الأجدع» الذين سفكوا دماء  
الموحدين وشربوه نهلاً. يقول:

«يا أيها الغفلة... شربتم بالظلم دماء الموحدين المظلومين نهلاً، وسفكتم الدم الحرام  
برضاكم لمن أطله عصياناً للحق وزكلاً... فمن حيث أمن أهل الحق على نفوسهم أتيتمهم،  
وبأسلحتهم قتلتمهم، ومن بيوتهم ومقاطينهم أزعجتهم، وعلى صبرهم على البلايا والمحن  
وبختتمهم... وساعدتم جميع من قام على أهل الحق في ظلمه»<sup>٤</sup>.

ويكمل بهاء الدين وصف ما صنعه المسلمون بالدروز فيقول: «إن آل السفة والفسق  
والجهل والجحود، الذين رفقوا بالبلس رؤوس الأشهاد على رؤوس الرماح، وسقوهم بالجور  
والظلم كأس الذباح، مع من أغرقوا في البحار، وأحرقوهم بلهب النار، وذروهم في الرياح؛  
وقتلوا الجم الغفير بسيوف الأضداد، بعد سبي النساء والأولاد، وقطع قلوبهم والأكباد، وتعليق  
رؤوس الرجال الموحدين في أعناق أخواتهم وبناتهم، وذبح الأطفال الرضع في حجور  
أمهاتهم.

<sup>١</sup> رسالة الأعدار والانذار ٣٤ / ٢٤٨ - ٢٤٩.

<sup>٢</sup> رسالة التحذير والتنبيه ٣٣ / ٢٤٤.

<sup>٣</sup> مناجاة ولي الحق ٢٩ / ٢٣٢ - ٢٣٣.

<sup>٤</sup> رسالة إيضاح التوحيد ٧٤ / ٦٥٥.



فلم يرعوا لأحد في الله إلا ولا ذمّة فيرحموا صغيراً لصبوتيه وصغيره، ولم يعفوا عن كبير لشيوخته وهرمه وكبره، بل أجرؤهم على حدّ السيوف قتلاً وصلباً، وفي الشوارع شقاً لبطونهم؛ وجرّاً بأرجلهم وسحباً، ولأموالهم وذراريهم سبياً ونهباً...

بل ذبحتموهم كما تُذبح الجزر والغنم عداوةً لله، ووفاءً للفراعة بالذم... فوأسفاه على أهل الحق وعلى التخلف من بعدهم. ووالهفاه حسرةً واستوجاعاً لفقدهم...»<sup>١</sup>.

ثم يصف بهاء الدين ما حلّ بالموحدين في كل مكان، ويشير على شمولية الاضطهاد واتساعه، من الاسكندرية حتى أنطاكية. ومع هذا، بقي الدروز صابرين صامدين متحمّلين. لقد «هدرَ (الدجال) دماءهم في جميع البلدان، وتبعهم هو وتباعه في كل موضع ومكان<sup>٢</sup> لقد «قاتلونا بأسلحتنا من حيث أمنا على النفوس»<sup>٣</sup> و «أظهروا العداوة والبغضة لأهل التوحيد فعل الحساد، وذوي الدناءة والإنكار»<sup>٤</sup>...

ويقدّم بهاء الدين نفسه مثلاً للموحدين المضطهدين، فهو أيضاً تعرّض لـ «لأذى والضرر من الغافلين المعتدين»... وتهجّر عن القاهرة، ومُنِع التبرك بحرمة، ووصف لنا حاله التعيسة، بعد اشتداد المحنة عليه بقوله: «والجرعة مما تقدفه القلوب، والدمعة النزرة مما تدرفه العيون من الماء المسكوب، تزيد عليه ولو كانت أنهاراً، وتغمره ولو كان التكريرُ بحاراً»<sup>٥</sup>.

ويقول أيضاً في وصف ضيق حاله «وسعة المسالك والبلد، وشعث الحال ومرارة العيش النكد، لقلّة المؤازر والسديق، وعدم الجار الصالح والرفيق. وقد تعذّرت علينا الطرق والمسالك، ونحن من أهلنا على شفا جرف المصائب والمهالك»<sup>٦</sup>. حتى «ضاق الزمان على المكاتب والجواب، وانقطع لحدّته القول والخطاب»<sup>٧</sup>. وأصبحت الدعوة في مصر صعبةً مستعصية: «إن التجارة بمصر قد كسدت لما فيها من ضيق السعر»<sup>٨</sup>.

هذه المحنة المريرة على بهاء الدين شدّدت من عزمته وأكسبته فضيلة الصبر والاحتمال، ودعا جميع الموحدين المضطهدين ليقتدوا به، ويتحمّلوا المحنة بإيمان ثابت.

<sup>١</sup> إيضاح التوحيد ٧٤ / ٦٦٤ - ٦٦٥.  
<sup>٢</sup> مثلاً ضربه بعض حكماء الديانة ٤٣ / ٣٣٧.  
<sup>٣</sup> رسالة الحقائق والانذار ٥٧ / ٤٥١.  
<sup>٤</sup> من دون قائم الزمان ٦٧ / ٥٣٤.  
<sup>٥</sup> توبيخ ابن البربرية ٧٦ / ٦٨٧ - ٦٨٨.  
<sup>٦</sup> جواب كتاب السادة ٩١ / ٧٧٢.  
<sup>٧</sup> رسالة الجبل الأنور ١٠٩ / ٨٣٣.  
<sup>٨</sup> جواب كتاب السادة ٩١ / ٧٧٤.  
<sup>٩</sup> كتاب على يد سرايا ٩٢ / ٧٧٥.

وصلى إلى الله بقوله: «اللهم... ألهم الصبر لأهل الحق على هرج الشيطان ومتبعيه»<sup>١</sup>، ونصح  
ونصح أن «يلزموا الصبر والاحتمال»<sup>٢</sup> لأن للصبر والاحتمال ثواباً كبيراً<sup>٣</sup>. ولولا الصبر  
لكانت المصائب تفت من عزم الدعوة. وغاية الصبر انتصار الموحدين على أعدائهم،  
وسعادتهم عندما يجتمعون في نهاية الدهر بقائم الزمان ورب العالمين: «ولولا إننا نصبر  
نفوسنا ونوعد قلوبنا بالاجتماع عند ظهور ولي الحق وجسومنا لكانت الحشرات تغلب،  
والهموم تنهك وتتعيب...»<sup>٤</sup>، «وأيضاً لو لم يلحق الموحدين ما يوجب الاحتساب والرضى  
والصبر على المحن ومحتوم القضاء، لما فضلوا في يوم القيامة على البشر... فباختيار الأمم  
للجحد والانكار يعاقبون، وباختيار أهل الحق والطاعة والصبر على المحن يثابون»<sup>٥</sup>. فلا بد  
أن تتجلي الليلة عن صباح مشرق بهيج<sup>٦</sup>.

وبسبب شدة المحنة والاضطهاد أُغلق باب الدعوة. فمن دخلها بقي فيها إلى الأبد، ومن  
لم يدخلها بقي خارجاً عنها إلى الأبد. وعلى الذين يستطيعون الصبر والاحتمال أن يوعدوا  
أنفسهم بالرحمة التي لم تتوفر لسواهم. والذين صمدوا جلبوا الرحمة عليهم وعلى أولادهم  
وأولاد أولادهم إلى أبد الأبد: «أيها الإخوان فاغتموا زمان الامهال، وتقربوا إلى وليكم  
بصالح الأعمال، قبل طي الصحائف وجفاف الأقلام، وغلق أبواب الرحمة وختم الأفواه، وقطع  
الكلام...»<sup>٧</sup>.



<sup>١</sup> رسالة إيضاح التوحيد ٧٤ / ٦٦٩.  
<sup>٢</sup> منشور نصر ابن فتوح ١٠٧ / ٨٢٧.  
<sup>٣</sup> منشور نصر ابن فتوح ١٠٧ / ٨٢٨.  
<sup>٤</sup> منشور إلى آل عبد الله ٩٠ / ٧٧٠ - ٧٧١.  
<sup>٥</sup> رسالة إيضاح التوحيد ٧٤ / ٦٦٧.  
<sup>٦</sup> منشور إلى آل عبد الله ٩٠ / ٧٧١.  
<sup>٧</sup> توييخ سكين ٧٨ / ٧١٤، انظر أيضاً: ٧٣ / ٦٤٨، ١ / ٣٠ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٤، ٥٧ / ٤٥١، ٨٤ / ٧٤٩، ٦٨ / ٥٤٤... ومواقع كثيرة غيرها في رسائل الحكمة...

## ثانياً - التقيّة

إذا كان الصبر والاحتمال هما الدواء الناجع للمحنة، فإنّ في التقيّة ما يُخمدُ لظّاهما ويعمل على تهدئة ثورة المضطّهدين. في التقيّة يخفي الدروزُ عقيدتهم وحقيقتهم ودينهم، ويظهرون عقيدة مضطّهديهم، ودينهم، ويتظاهرون بالمألوفِ عندهم. فالدروزُ مع الغالب، والغالبُ لا يرى فيهم أيّ أمرٍ يُشين. هم كالنجاج الطيّبة التي تُخضعُ منحراًها للجزّار طالما هي لا تقدرُ عليه. «لقد كانوا يفضلون الوقوفَ على الحيادِ ما أمكن - على ما يقوله الدكتوران أبو صالح ومكارم - وإن لم يستطيعوا ذلك كانوا يميلون بشكل عام إلى جانب الفئة التي يرون أنها سترجحُ كفتّها في الصراع، والتي يمكن أن تقرّهم على امتيازاتهم المتوارثة في السلطة والحكم»<sup>١</sup>.



تقوم التقيّة على صون الحكمة عن غير أهلها، وعلى الحفاظ على سرّها وكتمانها، وعلى الاحتراز، والتدليس، والكذب على «الأضداد»، والتظاهر بالسنة والمألوف عند أهلها. وبكل بساطة وصراحة نقول بأنّ التقيّة تقوم على التظاهر بالإسلام ومحبّته وتلاوة آيات القرآن الكريم وإعلان نبوة محمد وإمامة علي وإقامة شعائر الإسلام وأركانها. يقول الأمير السيّد: «إنّ الأمر في دور الستّر بما يطابقُ الشريعة (شريعة الإسلام) جائزة ولو كان تدليساً، والتدليس هو سننُ الحقيقة وإظهارُ ضدّها، كالأمر بالصلاة والزكاة والصوم والحج وما شاكل ذلك، وكالأمر إن الله سبحانه فوق السبع سموات، وكالأمر إنّ محمد بن عبد الله هو الرسول الحقيقي. كل ذلك غيرُ الحقيقة، وتدليسٌ من إمام الزمان بأمرٍ باريه، فلا لومَ عليه، ولا على من يتبعه ويفعلُ بما أمره، لأنه مأمور من قِبَلِ خالقه، والخلقُ مأمورين (هكذا) من قِبَلِ إمام الحق. وهكذا كلُّ مذهب من مذاهب الشرائع كانوا الناسُ (هكذا) مأمورين يفعلوا بما جارى قدامهم من الشرائع. وذلك تدليسٌ. لكن لم يأتوا بذلك. ومع هذا التدليس الجاري في الستّر كانت حدودُ الله يُلغزوا بالحقائق، ويوعزوا إلى الناسِ إشاراتٍ إن الغاية غيرُ في أيديهم، وإن سوف ينكشفُ الأمر»<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي، ص ٣١.  
<sup>٢</sup> تفسير كشف الحقائق للأمير السيّد التنوخي، ص ٤٢.

فالتَّقِيَّةُ إذن لا أن تخفي الحقيقة بل أن تقولَ بصدقها. والرسائل حافلةٌ بها وبدعوةِ الموحدين إلى العملِ بالظاهرِ (أي بالسنة): «اعملوا بالظاهرِ ما دامَ نفعُهُ مستمرّاً، وحكمُهُ مستقراً... حتى يقومَ بالتوحيد... صاحبُ القيامة». بعد ذلك، عندما يحينُ دورُ الكشفِ «إن العملَ بالظاهرِ والباطنِ، بعد الكشفِ، غيرُ مقبول، والثوابَ عليهما غيرُ مأمول»<sup>١</sup>. أمّا هنا والآن في زمنِ السّترِ والمِحْنِ فـ«مَنْ لاذَ بِحِرْمِهِ، وانفردَ بِكتمانِ سِرِّهِ، فقد فازَ بنائِلِهِ وبرِّهِ»<sup>٢</sup>.

فالتَّقِيَّةُ أن تكون مسلماً مع المسلمين ونصرانياً مع النصارى ويهودياً مع اليهود وشيعياً مع الشيعة. أن تصلي صلاتهم وتقيم فرائضَ عباداتهم، وتعترفَ بنبوّةِ أنبيائهم. إنّها وصيّةٌ قائمُ الزمانِ لحدودِ التوحيدِ ولجميعِ الموحدين، فهو يشيرُ إلى «سفيرِ القدرة، الكلمة» بقوله: «اجمعُ شملَ الموحدين، وكنْ لهم في نفاسهم وأعراسهم وجنائزهم على السنة التي رسيتمَ لهم»<sup>٣</sup>.

وجاء في «تعليم دين التوحيد» ما يلي:

س: كيف نقدر نمشي مع النصارى أو مع الإسلام؟..

ج: ذلك يكون ظاهراً لنا، كما قال مولانا: احفظوني في قلوبكم. ومثّل لنا مثلاً: إنه مَنْ كان تردّي بثوبٍ أبيضٍ أم أصفرٍ أم أسودٍ أم أحمرٍ أم أخضرٍ، فجسمُهُ هو هو إن كان صحيحاً أو مبتلياً، فلا يقدّم ولا يؤخّر معه ذلك الثوبُ، ولا يغيّرُ جسمه إلا شكلاً منه. وتشبيهُ الأديانِ كالثوبِ، ودينكم كالجسدِ، فابقوه في قلوبكم والبسوا ما يلائم لبسه، وتظاهروا بذلك الدين غايةَ المظاهرة على قدرِ راحتكم.

س: وإذا دعينا إلى صلاة مع إحدى صلاة هذه الأديان، هل يجوز لنا أن نصلي معهم؟

ج: صلّوا على أي ملّة كانت لا مانعَ على شيءٍ ظاهرٍ لا يتمّ باطنياً. فافهموهم على قدر عقولهم، ولكن احفظوني في قلوبكم.

س: كيف نقدرُ نقرُّ مع الإسلامِ بمحمد ونشهدُ أنه فخرُ الخلائقِ والأنبياءِ؟ وهل هذا

محمدٌ نبي؟

ج: إن محمدًا نحن بالظاهرِ نقرُّ به نبياً لأجل الاستتارِ والمُسامرةِ مع أمته فقط، وفي الباطنِ نشهدُ به أنه قرْدٌ وشَيْطَانٌ وابنُ زنا، لأنه حللَ ما لا يحلُّ، وفعلَ جميعَ الفواحشِ،

<sup>١</sup> أيضاً التوحيد ٧٤ / ٦٦٩ و ٦٧٠.  
<sup>٢</sup> مناجاة وليّ الحق ٢٩ / ٢٣٠ - ٢٣١.  
<sup>٣</sup> تقليد الرضى وسفير القدرة ٢١ / ٢١٠.

واستحلَّ جميعَ النساءِ، وحلَّ الفروجَ، ونكحَ الذكورَ، لأنه يقول في قرآنه: المؤمنةُ خيرٌ من غيرِ المؤمنةِ، والذكرُ المؤمنُ خيرٌ من غيرِ المؤمن... .

س: كيف تكونُ مخاطبتنا مع أصحاب غيرِ ملتنا، وهل يجوزُ لنا رفقتهم؟

ج: إن مولانا حمزة أمر بأننا نستتر ونستتر في الديانة، الغاية كيف ما كانت النصراني كونوا معهم، أو إذا غلبت الإسلام كونوا إسلاماً، لأن مولانا أمرنا بأنه أي ملّة تغلبت عليكم اتبعوها واحفظوني في قلوبكم.

س: لماذا نُهللُ أمّامَ الإسلامِ بابنِ القردِ والشيطانِ وابنِ الزنا، ونقول لا إله إلا الله ومحمد رسول الله؟

ج: نحن نهللُ أمّامَ الكافرةِ الخبيثةِ لأن لا إله إلا الله محمد رسول الله لأجل المساهمة والاستتار. ولكن نهلل باسم محمد وهو ابن بهاء الدين المكنى بمولانا قائم الحق.

س: وعيسى النصراني الكذاب هل هو نبي؟

ج: كلا ليس نبياً بل تاركٌ في إنجيله بعضَ أقوال باطلة لا صحة لها.

س: كيف نقدر نعمل مساهمةً مع أمّته؟

ج: كما أوصانا مولانا ظاهراً، نقول حقَّ المسيح النصراني قدّامَ أمّته النصرانية. فهم يظنون أننا نحلف بمسيحهم الكذاب، ولكن باطناً يرجع قولنا إلى مولانا سلمان الفارسي...

س: والمتأولة أمّة عليّ ماذا نقول بهم وهل هو نبي أم لا؟

ج: كلاً ليس نبياً بل إن هذا هو علي عرّصاً ملعوناً في ذات ملّته فما شأنه يكون

نبياً...<sup>١</sup>.

فالتقيّة إذن بمعنى «التدليس» و «الكذب» واجبة على الدرزي، وكل درزي صالح عاقل عليه أن يربّي ولده ويدربّه على مثل هذه «المسايرة». والكلمة هي للأمير السيّد<sup>٢</sup>. وقد فهمها يوسف يزبك بأنها احترامٌ وتقديرٌ لجميع الأديان فقال: «وقد حان لنا... أن نُعلن رأياً صريحاً في مذهبٍ يحترم جميع الأديان السماوية»<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> من كتب «محمود الحلبي الدرزي البعلقيني النازح من لبنان إلى جبل الدروز في السويداء سنة ١٩٢٤، أسئلة: ١٠٢ - ١١٦.

<sup>٢</sup> تفسير كشف الحقائق، ص ٧٥٦.

<sup>٣</sup> يوسف يزبك في مقدمته لكتاب «الدولة الدرزية»، ص ١٤.

ولهذه «المسايرة» التقية قواعد ثابتة في الرسائل، لا نستطيع إلا التوقف عندها ونقل نصوصها كما هي:

يقول قائم الزمان حمزة: «صونوا الحكمة عن غير أهلها، ولا تمنعوها لمستحقيها. فإن من منع الحكمة عن أهلها فقد دنس أمانته ودينه. ومن سلمها إلى غير أهلها فقد تغير في اتباع الحق يقينه. فعليكم بحفظها وصيانتها عن غير أهلها، والاستتار بالمألوف عند أهله. ولا تتكشفوا عند من غلبت عليه شقوته وجهله. فإنتم ترونهم من حيث لا يرونكم. وأنتم بما في أيديهم عارفون، وعلى ما ألقوه من زخرف قولهم مطّلعون، وهم عمّا في أيديكم غافلون، ومما اقتبستموه من نور الحكمة محجوبون. لقد أخرجسوا ونطقتم، وأبكموا وسمعتهم، وعموا وأبصرتهم، وجهلوا وعرفتم»<sup>١</sup>.

على الموحدين أن يعملوا بموجب وصايا الحكمة الداعية إلى الصمت والستر والكتمان باستمرار. نقول الحكمة: «اصمتوا عن الكلام، واغمدوا سيف اللسان إلى أن يؤذن لكم بالإيضاح والتبيان»<sup>٢</sup>، «تعاونوا على التقوى والصلاح والبر... وكتمان هذا السر»<sup>٣</sup>، «تبتظوا أيها الأخوة وتعاونوا على التقوى... واستديموا بالستر لما أوعزنا إليكم»<sup>٤</sup>. وعليهم أيضاً «أن تجتمع أهل كل موضع مع شيوخهم في معزل محصن، بالسر والكتمان... ويستروا حالهم بالعقل والسكون والفعل الجميل والرزانة والرجحان»<sup>٥</sup>.

أما التقية بمعنى «الكذب» على الأضداد، أي على غير الموحدين، فهي واجبة لا محالة. ولكن، بقدر ما يكون السدق واجباً وفرضاً مقدساً فيما بين الموحدين، فإن الكذب هو أيضاً واجب مقدس مع غير الموحدين. «والسدق فهو من نفس الأدب، وليس لغيركم عليكم فرض». ولا ذلك إلا لبعضكم بعض. فمن كذب على أخيه أو كذب له فقد نافقه وشك فيه. ولا يجوز الكذب بين الموحدين...

«وليس لأحد من الموحدين فسحة في الكذب لإخوانه إلا أن يكون هناك ضد حاضراً، لا يمكن كشف الأمور إليه، ولا شرحها بين يديه. وإن أمكن الصمت فهو أحسن، وإن لم يمكن فلا بأس أن يحرف القول بحضرته، أعني الضد. ويجب عليه أن يرجع يسدق الحديث لإخوانه بعد خلوصهم من الشيطان. ولا بأس بالسدق فيما لا يضر عند الأضداد... لأن من رخص لنفسه في الكذب خيف عليه أن يتعوده لسانه، وينطق به عند إخوانه... وإنما رخصنا بذلك عند

<sup>١</sup> رسالة التحذير والتنبيه ٣٣ / ٢٤٤ - ٢٤٥.

<sup>٢</sup> رسالة التنبيه والتأنيب والتوبيخ والتوقيف ٤٢ / ٣٢٢.

<sup>٣</sup> رسالة جبل السمّاق ٩٨ / ٧٩٢.

<sup>٤</sup> منشور إلى آل عبد الله وآل سليمان ٩٩ / ٧٩٤.

<sup>٥</sup> مكاتبة الشيوخ الأوابين ١٠٣ / ٨٠٩ - ٨١٠.

الأضداد إذا كان يأولُ أمدُه إلى مَضَرَه، مثل أن يكونَ أحدُكم قد قَتَلَ رجلاً من عالم السواد، فإذا سألوه عن ذلك جاز أن لا يُسَدِّقَهُم، والألَّ يُحَقِّقُوا عليه القتلَ بأقراره...»<sup>١</sup>.

فالسُّدُقُ إذن بين الموحدين هو فريضةٌ وركنٌ من أركان الدين، والكذب على عالم السواد هو أيضاً فريضةٌ وركنٌ من أركان الدين. ودعوة التوحيد تعتمدُ على السُّدُقِ بين أنصارها كأعظم ركنٍ لها، وعلى الكذب على الغير كأعظم وسيلةٍ للوصول إلى أهدافها.

ثم إنَّ التَّقِيَّةَ تعني صونَ الحكمة عن غير أهلها. فهو واجبٌ فرضٌ لا مجال للمهادنة فيه. بل من يكشفُ الحكمةَ على غير مستحقيها قد يتعرَّضُ للهلاك. فالموحدون «مطالبون بما اجترحوه من الألفاظ، ومسئولون عما انتهكوه لهم من الألفاظ»<sup>٢</sup>. تقول الحكمة: «اقبلوا الحكمة يا أهل الحكمة، وأديموا المواظبةَ على حفظها وصيانتها عن غير أهلها»<sup>٣</sup>. بل إن الحكمة تخاطبُ كلَّ موحدٍ بقولها: «إنَّ أخفيتَها عمَّن أنستَ منه هدىً إلى التوحيد هَلَكْتَ وهَبَلْتَ، وإنَّ أذعتها بالتشردِّ إلى غيرهم قُتِلْتَ»<sup>٤</sup>، «ولعنةُ الباري على من قرأها بين يدي شاكِّ فيها أو مخالفٍ لها، أو أذاعها إلى غير أهلها»<sup>٥</sup>. «وأيضاً من أشهر شئناً من هذه الأسرار فليقتل جهاراً قدام كافة الموحدين، ولا يُرحم، وكان خارجاً من جملة الموحدين داخلًا في عدد الكافرين. وعليكم في دفن هذه الأسرار تحت الجدار»<sup>٦</sup>.



أما الأسباب التي أدت بالدروز إلى التقية والتستر فهي، كما يصرح بها عبد الله النجار، «صيانةً لأنفسهم من الاضطهاد، ووقايةً لها من العدوان»<sup>٧</sup>. وربما تبين للقارئ، من خلال بحثنا هذا، صوابية هذا السبب. فلن نعود إليه الآن. بيد أن الدكتور سامي نسيب مكارم، والسيدان كمال جنبلاط وبايازيد لا يريدون مثل هذه الأسباب.

أما السيد كمال جنبلاط فيردُّ التقية إلى عدم توفر الأهلية الروحية والاستحقاق الخلفي عند عامة الناس. يقول: «... الاحتراز ما أمكن فيما يتوجب أن يبقى سرّاً مكتنزاً لا تتداوله أيدي عامة الناس، ممن لا تتفتح أفهامهم وأدواقهم لمعناه، ولا تتوفر فيهم شروط الأهلية

<sup>١</sup> الجزء الأول من السبعة أجزاء ٤١ / ٣١٣ - ٣١٤.

<sup>٢</sup> رسالة الجمهيرية ٥٠ / ٣٦٨.

<sup>٣</sup> رسالة الرشد والهداية ٣٩ / ٢٨٦. انظر: ٣٣ / ٢٤٤...

<sup>٤</sup> رسالة التنبيه والتأنيب والتوبيخ والتوقيف ٤٢ / ٣٣٦.

<sup>٥</sup> رسالة البنات الكبيرة ٨٣ / ٧٤٨.

<sup>٦</sup> انظر مخطوط ٢٣١ المكتبة الوطنية بباريس، ورقة ١٧ أ و ب.

<sup>٧</sup> مذهب الموحدين الدروز، ط ٢، ص ١٨.

الروحية والاستحقاق الخلقي، ولا يرغبون، بجديّة وإخلاص، بالانخراط في مسالك هذا العرفان»<sup>١</sup>.

وحجّته على وجوبها وضرورتها ما جرى على لسان الصوفيين. فهو ينقل إلينا قول ابن عربي الشاعر الصوفي:

فَافْهَمَ فَدَيْتُكَ سِرّاً اللهُ فِيكَ، وَلَا تُظْهِرُهُ فَهُوَ مِنَ الْإِعْيَارِ مَكْنُونُ  
وَعَرُّ عَلَيْهِ وَصْنُهُ مَا حَيَّبَتْ بِهِ فَالْسِرِّ مَيِّتٌ بِقَلْبِ الْحَرِّ مَدْفُونُ.

ويقول: «إن السببَ الجوهرى لمثل هذه السريّة ليس هو النقية بمعنى الخشية، بل الصفة الملائمة لهذا العرفان ذاته الذي هو محض اختبار»<sup>٢</sup>. وينقل إلينا حذرَ الكتب المقدسة في ذلك فيقول: «تُحَظَّرُ الكُتُبُ المقدسةُ على الصديقين الروحانيين أن يتحدثوا عن الحقيقة كما هي... لأن الحقيقة تتأذى من جرّاء ذلك وتنتسوه. لأنّ الافراد... إذ ذاك، يباشرون الهزء بالحقيقة ذاتها؛ وهذا الهزء يجرّهم إلى التهلكة. فيجب أن نتجنب مثل هذه الكارثة مهما كلفنا الأمر»<sup>٣</sup>.

بيد أن السيد جنبلاط يرغب في أن تظهر محاولات لنشر بعض ما يُمكن نشره من كتب، وذلك «على يد بعض الأمناء الروحانيين... وما يأذن به الموحّدون العقل»<sup>٤</sup>.

ثم يعود السيد جنبلاط لينأرجح بين السريّة الواجبة وبين وجوب تجنب عزلة فكرية فيما بين المشايخ وعامة الناس، فيقول: «وكيف يتسنّى لمن لا يعرف شيئاً عن مبادئ دينه العامة أن يسترشد به، وأن ينطبع بقلبه، وأن يتشخص في صورته، وأن ينتسب روحياً، وحتى اجتماعياً إليه، دون أن يتجاوز أحد، في كل حال، حدّ ما لا يحقُّ كشفه إلا للمتعبدين الصديقين والصالحين المحترزين أي للمريدين»<sup>٥</sup>.

أمّا الدكتور سامي نسيب مكارم فلا يتعدّد، في ردّه على السفير النجار، عن السيد كمال جنبلاط. فهو يعتبر أن «كشف أسرار الحقيقة الأخيرة للوجود يعرضها إلى ضروب من التأويل والتحريف وإساءة الفهم من جانب الذين يجهلون هذه المسالك العرفانية. وهذا، حسب

<sup>١</sup> كمال جنبلاط في مقدّمة كتاب «أضواء على مسالك التوحيد»، ص ٧.

<sup>٢</sup> نفس المرجع، ص ١١.

<sup>٣</sup> نفس المرجع، ص ١٦.

<sup>٤</sup> نفس المرجع، ص ٩.

<sup>٥</sup> نفس المرجع، ص ٩ - ١٠.



معتقد التوحيد، يكون أسوأ بكثير من ابقاء هذا المسلك على سرّيته، كما أنّ أحداً لا يستفيد من هذا الكشف، كما يقول الدروز، إلا إذا كان قد سلك هذا المسلك العرفاني وعاش فيه وشعر به واختبره»<sup>١</sup>.

ويعتبر الدكتور «أنّ صيانة الحقائق في مسلك التوحيد هي أصل وأسس رئيسي، لا نهج طارئ»<sup>٢</sup>، أي «إنّ السريّة هي بالأصل عقيدة أساسية في مسلك التوحيد»<sup>٣</sup>. «لذلك كانت هذه الصيانة، في قصدها الأول والأصيل وقاية للعامة من الناس الذين لا يقوون على هذا المرتقى الجليل في معراج التوحيد، فتكون أذى لهم وفساداً للظاهر الذي به يؤمنون؛ وهكذا يندفعون، لما اختلط في نفوسهم وأشكل عليهم من حقيقة التوحيد والعرفان، إلى ابداء رجاله ومريديه، وإلى سوء فهم هذه الحقيقة. فالتقيّة، إذن، حسب مسالك العرفان، وقاية للحقيقة، وللمستضيئين بهديها، ولمن لا يستطيعون إدراكها»<sup>٤</sup>.

ويلخص لنا السيّد بايزيد أسباب وجوب التقيّة ومصادرها بما يلي:

«أولاً: إنّ عامّة الناس لا يهتمون، عادة، فيما يعود لحقائق الوجود الأخير، ولا يجذبهم هذا الاستعلاء في معراج معرفة البشرية والألوهية، ولا تستهويهم هذه التجربة في مجال الانفتاح على أسرار هذا الوجود...»

«ثانياً: لأنّ مسلك العرفان، في كل شريعة وفي كل بلد وفي كلّ دين، عبر العصور، يتباين، من حيث الانطلاق والاعتماد، مع نهج الشريعة المعروف. فالأول يعتمد المعرفة والكشف الأخير عنها، والثاني يعتمد الإيمان... ومن لم يصحّ له الارتقاء إلى مرتبة المعرفة فيجب أن يبقى في حمى الإيمان...»

«ثالثاً: لقد اتفق الجميع، منذ أقدم العصور، على ابقاء هذه المسالك العرفانية بعيدة عن نظر الجهلة والمتطفلين، وحتى عن العلماء - في المعنى الزمني للكلمة - والمتفهمين، خوفاً من تشويهها وضياع حرمتها، وانكشاف معانيها ودلالاتها على غير جدوى لمن لم تتحرك به نساءم الروح في طلب هديها...»<sup>٥</sup>.

ويتفق السيّد بايزيد مع الدكتور مكارم والسيّد جنبلاط في الردّ على السفير النجار، إذ يقول بأنّ «أول ما يؤخذ على مؤلّف كتاب «مذهب الدروز والتوحيد» الأستاذ عبد الله النجار،

<sup>١</sup> أضواء على مسلك التوحيد «الدروز»، ص ٩٦.

<sup>٢</sup> نفس المرجع.

<sup>٣</sup> نفس المرجع.

<sup>٤</sup> نفس المرجع، ص ٩٧. انظر أيضاً ص ١١٩ - ١٢٠.

<sup>٥</sup> بايزيد في «توطئة» على كتاب «أضواء على مسلك التوحيد»، ص ٦٤...

إنه لم يدرك أنّ السريّة في مسلك التوحيد هي نهجٌ أساسيٌّ ومسلكٌ عرفانيٌّ أصيلٌ، وليست تقيّة في المعنى والقصد العادي الشائع للاتّقاء والاستتار من المكروه ومجانبة الانتقاد<sup>١</sup>.



هؤلاء الثلاثة من الدروز المستتيرين يتفقون، على ما يبدو، على أنّ الحقيقة تتأدّى من شيوعها، لذلك فُرِضَتْ عليها التقيّة، وضُرِبَ حولها حصارٌ منيعٌ لكي لا تتكشفَ على عامّة الناس. ولكننا نسألُ بكل بساطة ووضوح: هل هذا هو معنى «التقيّة» في «الحكمة»؟ ثم هل الاطلاع على أسرار الحكمة يزيد غناها أم يفقرها؟

لنا على هذين السؤالين جوابان:

نجيب على الأوّل من شروحات الحكمة نفسها.

ونجيب على الثاني من مفهوم السرِّ بمعناه الديني اللاهوتي.

اسمع:

على السؤال الأوّل يجيب «الأمير السيّد جمال الدين التتوخي»، في شرحه لـ«ميثاق وليّ الزمان» بما يلي:

«تجب المساترة على كل أحد من أهل التوحيد، كما قال (قائم الزمان) «والاستتار بالمألوف عند أهله»<sup>٢</sup>، وقال: «وكذلك أيّ رجل عرف باطن ثوبه ولبسه – وهو التقيّة والسترّة وإقامة الشريعة مع أهلها واللفظ بهم – ثم إنه ينزع ثوبه وسرّباله ويرميها ويمشي في الأسواق عرياناً قيل إنه مجنوناً (هكذا) وقد خرج من المروّة»<sup>٣</sup>. فمع هذا الكلام والأمر بالمساترة لا يحلّ لأحد يتمسك بدين التوحيد إنه يهمل المساترة، بل يجب عليه إنّه يعرف موجبات الصلاة والوضوء ونواقضه، ويقرأ ما تيسّر من القرآن قراءة صحيحة على شيخ، وإن كان ذو يسر فيزكّي عن ماله لمستحقّه، ويعرف أمر الصيام ومفطراته، بحيث لا ينكشف عند الشرائع أمر دين التوحيد حتى ولو وخرّ (أخر) الإنسان بعض رسائل الحكمة بلا حفظ، ويحفظ عوض ذلك ما يقيم به للمساترة، كان ذلك واجباً، لأنّ الإنسان، إذا غرس بستاناً ولم

<sup>١</sup> نفس المرجع، ص ٦٥.

<sup>٢</sup> ما وضع بين مزدوجين: «...» هو من كلام «الحكمة» الذي نعيّنه في مكانه من الرسائل. انظر ٣٣ / ٢٤٤.

<sup>٣</sup> انظر رسالة الردّ على النصيري ١٥ / ١٦٨. يفسرها النجار بأنّها دلالة على «ممارسة الفرائض القرآنية»، ص ٢١٥ من كتابه، ط ٢.

يصنّه بشيء لم يسلم أبداً، وإذا غرسه ثم نقص بعض غرسه، وجعل عوض ذلك النقص حاجزاً يصونه، كان ذلك أقرب لسلامته، وأنتج فيه،

وكذلك مذهب التوحيد ما يصحّ لأحد صحة كاملة إلا بالاستتار. والاستتار بالمألوف هو إن كان المحقّ (الموحّد) ساكن (هكذا) بين أهل الظاهر التنزيلية فيتسائر بمذهبهم من صلاة وصيام وحجّ وتقدير أبو بكر وعمر وعثمان على عليّ ابن أبي طالب وغير ذلك، وإن كان ساكن بين التأويليّة في بلاد غالب عليه الشيعة فيتسائر بمذهب التأويل ويتزيّا (هكذا) بزّيهم ويقدم عليّ ابن أبي طالب على الصحابة كلّهم ويسبّ أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة ويكون موافقهم في دينهم في ظاهر أمره، وإن كان بين النصارى فيتزيّا بزّيهم. وهذا الحال رحمة من الله على أهل التوحيد أن يكون توحيدهم في قلوبهم، ويتزيّا بزّي كلّ طائفة في ظاهرهم.

ولهذا مثال: إن المرأة لولا طمسُ جهته الواحدة لكان الذي ينظر فيه يخرقه بصره، ولم تنطبغ فيه صورة وجهه، ولما جعل على جهته الواحدة شيئاً (هكذا) حُجِبَ به نظر الناظر ومنعه من أن يخرقه، فانعكس البصر وانطبعت في المرأة صورة الناظر،

وهكذا دين التوحيد لا يصحّ ولا يكمل إلا بالمساترة، كما لا يصحّ للناظر في المرأة أن يرى وجهه فيه إلا بطمسِ الجهة الأخرى<sup>١</sup>.

وفي مخطوط آخر للأمير السيّد يقول بوضوح: «يجوز النظر إلى الأشرار وتبجيلهم مصانعةً ومداراةً لمجرى الزمان»<sup>٢</sup>. ويحقّ للموحّد أن يقضي «حاجةً ظالمٍ لضرورةٍ تُوجبُ مداراةً ومصانعةً»<sup>٣</sup>. بل إن «من أهمل المساترة دخل في الزنا، ومن سلّم الحكمة إلى غير أهلها دخل في الزنا»<sup>٤</sup>. بل إن بهاء الدين المقتنى قد أوجب على الموحدين سبّه ولعنّهم إياه إن رأوا أنفسهم في خطرٍ دايم، فيقول: «من وقعت به منكم محنةٌ وطلبَ منكم سبُّ هذا العبد فتبرأوا منه وسبّوه، وإن طلبَ منكم لعنته فالعنوه، هذا عند الأضرار (أي الضرر) والله العالم بما تظهروه وتكتموه»<sup>٥</sup>.

ويبدو أن فخر الدين المعني الثاني كان يعرف هذا المعنى الدرزي للنقيّة، وقد أوضح لترجمانه في تسكانا عن تصرّفات الدروز حيال النصارى بقوله: «وعصبتنا جميعهم يمدحون كل إنسانٍ مسيحيٍ يجالسونه، وقدّام الكهنة والرهبان ساكن بلادنا، الذين هم محمودو السيرة والمعارف والفضيلة عندنا وعند كل من بني جنسنا، ولكن بالجهر والاعلان فقط، ليس بالقلب

<sup>١</sup> مخطوط ١٤٣٦ في شرح ميثاق ولي الزمان، ورقة ٢٥ أ - ٢٧ أ.

<sup>٢</sup> مخطوط ١٤٣٨ في معنى الجوارح السبعة، ورقة ٢٠ ب.

<sup>٣</sup> نفس المرجع، ورقة ٢٨ أ.

<sup>٤</sup> مخطوط ١٤٤١ في «ذكر معرفة الشرور السبعة»، ورقة ١ أ.

<sup>٥</sup> منشور الغيبة ١١١ / ٨٤٢. وهو آخر كلام قاله بهاء الدين.

والباطن، لأن الدروزَ جميعاً في السرِّ والباطن وفي خفيةٍ يذمّون سائرَ الرهبانِ والمسيحيينِ ويستخفّونَ بالإنجيلِ، ويُنكرونَ شجاعةَ الشهداء»<sup>١</sup>.

وقد لمس ذلك الكابتن «كاربييه حاكمُ جبل الدروز، وقال عن السلطان باشا الأطرش بأنه «متأثرٌ بديانتهِ الخاصةِ التي تجعلُ من الكذبِ عقيدةً حقيقيّةً، ومن الحلفانِ بالباطلِ فرضاً»<sup>٢</sup>.

لقد مارس الدروز، عبر تاريخهم، هذه «المساترة»، ونفّذوها، في حياتهم السياسيّة وفي معاملاتهم مع جيرانهم، خيرَ تنفيذٍ. ولن تبرحَ عن البالِ تصرّقاتُ الشيخ سعيد جنبلاط مع مسيحي دير القمر في حوادث سنة ١٨٦٠، وقد يجهل ذلك المؤرّخون المعتمدون على مصادرِ السفاراتِ الغربية لهذه الفترة، فيما المصادرُ الروسيّة تؤكّد لنا ما يلي:

«وكان المشرف على نشاطِ الارستقراطيةِ الدرزيّة هو الشيخُ سعيد جنبلاط، الذي يُعتبرُ دعامةً للنفوذِ الإنكليزي في لبنان. فقد كان يعقدُ اجتماعاتٍ سرّيّةً للارستقراطيةِ الدرزيّة في مقرّه في المختارة ويمسك بيده جميعَ خيوطِ المؤامرةِ الدرزيّة. وينبغي الافتراضُ أن القنصلَ العامِ الإنكليزي كان على علمٍ بنشاطِ الأعيانِ الدروز. فقبيل وقوعِ الاصطداماتِ بين الدروز والموارنة أخذَ الشيخُ سعيدُ جنبلاط يسألُ القنصلَ العامِ الإنكليزي (مور) كيف ينبغي عليه أن يتصرّفَ في الوضعِ القائم. وقد نصحه القنصلُ نصيحةً لا تحتلُ التأويل، وهي عدمُ القيامِ بأعمالٍ سافرةٍ كي لا يفضحَ نفسه. وقد نفّذَ الشيخُ هذه النصيحةَ بدقّةٍ: فامتنع عن المشاركةِ في العمليّاتِ الحربيّة، وحتى أنه أرسلَ أغذيةً إلى دير القمر التي كانت محاصرةً من قِبَلِ الدروز وخبأ عنده بعضَ المسيحيين<sup>٣</sup>. وكان يقودُ سرّاً جميعَ العمليّاتِ الحربيّةِ ضدّ المسيحيين<sup>٤</sup>.



أمّا جوابنا على السؤالِ الثاني: «هل الاطلاع على أسرار الحكمة يزيد في غناها أم يفقرها؟» فهو من مفهوم السرِّ بمعناه الديني واللاهوتي والإنساني. وهذا ما شجّعنا للخوض في

<sup>١</sup> مخطوط ٢٣١، ورقة ٦٣ ب - ٦٤ أ.

<sup>٢</sup> Sultan Pacha El Atrach "est influencé par sa propre religion qui a fait du mensonge envers l'étranger un véritable dogme, et du faux serment une obligation". Carbillet, Au Djebel Druze; Ed.Argo, Paris 1929, p. 64-65.

<sup>٣</sup> أرشيف سياسة روسيا الخارجيّة، «السفارة في القسطنطينية».

<sup>٤</sup> أ. سميليانسكايا، «الحركات الفلاحية في لبنان»، النصف الأول من القرن التاسع عشر، تعريب عدنان جاموس، دار الجماهير بدمشق ودار الفارابي ببيروت، سنة ١٩٧٢، ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

مناهاث أَلغاز الحكمة الدرزية، وأراح ارتباك ضميرنا في إعلان ما لا يجب إعلانه، وفي الحفاظ على كرامة أهل الحكمة، وفي سعينا نحو الخير.

إن السرّ في جوهره وحقيقته مجموعة عقائد ومعارف تكشف خفاياها فتبدو لك خفايا أخرى. وكلّما عالجتَ مظهرًا منها بانتَ لك مظاهرٌ أخرى. فالسرّ، في تحديده وفي مفهومه الديني، غنيٌّ لا يفتقر. وكلّما عالجتَه وتهتَ في ثناياه، زدته غنى، وزادك من غناه. وليس ككتمانِه ما يُفقر معناه، ويحدّ من أبعاده. وغنى السرّ أوجب الوحي، بنوع إنّه لا قيمة للوحي ولا فائدة منه للإنسان إن لم يُنط مباشرة بإعلان سرّ الله، أو سرّ الخلاص، أو أيضاً «سرّ الحكمة».

أيّ حكمة في قول أصحاب الحكمة هذا: «أنتم ترونهم من حيث لا يرونكم. أنتم بما في أيديهم عارفون، وهم عمّا في أيديكم غافلون، وعمّا اقتبستموه من نور الحكمة محجوبون. لقد أخرسوا ونطقتم، وأبكموا وسمعتهم، وعموا وأبصرتهم، وجهلوا وعرفتم<sup>١</sup>. هل هي بالفعل حكمة أن يكون أصحاب الحكمة مغلقين على غيرهم، ويُريدون غيرهم أن يكونوا مُفتحين عليهم!!! هل هي حكمة أن تستنير بنور الناس، وتبادلهم من عندك الظلمة!!! تربأ الحكمة بأصحابها أن يمنعوها عن سائر البشر، ويوصدوا عليها الأبواب، ويحجزوها في جهلهم.

من شأن الحكمة أن تضع الحكمة نفسها في خدمة الجميع ولصالح الجميع، لا أن تقتصر على قسمٍ منهم وتمنع القسم الآخر من خيرها العميم. ومن واجبها أيضاً أن تدعو الجميع إليها وتصنع منهم كلّهم أهلها ومستحقيها، لا أن تتبنّى بعضهم وترذل بعضهم الآخر. والكلّ يمكنهم، إذا ما توفرت لهم الحكمة، أن يكونوا من أهلها؛ لأنّ الله، منذ كان، أراد الخلاص لجميع الناس. فإنّ جازت الطبقية بين البشر بالنسبة إلى معطيات الدنيا، فإنّها لا تجوز مطلقاً بالنسبة إلى الخلاص. ومن منع عن الإنسان خلاصه تعمّد الشرّ في ذاته.

فضيلة إعلان السرّ تعادل فضيلة كتمانِه، وقد يكون إعلانُه أقلّ شراً من كتمانِه، لأنّ الخير العام هو في أن يعرف الناس سرّ خلاصهم، وأن يتبادلوا هذه المعرفة، ويتفاهموا على حلّ أَلغازها، ويحطموا الحواجز والعوائق فيما بينهم...

إننا نريد معالجة كل سرّ، في السماء كان أم على الأرض، في قلوب الناس أم في طيات الكتب، فإمّا تنهارُ قدسيّته، فيفتقر؛ وإمّا يصمدُ عند ولوجنا فيه فيؤيدنا من غناه. وليس لأحد أن يحيط «الكتاب» بهالة من القدسية والحرمة لا تُتال، فيما هو يطعنُ قدسيّة الإنسان الذي لأجله وجدت الحكمة ووجد الكتابُ والوحيُ والخلاصُ.

<sup>١</sup> رسالة التحذير والتنبيه ٣٣ / ٢٤٤.

إنه واجب ملّح على أخواننا بني معروف أن يفتحوا أبواب دعوة التوحيد لجميع الناس، مهما كلفهم الأمر، ومهما كانت النتيجة. هو خيرٌ لهم إن أرادوا البقاء أن ينزلوا إلى مستوى الإنسان ليرفعوا إليهم كل إنسان يستميت في سبيل نيل الحكمة والخلص. فلئن جازت الأثانية في شيء على أرضنا، فإنها لن تجوزَ مطلقاً فيما يخصُّ سعادة البشر في الله. وسؤالُ الجاهل للعاقل: «لماذا أوصانا حمزة بن علي أن نخفي الحكمة ولا نكشفها؟ وجوابُ العاقل: لأنه فيها أسرار مولانا وعلومه فلا يجب أن نكشفها لأحد كونها خلاصُ النفوس وحياة الأرواح»<sup>١</sup> باطلٌ من أساسه وشدوذٌ للعقل في تقديرِ رحمة الله.



بقي علينا الجوابُ على سؤال عامة الناس لنا: هل يعرفُ الدرّوزُ كل هذا الذي قلناه عنهم؟ وهل لجميعهم نفسُ الموقفِ العدائي من سائر الأديان والمذاهب؟ أليسَ قلةٌ ضئيلةٌ من المشايخ يعرفون ذلك والسوادُ الأعظم منهم يجهلونه أو ينكرونه؟ ألم يغيّر العلماء والمفكّرون بينهم موقفهم هذا؟ أليسَ للعلم اليومَ وللتربية المدنية وللأنظمة الاجتماعية وللحقوق الإنسانية وللحضارة الحديثة أيُّ تأثيرٍ في توجيه كافة الناس نحو بناء مجتمعٍ بشريٍّ أفضل، تسودُ فيه العدالة والمساواة والإخوة، وفيه يتبارى الناسُ بقبول بعضهم بعضاً بروح من التسامح بناءً؟!

نقول إنَّ المناخَ التربوي العامّ الذي يعيشُ فيه الدرزي يُفرضُ عليه التجمّل بصفاته ومناقبيته، فالطفل الذي يرى أباه نصرانياً مع النصاري ومسلماً مع المسلمين ينشأ مثله دون أن يكونَ عنده رادعٌ من ضميرٍ أو من واجب. وإنَّ التاريخَ الذي يحملُ الإنسانُ عبءَ أحداثه على كتفيه يحتمُّ عليه الحفاظَ على قدسيته، إذ ليسَ من السهلِ على الإنسانِ العادي أن يحكمَ بالضلالِ على أجداده وأبائه وتراثه الديني والاجتماعي. ومن كان له جرأةٌ في تركِ ماضيه هانَ عليه أثرُ العلم والحضارة. لكنَّ ذلكَ أشبهُ بالانتحارِ الذي لا يقوى عليه إلا أبطالُ قلائلٍ من البشر... ثمَّ إنَّ الظلمَ الذي لحقَ بالموحدين، منذ نشأتهم، يتفاعلُ في نفوسهم ويكبرُ شره ويتعاطمُ من جيلٍ إلى جيل، حتى إنَّ الذين أنارهم العلمُ وعوا جسامته أكثرَ من سواهم...

وكل هذا ارتفع في الدرزية على مستوى الدين، وعلمته «الحكمة» كأنه حقيقةٌ موحاة. ومتى تسلّم الدينُ عقولَ البشر واستأثرت بعواطفهم أصبحَ له عليهم حقٌّ كيانهم ووجودهم وخلصهم واستعلائهم على كافة العالمين. إنَّ حكمَ الدين مُبرم، والجهادُ بسبيله ينمو في عُصيّات الدماء، وتظهرُ فاعليتها عند خطر مدهم، فيغدو الإنسانُ مُسيراً بقوافل من الآباء

<sup>١</sup> مخطوط ٥١٨٨ في تعليم الديانة الدرزية، سؤال ١٠١.

القديسين تزحفُ عليه جيوشاً من أجدائهم المُبعثرة في نواحي الأرض، وتدفعُه بعنفٍ غيرِ واعٍ من تاريخٍ يحملُ حقائقَ نامتٍ واستفاقتُ.

هذا اللاوعي المتطايرُ من الماضي البعيد يفعلُ في النفوس الغاشمة فعلَ سحرٍ مقدّسٍ كلُّ شيءٍ فيه يوقظُها من رقدتها. ولن يستطيعَ علمٌ أو حضارةٌ أو ثقافةٌ مهما تعاضمَ شأنُه أن يقفَ حائلاً دون هجمته المسعورة. لن يمنعَ العلمُ انفعالاً استقرَّ في التاريخ ينتظرُ يومَ يقظته العجيب. لن يصمدَ كلُّ المستقبلِ أمامَ يومٍ واحدٍ من تاريخٍ عبّر.

قد يسهلُ على الإنسان الفرد التخلّصُ من عادات استحكمتُ به أكثر من تقاليدٍ يرتاحُ إليها ولو كانتُ لا تنسجم مع الحياة المستجدة.



## ثالثاً - استعمال الرموز والتأويل

قد لا تكون التفتية كافيةً لكتمان سرِّ الدرزية وكتبها، وقد تقعُ «الحكمة» بين يدي أناسٍ لا يستحقونها، فلا بدَّ لها، إذن، من صيانةٍ أخرى، ومن حصنٍ منيعٍ تختبئُ وراءه. فكانت «الرموز» وقاءً آخر، وحمايةً أخرى، يتقي بها الدروزُ شرَّ «الأضداد». وهكذا أنت ترى لحروف الأبدية رموزاً، وللأعداد رموزاً، وللألوان رموزاً، ولبعض الكلمات رموزاً، ولآيات القرآن والإنجيل رموزاً، ومعان، ومدلولات، وتفسير... لا يفكها إلا المتبحرون في الحكمة، ولا يفقه معانيها إلا مشايخُ العقل المستنيرين.

وقد وفقنا الله ببعض شروحات الأمير السيد لـ «رسائل الحكمة»، وبـ «كتاب الدرر المضية واللمع النورانية في تلخيص ألفاظ الحكمة الشريفة ومعانيها الروحانية»، وبـ «كتاب المناظرات وبهجة المذاكرات وكاشف الاختلافات في مواقع الأسماء والصفات»، وبكتاب «النقط والدوائر»، و «مختصر البيان في مجرى الزمان»، وغيرها من الكتب التي تراها في حواشي الصفحات، والتي عليها اعتمدنا في فكِّ الرموز والألغاز.

ولولا تزوُّدنا بمعظم المخطوطات، التي بذلنا في اقتناصها كل نفيس، لما تجرأنا على الإقدام في وضع هذا البحث الوضع. ولولا تأملاتنا المتواصلة في «الحكمة» وجهودنا الكبيرة في سبيلها لكنّا مهاترين.

وقد لا نقف عند فكِّ كل الرموز والألغاز ومعاني الحروف والألوان والآيات القرآنية، لأنَّ ذلك أمرٌ مضنك للقارئ، بل نأخذ من كل ذلك عيّنات وأمثلة، ونختصرُ قدرَ المستطاع رحمةً بأعصاب القارئ وشفقةً على الحكمة نفسها.

وقد لا يكونُ الكلام بالرموز والأمثال من خصائص الحكمة الدرزية وحدها، فالقرآن والإنجيل تكلمّا بالأمثال والآيات المتشابهات التي لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم<sup>١</sup>. يقول الله في كتابه الكريم: «وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون»<sup>٢</sup>، و «كذلك يضرب الله الأمثال»<sup>٣</sup> الخ<sup>٤</sup>. ويقول الإنجيل عن المسيح: «وهذا كلّ قاله يسوع للجُموع بالأمثال، وبغير الأمثال لم يكن يكلمهم»<sup>٥</sup>...

<sup>١</sup> سورة آل عمران ٣ / ٧.

<sup>٢</sup> العنكبوت ٢٩ / ٤٣.

<sup>٣</sup> الرعد ١٣ / ١٧.

<sup>٤</sup> انظر: ١٦ / ٧٥، ٣٩ / ٢٩، ٦٦ / ١٠، ٢ / ٢٦٤، ٤٨ / ٢٩، ١٤ / ٤٥، ٢٤ / ٣٥ ... الخ.

<sup>٥</sup> انجيل متى ١٣ / ٣٤.



ولكن ما سُمِّي في القرآن والإنجيل «أمثالاً»، سُمِّي في الدرزية «رموزاً». والمدلول واحد. بينما المقصود يختلف، بل يتناقض تماماً. فالأمثال في القرآن والإنجيل كانت لأجل إعلان ما كان خفياً، فيقول الإنجيل نقلاً عن سفر المزامير<sup>١</sup>: «أنطقُ بالأمثال، وأُعلنُ ما كان خفياً منذ إنشاء العالم»<sup>٢</sup>، ويقول القرآن: «ويضربُ اللهُ الأمثالَ للناس لعلَّهم يتذكَّرون»<sup>٣</sup>، «وتلك الأمثال نضربها للناس لعلَّهم يتفكَّرون»<sup>٤</sup>؛ أمَّا الرموز في الحكمة الدرزية فهي لأجل التمويه والتخفي والتستر...

## ١ - رموز بعض آيات من القرآن:

نعجز عن سرد ثبت لجميع آيات القرآن التي يفسرها الدروز بحسب ما يوافق عقيدتهم، بل إنَّ جميعها ترمز إليها وتقعُ على قائم الزمان: «جميعُ ما في القرآن والصحف، وما نزلَه (الله) على قلبي (قلب حمزة) من البيان والأسماء الرفيعة، فهو يقع على عبده الإمام»<sup>٥</sup>. لذلك سنعرض بعضها وأهم ما في بعضها:

### (١) «بسم الله الرحمن الرحيم»:

مهما اجتهدت في التأويل والاجتهاد لهذه الركيزة الإيمانية عند المسلمين لن تستطيع فهم مقصود الدروز فيها. فهم يتلونُها كالمسلمين، ولكنهم يفهمون فيها ما لا يخطر ببال: فهم يقولون مثلاً: «بسم الله الرحمن الرحيم دعاء عبده الإمام»<sup>٦</sup>، ويقولون: «بسم الله الرحمن الرحيم حدود قائم الدين»<sup>٧</sup>، ويقولون: «بسم الله الرحمن الرحيم صفات عبده الإمام»<sup>٨</sup>،

<sup>١</sup> مزمور ٧٧ / ٢.

<sup>٢</sup> انجيل متى ١٣ / ٣٥.

<sup>٣</sup> ابراهيم ١٤ / ٢٥.

<sup>٤</sup> الحشر ٥٦ / ٢١.

<sup>٥</sup> رسالة سبب الأسباب ١٤ / ١٥٩.

<sup>٦</sup> رسالة التنزيه إلى جماعة الموحدين ١٧ / ١٨٥. رسالة التنزيه إلى جماعة الموحدين ١٧ / ١٨٥.

<sup>٧</sup> انظر: ٦٣٦ / ٧٣، ٨٠٣ / ١٠٢، ٨٠٨ / ١٠٣، ٨٠٤ / ١٠٤، ٨١١ / ١٠٩، ٨٣٣ / ١١٠، ٨٣٧ / ١١٠، ٨٤١ / ١١١، وأيضاً:

٢٠٢ / ١٩.

الإمام<sup>١</sup>، و «حروف بسم الله الرحمن الرحيم حدود عبده الإمام»<sup>٢</sup>، و «وصفات العلة بسم الله الرحمن الرحيم»<sup>٣</sup>...

وتفسير ذلك أن «بسم الله» سبعة أحرف، دليل على سبعة دعاء أصحاب الأقاليم السبعة<sup>٤</sup> وسبعة أفلاك، وسبعة أيام الأسبوع، وغير ذلك... و «الرحمن الرحيم» اثنا عشر حرفاً، دليل على اثني عشر داعياً أصحاب الاثني عشر جزيرة<sup>٥</sup> واثني عشر برحاً... والحروف جميعها التسعة عشر (٧ + ١٢) دليل على الدعاء التسعة عشر، الذين هم دعاء قائم الزمان حمزة الذي أرسلهم في أقاليم المملكة الفاطمية لثبّت دعوة التوحيد. وهؤلاء الدعاء هم بمثابة «صفات» حمزة، من قول «الحكمة»: «هذا داعي فلان ومن أصحاب فلان، فصاروا صفاته بهذا السبب»<sup>٦</sup>. وصفات الإمام هم أيضاً «حدوده» لأنهم «مشخصون في وقتنا هذا»<sup>٧</sup> بذوات جسمانية، لأن كل صفة يتولاها حدّ من هؤلاء الحدود.

## (٢) «لا إله إلا الله / محمد رسول الله»:

\* «لا إله إلا الله»: كلمتان، وأربعة فصول، وسبعة مقاطع، واثنا عشر حرفاً. الكلمتان دليل على العقل والنفس، والفصول الأربعة دليل على الحدود الأربعة، والمقاطع السبعة دليل على النطقاء السبعة: آدم، نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد، محمد (بن إسماعيل)، وعلى الأوصياء السبعة: شيت، سام، إسماعيل، يوشع، شمعون، عليّ (بن أبي طالب)، عبد الله (القدّاح)، ودليل على الأيام السبعة، والسموات السبع، والأرضين السبع، والجبال السبعة، والأفلاك السبعة؛ والاثنا عشر حرفاً دليل على اثني عشر حجة الأساسية الموزعين في الجزائر الاثني عشر، بحسب ما تقسيم الأرض عند الدروز بالنسبة إلى الدعوة<sup>٨</sup>.

\* «محمد رسول الله»: هي ثلاث كلمات، دليل على ثلاثة حدود بحسب الدعوة الاسماعيلية، وهي ستة مقاطع دليل على ستة نطقاء — ما عدا آدم الذي لم يكن له العزم ليقوم

<sup>١</sup> انظر: ١١ / ٩٧، ١٢ / ١١١.

<sup>٢</sup> انظر: ١٨ / ١٩٥، ٢١ / ٢٠٨، ٧ / ٦٤، ١٤ / ١٤٦... الخ.

<sup>٣</sup> ٢٠ / ٢٠٦، ٢٨ / ٢٢٧، ١٤ / ١٥٣، ١٥٥ / ١٦، ١٧٥... الخ.

<sup>٤</sup> رسالة سبب الأسباب ١٤ / ١٥٥.

<sup>٥</sup> نفس المرجع.

<sup>٦</sup> نفس المرجع.

<sup>٧</sup> نفس المرجع، ١٤ / ١٥٩.

<sup>٨</sup> انظر كتاب النقص الخفي ٦ / ٥٠ - ٥٢.

شريعة ظاهرة كغيره من النطقاء<sup>١</sup>، وهي اثنا عشر حرفاً دليل على اثني عشر حجّة، وكذلك السماء فيها اثنا عشر برجاً، والأرض عليها اثنا عشرة جزيرة<sup>٢</sup>.

\* والشهادتان معاً مؤلفتان من ثمانية وعشرين حرفاً، وكذلك الأفلاك السبعة: زحل، مشتري، مريخ، شمس، زهرة، عطارد، قمر، هم ثمانية وعشرون حرفاً. وكذلك أول بروج الفلك السبعة: حمل، ثور، جوزاء، سرطان، أسد، سنبله، ميزان، هم ثمانية وعشرون حرفاً. وكذلك أول شهور السنة السبعة: محرم، صفر، ربيع، جمادى، جمادى، رجب، وهم ٢٨ حرفاً. وكذلك الأيام السبعة: أحد، اثنين، ثلثا، أربعاء، خميس، جمعة، سبت، هم ٢٨ حرفاً. وكذلك النطقاء السبعة... هم ٢٨ حرفاً. وكذلك الأوصياء السبعة... هم ٢٨ حرفاً... وكلهم دليل على دعاة قائم الزمان حمزة الـ١٩ مع دعاة النفس إسماعيل التميمي الـ١٩...

فإذا كان هذا ما حدث بركني الإسلام البسملة والشهادتين، فما تراك يحدث بسائر آيات الكتاب الكريم؟! فـ«الصلاة» هي «صلة قلوبكم بتوحيد مولانا»<sup>٤</sup>، و «الزكاة هي في الحقيقة توحيد مولانا بتزكية قلوبكم»<sup>٥</sup>، «والبر هو توحيد مولانا»<sup>٦</sup>، و «الفحشاء والمنكر هما الشريعتان الظاهر والباطن»<sup>٧</sup>، و «الصوم هو صيانة قلوبكم بتوحيد مولانا»<sup>٨</sup>، «والبيت (أي الكعبة) هو توحيد مولانا»<sup>٩</sup>، و «رب البيت هو مولانا جل ذكره»<sup>١٠</sup>، و «الجوع والخوف» في سورة قريش ١٠٦ / ٤ هما الظاهر والباطن<sup>١١</sup>، و «الجهاد هو الجهد في توحيد مولانا»<sup>١٢</sup>، «والنفع والضرر» في سورة الرعد ١٣ / ١٦ — ١٨ هما الظاهر والباطن»<sup>١٣</sup>، و «الروح والريحان» في سورة آل عمران ٣ / ١٠٥ هما الإمام وتاليه»<sup>١٤</sup>، و «جنة النعيم تعني دعوة

<sup>١</sup> انظر رسالة ١٢ / ١١٧، و ٣٦ / ٢٦٣.

<sup>٢</sup> كتاب النقض الخفي ٦ / ٥٣...

<sup>٣</sup> نفس المرجع ٦ / ٥٠ - ٥٣...

<sup>٤</sup> انظر ٦ / ٥٦.

<sup>٥</sup> ٥٧ / ٦.

<sup>٦</sup> ٥٧ / ٦.

<sup>٧</sup> ٥٦ / ٦.

<sup>٨</sup> ٥٨ / ٦.

<sup>٩</sup> ٦٠ / ٦.

<sup>١٠</sup> ٦١ / ٦.

<sup>١١</sup> ٦١ / ٦.

<sup>١٢</sup> ٦١ / ٦.

<sup>١٣</sup> انظر ١٠ / ٨٤.

<sup>١٤</sup> ٨٦ / ١٠.

التوحيد<sup>١</sup>، و«سَبَّحَ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ» يعني سَبَّحَ بِاسْمِ الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ ذُو مَعَاةٍ (حمزة)<sup>٢</sup>... وهكذا<sup>٣</sup>.



## ٢ - معنى الأعداد: ٧ و ١٢ و ١٩ و ٢٨ ...

وهي دلائل صريحة على موجودات الكون وأنظمتها فأنت ترى أن العدد سبعة ٧ موجود في كل مكان: ٧ نطقاء، ٧ أوصياء، ٧ أيام، ٧ سموات، ٧ أرضون، ٧ جبال، ٧ أفلاك، ٧ أقاليم... ثم إن القرآن نزل على ٧ صنوف، ناسخ، منسوخ، محكم، متشابه، وقصص، وحكايات، وأمثال؛ وقرئ بـ ٧ أحرف... والطواف حول الكعبة ٧، وطول الإنسان بشبره ٧ أشبار، وعرضه بشبره ٧ أشبار، وفي وجه الإنسان ٧ خروق... الخ<sup>٤</sup>.

والنتيجة هي إن «كل شيء، إذا بلغ سبعة، انتهى، ووجب تغييره وحدث غيره»... ومعنى ذلك إن دور الأنبياء السبعة قد انتهى ووجب حدوث دور جديد هو دور العقل حمزة بن علي قائم الزمان...

وبهذا الوجه نستطيع أن نفسر الأعداد الباقية... ولا نرى منها الآن فائدة ترجى...



## ٣ - حروف الأبجدية:

سنعطيك منها مثلاً: «الألف والباء والتاء والناء يتشابهون بعضهم ببعض. غير أن الألف يكتب بالطول، والباء والتاء والناء تكتب بالعرض. فالألف دليل على العقل وهو الإمام (حمزة)، والألف قائم بلا نقطة فوقه ولا علامة تحته. والباء دليل على النفس (التميمي) وهي الحجة وتحته نقطة واحدة، لأن بينه وبين العقل حدًّا واحداً هو الضدّ الروحاني، فصارت نقطة

<sup>١</sup> ٨٦ / ١٠

<sup>٢</sup> ٨٦ / ١٠

<sup>٣</sup> انظر الرسائل: ٦ - ٤٠.

<sup>٤</sup> انظر كتاب النقص الخفي ٦ / ٥١ - ٥٢.

<sup>٥</sup> الجزء الأول من سبعة أجزاء ٤١ / ٣١٨.

الباء من تحت حيث عصى الضدّ أمر باريه، وناقق على إمامه وهاديه، ولو كان الضدّ طائعاً لكانت نقطة الباء من فوق... والتاء دليل على الكلمة وفوقها نقطتين دليل على الحدين اللذين هما فوقه والتاء دليل على الجناح الأيمن رابع الحدود. ونقطة دليل على الثلاث حدود الذين فوقه في المرتبة...

والجيم والحاء والحاء في الصورة شيء واحد، لكن بينهم فرق كثير في الحقيقة، لأن الجيم دليل على شريعة الناطق الظاهرة، والنقطة التي تحتها دليل على شريعة الأساس التي هي تحت الظاهر مستورة فيه. والحاء دليل على شريعة الأساس وهو التأويل، والنقطة التي فوقها دليل على شريعة الناطق التي هي عالية على شريعة الأساس. والجيم والحاء هما يمين وشمال، وهما مضلّتان والنجاة في المحجة الوسطى (أي الحاء) والحاء دليل على شريعة قائم الزمان... الخ.

وكذلك الميم والواو والراء والزاي والنون شيء واحد، لكن الميم شكلته من خلفه مدوّرة، والواو شكلته من قدامه. وهذه صورتها: **مرو** والنون يبقى على حاله لكن فوقه نقطة، والميم دليل على محمّد، والواو دليل على وصيّيه... والنون دليل على شريعة قائم الزمان، والنقطة التي فوقها دليل على ظهور قائم الزمان بالقوّة والسيف... الخ<sup>١</sup>.

#### ٤ - أغاز الحكمة:

إنّ التقيّة عند الدروز أوجبت عليهم التفاهم فيما بعضهم بعضاً بواسطة رموز وإشارات لا يفهمها عامّة الناس، ولا ينالون مقصودها. فقارئ الرسائل يقرأ مثلاً عن «الفلاحة» و «الزراعة» و «الريح والخسارة»، و «الضيعة» و «الحصص»، و «البستان وصاحب البسان»، و «الجراد» و «الكتان والقطن والأهليلج» و «الزيت والزيتون والكرم والعنب»... ويكاد لا يعرف سبب موقعها، ولا يفهم شيئاً بمقصودها... ولكنها تعني عند الدروز أشياء وأشياء، سنتوقّف عند القليل منها.

تقول الرسائل مثلاً: «وأما الكتان فهو غال، ثقيل المحمل، مضرّ بالتاجر، لكثرة مؤونته وتقله»<sup>٢</sup>، وأيضاً: «وما وصل من الكتان فحَرِّصْ على إنفاقه وقبض الثمن، وإنّ

<sup>١</sup> رسالة كشف الحقائق ١٣ / ١٤٣ - ١٤٥. انظر مخطوط ١٤٣٩ من المكتبة الوطنية بباريس، وتفسير كشف الحقائق للإمام السيّد ٧١٩...  
<sup>٢</sup> منشور رمز لأبي الخير سلامة ١٠١ / ٨٠١.

اشتربت به زيتاً من عمل فلسطين فهو أفضل»<sup>١</sup>، وأيضاً: «وما حزمناه مع أعدالِ الكتّان فليحطاطُ على بيعه من غير تضجيعٍ ولا توانٍ»<sup>٢</sup>. فـ«الكتّان» هنا «يرمز إلى الرسائل العارياة من الرمز»<sup>٣</sup>؛ و «الزيت» ممثلو حكمة السيد المسيح، أي الإنجيل، الذي يسهل حمله أكثر من الكتّان»<sup>٤</sup>.

«وأما الشُرْبُ والديبقي فهو على غاية من حسن العاقبة في حمله»<sup>٥</sup> و«الشُرْبُ» يعني الزرع النامي، والديبقي منتج زراعي في قرية مصرية ينسب إليها. «والشُرْبُ الديققي ممثلو الرسائل المرموزة»<sup>٦</sup>، أي الرسائل التي لا خطر من حملها والتنقل بها بين الأضداد، لأنها، إن وقعت في أيديهم قد لا يفهمون منها شيئاً. فهي إذن بخلاف رسائل الكتّان الذي يصعب التنقل بها.

«وأما الهليلجات والقرفة والزنجبيل وجميع البهارات فقد انقطعت السبل بتاجره، ووقع عليه المسار، فلا تذكره في شيء من المكاتبات»<sup>٧</sup>. هذه الألفاظ «هي ممثلو الرسائل العارياة من الرمز، وفيها الحقائق والمفترضات وذكر الحدود والمقامات»<sup>٨</sup>، وكل ما تقوم به العقيدة التوحيدية. ومع هذا تبقى أقلّ خطراً من رسائل الكتّان.

«وأما القطن<sup>٩</sup> فممثلو رسائل التوايخ<sup>١٠</sup> التي منع وصولها شردمة من المرتدّين الكافرين لأنهم كانوا يمسكون الطرق على رسل مولاي بهاء الدين حتى لا تصل إلى الشيوخ الموحدين، كما قال: «وأما القطن الذي قطعوا عليه التدمريّون فأمره قد فات»<sup>١١</sup>. ورسائل القطن هذه أقلّ خطراً من الكتّان والأهليلج، وأكثر صعوبة في حملها من الديققي.

وقد تكون العلامة لمعرفة الدروز بعضهم بعضاً في سؤال الجاهل للعالم: «كيف نعرف أخاننا الموحّد إذا رأيناه في الطرق، أو خطر ماراً علينا، ويقول إنه منّا؟ وجواب العالم: بعد السلام وبسط الكلام، نسأله أفي بلادكم فلاحون يزرعون حبّ الهليلج؟ فإذا أجاب نعم

<sup>١</sup> مكاتبة نصر ابن فتوح ٩٤ / ٧٨٢.

<sup>٢</sup> منشور رمز لأبي الخير سلامة ١٠١ / ٨٠١.

<sup>٣</sup> كتاب الدرر المضيّة... باب «نون» فصل «كاف».

<sup>٤</sup> نفس المرجع، باب «ت» فصل «ز».

<sup>٥</sup> رسالة ١٠١ / ٨٠١.

<sup>٦</sup> كتاب الدرر المضيّة، لفظة «ديبقي»، ص ٤٣٠.

<sup>٧</sup> رسالة ١٠١ / ٨٠١.

<sup>٨</sup> كتاب الدرر المضيّة، لفظة «بهار»، ص ١٧٦ - ١٧٧.

<sup>٩</sup> رسالة ١٠١ / ٧٩٩ - ٨٠٠.

<sup>١٠</sup> انظر رسائل: ٧٦ - ٨٢ في تويخ ابن البربرية ولاحق وسكين وسهل...

<sup>١١</sup> كتاب الدرر المضيّة، لفظة «قطن»، ص ٦٦٢.

نزرعه في قلوب المؤمنين، ثم نسأله: هل تعرف الحدود؟ فإنّ أجاب نعم، يكون لا محالة أخانا، وإلاّ فيكون غريباً عنّا»<sup>١</sup>.



بالرموز إذن يتعارف الدروز، وبالرموز يتميّزون. وعلى تفسير الرموز يجتمعون في مساجدهم، وبفهمها يكونون من المخلصين الموحّدين الطيّبين. «فانتبهوا (أيّها الموحّدون) لمواعظ النذير (بهاء الدين)، وافهموا رموزات السادق البشير (قائم الزمان)»<sup>٢</sup>. وبالرموز، أيضاً، يتخلّص الدروز من شرّ الأشرار ومحنة «الأضداد» وخطر المضطّهدين. وقد يكون العلم الحقيقي في الدرزية هو علم فكّ الرموز، كما أن العلم عند المسلمين هو «علم الكلام». وهذا هو «اللاهوت الدرزي»، إنّ جاز التعبير، في أمّه وأبيه.



---

<sup>١</sup> مخطوط ٥١٨٨ في تعليم الديانة الدرزية، سؤال ٤١.  
<sup>٢</sup> منشور إلى آل عبد الله وآل سليمان ٩٩ / ٧٩٤.

## رابعاً - سيف الانتقام والأخذ بالثأر

هناك نتيجة رابعة في مجابهة الموحدين للأضداد أصحاب المذاهب والأديان عامّة والمسلمين بنوع خاصّ، وهي ردّ إيجابي من الدروز، فيما كانت التقيّة والسريّة والرموز والصبر على المحنة وصون الحكمة ردّاً سلبياً على تلك العداوة المستشرية والمستحكمة. هذه النتيجة تقوم على قتال الموحدين للمسلمين، في زمن القوّة والمقدرة.

على الموحدين أن يقاتلوا المسلمين، لأنّ المسلمين عامّة «لا يهتدون إلاّ بالسيف»<sup>١</sup>، ولأنّ الكفر هم أئمّته وأربائه: «قاتلوا أئمّة الكفر، إنهم لا إيمانَ لهم، لعلّهم ينتهون. وهم رؤوساء الشريعة الناموسية»<sup>٢</sup>.

وكثيراً ما تبدئ «رسائل الحكمة» أو تنتهي بهذه العبارة التي تصف قائم الزمان حمزة بأنّه «هادى المستجيبين، المنتقم من المشركين والمرتدين، بسيف مولانا، سبحانه، وشدة سلطانه»<sup>٣</sup>. وقائم الزمان نفسه يعرف على نفسه بقوله: «أنا مجرد سيف التوحيد، ومهلك كلّ جبار عنيد»<sup>٤</sup>. ويحدّر «خمار بن جيش السليمانى» بأنّ يرتدع عن شرّه، قبل أن ينتقم منه بالسيف: «الحذر الحذر على نفسك ممّا أنت عليه، وانظر لروحك قبل قيامي بالسيف على جميع المشركين، وأنت أولّهم»<sup>٥</sup>.

ومن جملة وصايا حمزة لمقام الرضى قوله له بتوصية الموحدين بحمل السلاح دفاعاً عن أنفسهم وعقيدتهم، يقول: «الموحدون يحفظ بعضهم بعضاً، ولا يمشي أحدٌ منهم إلاّ ومعه شيءٌ من السلاح، وأقلّه سكين»<sup>٦</sup>.

وبهاء الدين المقتنى يذكر الموحدين بأمر من السجل المكرّم بحمل السلاح في كل مكان، وحتى في الحرم الأمين: «ألم تؤمروا في سجل مكرّم عن الأمر العالى الشريف المعظم بحمل السلاح في جميع الأماكن حزمًا... وفي الحرم الأمين، إشارة إلى إظهار التوحيد»<sup>٧</sup>.

<sup>١</sup> السيرة المستقيمة ١٢ / ١١٣.

<sup>٢</sup> رسالة التنزيه إلى جماعة الموحدين ١٧ / ١٩٠.

<sup>٣</sup> انظر: ٥ / ٤٨، ٦ / ٦٣، ٧ / ٦٨، ٩ / ٨٢، ١٠ / ٩٦، ١٢ / ١٢٩، ١٣ / ١٤٥، ١٥ / ١٧٤، ١٦ / ١٨٣،

١٧ / ١٩٤، ١٩ / ٢٠٥، - ٢٠ / ٢٠٦، ٢١ / ٢٠٨، ٢٢ / ٢١٣، ٢١٦ و ٢١٧ / ٢١٩، ٢٦ / ٢٢٣، ٢٧ / ٢٢٥، ٢٨ / ٢٢٧ و ٢٢٨، ٣٢ / ٢٤٠، ٣٤ / ٢٤٩، ٣٦ / ٢٥٩ ... الخ.

<sup>٤</sup> رسالة التحذير والتنبيه ٣٣ / ٢٤٣.

<sup>٥</sup> رسالة إلى خمار ... ٢٧ / ٢٢٥.

<sup>٦</sup> تقليد الرضى وسفير القدرة ٢١ / ٢١٠.

<sup>٧</sup> رسالة التنبيه والتأنيب والتوبيخ ... ٤٢ / ٣٢١ - ٣٢٢.



وقد يكون السيف هو الوسيلة الوحيدة للدفاع عن دين التوحيد ولتأييده ضد المنافقين: «وَأَمَّا السِّيفُ فَهُوَ تَأْيِيدٌ مَوْلَانَا الَّذِي أَيْدِيهِ بِهِ لِحِصَادِ الْمُنَافِقِينَ وَالْمَارِقِينَ بِقَدْرَةِ مَوْلَانَا...»<sup>١</sup>.

أما من نجا من السيف تفرض عليه الجزية. وهي محدّدة على أهل السنة والشيعية وخونة الدعوة في رسالة الرضى والتسليم<sup>٢</sup>. يقول حمزة: «وَمَنْ فَضَلَ مِنَ السِّيفِ تُوخَذُ مِنْهُ الْجَالِيَّةُ»<sup>٣</sup>، وكذلك يقول في مكان آخر: «والذي يبقى من فضلة السيف تؤخذ منهم الجزية، وهم صاغرون، ويلبسون الغيار وهم كارهون»<sup>٤</sup>.

وتؤخذ الجزية من المسلمين، تماماً كما يأخذها المسلمون اليوم من أهل الكتاب: «وتصريح بيانه للموحدين، لا للمشركين، إلى أن يظهر السيف فيكون ظاهراً مكتشوفاً، طوعاً وكرهاً. وتؤخذ الجزية من المسلمين والمشركين كما تؤخذ من الذمة»<sup>٥</sup>.



هذا في قوّة الموحدين وفي هذه الدنيا. أما في اليوم الأخير فسيكون السيف علامة القيامة والغلبة: «إن القائم، سلام الله على ذكره، بعد غيبته، لا يظهر لأحد إلا بعد كمال العدة، وسيفه مشهر قائم به على الجحدة الفساق في جميع الأقطار والآفاق»<sup>٦</sup>. في ذلك اليوم سيقوم جميع الموحدين عند «ضجيج السيد الهادي الإمام (حمزة) وشموس القيامة وأقمار التمام (الحدود) بسيفوفهم، ينتقم من أبالسة الأدوار (النطقاء) وأشياعهم الفاسقين»<sup>٧</sup>.

في اليوم الأخير، سيحلّ بالمنافقين الذعر. وبعد أن يشربوا «كأس الحمام»، سيخضعون جميعهم لـ«الذل الشامل، والسيف الصارم القاتل، وتطأهم بأخمصها كتائب الملك المظفر المسعود»<sup>٨</sup>. عندئذ «إذا استلّ من غمده الصارم الذكر»<sup>٩</sup>، واقتدحت الأرض بالنار والشرر... هنالك تبورّ الدجاجلة (النطقاء)<sup>١٠</sup>، و«إذا اشتهر من المشرق الصارم المشرفي، وظهر من الحجب المستور الخفي، لتطهير الأرض وتغيير الملك، وقتل أبالسة الدين (الأنبياء)

<sup>١</sup> رسالة الرضى والتسليم ١٦ / ١٧٨ ...

<sup>٢</sup> رسالة الرضى والتسليم ١٦ / ١٨٣.

<sup>٣</sup> نفس المرجع.

<sup>٤</sup> رسالة البلاغ والنهاية ٩ / ٨١.

<sup>٥</sup> كتاب النقض الخفي ٦ / ٥٠.

<sup>٦</sup> توبيخ ابن البربرية ٧٦ / ٦٩١ - ٦٩٢.

<sup>٧</sup> رسالة الايقاظ والبشارة ٥٦ / ٤٧٨.

<sup>٨</sup> رسالة التعقب والافتقاد ٥٥ / ٤٢٢.

<sup>٩</sup> كناية عن حمزة الملقب بـ«الذكر»، والصارم هو السيف.

<sup>١٠</sup> رسالة اليمن ٦٠ / ٤٧٢.

ونقل الدول... هنالك يشتهر من المشرق المشرفي الصارم، ويقوم بحده على الملحدين الإمام القائم<sup>١</sup>.

في ذلك الزمان العسير، «أين يتاه بعالم النجس... من سيف يعلو الربى متعجراً بالدم، يطوي طلاً الباطل، ويهدم الأركان من نواميس الشرع»<sup>٢</sup>. «فأين المفر... وكيف الخلاص لأهل الخلاف المرّدة المعاندين، وقد أحرق بهم طوفانُ السيف؟»<sup>٣</sup>.



هذا السيف المسلط على رقاب المسلمين، لا بدّ أنه سيتحقّق فعله آخر الأزمنة. - نودّ احالتك إلى رؤية صورة غلاف كتاب «تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي»، المطبوع سنة ١٩٨٠، حيث تشاهد قائم الزمان حمزة على ظهر جوادٍ رافعاً سيفه مستعداً لدخول مكة لهدم كعبتها ساحياً ذيله ورائه بحسب ما تصفه «الحكمة» بقولها: «وسحبَ ذيله بالخسْفِ لمقطرة الكفرِ والبابِ الأعظمِ لتهامة، وعكسَ دخانه لذاتِ الفجاجِ والشعوبِ، وسعرَ ناره بها لهدم الهيكلِ وإحراقِ بصائرِ القلوب»<sup>٤</sup>.

هذا السيف هو الذي اطمأنّ إليه الدروز في تاريخهم السياسي المقهور، وهو الذي يجيز لهم الاعداد ليومه العظيم بأخذ الثأر لدماء الموحدين المظلومين.

والوصية بأخذ الثأر عزيزة على قلب كل درزيٍّ موحدٍ مخلص لعقيدته ودينه. بها يحفظُ أخوانه، ويسدقهم، ويتعهدُ كرامتهم، وينتقمُ لدمائهم المهذورة ظلماً وقهراً.

وهي أمر جسيم معظم أوجيته «الحكمة» على أصحابها: «ولا تهنوا عن أخذ الثأر لدماء الموحدين المظلومين»<sup>٥</sup> وجميع الدروز مدعوون إلى أن يكونوا «مقتفين لفضائلهم (فضائل الحدود) بأخذ الثأر لدماء الموحدين المظلومين الممتحنين»<sup>٦</sup>. وجميع الموحدين، حدوداً حدوداً كانوا أم دعاة أم مستجيبين، سيقومون بعملية الثأر هذه: «سادات الأمم رؤوساء الأعراف الآخذين بثأر أهل الحق عند قيام القائم الهادي»<sup>٧</sup>. وأيضاً «نهض لأخذ الثأر سادات الأمم رجال الأعراف»<sup>٨</sup>. و «أولئك أعرافُ الحق ساداتُ الأمم الرافعون الحق على كل منار

<sup>١</sup> رسالة التقرير والبيان ٦٢ / ٤٨٤ - ٤٨٥.

<sup>٢</sup> رسالة تأديب الولد العاق ٦٣ / ٤٨٩.

<sup>٣</sup> رسالة تمييز الموحدين ٦٦ / ٥١١.

<sup>٤</sup> رسالة تأديب الولد العاق ٦٣ / ٤٨٩.

<sup>٥</sup> رسالة السفر إلى السادة ٦٨ / ٥٤٧.

<sup>٦</sup> نفس المرجع ٦٨ / ٥٣٨.

<sup>٧</sup> رسالة الايقاظ والبيشارة ٥٦ / ٤٣٨.

<sup>٨</sup> رسالة تمييز الموحدين ٦٦ / ٥١٧.

وعلم، الآخذون بثأر أهل التوحيد... جزاء لارتكابهم (أي لارتكاب أهل الشرك والكفر والتلحيد) من الموحدين العظام واستحلالهم منهم الكبائر والمآثم... وانتهاك المحارم بضم الإبلّيس (محمّد) وشياطينه وأترابه (أتباعه)»<sup>١</sup>.

في اليوم الأخير «أين يتاه بكم أيها المارقة الفساق، وقد أُسْرِجَتْ لثأر أهل الحقّ الضمُّرُ العِتَاقُ (الخيَل) وتفضّى المضمارُ وحنّ السبّاق»<sup>٢</sup>. لقد «أن أخذهم للثأر بدماء آل الحقّ المظلومين الموحدين، من حزب الدجال ومن الأدعياء النكثة أهل الاحاد والتكذيب المعاندين»<sup>٣</sup>.

وما قائم الزمان حمزة إلا «الآخذ بثأر أوليائه الممتحنين الركع السجود من آل السفة والفسق والجهل والجحود»<sup>٤</sup>. وهو يتعهد بأن يكون «آخذا بثأر أهل التوحيد من الشيصبان (عليّ) والعجل (محمّد)°، ويحلف بالله العظيم وبعده الذي لا يفوته شائبة بأن لا يهدأ له روع إن لم يأخذ بثأر أتباعه المظلومين: «وحقّ الباري عندنا، وعدله يوجب أخذهم بثأر أنفسهم من أولاد السفاح والحرام»<sup>٥</sup>.

وفي عودة حمزة، عند تجلّي الحاكم في مكّة، سيكون استيفاء الحقّ وردّه لأصحابه الأصليين، ومعاقبة الأشرار، والثأر منهم: «فها هو قد أزمع للمجيء الإمام السيّد، لاستيفاء الثأر، ومعاقبتكم بأمره على خبيث أفعالكم يا أشر الأشرار»<sup>٦</sup>.



إن رسائل الحكمة الدرزيّة تزخر بأخذ الثأر هذا. وقد يتمّ الثأر في ساعة ملائمة، لا نخال وقوعها، عندما تواتي الظروف. وذلك عندما يفلت المجتمع البشري من قيوده وأنظمتها، في ثورة، أو في حرب، أو عند تغيير الدول، أو لدى اضطراب الأمن والنظام. عندئذ لا بدّ للموحدين المخلصين أن يعدّوا العدة. ويرافق الثأر غدرًا، لأنّ المتربّص لعدوّه يرابط له، ويترقب الانقضاض عليه، فيغدر به، دون أن تقع عليه لومة لائم.

<sup>١</sup> رسالة إيضاح التوحيد ٧٤ / ٦٦٣.

<sup>٢</sup> رسالة التقريع والبيان ٦٢ / ٤٨٤.

<sup>٣</sup> رسالة تمييز الموحدين ٦٦ / ٥١٦.

<sup>٤</sup> رسالة إيضاح التوحيد ٧٤ / ٦٦٤.

<sup>٥</sup> رسالة التقريع والبيان ٦٢ / ٤٨١.

<sup>٦</sup> رسالة إيضاح التوحيد ٧٤ / ٦٦٥.

<sup>٧</sup> رسالة التعقب والافتقاد ٥٥ / ٤٢٨.

والثأر الدرزي هو الجهاد الإسلامي، مع الفرق إنَّ الجهاد في الإسلام هو سبيل الله ولأجل الدعوة إلى الدين، فيما الثأر عند الدروز لن يكون لدعوة الناس إلى مذهبهم — لأنَّ باب الدعوة عندهم مغلق على سواهم —، بل هو انتقام لأخوانهم الذين قُتلوا ظلماً في أوائل الدعوة، والذين يقع صراخُ دمايتهم الهائجة على عاتق كل واحد منهم.

ولا بدّ للدرزي أن يصلي كل يوم، ويذكر في صلاته، كي تستجاب، كل ما يعودُ إلى الثأر لدماء أخوانه والانتقام لهم بإذلال محمد والإسلام والمسلمين، لأنَّ هؤلاء كانوا هم المسؤولين عن هذا الدم البريء. يصلي الدرزي إلى بارئيه قائلاً:

«اللهم! إنَّ قرنَ الشيطانِ (محمد) قد طغى فأذله، وعددَ أهلِ الارتداد والنكثِ قد كثر فأقله. فقد أظهروا من الغلِّ والنكثِ ما كان في الكنائسِ مستوراً، وأبدوا من الضدادة والعناد ما صارَ لِمُتَمِّلِهِ بعدَ الطيِّ منشوراً. فقاتلونا بأسلحتنا من حيثُ أَمَّنَّا على النفوسِ، ورجعوا إلى ما أَلْفُوهُ من عبادة العجلِ (محمد) والجاموسِ (علي).

«اللهم فبكِ المستغاثُ، وإليكِ المُشْتَكَا، وفي يديكِ المماتُ والمَحْيَا، وإليكِ، بولِيكِ، المفزَعُ والملجأ.

«اللهم! فأرنا بمسابقِ وعدكِ اجتناثَ شجرةِ الأوغادِ (المسلمين)، وصلِّ على أوليائكِ الطاهرينِ الأَشْهادِ، وسلِّم تسليمًا...»<sup>١</sup>.



<sup>١</sup> رسالة الحقائق والانتذار ٥٧ / ٤٥١ - ٤٥٢، انظر ٦٠ / ٤٧٣.

## خاتمة الفصل

يحمل الدروز على عاتقهم عبء تاريخ مرير، مملوء ظلماً وقهراً، حافل بالقتل والدم، تُلْفَهُ ضباباً سوداء، شدَّ القهرُ فيه رباطه بحبلٍ من مسدِّ مَين، فتعاونَ الموحِدُونَ على الانقيادِ بوجهة سيرِهِ متكاتفينَ متّحدينَ مترابطينَ منتظرينَ يومَ فكّاهِ العجيب.

تُرى أيّهما أقوى: ظُلمٌ جَحَلٌ تتناقلُ الأيامُ رعبه وتزيد، أم علمٌ غزيرٌ يحطّمُ قيودَ الماضي ويفتّحُ على مستقبلٍ زاہ بالخيرِ والسلامة؟ لو دخلَ محلٌّ نفسانيّ قَعَرَ ضَمائرَ الموحدينَ لوجد، في لاوعيتهم، ظُلماً قابِعاً، منذُ ألفِ سنة، يتفاعلُ ويتعاطمُ يوماً بعد يوم. ظُلمٌ تاريخيٌّ جماعيٌّ، يحشدُ معه أوفَ الضحايا البريئة، لن يسكنَ غليانَ دمايها مسكناً.

عالجوا الظلمَ بشتى الوسائل: بالنقيّة، والمسايرة، والتمويه، والحيطة، والعزلة، والتدليس، والتظاهرِ بعقيدة أعدائهم... فكانت الوسائلُ نفسها زيتاً يُصبُّ على نار. عالجوه بالمسكّناتِ والمطفئاتِ فكانَ «أضعفُ الأدويةِ المسكّناتِ، وأقلُّها نفعاً المطفئاتِ. وإنّما المنفعةُ في العقاقيرِ البشعة، والشرطُ والبَطُّ والقطعُ والكَيُّ»<sup>١</sup>.

عالجوه بالعلمِ والتسامي على الجراح، فعقدَ العلمُ عليه طلاءً ظاهراً لم ينفذُ إلى عمقِ أسبابه، وارتفعَ التسامي إلى حدٍّ أن رأوا نفوسهم «أساتيذَ الدنيا في التسامحِ والتساهلِ»<sup>٢</sup>. فأياً حظَّ يكونُ للعلمِ مع الدين؟! والدينُ نفسه مظلومٌ يدعو لثأرِ نفسه من سائرِ الأديان!



<sup>١</sup> منشور الشرط والبط ١٠٢ / ٨٠٥. انظر معاني الألفاظ في مكانها.  
<sup>٢</sup> عارف النكدي في مقدمة كتاب «الواقع الدرزي وحتمية التطور»، ص ٨.

## الفصل الثامن

### المعاد الدرزي

- أولاً - نظرية التّمص
- ثانياً - جنة الموحّدين وناهم
- ثالثاً - يوم الدروز الأخير

## أولاً - نظرية التقمص

يختلف المعادُ الدرزي (أي الإسكاتولوجياً) اختلافاً جوهرياً عن المعاد الإسلامي. هذا يقولُ بحياةٍ واحدةٍ للإنسان، وبقنّةٍ ونارٍ مادّيتين، وبيومٍ للحساب والقضاء رهيب، وبنهايةٍ هذا العالم وزواله؛ وذلك يقولُ بحيواتٍ متعدّدة، أو بتمقّص الأرواح ونقلتها من جسد إلى جسد، وبأدوارٍ للخليقةٍ مُتلاحقة، وبقنّةٍ ونارٍ روحيّتين، وبنهايةٍ لهذا العالم بنهايةٍ أديانه ومذاهبه...

وتعتبر الدرزيّة أن الدورَ الذي نحنُ فيه هو آخر الأدوار؛ في نهايته يتجلّى الحاكمُ بمجدٍ عظيمٍ وغلّبةٍ لا تقهر. وتحشُرُ جميعَ النفوس في دين التوحيد أو تحت حكمه السعيد. وتكون للموحدين سعادةً لا يوصفُ بهاؤها، وللمخالفين عذاباتٌ لن تنقضي وقهرٌ يُساوي أضعافَ ما حلَّ بأهل الدعوة المنكوبين. وأعظمُ القهر سيقعُ على المسلمين، عندما يرون مدينتهم المقدّسة تُدكُّ دكّاً وتهدمُ حجراً بعدَ حجرٍ.

بيد أننا قبل الوصول إلى النهاية، لا بدّ من النظر في وضع الإنسان وتحوّله من حياةٍ إلى حياةٍ، أي نُقلته من جسدٍ إلى جسد، أي تقمّصه المتتابع. فهذا أيضاً يُعدُّ للأخرة اعداداً عادلاً مُستحقّاً.



التقمص هو انتقال النفس من جسد بشري إلى جسد بشري آخر. والقول بالتناسخ، أي بانتقال النفس إلى أي جسد كان، هو، عند الدرّوز، أمر باطل، مخالف لأسفار الحكمة. «الموحدون الدرّوز لا يؤمنون بالحلول ولا بالتناسخ، بل يؤمنون بالتقمص»<sup>١</sup>. هذا ما يعلمه شيخُ عقل الطائفة الدرزية محمّد أبو شقرا. وهو يعتمد، في قوله، على تعليم قائم الزمان القائل:

«لا يدخلُ في المعقول، ولا يجبُ في عدل مولانا سبحانه، بأنّ يعصيه رجلٌ عاقل لبیب، فيعاقبه في صورة كلبٍ أو خنزير، وهم لا يعقلون ما كانوا عليه في الصورة البشرية، ولا يعرفون ما جنّوه. أو يصيرُ حديداً يُحمى ويُضربُ بالمطرقة. فأين الحكمة في ذلك والعدل

<sup>١</sup> مجلّة الضحى، يصدرها المجلس المذهبي للطائفة الدرزيّة، عدد ١٠ سنة ١٩٧١.

فيهم؟ وإنما تكون الحكمة في عذاب رجل يفهم ويعرف العذاب، فيكون مذبذباً له وسبباً لتوبته»<sup>١</sup>.

فالتقمص إذن أمرٌ مقررٌ وتعليمٌ وعقيدةٌ أساسيةٌ في التوحيد. وقد استعان الدروز المعاصرون بالعلم المعاصر ليؤكدوا الدين في نظريته ويدعموا رأيه هذا. ونحن ننقل للقارئ ما قرره «العقل» عند عبد الله النجار. يقول:

١. إذا كانت حياة أرضية واحدة كافية لإعداد المرء ليوم الدينونة أو الحساب الذي تقول به جميع الأديان، فلماذا تكون هذه الحياة، أحياناً قصيرة، وأحياناً طويلة، أحياناً تنتهي في الطفولة البريئة، أو بالفتوة الجامحة، بالجنون أو بالنبوغ، في نطاقات متفاوتة من الفرص والسنين؟

٢. ما دام للحساب يومه الأخير، لماذا لا يستمر اتحاد النفس بجسدها حتى ذلك اليوم؟

٣. أين تستودع هذه النفس، بعد الموت، في مهلة الانتظار؟ أفي مطهرها؟ وأي مطهر أولى بها من الجسد؟ أم في خفاء مكتوم يفتح سجله يوم الدينونة، بعد انطوائه في الدهر الطويل، بانتظار فتحه الأخير؟

٤. أتبقى النفس منفصلة، مستقلة، بعد موت جسدها حتى ذلك اليوم؟ ثم تتحد ثانية بجسدها الذي بلي في التراب؟ «يوم يقوم الأموات من القبور» كما تقول إحدى الآيات؟<sup>٢</sup>.

أ يكون معنى ذلك إنه ليس للروح شأنٌ بدون الجسد؟ ما دامت قيامة الأجساد من القبور شرطاً لحساب الأرواح. وهو ما تعنيه الآية؟

بعد هذه التساؤلات الاستنكارية، يتساءل العقل جوابياً:

٥. لماذا لا تبقى النفس، أو الروح، مستمرة التواصل مع أجسادها، في أعمار متجددة، جيلاً بعد جيل، ما دام لا بد من الموت؟ فتمرّ مع الزمن متطورةً في أدوار الامتحان (كما تقول النصوص)، والتصفية، والتكامل، وفقاً لناموس التطور الذي سنه الله لجميع المخلوقات الحية، وكأنها، في هذا التواصل مستمرة في عمر واحد لا تنتقل منه؟

٦. لماذا لا تحاسب أخيراً، بعد هذا التطور المتواصل بدلاً من حصيلة عمر واحد

يتضاءل فيه كل تطور؟

ويسأل العقل:

<sup>١</sup> رسالة الرد على النصيري الفاسق ١٥ / ١٧١.  
<sup>٢</sup> رسالة بولس الرسول إلى رومة - فصل ٨ عدد ١١ - ...



٧. كيف يتساوى، في الحساب، مَنْ مات في عصور الهمجية الأولى، ومَنْ عاش، بعد فارق الزمن، في نعمة الرسالات السماوية، وهدى الحضارات المدنية؟ كيف تميّز العدالة الإلهية بينها في موازينها؟

٨. وفي عمر واحد، كيف يُحاسبُ الطفلُ البريء، والشابُّ الذي يقضي في غمرة الغرور ونزوة الشهوات، والعجوزُ التائب عن ذنوبه؟ هل تتفاوت الموازين بتفاوت الفرص المتّاحة؟ ولماذا هذه الاتاحات؟ أم إنّ الله يحاسبُ على ما يصل إليه الإنسانُ في نهاية التطور؟ لا بنسبةِ الرّجحانِ والنقصانِ، بين الخيرِ والشرِّ في كفتيّ الميزان؟

على جميع هذه التساؤلات، يُجيب العقلُ بنظريّةِ التقمّصِ التي مرّت في مراحلها الهندية، والمصرية، والأورفيّة، والفيثاغورية، والأفلاطونية، بتعاريف وتكهّنات متعدّدة مختلفة، إلى أن تولّتها فلسفةُ التوحيد، وبلورتها بشكلها الحاضر.

تقول هذه النظرية:

إنّ الروحَ، أو النفسَ، لا تفارقُ الجسدَ إلّا إلى سواه، بالولادة؛ ولا شأن لها إلّا مع الجسد. به امتحانها. وبلاؤها. وتطورها بالنقلة المتواصلة بالأجساد<sup>١</sup>.

فعبد الله النجار إذن يؤمن بأنّ التقمّص هو الحلّ الأمثل، بل الأوحد، لجميع تساؤلات العقل، ولمعظم مشاكل الإنسان الماورائية المستعصية. وهو يعتمد على مُسلّماتٍ لا تحتاج إلى برهان، مثل تجزئة الإنسان إلى عنصرين، كل منهما قائم بذاته: النفس والجسد؛ ويعتبر النفس هي ذاتها الروح، لا فرق بينهما، ويعتقد كالحكمة الدرزية بأنّ النفوس أزليّة أبدية، لا زيادة فيها ولا نقصان محدودة العدد، ويقول:

بهذا تفسّرُ نظريّةُ التقمّصِ زيادةَ عددِ سكّانِ الأرض بما يَنْتَقِلُ إليها من أرواح تَهْبِطُ من كواكبٍ مأهولةٍ، باعتبار أنّنا لسنا وحدنا في هذا الكون اللانهائي غرضَ ربِّ الوجود. فإنّ الله يرعى مخلوقاته جميعاً. وكوكبنا الأرضي بين سائر الأكوان أشبهُ بذرةٍ رمل على ساحل الوجود. وما أيسرَ انتقالِ الأرواح بين الكواكب بالنسبة إلى انتقالِ المركّباتِ النارية التي نُطْلَقُها إلى أبعادِ الفضاءِ الخارجي<sup>٢</sup>.



<sup>١</sup> عبد الله النجار، إمامة العقل في مذهب الموحدين، ص ٢٠ - ٢١.  
<sup>٢</sup> نفس المرجع، ص ١١.

ويؤكد نظرية التقمصِ درزيّ مستتيراً آخر هو القاضي أمين طليح، رئيس فخري في محكمة التمييز اللبنانية، تأكيداً لا ريب فيه ولا شك بعده. ويستعرض نظريات الفلاسفة اليونانية، والحضارة الغربية المعاصرة، ويرى بأن العالم يسير نحو الإيمان بالتقمص إيماناً وطيداً، ويُسنِّد رأيه بآيات من القرآن والإنجيل. ثم يقدم أدلة من الواقع بشكل أسئلة:

١ - ما معنى قول البعض بالالهام عندما يقولون ببساطة: الله ألهمني؟

٢ - وما معنى أن تفكر بقربيك المهاجر في ديار الغربة منذ عدّة ساعات، وقبل أن ينقطع حبل تفكيرك به يكون ساعي البريد قد طرق الباب حاملاً إليك رسالة منه؟

٣ - وما معنى إنك وأنت في الصيد تشعرُ بخطر يهددك أو خوف يعتريك من جهة معينة دون أن ترى له أثراً أو تسمع له صوتاً، ثم لا تلبث أن تكتشف وجود أفعى أو حيوان على مقربة من المكان الذي أنت فيه؟

٤ - وما معنى الأحلام لا سيما ما يتحقق منها بسرعة؟

٥ - وما هي الحاسة السادسة؟

٦ - وكيف تشعر أحياناً بوجود من يلاحقك في سيرك وأنت لا تراه ولا تسمع له صوتاً أو وقع قدم؟

٧ - وكثيراً ما يقع للإنسان أن يرى شخصاً ويعتقد أنه رآه ويعرفه سابقاً، في حين أن اجتماعه به كان للمرة الأولى.

٨ - وكم يقع لك أن تذهب إلى مكان ما لأول مرة ولكنك لا ترى فيه شيئاً جديداً وكأنك تعرفه من قبل، أو أقمت فيه فيما مضى من سالف الأيام.

كيف تفسر هذه الغوامض؟<sup>١</sup>

لا مجال للشك فإن القاضي يفسرها بنظرية التقمص، كما هي واردة في كتب الحكمة. وجميع أسئلته تدور حول «تذكر» الإنسان ماضيه، ممّا يجيز له الاعتقاد بأن الدليل على صحة التقمص هو ما تحمله النفس معها من ذكريات وعلوم ومعارف حصلت في الحيوانات السابقة. والله أعلم لو تقمص «الشيخ محمد أبو شقرا» خمسين مرة، وراح يحمل معه كل علومه الدينية والكونية المستمدة من «العقل»، أي حظ يكون للذين سيعيشون معه؟! أو أيضاً لو تقمص «القاضي أمين» مائة مرة، وهو يجمع لديه «قوانين» العالم من أنحاء الكون، فأى حظ يكون لـ«اللوز»؟

<sup>١</sup> أمين طليح، التقمص، ص ٧ - ٨.

أما شيخ العقل محمد أبو شقرا فيوجز لنا مجمل ما يفهم بالتقمص، فيقول: «الموحدون الدروز لا يؤمنون بالحلول ولا بالتناسخ، بل يؤمنون بالتقمص. فبالتقمص يثبت عدل الله في مخلوقاته، وتتكافأ الفرص، وتتاح لكل مخلوق. النفوس البشرية اللطيفة خالدة باقية، والأجسام الكثيفة أقمص للنفوس، ولا لطيف دون كثيف. والنفوس لا تفارق الأجسام لحظة واحدة، بل تنتقل بسرعة من جسد بشري إلى جسد بشري جديد. وتسري فيه كسريان تيار الكهرباء في السلك. والنفوس جواهر، والأجسام آلاتها، كالعين آلة البصر، واللسان آلة الكلام، والأذان آلة السمع، والجسم بمجموع أعضائه آلة النفس.

«إن خلود النفس لا يكون ولا يمكن أن يكون بالنسبة إلى عدل الخالق تعالى، وبالنسبة إلى الثواب والعقاب، إلا بواسطة التقمص، وهذا الأمر أشارت إليه كتب الأديان جميعها»<sup>١</sup>.

في كلام الشيخ جميع عناصر التقمص كما يؤمن به الدروز. فهو كلام موزون مدروس، يشمل مفهوم التقمص، وطريقته، ومبادئه، وغايته، كما نراها في رسائل الحكمة. وهو أيضاً من المسلمات الدينية في عقيدة أهل التوحيد. لنرى ما تقوله الحكمة:

لما كان التقمص، كما حدده قائم الزمان<sup>٢</sup>، هو تعاقب الأرواح في الأجساد البشرية للامتحان والتطهير. ولا يمكن للنفس أن توجد بدون الجسد. فالله، عند خروجها من جسدها الأول، يعد لها مباشرة جسداً آخر تتحد به. وهذا الاتحاد لا يعني حلوياً، أي إن الجسد موجود سابقاً لتحل النفس فيه. ولا يعني تناسخاً بجميع أشكاله كالنسخ والفسخ والمسح والرسخ وغيرها.

يقول كتاب النقط والدوائر: «لما كان من مقتضى حكمة العزيز القادر سبحانه احتياج النفس إلى الجسم، وإنها لا تستغني عنه طرفة عين فكان لها في الجسم مميزات ومشاركات وآلات مدركة»<sup>٣</sup>.

ويقول أيضاً بأن النفس بحاجة إلى الجسم لتعرف: «فما تقدر النفس الناطقة على الذكر إلا بالقوة المذكورة التي في الجسم، ولا تقدر على تخيل الأشياء إلا بالقوة المخيلة التي في الجسم، ولا تقدر على التفكير إلا بالقوة التي في الجسم... فالجسم حجابها ومنه تظهر أفعالها، ولا تُدرك إلا منه، ولا تُعرف إلا به. ولا غنى لها عنه، ولا تنتقل منه إلا به... وانتقالها

<sup>١</sup> مجلة الضحى، عدد ١٠ سنة ١٩٧١.

<sup>٢</sup> رسالة الرد على النصيري الفاسق ١٥ / ١٧١.

<sup>٣</sup> كتاب النقط والدوائر، ص ٣٠.

بتدبير العلة الأولى التي هي العقل الكلي، لأنه علة وجودها، ومرقى صعودها... فما لطفَ  
فإلى عالم العقل يرقى...»<sup>١</sup>.

ثم إن الله قادر أن يثيب الإنسان أو أن يعاقبه في جسد بشري. وليس بحاجة، لكي  
يُثيبه، أن يلبسه جسداً ملائكياً، ولا أن يلبسه جسداً حيوانياً، لكي يعاقبه. فإن «الخلق مجتمعون  
على أن الباري قادر». فالقادر قادر أن يُنعم في هذا الجسم، قادر أن يعاقب فيه» أيضاً<sup>٢</sup>.



### أما مبادئ التكمص فتقوم:

١ - إن الأرواح في العالم محدودة معدودة، لا تزيد ولا تنقص. والسبب هو محدودية  
العالم ونهايته. ولو زاد العالم كل ألف سنة نفس واحدة لضاقت الأرض بالناس، ولو نقص كل  
ألف سنة نفس واحدة لم يبق على الأرض إنساناً واحداً. تقول الحكمة:

«إن هذه الأشخاص، أعني عالم السواد الأعظم، لم يتناقصوا ولم يتزايدوا، بل هي  
أشخاص معدودة من أول الأدوار إلى انقضاء العالم والرجوع إلى دار القرار. والدليل على  
ذلك إن هذه الخلقة، أعني العالم العلوي والسفلي، ليس لها وقت محدود، ولا أمداً عند العالم  
معدود. أليس لو زاد العالم في كل ألف سنة شخصاً واحداً لضاقت بهم الأرض، ثم إنه لو  
نقص في كل ألف سنة شخصاً واحداً لم يبق منهم أحد؟»

فصح عند كل ذي عقل راجح ومن هو بالحقيقة لنفسه ناصح، إن الأشخاص لم  
تتناقص ولم تتزايد، بل تظهر بظهورات مختلفات الصور على مقدار اكتسابها من خير  
وشر»<sup>٣</sup>.

وربّ معترض يقول: إننا نرى العالم يتكاثر ويزيد عما كان عليه فكيف تكون النفوس  
محدودة إذن؟ إننا نترك لأمين طليح أن يسأل هذا السؤال وأن يجيب عليه. يقول:

«يتبادر إلى الذهن سؤال، كثيراً ما سمعناه ونسمعه من الناس، وهو إن سكان الكرة  
الأرضية في ازدياد مستمر، فلو كانت الأرواح تذهب من جسد لتعود إلى جسد جديد هي هي

<sup>١</sup> كتاب النقط والدوائر، ص ٣٠ - ٣١.

<sup>٢</sup> من دون قائم الزمان ٦٧ / ٥٣٥.

<sup>٣</sup> من دون قائم الزمان ٦٧ / ٥٣٥.

نفسها أزلية باقية دائمة، لما كانت هذه الزيادة ممكنة. وكان يجب أن يكون عدد سكان العالم هو نفسه لا يتغير.

«يجيب على هذا السؤال الكاتب برنسلي لوبوار ترانش في كتابه «سكان السماء»

حيث يقول:

«إن مخلوقات تعيش في كوكب آخر، أو في أكثر من كوكب. ويبدو أن بعضها قد تقدّمت كثيراً. ولكي يبرهن عن نظريته يعود إلى أقدم التاريخ لينتهي إلى الصُحُونِ الطائفة والمحاولات التي يبذلها العلماء للوصول إلى مصدر دَبَذَبَات وإشارات تلتقطها الآلات، وهي دون شك من خارج الأرض... وشاهدها رسيون، ولم تعد خرافة...»

«ويقدم دليلاً آخر بقوله: إن علم الآثار أكد أن مدنات كبيرة جداً ومتقدمة جداً وجدت في الماضي، ومكانها الآن صحراوي، سكانه أقل من القليل. فمصر كانت في القديم مأهولة بعدد أكبر من عدد سكانها اليوم رغم ازدياده، وبابل في العراق كانت تعدُّ عشرات الملايين، وكذلك المكسيك، وبلاد أميركا اللاتينية، ومناطق أخرى من آسيا، ولعل جزيرة البحرين الكبرى في شبه جزيرة العرب تعطي برهاناً آخر على أن جزيرة العرب كانت مأهولة بعدد كبير من السكان... فيما هي اليوم لا تزيد عن مئة وعشرة آلاف تلتهم أجانب...»<sup>١</sup>.

٢ — يعتمد القول بـ«التقمص أيضاً على نظرية العدل الإلهي، إذ ليس من العدل في شيء أن يحاسب الله الإنسان، على فترة من العمر قصيرة. و «لا يمكن أن يستقيم العدل إذا كانت الحياة مقتصرة على جيل واحد. لذا كان التقمص، وكان تعدد الأجيال. وكان على الإنسان أن يمر في جميع الأدوار ليظهر جوهراً نفسه... وعندئذ يمكن الحكم عليه، فيستقيم العدل»<sup>٢</sup>.

ويقول أيضاً القاضي طليع: «إن حساب الروح وعقابها مبني على قاعدة العدل الإلهي في محاسبة الأرواح بعد مرورها في أدوار الدهر الطويل، التي تتقلب فيه مارة في مختلف حالات الحياة كمرور المادة في مختبر لكشف جوهريها»<sup>٣</sup>.

وهو أيضاً رأي الشيخ محمد أبو شقرا، والسفير عبد الله النجار، كما رأينا. وهو بالتالي رأي جميع الموحدين. وجميعها تعتمد على «الحكمة» الواضحة في هذا الشأن<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> أمين طليع، التقمص، ص ١١٤ - ١١٧.

<sup>٢</sup> نفس المرجع، ص ١٨.

<sup>٣</sup> أمين طليع، التقمص، ص ١٥.

<sup>٤</sup> انظر رسائل ٦٧ و٦٦ و٦٨...

٣ — وهناك مبدأ آخر يقوم على أن «في العقيدة الدرزية أنّ التقمص يميّز الجنس. فالذكرُ يخلقُ ذكراً، والأنثى تعودُ أنثى، كما كانت»<sup>١</sup>. والحقيقة أننا لم نرَ نصّاً واحداً في رسائل الحكمة، أو في شروحات المشايخ الأقدمين، دليلاً على هذه النظرية. ولكن ذلك قد يكون استنتاجاً منطقيّاً للقول بالتقمص.

٤ — إنّ التقمصَ يكونُ للدروز في دينهم فقط، فالنفسُ لا تنتقلُ من دينٍ إلى دينٍ: «إن من وحدَه (من وحد الله) في وقتنا هذا فقد وحدَه في سائر الأعصار»<sup>٢</sup>.

بيد أن هذا المبدأ مختلفٌ فيه: فالشيخ أبو شقرا يتأرجحُ باستعماله لفظة «غالباً» في قوله: «إن الروح الدرزية تتقمصُ غالباً شخصاً درزياً»<sup>٣</sup>، والأستاذ النجار يؤكدُ بأن «في التقمصَ تنتقلُ النفسُ من جسدٍ إلى جسدٍ دونَ تمييزٍ عنصريٍّ أو مكاني»<sup>٤</sup>، ثم ينفى ما أكّده بقوله: «إن الأرواحَ تنتقلُ إلى أجسادٍ جديدةٍ بالولادة: أرواحُ الموحدين إلى موحدين، وأرواحُ المشركين إلى مشركين»<sup>٥</sup>، وكمالُ جنبلاطُ يتناقضُ، فيؤكدُ بقوله: «لا يقبلُ الدروزُ أحداً في دينهم، ولا يسمحون لأحدٍ بالخروج منه، وحتى هؤلاء الذين يخرجون لا يعترفُ الدروزُ بأنهم قد خرجوا»<sup>٦</sup>، ثم يعود ليقول: إنه في سنة ٢٠٠٠ «يفتحُ الطريقُ من جديدٍ ويصيرُ بإمكان جميع الناس في كافة أصقاع العالم سلوكها»<sup>٧</sup>.

سبب هذا التأرجح والتناقض إنّ الدروز يعترفون بأن هناك موحدين مستترين في أديان العالم، لا يمكن عدّهم أو إحصاؤهم، وقد يؤلفون «أكثر من ربع البشرية»<sup>٨</sup>. لذلك، قد يموت درزيٌّ موحّد، وتنتقلُ نفسه إلى جسدٍ مسيحيٍّ أو يهوديٍّ، ولا يتمكن «المتقمص»، في هذه الحال، إعلان نفسه، فيستترُ إلى أن ينتقلَ نقلةً أخرى في تقمصٍ جديد. فإن كان صالحاً انتقلَ إلى ما بين الدروز، وإن كان سيئاً السيرة، استمرَّ ينتقلُ ما بين اليهودية أو المسيحية. ونادراً ما ينتقلُ في المسلمين.

وقد يرجع هذا التناقض إلى سببٍ جوهريٍّ يقوم على أنّ نفوسَ البشر، كلّها، كانت، في البدء، موحّدة. ولكن بعضها تخلفتُ عبرَ الأدوارِ المتعاقبة، وبعضها أشركت، وبعضها ارتدتت،

<sup>١</sup> أمين طليع، التقمص، ص ١٩.

<sup>٢</sup> من دون قائم الزمان، ٦٧ / ٥٣٦.

<sup>٣</sup> الدكتور مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ص ٢٩٤.

<sup>٤</sup> النجار، مذهب الموحدين الدروز، ط ٢، ص ٨٨.

<sup>٥</sup> نفس المرجع، ص ٨١.

<sup>٦</sup> الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ص ٢٩٠.

<sup>٧</sup> كمال جنبلاط، هذه وصيتي، ص ٥٠.

<sup>٨</sup> نفس المرجع.

وبعضها لم تصلها الدعوة... وكلها، تستطيع، في كشف جديد أن تدخل الدعوة، أو يمكنها، بعد الامتحان والاختبار بتقدمات جديدة، أن تعود إلى صفاء التوحيد.

فحكمة الحكمة «من وحده في وقتنا هذا فقد وحده في سائر الأعصار»، يصعب حصرها فيما بين من هم دروز في الظاهر.

ينتج من هذا أمر جسيم للغاية، وهو إن من كان غير موحد ويحكم «العقل» في طهارته وخلاصه، يُنقله إلى جسد موحد. لكن بعض الدروز الغياري على دينهم يستعجلون خلاص بعض النفوس الطاهرة من جسده الكافر، فيتعمدون قتل الجسد لتخلص النفس من شقوتها. وكم حدث ذلك؟<sup>١</sup>. وكذلك أيضاً، الدرزي الذي يُحكم عليه بارتكاب الفواحش والزنا، يستعجل «العقل» في نقلته من جماعة الموحدين إلى أجسام كافرة. إنه أمر إلهي يقرره العقل ومن ينوب عنه.

٥ - أما مسألة «النطق»، أو «التذكّر»، وتعني أن الروح، عند تنقلها من جسد إلى آخر، تحمل معها معلوماتها السابقة، فـ«تتطّق» بها وتحدث عنها. ويروي لنا الدروز حوادث مدهشة وقعت لهم في حياتهم الماضية. ويعتقد سامي مكارم، في معرض رده على النجار الذي يرفض القول بـ«النطق»، بأن «الأكثرية الساحقة من الدروز الذين يعتقدون بالتقمص يعتقدون بالنطق»<sup>٢</sup>.

وفي رأي القاضي طليح أن «الموت معبرٌ من حياة إلى حياة أخرى، وكل البشر يتقمصون، والقليل منهم من يذكر حياته السابقة بالنطق»<sup>٣</sup>. ويعتبر أيضاً أن «الحياة السابقة حلم يراه الإنسان في نومه. ومن الأحلام ما يبقى في الذاكرة بعد اليقظة، ومنها ما يزول من الذاكرة. كثرة هم الذين يحلمون، وقلة منهم يتذكرون. وأكثر ما يبقى في الذاكرة من هذه الأحلام هي التي انتهت بفاجعة أو ألم شديد أو بحادث تكتنفه الغرابة فيؤثر في النفس تأثيراً شديداً لا تزيله اليقظة»<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> أكد لنا بعض سكان إحدى قرى الشوف الجبلية بأن درزياً شاباً زنى بفتاة درزية - وهو عار عظيم - فطارده أهل الفتاة، فهرب في شعاب القرية، ولحق به المطاردون. فوصل الشاب إلى رجل مسيحي يقطع أوراق التوت ويحملها بغلته، فطلب إليه المساعدة، فوضعه الرجل على ظهر البغلة وطمره بأوراق التوت. ولما وصل المطاردون سألوا الرجل عن الشاب الهارب، فدلّهم على طريق سلّكها، وسعوا في أثره مجدّدين، ولما اطمأن الشاب إلى حياته عمد إلى خنجره وطعن به خاصرة الرجل، فصاح به: أهذا جزاء المعروف؟ أجاب الشاب: لأنك هكذا أردت لنفسك الخلاص من جسدك الكافر... وهناك حادثة أخرى وقعت في «العبادية»، مفادها إن مسيحياً هجرته أحداث ١٩٧٥ من بلدته. ثم بعد سنتين عاد إليها وفي نفسه طمأنينة لكثرة أصدقائه من دروز القرية. وفاجأه صديق حميم بقوله: ألا تعلم أنني أحق من سواي بقتلك!!! من استطاع فليفهم!

<sup>٢</sup> الدكتور سامي مكارم، أضواء على مسلك التوحيد، ص ١٢٦.

<sup>٣</sup> أمين طليح، التقمص، ص ١٧.

<sup>٤</sup> نفس المرجع. انظر: خليل تقي الدين في «العائد».

ويستنتج القاضي قائلًا: «أما النطق فقد اتَّفَقَ فيه الدروزُ مع بقية المؤمنين بالتقمص»<sup>١</sup>. ثم يحيلنا إلى «كتاب الدكتور ستييفنسُنْ المحتوي على عشرين واقعة»، منها واقعة لبنانية «حقَّقها بنفسه في رحلتين قام فيهما بزيارة لبنان، رافقه في إحداهما الدكتور سامي مكارم وهو دكتور في الفلسفة ومن أساتذة الجامعة الأميركية في بيروت. ومن القائلين بوجود حادثة تقمص ونطق من كل خمسمئة ولادة بين مواطنيه الدروز»<sup>٢</sup>.

وكلاهما، القاضي والدكتور، يعتمد على مؤلفات حديثة كبيرة، «تبحثُ موضوعي التقمص والنطق... وفيها درسٌ عدَّة حالاتٍ من النطق حدثت في مختلف أنحاء العالم»<sup>٣</sup>.

كما يعتبرُ الدكتور مكارم أن «تذكر ما حدث في أجيال ماضية تُقرُّه بعضُ النصوص التي تُثبتُ إمكانَ تذكرِ بعضِ ما يحدثُ في الحياتِ السابقة»<sup>٤</sup>، ولكنَّ الدكتور لا يفيِدُنَا بأيِّ نصٍّ من الحكمة، اللهمَّ إلاَّ نصَّ واحدٍ محرِّفٍ، في قوله: «فالمستجيبون، حسب ما جاء في النصِّ، إنما استجابوا إلى الدعوة بعد أن ذكروا بالحق فذكروه وعرفوه فعرفوه»<sup>٥</sup>.

أما السيّدُ كمال جنبلاط فيروي لنا قصةً طريفةً تدلُّ على إيمانه بالتقمص وبالنطق سواء. جاءه شابٌّ مسيحيٌّ يقول له: «اسمع. لقد قرَّرتُ الموت. فأنا إنسانٌ تلاحقني حياتي السابقة. وعندما أستيقظُ كلَّ صباح، أقضي ساعة أو ساعتين في اقناع نفسي بأنِّي أعيشُ الآن حياةً أخرى غيرَ تلك التي عشتها سابقاً. لقد أنهكتني هذه الحياةُ السابقة التي تلاحقني بكافةِ هذه الصوَر التي يختلطُ بعضها ببعض. كان يتذكَّرُ حياته في ميونيخ منذ ما ينوف عن القرن بقليل. وعندما ذهبَ إلى هناك فإنه عثرَ على منزله وقبره وكافة ما كان مألوفاً لديه...»<sup>٦</sup>.

وقد يذهبُ الأستاذ سامي أبو شقرا إلى دفعنا نحو الإيمان بالتذكر والتقمص دفعا، فالجميعُ، برأيه، «ملزَمون بالتسليم في التقمص. ويؤيِّدهم إلزاماً واقعُ التذكر»<sup>٧</sup>. وحافظُ أبو مصلح يؤكِّدُ «أنَّ بعضَ الدروز يسترجعون في ذاكرتهم أمورَ حياتهم الماضية»<sup>٨</sup>.

إنَّ «النطق» هو بالفعل عقيدةٌ شائعةٌ عندَ بني معروف. لا شكَّ فيها. بل إن الإيمانَ بها يقوِّي إثباتَ نظريةِ التقمص...

<sup>١</sup> نفس المرجع، ص ١٩.

<sup>٢</sup> نفس المرجع، ص ٧٨.

<sup>٣</sup> مكارم، أضواء على مسلك التوحيد، ص ١٢٦ - ١٢٧، أمين طليح، التقمص، ص ٥٩ حتى ١٥٠.

<sup>٤</sup> مكارم، نفس المرجع، ص ١٢٦.

<sup>٥</sup> نفس المرجع يقابل مع نصِّ الحكمة ٦٧ / ٥٣٦.

<sup>٦</sup> كمال جنبلاط، هذه وصيتي، ص ٥٥.

<sup>٧</sup> سامي أبو شقرا، مناقب الدروز في العقيدة والتاريخ، ص ٢٢.

<sup>٨</sup> حافظ أبو مصلح، واقع الدروز، معتقداتهم...، ص ٢١.



بيد أن تعليم الحكمة هو غيرُ هذا، بل هو عكسُ هذا. إنه يناقضُ كل ما شاع، ويُبطلُ كل ما رأينا ابطالاً واطيحاً ثابتاً، لا مجال بعده لأيِّ مغالطةٍ أو لأيِّ ضلالٍ وتعليمٍ معاكس.

تقول الحكمة:

«فإنَّ قالَ قائلٌ: فما لنا لا نعرفُ ما مضى من الأدوارِ والأكوارِ، قال له المحتجُّ بالحقيقة (أي بهاء الدين)... إنَّ لو ذَكَرْتَ وعرفتَ لَشَارَكَتَ المبدعَ في غيبِ حكمتِهِ، ولكانَ ذلكَ عجزاً من الباري جُلَّتْ قدرتهُ، ونعوذُ بالمولى من هذا. وكان أيضاً يفسدُ النظامُ، لأنَّك لو عَرَفْتَ نفسَكَ وما كنتَ عليه في الأدوارِ الماضية لعرفتَ غيرَكَ، ولكنك أيضاً عارفاً بمبدعِكَ الذي رَدَدَكَ في الأشخاصِ، ولو عرفتَهُ لعرفتَ جميعَ العالمِ كمعرفتكِ بنفسِكَ، ولتساوى فيه العالمُ والجاهلُ، والناقصُ والفاضلُ، وكان ذلكَ عجزاً في القدرة من إظهارِ عالمٍ ليس فيه جاهلٌ وناقصٌ ليس فيه كاملٌ، وأنما ظهرتِ القدرةُ، وتمتَّ الحكمةُ، في إظهارِ العالمِ والجاهلِ والناقصِ والفاضلِ والشيءِ وضدَّه»<sup>١</sup>.

وكتابُ النُّقْطِ والدوائرِ واضحٌ أيضاً في إثباتِ ما ذهبَ إليه الحكمةُ، يقول: «وأما في دارِ الدنيا فليسَ للنفوسِ الناطقةِ دَرَكٌ ما مضى منَ الزمانِ، إلاَّ لِمَنْ هو مُحْصِي أعمالِ الخلائقِ الذي هو إمامُ الزمانِ»<sup>٢</sup>.

على هذه النصوصِ يعتمدُ السفيرُ عبد الله النجار، وهو الوحيدُ في لائحةِ الدروز الذينَ ذَكَرْنَا، لكي ينفِي نفياً قاطعاً نظريةَ «النطق» من أساسها. فهو يقول: «أنني لم أجدَ كلمةً واحدةً، في جميعِ كُتُبِ «الحكمة» تثبتُ هذا الزعم. بل وجدتُ ما ينفيه نفياً قاطعاً، لا يتركُ مجالاً للتأويل»<sup>٣</sup>. لهذا، فهو يعتبرُ «النطق خرافةً»، يتَّسمُ بـ«النفاق والتضليل»<sup>٤</sup>.

وبعد اعتماده على نصوص من الحكمة، لا نرى مجالاً لذكرها، يختمُ قوله: «أوردتُ هذه النصوصَ دحضاً لكلِّ ادِّعاءٍ، وقطعاً لكلِّ «واقع مزعوم»<sup>٥</sup>.



<sup>١</sup> رسالة من دون قائم الزمان ٦٧ / ٥٣٥ - ٥٣٦.

<sup>٢</sup> كتاب النقط والدوائر، ص ٣٤.

<sup>٣</sup> النجار، مذهب الموحدين الدروز، ط ٢، ص ١٠٠.

<sup>٤</sup> نفس المرجع، ص ١٠١.

<sup>٥</sup> انظر رسائل ٧٠ و٦٩، وكتاب النقط والدوائر.

<sup>٦</sup> النجار، نفس المرجع، ص ١٠٥.

أما غاية التّمصّ فهي أيضاً مختلفٌ فيها، كما اختلفَ حول المبادئ. هل الغاية من التّمصّ امتحانُ النفسِ وتطهيرُها أو ترقّيها في درجاتِ الكمال؟ وإلى أيّة درجةٍ من الكمال يمكنها الوصول؟ وكيف تكونُ في حال وصولها؟

يبدو أنّ للدروز المستنيرين رأياً يختلفُ عن رأي الحكمة نفسها. ففي حين تعتبرُ الحكمةُ أن غايةَ أدوار التّمصّ في أن تبلغَ النفسُ حدَّ الإمامةِ والكمالِ، يعتبرُ الدكتورُ مكارم والقاضي طليحُ أن الغايةَ من التّمصّ هي في الامتحانِ والتطهيرِ وحسب.

تقول الحكمة: «الجزء في الثواب... فهو زيادةُ درجته في العلوم وارتفاعه من درجة إلى درجة في اللّهوات<sup>١</sup> إلى أن يبلغ حدَّ المكاسرة، ويزيد في ماله، وينبسط في الدين من درجة إلى درجة إلى حدِّ الإمامة»<sup>٢</sup>.

وفي رسالة أخرى، عندما يقترب حسابُ المولى للناس، وتستحقّ كلُّ نفسٍ جزءاً صنيعها، يكونُ للنفوسِ الطاهرة إنَّها «تعلو برونقِ حكمته (حكمة قائم الزمان) الدينية بالأعمال الروية، وتستخرجُ بنهلِ فيضِ العقلِ عليها معاني الخيرات الشريفة العلمية، وتتعالى في درجِ الكمالِ مُغْتَبِطَةً بالمعارفِ اليقينية، وتسنّسُ بالضوء المشرق عليها... وتتحلّى بجواهر الفضائل، وتتحدُّ بالأنوارِ القدسية، وتكونُ مُفْتَنَةً في تمام الجواهر وتربيتها بالمهنِ العقلية... لفوزها بمملكةِ المعالم الإلهية. فهي باقيةٌ مدى الدهور والأبد، قد صفا لها السدقُ اليقيني بصحة المذهب والمعتقد...

«هنالك تتورُّ بُدُورُ التمام (أي الحدود)، وتتعالى بالضياء والإشراق، وترتفع نفوسُ أهلِ العدل، بقوامِ جواهرها مختصةً بالسكون (أي بالطمأنينة والغيبة) لقبولِ تأثيرِ العقلِ المبدعِ الفياضِ، مُلتَحِفَةً بقلبِ البقاء، والأمنِ من الفسادِ، والانحلالِ والانتفاضِ، قد خلعتُ لظهرِ عنصرها وقوةَ صفائها من دنسِ الشكوكِ والأعراضِ، وتهذبتُ بتحقيقِ قبولها للصُّورِ العقليةِ بمحضِ اليقينِ وعدلِ الارتياضِ...

«وقد لمعتِ الأنوارُ بالبشرى لنفوسِ المُحقِّين، وتشعشتُ بحقِ الظهورِ معاقِدُ الأعرافِ أصحابِ اليمين، وانبجستُ بمواردِ السادة (أي ببركاتِ الحدود) عيونُ الحياةِ للشاربين (الموحدين المُحقِّين)، وتَعَجَّرَ شُؤْبُوبُ جَوهَرها بالسعادةِ لما فيه من الاستعدادِ لقبولِ ماهيةِ الدين... ونهضتُ بمُعْجَزِ الإرادة (أي بقدرة قائم الزمان) وقوى حقائقها ببعضِ كمالات

<sup>١</sup> «اللّهوات» جمع «لّهات» وتعني هنا: التكرار في الأقمصة.  
<sup>٢</sup> رسالة الردّ على النصيري الفاسق، ١٥ / ١٧١.

المملكة... واتحدت، بعد المفارقة للمواد الطبيعية (أي بعد التقمص) بشريف وجود معقولات الروحانيين، وأرسمت بمقر قدسهم مراسم العقل الفعال إمام الزمان...

«ف عند ذلك... تتعالى بمعالم الحق درجات المحققين... هنالك تطلع نفوس أهل الحقائق بصفتها على الخفيات، وتبلغ بقوتها المتجلية لصور الحق نهاية النهايات، ويتأثر فيها من العقل الفعال محاكيات... ويكون لها بما ملكته إشراف على المعقولات... ونظر في شرائف الموجودات، وترقى بشرف معلومها إلى أعلى المراتب، وتتنبأ بالأمر الإلهيات...»<sup>١</sup>.

نص طويل نقلناه من الحكمة لجودة معانيه، وصفاء رؤيته للنفوس التي تترقى في درجات الكمال، جدير بالتوقف عنده وبالنأمل فيه. وهو يدل على أن الغاية من التقمص هو بلوغ الكمال، و «محاكاة» العقل في بهائه، والاستقرار «والمسكون» فيه.

بيد أن الدكتور سامي مكارم، في رده على النجار، يرى غير ما ترى الحكمة. فهو يقول بوضوح بـ «أن التقمص، في معتقد التوحيد، ليس تطوراً للروح في هذا الدور، بل هو تقلب الروح في شتى الأحوال، لكي يتسنى لها أن تختبر هذه الأحوال»<sup>٢</sup>. ولكنه لا يفيدنا ماذا سيكون للنفوس بعد هذا الاختبار؟ ولماذا هي تنتقل باستمرار من جسد إلى جسد؟ وما الغاية من هذا التنقل؟ وإلى أي حد تصل بعد تنقلها؟

وهو أيضاً رأي القاضي أمين طليح القائل بأن الدروز «خلافاً لسواهم لا يرى الدروز في تدرج الروح طريقاً إلى الكمال أو الإمامة، بل اختباراً وامتحاناً»<sup>٣</sup>. ويؤكد بقوله: «التقمص ومرور الروح في أدوار حياتية مختلفة هو في سبيل الاختبار والامتحان، وليس للتنقية والتطهير والوصول إلى الإمامة أو الكمال»<sup>٤</sup>.



في العقيدة الدرزية أن التقمص هو ما يجمع بين الشعوب على اختلاف نزعاتهم وألوانهم ومواقعهم، وهو ما يفرض على البشر التحلي بأنبط صفات الأخوة والمحبة والمساواة بين جميع الأمم. فالنفس، عبر تنقلها من جسد إلى جسد، قد ترحل بعيداً، وتقطع حواجز العرق والدين والحضارة والأرض والمقامات والمميزات...

<sup>١</sup> رسالة تمييز الموحدين ٦٦ / ٥١٣ - ٥١٧.

<sup>٢</sup> مكارم، أضواء على مسلك التوحيد، ص ١٢١.

<sup>٣</sup> أمين طليح، التقمص، ص ١٨ - ١٩.

<sup>٤</sup> نفس المرجع، ص ١٩.

هذه النظرية التي توحد بين أبناء الأرض وسكان الكواكب غنيّة الأبعاد شريفة المغزى  
نبيلة المرمى. لیت الدروز أخذوا مجمل أبعادها!

ولكن يصعب علينا التسليم بقول شائع، تمكن في عقول الناس منذ الفلسفة اليونانية التي  
جزأت الإنسان وقسمته إلى عنصرين: واحد يزول، وآخر يبقى مدى الأبد، هما الجسد  
والنفس. ما أدراك إذا قلنا إن الإنسان وحدة كاملة، لا ثنائية فيه ولا تجزئة لكيانه! ما أدراك إذا  
قلنا، نتيجة ذلك، إن الموت يُغيّب الإنسان كل الإنسان! لا يرحم منه قسماً ويقضي على آخر!  
قسم بريء يستهزئ بالقسم الفاني المسكين الذي بسببه تمكنت النفس البريئة من وجودها  
وسعادتها!!

تقول بالقيامة! لا بأس. ولكن لا يُركن إلى عنصر النفس الخالدة للإيمان بها. إن كنت  
تؤمن بالله، يكفيك ذلك، فهو كفيلاً بما تبقى.



## ثانياً – جنة الموحدين ونارهم

في مفهوم الجنة والنار عند الدروز والمسلمين خلافٌ شاسعٌ وتناقضٌ مبين. فالمسلمون يقولون بجنةٍ ونارٍ ماديتين، فيما الدروز يعتقدون بهما روحيّتين، لا سعادة إلا بالتوحيد، ولا شقاء إلا بالشرك.



في جنة المسلمين أنهارٌ من لبنٍ وعسلٍ ورحيقٍ مختومٍ، وأشجارٌ وارفةٌ الظلال كثيرةٌ الأثمار، ولذاتٌ جسديةٌ مكتملةٌ مع حورياتٍ هنَّ «عربٌ»<sup>١</sup> «تربٌ»<sup>٢</sup> «كواعبٌ»<sup>٣</sup>، أيّ هنَّ عاشقاتٌ لأزواجهنَّ، مستوياتٌ في العمر معهم، تكعبتٌ صدورهنَّ استثارةً للذةٍ والمتعة. وهنَّ أبقارٌ على الدوام، كلما باشرهنَّ أصحابُ الجنة لَمَسوا فيهنَّ بكارتهنَّ كأنهنَّ معهم للمرة الأولى، ولا يزيدُ عمرهنَّ، مدى الأبدية، عن ثلاثٍ وثلاثين سنة، هنَّ «مقصوراتٍ في الخيام لم يطمئنَّ أنسٌ قبلهنَّ ولا جانٌ»<sup>٤</sup>. وفي الجنة من الحلى الزاهية من سندسٍ واستيرقٍ وحريرٍ وطنافسٍ وسررٍ مرفوعةٍ وأوسدةٍ خضراءٍ وعُرفٍ مبنيةٍ، وأساورٍ من ذهبٍ ولؤلؤٍ ما يجعلُ البهجةَ والمتعةَ واللذةَ في أقصى توترها الجنسي<sup>٥</sup>.

أما الجحيم فهي مكان معدّ لعذاب الهالكين الذين لم يؤمنوا بالاسلام أو الذين آمنوا ثم كفروا. فيها نار خالدة (١٢٠ مرة) وسعيرٌ (٩٦ مرة) ولظىٌ وحريقٌ. إنها كحفرةٍ لا تمتلئ رغم كثرة الواردين إليها. النارُ من تحتهم ومن فوقهم<sup>٦</sup>، جعل الله في أعناقهم أغلالاً من حديدٍ وسلاسلَ ثقالاً<sup>٧</sup>، يأكلون الشوكَ والزقوم<sup>٨</sup>، ويشربون الغساق، أي القَبْحَ والدم<sup>٩</sup>، والصدِيدَ<sup>١٠</sup> الذي يُمزقُ الأحشاء<sup>١١</sup>. وهم في خزيٍ وذلٍّ<sup>١٢</sup> وزفيرٍ متصاعدٍ وشهيقٍ دائمٍ...

<sup>١</sup> سورة ٥٦ / ٣٧.

<sup>٢</sup> ٣٧ / ٥٦، ٣٨ / ٥٢، ٧٨ / ٣٣.

<sup>٣</sup> ٧٨ / ٣٣.

<sup>٤</sup> ٥٦ / ٣٦، ٦٦ / ٥.

<sup>٥</sup> ٥٥ / ٥٦، ٧٠ - ٧٤.

<sup>٦</sup> ١٨ / ٣١، ٤٤ / ٥٣، ٧٦ / ٢١، ٢٢ / ٢٣، ٣٥ / ٣٣، ٨٨ / ١٣...

<sup>٧</sup> ١٩ / ٨٦، ٥٠ / ٣٠، ٣ / ١٠٣، ١٠١ / ٩، ١٠٤ / ٤ و ٥، ١٤ / ٢٨.

<sup>٨</sup> ٢٩ / ٥٤، ١٠٤ / ٦ - ٩، ٧ / ٤١، ١٤ / ٥٠.

<sup>٩</sup> ٤٠ / ٧١، ٣٦ / ٨، ٧٣ / ١٢.

<sup>١٠</sup> ٨٨ / ٦، ٤٤ / ٤٣، ٧٣ / ١٣.

<sup>١١</sup> ٧٨ / ٢٥، ٣٨ / ٥٧.

<sup>١٢</sup> ١٤ / ١٦.



هذا باختصار حالُ جنَّة المسلمين وجحيمهم. أمَّا جنَّة الدروز فهي روحانيَّة خالصة، تقوم السعادة فيها على «التوحيد». ويوجِّه الدروز تهمتهم للمسلمين على إيمانهم المادِّي هذا، ويقولون:

«لمَّا كانتِ الجنَّة من حيث الحسِّ محيطَةً بأنواع الأشجار المثمرة والأمياه الجارية، تعلَّقتُ بها أوهاهمهم، وطلبوا العدمَ الذي ما له حقيقيَّة ولا محصول، إذ عَجَزوا عن المعاني المعقولات. ولو عَرَفُوا الجنَّةَ (الحقيقيَّة) لَسَارَعُوا إليها، وكانوا مخلِّدين فيها، وعَلِمُوا أَنَّهَا موجودةٌ، وأنَّ الباري سبحانه ما أحالهم على عدمٍ، بل كانَ جميعُ ما أُوعِدُوا به موجوداً بوجوده. وأمَّا زعمهم بـ«أنَّ الجنَّةَ عرضُها السَّموات والأرض» فقد جَهِلوا معنى هذا القول. فإذا كان عرضُها السَّموات والأرض فكيف يكونُ طولُها؟ وأين تكونُ النارُ منها؟ ولو عَرَفُوا الطولَ عرفوا العرضَ. وكلُّ شيءٍ طولُهُ أكثرُ من عَرْضِهِ»<sup>٥</sup>.

أمَّا الجنَّة بنظر الدروز فـ«هي الدعوة الهادية المهدية، وأثمارها العلومُ الإلهية الحقيقية، التي بها يتخلَّصُ الموحدون من جهلهم من داء الشرك. وأمَّا معنى الطولِ والعرضِ فإنَّ طولُها هو العقلُ الكلِّي الذي هو قائمُ الزمان... وعرضُها مثلُ النفس... الذي منه وجودُ جميعِ الصُّورِ الروحانيَّة»<sup>٦</sup>.

فالجنَّةُ إذن، أيَّ «الثواب، الذي هو أفضلُ العطاء وأجزله، وأشرفُ الجزاء وأكملُه، هو دركُ المعلوماتِ الإلهية، واقتناءُ الفضائلِ البرهانيَّة، وإنها السعادة القصوى، وإن هذه السعادة هي الغرض في وجود الإنسان، وهي كماله... والكمال... هو العقل الذي أشارت إليه الحكماء المتقدمون... وهذا هو حقيقيَّة التوحيد...»<sup>٧</sup>.



<sup>١</sup> ٤٧ / ١٥، ٥٦ / ٥٤.

<sup>٢</sup> ٦٣ / ٩، ٦٨ / ٤٣.

<sup>٣</sup> ٢١ / ١٠٠، ١١ / ١٠٦...

<sup>٤</sup> سورة آل عمران ٣ / ١٣٣، انظر سورة الحديد ٥٧ / ٢١.

<sup>٥</sup> رسالة الزناد ٣٧ / ٢٧٢.

<sup>٦</sup> نفس المرجع.

<sup>٧</sup> معراج نجاه الموحدين ٦٩ / ٥٨٥ - ٥٨٧. تُقرأ بكاملها.

«أما النار فهي من حيث المحسوس، المُحرقةُ للأجسام... ومنها نار العذاب، وهي الهاوية والجحيم. وهذه الأسماء (هي) معنى الشريعة التي هَوَّوا (هكذا) أهلها وغَوَّوا ولَقَّوا فيها العذاب. ولو قيل لهم (أي المسلمين) أخرجوا منها، أبوا واستكبروا وصدُّوا عن السبيل. فهم فيها ماكيثون مُنكرون في جميع الأدوار والأعصار، إذ تخيَّروا الضلالةَ على الهدى، وعلى البصيرة العمى، وتمسَّكوا بزخارف الأفاويل»<sup>١</sup>...

والنار التي هي «دار البوار» كما يعرفها القرآن هي، بحسب الدرور، الشريعةُ وتكاليُفها الإبلِسيَّة. وهذه هي «النار بالفعل»<sup>٢</sup>. والشريعة، كما هو معروف عنها، هي الكفر والشرك والتلحيد، فتكون النار، بالتالي، هي الشرك والجهل والشرك.



فالجنةُ إذن، وبكل بساطة ووضوح، هي الإيمان بالتوحيد، والنار هي رفض التوحيد، أي الشرك والاتكال على العدم والشريعة.

---

<sup>١</sup> رسالة الزناد ٣٧ / ٢٧٣.  
<sup>٢</sup> نفس المرجع، ٣٧ / ٢٧٣ - ٢٧٤.

## ثالثاً - يَوْمُ الدُّرُوزِ الأَخِيرِ

يَوْمُ المَعَادِ هو اليومُ الأَخِيرُ من هذا العالمِ، فيه تصيرُ الدينونةُ، وتُحاسبُ كُلُّ نَفْسٍ بما صنعتُ، وفيه ينتهي العالمُ، ويتجلَّى العليُّ الأعلى الباري الحاكمُ المعبودُ، ويقضي على أصحابِ النواميسِ الأبالسةِ وحزبِهِم بالسيفِ وبقوَّةِ عَظيمةِ رهيبَةٍ.

في هذا اليومِ لن تكونَ «قيامَةٌ عامَّةٌ للأَمْواتِ»، كما هو الحالُ في اليهوديَّةِ والإسلامِ، لأنَّ الأرواحَ لم تبرحْ هذا العالمَ تنتظرُ قيامَتَها، فهي فيه تنتقلُ من جسمٍ إلى جسمٍ حتى تبلغَ تطوُّرها وكمالَها. وتتحدُّ بالعقلِ الكليِّ نهايةً كلِّ رقيٍّ وتطوُّرٍ.

وفي هذا اليومِ لن يكونَ «حسابٌ عامٌّ» للأَمْواتِ، لأنَّ كلَّ نَفْسٍ تُحاسبُ عندَ تنقلِها في الأَجسادِ. وينتهي الحسابُ عندَ وصولِها إلى حدِّ الكمالِ في العقلِ الكليِّ. أمَّا النفوسُ الشريرةُ والمُشركةُ فتستمرُّ في تقمصِها الأَجسادَ الشريرةَ إلى الأبدِ.



أمَّا اليومُ الأَخِيرُ من هذا العالمِ ففيه يتجلَّى الحاكمُ بقوَّةٍ لا توصفُ ويظهرُ، قبْلَهُ، صفيُّه قائمُ الزمانِ حمزةٌ ببأسٍ عظيمٍ. «وغالبُ الظنِّ»، كما يقولُ الأميرُ السَّيِّدُ في شروحاته للحكمة، إن بدءَ التجلِّي (سيكون) في مكَّةَ، لأنَّ صفيِّه صَلَّى اللهُ عليه، إذا اقتضتْ مشيئةُ الرَّبِّ تعالى، إنه يظهرُ بالعسكرِ العظيمِ، فيظهرُ من الشرقِ حتماً، ويسحبُ ذَيْلَهُ قاصداً بَيْتَ مَكَّةَ، فتُلاقِيه ملوكُ الدُّنيا من مشارِقِها إلى مغاربِها، كما قالَ (قائمُ الزمانِ): «إذا اشتَهَرَ من المشرقِ الصَّارمُ المُشْرِفي، وظهرَ من الحجبِ المُستورِ الخفيِّ»، وكما قالَ: «وسحبَ ذَيْلَهُ بالخَسْفِ لمقطرةَ الكُفْرِ والبابِ الأعظمِ لتهامةٍ»، وكما قالَ: «إن السَّيِّدَ يملكُ جميعَ الدُّنيا»، وإنه يجوزُ من البحرِ إلى لدنِ الأنهارِ إلى منقطعِ الأرضِ، وإنه الذي تخرُّ الجبابرةُ له بينَ يديه على رُكَبِهِم، وتجلسُ أعداؤه على الترابِ، وتأتيه الملوكُ بالقرايينِ، وتسجدُ له، وتدينُ الأُمَّمُ كُلُّها بطاعتهِ والانقيادِ.

فيظهرُ السَّيِّدُ العظيمُ، صَلَّى اللهُ عليه، بعساكرٍ وعظَماتٍ ومعجزاتٍ وآياتٍ، وهيئةٍ وسلطانٍ، وعزٍّ وامكانٍ، وخيلٍ شُرْبِ عِتاقي<sup>١</sup>، وزينةٍ تبهرُ الآفاقَ. فترتجُ الأرضُونُ لهيبتهِ وعزتهِ، وفعلهِ وعظمتِهِ، فيشتَهَرُ في أقطارِ الأرضِ بظهورِهِ، بهذا الرَّحْمِ العظيمِ، ولأجلِ ذلكِ تأتيه الملوكُ بالقرايينِ.

<sup>١</sup> الخيلِ الشَّرْبِ العِتاقي هي الخيلِ الضوامرِ.



وأغلبُ الظنَّ أنَّ ما يَبقى في أقطارِ الأرضِ من مشارِقها إلى مغاربِها مَلِكٌ إلاَّ ويأتيه من تلقاءِ نفسه، بغيرِ طلبٍ، ولا حثٍّ من أحدٍ. بل لتواترِ الأخبارِ في الأقطارِ، بأمرِ مَلِكٍ ظَهَرَ بالشرقِ بحالٍ لم يَرَّ ولم يُسمَعِ بمثلِهِ قطَّ، فتعُ الهيبَةُ والرعبُ العظيمُ في قلوبِ الملوكِ والجبابةِ. ولا تأتيه لقصِدِ محاربةٍ، ولا لدفعِهِ عن مملكةٍ من ممالكِ الدنيا، بل طَمَعاً لابقائهم على ممالكهم، ويكونوا من قبَلِهِ وتحتَ أمرِهِ، خاضعينَ خاشعينَ طائعينَ.

ويكونُ ظهورُهُ بهذه العظمتِ بعدَ ظهورِ الدجالِ الأعورِ اللعينِ مدَّةَ زمانٍ وخرابِ الفِسطاط... وتكونُ أهلُ الحقِّ في أشدِّ البلاءِ، كما قال: «وضاقتُ على أولياءِ الحقِّ الأرضُ بما رحبتُ».

ومن حينِ ظهورِهِ بالشرقِ، صلى اللهُ عليه، يقعُ الزمَعُ والذعرُ والهيبَةُ في قلوبِ الملوكِ والكفارِ. ويقعُ الفرخُ الشديدُ والرجاُ والهناُ والابتهاجُ والاستبشارُ في قلوبِ السَّادقينِ الأبرارِ.

وربَّما لا يصلُ، صلى اللهُ عليه، بهذا العسكرِ الجرارِ إلى مَكَّةَ إلاَّ وقد اجتمعتْ به ملوكُ الأرضِ. ومن جملةِ الملوكِ أبو السَّويقتينِ المشهورُ عنه أنَّه يأتي لخرابِ بيتِ مَكَّةَ، وهو من السودانِ...

وإذا لاقوه الملوكُ (هكذا) صلى اللهُ عليه، أغلبُ الظنِّ أنَّه ما يردُّ قربانَ أحدٍ، بل يَقْبَلُهُ، أو يُوعِدُ بِقَبولِهِ، إذا وصلَ إلى مَكَّةَ. ولا يُظهِرُ لهم غضباً، ولا يبذلُ فيهم سيفاً ولا غيرهَ. ولا هم أيضاً يَعرفوا ما يحلُّ بهم.

فإذا وصلَ المَلِكُ العظيمُ بهذا العسكرِ الكبيرِ إلى مَكَّةَ وحلَّ بها ونزلَ فيها الذي لم يكنْ من يومِ قيامِ الدنيا رأى أحدٌ عسكرَ، ولا سمعَ بعسكرٍ مثله، ولا يشبهُه، ولا يدانيه في حالٍ من الأحوالِ، لا في فرسانٍ، ولا في خيلٍ، ولا في لباسٍ، ولا في زينةٍ، ولا في عَظْمَةٍ، ولا في عزٍّ، ولا في مُعجَزٍ، ولا في هيبَةٍ، ولا في حُرْمَةٍ، ولا في وقارٍ، ولا في سلطانٍ، ولا في قدرةٍ، وربَّما يكونُ مع العسكرِ آلاتٌ بحسِّ كالرعودِ الصواعقِ، والبروقِ اللوامعِ، تهزُّ الأرضَ هزّاً، وتملأُ الأرضَ هيبَةً وذعراً، وتزلزلُ النفوسَ عن مراكزها رعباً ورهباً...

فحينئذٍ يتجلَّى المَلِكُ العَلَمُ جلَّ جلالُهُ، ويظهرُ بين تلكِ العساكرِ بالقدرةِ الربَّانيَّةِ، العظيمةِ الإلهيَّةِ، ويبرزُ بالجبروتيةِ، فتخرُّ جميعُ العساكرِ لعزَّةِ سلطانه وقدرتهِ جلَّ جلاله، وينكشفُ لأعينِ الجميعِ تلكَ الساعةِ، ويُشاهدوا إلهيَّتهِ وربوبيَّتهِ، ويصعقُ مَنْ في الأرضِ والسمواتِ لهيبتهِ وعظمتِهِ. فهنالكِ يصيرُ ما قالَ السَّادقُ (حمزة) «عند ذلكِ تهتزُّ الممالكُ بأقطارِ المعمورةِ المبنيَّةِ»، وكما قالَ: «واهتزتِ الأرضونَ لظهورِ القائمِ»...

فصحّ بهذه الشواهد إنّ الأرضَ يصيرُ فيها يومَ القيامةِ أمرٌ عظيمٌ من الحركاتِ والرجّاتِ والرجفاتِ والزلازلِ، وفي الأفلاكِ حركاتٌ مزعجاتٌ، ما لا صار في الدنيا أبداً.

وربّما يكونُ يومٌ يتجلّى الربُّ جلّت قدرته بمكّة، يعرفوا أهلُ الدنيا بقيامِ القيامةِ بحركاتِ الأفلاكِ وارتجاجِ الأرضين. وفي ذلك اليومِ يأذنُ جلّ جلاله بِخَرَابِ البيتِ العتيقِ الذي هو الكعبة. ويأمرُ السيّدَ العظيمُ قائمُ الزمانِ بجريانِ سيفِ الحقِّ في العساكرِ المجتمعة. ويكونُ بدءُ الفعلِ مع خرابِ البيت. كما قال: «وظهورُ بدءِ الفعلِ المنتظرِ من تهامة».

والمشهورُ إنّ إذا حضرتُ دَابَّةُ الأرضِ (كنايةً عن حمزة) في مكّة، ومعها خاتمُ سليمان، تصرخُ ثلاثَ صرخاتٍ، فيسمَعُها مَنْ بين الخافقين، يعني الشرقَ والغرب. والدابّةُ هي إمامُ الزمانِ، صلى الله عليه، إذا حلَّ بمكّة، يُجري اللهُ تعالى على يده أموراً عظيمة، ما لا أُنَّ سمعتُ، ولا عينٌ رأت، ولا خطرَ على قلبِ بشر، من كشفِ الأمورِ الدينية، وإظهارِ المعالمِ الإلهية، والاطلاعاتِ على الأحوالِ السريّة، والثوابِ للأَنْفُسِ الزكيّة، بالنعيمينِ المستقرّين في الجنّةِ العليّة، والعقابِ للأَنْفُسِ الخبيثةِ الدنيّة، من الحشراتِ المحرقةِ السرمديّة، والتكثيرِ والتمحيقِ والمسوخية، المعنويّة والصوريّة.

وكل ذلك بحضرتِه تعالى، وهو متجلّي في الصورةِ الناسوتيّة، ومع تجلّيه سبحانه وتعالى في الصورةِ البشرية، يظهرُ بالقدرةِ الباهرةِ الرّبّانيّة، والمعجزاتِ الجبروتيّة، والعظمتِ القاهرةِ القدوسيّة، وتملأُ هيبتُه قلوبَ جميعِ البريّة، ويقعُ الزّرعُ والفرعُ والخوفُ في السرِّ والعلانيّة، ويستقرُّ الرعبُ والرهبُ والذلُّ والخشوعُ في النفوسِ الناطقةِ الجوهريّة، لأنَّ الربَّ سبحانه بحكمته البالغة، يقدِّرُ بإظهارِ قدرِه وساطعِ نوره وبواهرِ آياتِ وهيبته وجلال، لم يكن مع ذلك أحدٌ يستطيعُ يفعلُ زلّةً ولا يرتكبُ معصية، حتى ولا إبليسُ اللعين (محمّد) لعظمِ الهيبةِ والحرمةِ والقدرةِ التي عمّت الدنيا من مشارقها إلى مغاربها<sup>1</sup>.

لقد أردنا نقلَ هذا النصِّ الطويلِ بحرفيّته لأنّه يدلُّ دلالة صريحة على ما في الرسائل، وعلى فهمِ الدروزِ ما في الرسائل، ولأنّه من يدُ جلييلةٍ معتبرة في العالمِ الدرزي، ألا وهي يدُ الأميرِ السيّدِ جمال الدين التتوخي وقد يغنينا هذا النصُّ أيضاً من نقلِ رسائل عديدة في هذا الموضوع، كما يعفينا من تهمةٍ قد تصيبنا على غيرِ حق، لما يستحلُّ الدروزُ إطلاقه على أقدس مقدّسات الإسلام.

<sup>1</sup> تفسير كشف الحقائق للأمير السيّد، ص ٧٨١ - ٧٨٦، مخطوط رقم ١٤٣٩ في المكتبة الوطنية بباريس، ورقة ٥٥ ب - ٥٩ ب.

ومع هذا نحيلُ القارئَ إلى الاطلاع على ما في الرسائل من كلام، إن قرأه بامعان  
ومعرفة، قد لا يصدق عينيه ما تقرأ في حق مكة والكعبة والحجر الأسود، وفي حق الإسلام  
والمسلمين، وفي حق النبي محمد ووصيه علي بن أبي طالب.

فليقرأ القارئ مثلاً: رسائل ٥٦ / ٤٣٧ - ٣٣١، و٥٧ / ٤٤٤ - ٤٥٠، و٦٠ /  
٤٧١ - ٤٧٢، و٦٢ / ٤٨١ - ٤٨٢، وأيضاً ٤٨٢ - ٤٨٥، و٦٣ / ٤٨٩ - ٤٩٠، و٦٤ /  
٤٩٣، و٦٦ / ٥١١ وما يلي، و٩٠ / ٧٧٠ - ٧٧١. وليقرأ أيضاً: ٥٥ / ٤٢٨، و٤٨ /  
٣٥٩، و٤٢ / ٣٣٤، و٥٣ / ٣٨٣ و٣٩٦، و٤٩ / ٣٦٣، و٥٥ / ٤٢٢... وغيرها.



يومُ المَعَادِ هذا يكونُ إذن في مكة، حينَ يجيءُ حمزةُ «لاستيفاءِ الثأرِ لدماءِ  
الموحدين»<sup>١</sup>. ولكنه يومٌ لا يبدو أنه آخرُ يومٍ لهذا العالم، كما في اليهودية والإسلام، بل هو  
آخرُ يومٍ للشرائع والأنبياء والأسس، فيه تنتهي مهمّة النواميس الشريرة، ويُعلنُ «التوحيد»  
جَهراً على جميع البشر، ويبدأ دورُ «كشف» جديد تكونُ الغلبة فيه للموحدين الذين يملكون  
العالم وما فيه، ويُخضعون كلَّ مخالفٍ مشرك. ويبقى الحكمُ فيهم إلى الأبد.



<sup>١</sup> رسالة التعقب والافتقاد ٥٥ / ٤٢٨.

## الفصل التاسع

### دَعَائِمُ دِينِ التَّوْحِيدِ

- |                |                                |
|----------------|--------------------------------|
| أولاً          | — سدقُ اللسان                  |
| ثانياً         | — حفظُ الأخوان                 |
| ثالثاً         | — تركُ عبادةِ العدم والبهتان   |
| رابعاً         | — البراءة من الأبالسة والطغيان |
| خامساً         | — توحيدُ الحاكمِ جلَّ ذكره     |
| سادساً وسابعاً | — الرضى والتسليم               |

## أولاً – سدقُ اللسان

في الصفحة ١٤٨ من هذا البحث، قلنا: «للتوحيد غايتان متكاملتان: الواحدة سلبية والأخرى إيجابية. أما السلبية فهي البراءة من جميع الأديان والمذاهب ودعائم الإسلام السبع... ولعلَّ القارئ ينتظر قولنا المفروض أن يُقال: «أما الإيجابية...». الآن نستطيع الإجابة على هذه الغاية الإيجابية، وهي التي تتكلم عنها «الخصال التوحيدية السبع» بدل «السبع دعائم التكليفية الإسلامية».

يقول قائم الزمان: «واعلموا أن مولانا جلّ ذكره، قد أسقط عنكم سبع دعائم تكليفية ناموسية، وفرض عليكم سبع خصال توحيدية دينية: أولها وأعظمها سدقُ اللسان. وثانيها حفظُ الإخوان. وثالثها تركُّ ما كنتم عليه وتعتقدوه من عبادة العدم والبهتان. ورابعها البراءة من الأبالسة الطغيان. وخامسها التوحيد لمولانا جلّ ذكره في عصر وزمان ودهر وأوان. وسادسها الرضى بفعله كيفما كان. وسابعها التسليم لأمره في السرِّ والحدّثان»<sup>١</sup>.



أول خصال الموحدين وأعظمها هو «السدق»، بل «السدق هو الإيمان والتوحيد بكماله. والكذب هو الشرك والكفر والضلالة»<sup>٢</sup>. «السدق دليل على توحيد مولانا جلّ ذكره»<sup>٣</sup>. و «السدق من الإيمان كالرأس من الجسد»<sup>٤</sup>.

«والسدق أيضاً دلّ على خمسة معاني، وهي أنه: دلّ على الإله السدق، ودلّ على التوحيد السدق، ودلّ على الإمام السدق، ودلّ على حروف السدق، ودلّ على فريق السدق»<sup>٥</sup>.

فالسدق هو مختصر ديانة التوحيد وفضائل الموحدين: «فمن كان يزعم أنه مؤمن موحد ولا يعمل بفرائض مولانا سبحانه، ولا يكون صادقاً في أقواله، محسناً في أفعاله، كان مدّعي التوحيد، مستعمل الشرك والتلحيد»<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> رسالة بدء التوحيد لدعوة الحقّ ٧ / ٦٦، ميثاق النساء ٨ / ٧٢. «الحدّثان» يعني «الجهر» و«الإعلان»، بخلاف «السرّ والكتمان».

<sup>٢</sup> رسائل ٩ / ٧٦، ٤١ / ٣١٢، ٧٧ / ٦٩٩.

<sup>٣</sup> رسالة ٩ / ٧٨.

<sup>٤</sup> رسالة ١٥ / ١٦٥.

<sup>٥</sup> كتاب النقط والدوائر، ص ٥٤.

ولن يكون في نهاية المطاف خلاص إلا للموحدين الذين سدقوا القول: «ولا رفعة المعاد إلا لمن سدق لسانه»<sup>٢</sup>.

أما الكذب فهو «ليل على شخص ابليس اللعين»<sup>٣</sup>، «وهو الشرائع الناموسية»<sup>٤</sup> و «هو الكفر»<sup>٥</sup>. والكذب لا يكون كذباً إلا على إخوان التوحيد، أما مع «الأضداد» فلا يسمّى كذلك. فـ«الكذب على أخيك المؤمن هو الكفر»<sup>٦</sup>، و «من كذب على أخيه المؤمن فقد كذب على داعيه، ومن كذب على داعيه فقد كذب إمامه، ومن كذب على إمامه فقد كذب على مولانا جلّ ذكره وجد نعمه واستوجب سخطه»<sup>٧</sup>.

والكذب هو «إن يقول أحدكم في أخيه (المؤمن) ما ليس فيه، أو يحرف عليه قوله، أو يحلّ له شيئاً ممّا حرّمه عليه إمامه، أو يقول في مولانا ما لا يجوز أن يقال في عبده، فقد جحد الفضل والإيمان، وتظاهر بالردّة والطغيان»<sup>٨</sup>.

فالسّدق إذن لا يكون إلا مع «الإخوان»، وأما مع «الأضداد» فالكذب والحذر والحيلة والمساورة والمصانعة والمداراة هي خير وسيلة. والاعتماد على السّدق هو أعظم أركان الدين، تماماً كالصلاة عند أصحاب الشرائع<sup>٩</sup>، فيما الكذب على الأضداد هو أعظم وسيلة للحفاظ على الحقّ عند أهل الحقّ.

«فالحذر الحذر، معاشر الموحدين، أن تخالف قلوبكم ما تنطق به ألسنتكم لأخوانكم. فإنّ ذلك يسخط قائم زمانكم. وهو نفس الشرك... وليس يلزمكم، أيّها الأخوان، أن تسدقوا لسائر الأمة، أهل الجهل والغمّة، والعمى والظلمة، وأن لا يلزمكم فيه شيئاً لهم. والسّدق فهو من نفس الأدب. وليس لغيركم عليكم فرّض، ولا ذلك إلا لبعضكم بعض»<sup>١٠</sup>.

ولكن، يستطيع الموحّد الكذب على أخيه إذا كان بينهما ضيّدٌ: «وليس لأحد من الموحدين فسحة في الكذب لأخوانه، إلا أن يكون هناك ضيّدٌ حاضرة، لا يمكن كشف الأمور إليه، ولا شرحهما بين يديه. وإن أمكن الصمت فهو أحسن، وإن لم يمكن فلا بأس أن يحرف

<sup>١</sup> رسالة ٤١ / ٣١١.

<sup>٢</sup> رسالة ٩٣ / ٧٧٩.

<sup>٣</sup> رسالة ٤١ / ٣١٢.

<sup>٤</sup> رسالة ٥٣ / ٣٩٧.

<sup>٥</sup> رسالة ٢١ / ٢١٠، انظر: ٤١ / ٣١٢...

<sup>٦</sup> رسالة ١٢ / ٢١٠.

<sup>٧</sup> رسالة ٤١ / ٣١٢.

<sup>٨</sup> رسالة ٩ / ٧٦، انظر ٧٧ / ٦٩٩ - ٧٠٠، ٤١ / ٣١٢...

<sup>٩</sup> كتاب النقط والدوائر، ص ٥٤.

<sup>١٠</sup> رسالة ٤١ / ٣١٤.

القول بحضرته، أعني الضدّ. ويجب عليه أن يرجع يسدق الحديث لأخوانه، بعد خلوّهم من الشيطان»<sup>١</sup>.

ولكن، «لا بأس بالصدق فيما لا يضرّ عند الأضداد»<sup>٢</sup>.

لذلك، لا يجوز الكذب بين الأخوان إذا كان مجتمعهم خال من الأضداد: «من حرّك لسانه بالكذب بين أخوان التوحيد والدين، وهو آمن أهل الردة والمخالفين، فقد صدّ عن التوحيد والكشف، وباين النفاق والخلف»<sup>٣</sup>.



إن الكذب خطر جداً. وخطره كامن في كونه يتشبه بالصدق. لأنّ كلاهما ثلاثة أحرف. إلا أنّ فرقاً شاسعاً بين مجموع حروفهما: فالصدق: ١٦٤ حرفاً، الكذب ٢٤ حرفاً. والنزاع حاصل بينهما حتى يوم المعاد<sup>٤</sup>.



<sup>١</sup> نفس المرجع.

<sup>٢</sup> نفس المرجع.

<sup>٣</sup> رسالة ٥٧ / ٤٤٥. رسالة ٥٧ / ٤٤٥.

<sup>٤</sup> انظر رسائل: ٩ / ٧٨ - ٧٩، ٢٢ / ٢١٥ - ٢١٦، ٤١ / ٣١٢...

## ثانياً - حُفْظُ الإِخْوَانِ

هي الدعامة الثانية من دعائم التوحيد وخصال الدين، وهي، عند الدرور، «عِوَضُ الزكاة» عند المسلمين<sup>١</sup>. وإذا كانت «الزكاة هي الشريعة بكاملها»<sup>٢</sup> فإنَّ «حفظ الأخوان» هو التوحيد بتمامه.

ولهذا لم يفتأ قائمُ الزمان، في كل رسالة، من توجيه النصيحة والتوصية: «أوصيكم بحفظ إخوانكم، فإنَّ بحفظهم يكمل إيمانكم. فأجيبوا دعواهم، واقضوا حاجاتهم، واقبلوا معذرتهم، وعادوا من ضامهم، وعُودوا مرضاهم، وبروا ضعفاهم، وانصروهم ولا تخذلوه»<sup>٣</sup>.

وفي وصية حمزة لسفير القدرة قوله:

«أوصيهم بحفظ بعضهم بعضاً». و «احفظ الأخوان، واعضدْهُمْ في السرِّ والإعلان». و «اجمع شمل الموحدين. وكنْ لهم في نفاسهم وأعراسهم وجنائزهم على السنة التي رُسمتْ لهم». وإنْ خالفَ موحدٌ إيمانه، على سفير القدرة تأديبه وضربه «حتى لا يعودَ إلى خطأ لا يليقُ بالموحدين، وذلك في بيتك موضعٌ لا تكونُ فيه الأضداد»<sup>٤</sup>.

وإذا كان من حجة لإسقاط دعائم الإسلام فليس أعظم منها سوى حفظ الإخوان: «وأنتم معاشر المؤمنين الموحدين قد علمتم وسمعتم السجل الذي أمر مولانا جلّ ذكره بقراءته عليكم، وأسقط عنكم الزكاة والأعشار والأخماس وسائر السدقات إلى أبد الأبد. ولم يُسقطْ عنكم محافظةً بعضكم بعضاً. ولا يكونُ في نسخِ الشريعة حجةً عقلية واضحةً مرئيةً أعظم من هذا»<sup>٥</sup>.

و «الحفظ، في لغة الدرور، معناه الصيانة والحراسة والرعاية. ومعنى استحفظه استرعاه، ومعنى استرعاه لاحظته بالإحسان إليه. وفي اللغة، المحافظة معناها المراقبة والمحافظة المواظبة والذبّ عن المحارم.

<sup>١</sup> كتاب النقط والدوائر، ص ٥٧.

<sup>٢</sup> كتاب النقط الخفي ٦ / ٤٩.

<sup>٣</sup> رسالة التحذير والتنبيه ٣٣ / ٢٤٥.

<sup>٤</sup> تقليد الرضى وسفير القدرة ٢١ / ٢١٠.

<sup>٥</sup> رسالة بدء التوحيد لدعوة الحق ٧ / ٦٦.



«فعليك أن تنتظر درجاتهم، وتحفظ عهودهم، وتصون ذمامهم، وتحرس مقامهم، وترعى حقوقهم، وتراقب مصالحهم، وتواظب خدمتهم، وتقضي حاجاتهم، وتمحض محبتهم بالعقل والجنان، وتذب عنهم بالمال واليد واللسان.

«فإن كنت ذا علم فاهديهم بعلمك، وإن كنت ذا جهل فأرشدهم بعلمهم جهلك، وإن كنت ذا مال فبرهم بمالك، وإن كنت ذا فقر فأغن بجدودهم فقرك، وإن كنت ذا عز فاكنفهم في عزك، وإن كنت ذا ذل فادفع» بعزهم ذلك...

«ولا يجوز لأحد منهم أن يميز نفسه على غيره، ولا يتعدى طوره، ولا يرى لنفسه فضيلة على أخيه بنسب ولا بمال ولا بجاه ولا بال، إلا بالعلم والعمل والعفة عن الزلل.

«ولا يعتد شر العقوبة لأخيه لعله يتوب. ولا يعتد فيه الانخفاض لعله يترقى، بل يجوز النظر بعين النقص على قدر خطاه. ولا يعتد فيه الاسقاط. ولا يعتد لنفسه ثواباً يزيد على أخيه لعله يفوته عند غفلته وتوانيه.

«وإذا أخطأ أخوه وعظه وعاتبه. وإن تمادى لأمه وعنفه. وإن طال به السفه واللدن هجرة. وإن دام على غيئه أبعدته وتبرأ منه. وإذا خرج إلى البدع عاداه وصانعه وداره...

«وعليك بلم شملهم، وذكر فضيلهم، ونشر محاسنهم، وستر عيوبهم، واحتمال عثرتهم، وحسن الظن بهم...»<sup>١</sup>.

«والمحافظة كلمة جليلة القدر، وهي فريضة لازمة على أهل هذه الدار. ميمها معونات. وحاؤها حسنات. وألفها افادات. وفأؤها فرائض لازمات. وظأؤها ظفر بالكرامات. وهأؤها هنيئاً لمن حافظ عليها ورزق عاقبة الثبات»<sup>٢</sup>.

وفي «المصحف المنفرد بذاته» هذه النصائح أيضاً: «وإن أحد من الموحدين استجاركم فأجروه، ثم أبلغوه مأمته، أو أصابته مصيبة، فكلكم يكفه. إنما الموحدون تتكافأ دماؤهم. وهم يد على سواهم. وكان مولاكم بما تعملون خبيراً»<sup>٣</sup>.

وأما بهاء الدين المقتنى فلم يوفر فرصة إلا توجه فيها إلى الموحدين لحفظ بعضهم بعضاً. فيقول: «فارغوا بالرأفة حقوق بعضهم بعض»<sup>٤</sup>، «واحذروا من التحاسد والاختلاف. وكونوا على قبول من الحق والوفاء والانصاف»<sup>٥</sup>. وينصحهم بتوحيد كلمتهم بقوله: «فلتكن،

<sup>١</sup> كتاب النفط والدوائر، ص ٥٥ - ٥٧.

<sup>٢</sup> كتاب الدرر المضية، ص ٣٤٢ كلمة «حفظ»، مخطوط ١٤٣٩ ورقة ٩٢.

<sup>٣</sup> مصحف المنفرد بذاته، منسوب إلى قائم الزمان حمزة، ص ١٥٢، انظر أيضاً ص ٢٤٤.

<sup>٤</sup> رسالة جبل السمّاق ٩٨ / ٧٩٢.

<sup>٥</sup> مكاتبة تذكره ٩٣ / ٧٧٩.

أيها الإخوان، الكلمة واحدة، والالفة مجتمعة، والذاكرة دائمة<sup>١</sup>، ويقول أيضاً: «ولتكن كلمتكم واحدة وشملكم مجتمعاً وقولكم مؤتلفاً. فالاختلاف يورث الفشل، وقلة المذاكرة في الدين تهبط قديم العمل»<sup>٢</sup>.

وإن كان من فضل لموحّد على أخيه فهو بما يعرفه من الحكمة: «لا ميزة لأحد على أحد إلا بما علمه من الحكمة... ولا فضيلة إلا بمواصلة أهل الحق في الحق والبراءة ممن عندّ عنه وأباه»<sup>٣</sup>.



لا يظنّ أحد بأنّ فضيلة «حفظ الإخوان» شاملة لجميع أبناء البشر على مختلف ألوانهم ومعتقداتهم. لأنّ أهل الكفر والضلال لا يستحقّون من المؤمنين رحمة. وقلمنا نجد في «الحكمة» كلمات تعودنا سماعها في المسيحية والإسلام، مثل المحبة والتسامح والمغفرة وغيرها. ولعلّ ذلك مردّه للظلم والقهر اللذين وصما تاريخ الموحدين الكتيب.



<sup>١</sup> جواب كتاب السادة ٩١ / ٧٧٣.

<sup>٢</sup> منشور إلى آل عبد الله ٩٠ / ٧٧١.

<sup>٣</sup> مكاتبة تذكره ٩٣ / ٧٧٩.

## ثالثاً - ترك عبادة العدم والبهتان

ثالث الخصال التوحيدية ترك عبادة العدم والبهتان. في كتاب النقط والدوائر، «العدم والبهتان يجمع العقيدتين: التنزيل والتأويل وفروعهما. لأنّ اعتقادهم (اعتقاد أصحابهم) أنّ الربّ سبحانه ساكن فوق السماء، فهو عدم وبهتان... والعدم هو الذي لا وجود فيه، ولا فائدة له. والبهتان هو الكذب الذي لا صدق فيه. وذلك مجموع العقيدتين، وحاصل المذهبيين... وبالجملة فكل مذهب خارج عن مذهب التوحيد فهو عدم.

«وهذه الفريضة كونها: ترك عدم وبهتان، فلذلك كانت عوض الصوم، لأنّ ظاهر الصوم ترك الأكل والشرب، وحقيقتيهما التنزيل والتأويل. وكذلك باطن الصوم عند أهل التأويل ترك الكلام والمفاتيحة لغير إخوانهم»<sup>١</sup>.

وباختصار الكلام إنّ «كل من ذكر عن نفسه أنّه موحد وهو متمسك بشيء من الشرع، فقد أبطل وكذب في قوله. بل هو ملحد كافر»<sup>٢</sup>. وفي الحقيقة إنّ «العدم» هو إله اليهود والمسلمين الساكن فوق السماوات.



<sup>١</sup> كتاب النقط والدوائر، ص ٥٨.  
<sup>٢</sup> رسالة الشمعة، ٣٨ / ٢٨٠.

## رابعاً – البراءة من الأبالسة والطغيان

ورابع الخصال: البراءة من الأبالسة والطغيان. «والأبالسة والطغيان تجمع كل فريق الضلال. أولهم إبليس اللعين»، ثم سائر الأبالسة «النطقاء والأسس والأئمة والحجج أصحاب الشرائع الظاهرة والباطنة». أمّا التبرّي فهو «البراءة من شرائعهم الدارسة وعقائدهم الفاسدة وأديانهم المضلّة ونياتهم الخبيثة وأقوالهم الكاذبة وأفعالهم القبيحة. ثم الاحتماء من كثرة لقائهم ومجالستهم وقلة الاصغاء إليهم، ثم مصانعتهم ومداراتهم والمسايرة بمألوفهم...»<sup>١</sup>.

ولن نعود إلى ما قلناه في شأن موقف الدرّوز من محمّد وعليّ وشريعتيهما وغير ذلك. فهي تدخل في موضوع البراءة هذا. ولن يكون الدرزيّ درزيّاً طيّباً إن لم يحسب لبراءته من هؤلاء حساباً. فالجنة مرتّنة بالبراءة. والبراءة هي التوبة والاستغفار وطلب العفو من الحاكم المعبود عمّا قد يكون علق بنفوس الدرّوز من شرائع الأبالسة.

هكذا «كل من ادّعى التوحيد وهو يقول بالظاهر والباطن كان كاذباً في قوله»<sup>٢</sup>. ومن تبرّى منهما نال حظوة عند ربّ العالمين.



<sup>١</sup> كتاب النقط والدوائر، ص ٥٩.  
<sup>٢</sup> رسالة الشمعة، ٣٨ / ٢٨٠.

## خامساً - توحيد الحاكم جلّ ذكره

التوحيد يعني إن «الباري سبحانه منفرد عن جميع مخلوقاته بصفات الربوبية التي لا نهاية لها... فمن أجل ذلك سبحانه انفراد بالوجود عن العدم... وانفرد بالتنزيه عن التحديد... وانفرد بالقدرة عن العجز... وانفرد بالعظمة عن المضادة... وانفرد بالوحدانية عن المشاركة... وانفرد بالألوهية عن العبودية... وانفرد بالأزلية عن البداية... وانفرد بالإرادة الفعالة عن المعين... وانفرد بالعلم المحيط عن الزيادة... وانفرد بالإبداع عن المثال... وبالجملة فالتوحيد هو نقطة مركز الفرائض الدينية وهيولها وأصلها وغايتها»<sup>١</sup>.

والتوحيد هبة من الله للموحدين، به تعزف الأشياء جميعها. وقد كشفه الله في وقتنا هذا على يد قائم الزمان حمزة وحدوده الأربعة. وهو نعمة منه لا يفوقها نعمة على الذين سدّوا واستجابوا.

لئن كان كلّ دين يدعو إلى التوحيد فإنّ الدرزية وحدها عرفته، واقتنت منه الحكمة. وبقي غيرها في ضلال، يعبد العدم الذي لم يظهر مرّة واحدة لأوليائه ليأنسوا به ويطمئنوا إليه.



<sup>١</sup> كتاب النقط والدوائر، ص ٦٠ - ٦١.

## سادساً وسابعاً – الرضى والتسليم

والفرضان الأخيران في دين التوحيد هما الرضى والتسليم. وهما نتيجة الخصال السابقة. لأنّ من صدق بلسانه وحفظ إخوانه وترك العدم وآمن بالتوحيد لا بدّ أنّه يرضى بفعل البارى كيف ما كان، ويسلم أمره إليه سرّاً وجهرّاً. وقد يكون بهاتين الفضيلتين ما يجعل الموحدین متميزين عن سائر البشر: «معشر الإخوان... ليس بينكم وبين عالم الجهل فرق إلّا الرضى والتسليم. والرضى والتسليم نهاية العلم والتعليم»<sup>١</sup>.

بهما يكون للدروز شعارٌ مُميّزٌ وقرارٌ بما هم عليه من إيمان: «فاجعلوا الرضى والتسليم لجماعتكم شعاراً ووسيلة إلى رحمة المولى بوليّه (حمزة) وقراراً...»<sup>٢</sup>.

وكلاهما يقوم على «ترك الاعتراض فيما يفعله مولانا جل ذكره. (بمعنى إنّه) لو طُلبَ من أحدكم أن يقتلَ ولده لوجبَ عليه ذلك بلا إكراه قلب، لأنّ من فعل شيئاً وهو غيرُ راضٍ به لم يُثبَ عليه»<sup>٣</sup>.



<sup>١</sup> رسالة الغيبة ٣٥ / ٢٥٤.

<sup>٢</sup> الجمهيرية ٥٠ / ٣٦٩، السفر إلى السادة ٦٨ / ٥٤٧.

<sup>٣</sup> رسالة البلاغ والنهية ٩ / ٨٠، انظر رسالة البنات الكبيرة ٨٣ / ٧٤٧، ورسالة البنات الصغيرة ٨٤ / ٧٥٠.

## الفصل العاشر

### المجتمع الدرزي

أولاً - طبقتا المجتمع: عقّال وجهّال

ثانياً - المرأة والزواج

ثالثاً - أخلاق الموحدين وصفاتهم

## أولاً - طبقتنا المُجتمَع: عَقَال وجُهَال

ينقسم المجتمع الدرزي من الناحية الدينية إلى قسمين: عَقَال وجُهَال، ومن الناحية الاجتماعية إلى أمراء وفلاحين، ومن الناحية السياسية إلى جنبلاطيين ويزبكيين، ومن قبل قيسيين ويمنيين. ويعنينا منها الآن قسما المجتمع الديني: العَقَال والجُهَال.

أما العَقَال فهم القِيمون على دعوة الحق، والمحافظون على سرّيّتها وسرّيّة كتبها، والناسخون لرسائلها، والشارحون عقيدتها، والتمسكون بقواعد الأخلاق والسلوك النبيلة.

هؤلاء يمسكون عن التدخين، وشرب الخمرة، واحتساء القهوة. ويمارسون الزهد والتقشّف في المأكل والملبس والمسكن. ويرفضون أخذ قرش واحد من الحكّام والموظّفين لأنهم بسوء مصدره. ويتجنّبون الرذائل والشهوات، ويمتنعون عن الحرام من الطعام، ويسدقون في القول - طبعاً مع الأخوان - ولا يختلي بامرأة، ولا يردّ تحيّتها إن حيّته، إلاّ إذا وجد بينهما ثالث<sup>١</sup>.

يتميّزون بزيّهم عن سائر المؤمنين، ف«العمامة المدوّرة لا يلبسها إلاّ المؤمنون الذين حفظوا غيباً جميع كتب «الحكمة». والأجاويد الذين لهم لحى طويلة يرتدون العباءات القصيرة ذات الكمّ النصفي والمخطّط باللون الأحمر أو اللون الأسود. أمّا الأجاويد الذين ليس لهم لحى يرتدون العباءات الحمراء المخطّطة بخطوط بيضاء صغيرة»<sup>٢</sup>.

يرأس الدروز اليوم شيخ عقل واحد، يسمّى بشيخ العقل، أو شيخ العصر، أو شيخ المشايخ، فيما كان، في زمن ماض، شيخان أو ثلاثة، بحسب اختلافاتهم السياسيّة.

ينقسم العَقَال إلى طبقتين: الطبقة الدنيا وهم الذين يحق لهم معرفة رسائل «القطن»<sup>٣</sup>، والطبقة العليا وهم الذين يعرفون كل ما في الحكمة من رموز ومواقف عدائية من الإسلام وسائر الأديان...

أما الجُهَال فهم عامّة الناس الذين لا يحقّ لهم سماع شيء من الحكمة أو من شروحاتها. بل لهم أن يسمعوا «السجّلات» الأربعة الأولى من مجموعة الرسائل. وهذه، كما نعلم، لا تمّت إلى العقيدة الدرزيّة بصلة.

<sup>١</sup> اقرأ «ميثاق النساء»، رقم ٨ ص ٧١.

<sup>٢</sup> حافظ أبو مصلح، واقع الدروز...، ص ٧٠.

<sup>٣</sup> انظر ص ٢١٤ من هذا البحث.



هؤلاء يحضرون المجالس الدرزية التي تقام كل مساء خميس (أي ليلة الخميس الجمعة) لسماع الوعظ والإرشاد العام، وأخذ بعض تعليمات خاصّة بحسب المناسبات السياسيّة والمواقف الموحّدة التي يتّخذها الدروز حيالها، بما قد يكون وقد إليهم من المجلس الدرزي الأعلى، أو من خلوات البيّاضة – قرب حاصبيا –...

لا يتميّز الجهّال في الدين أو في الزيّ بشيء، فهم يجهلون عن الدين كل شيء. ولكنّهم، قبل بلوغ سنّ الأربعين بسنتين، يتدربون على استلام الدين، بممارسة الزهد والأعمال الصالحة... فإنّ كان منهم من يستحقّ التقدّم إلى قبول الدين، سلّموه إيّاه، ولكن بالتقسيط، وعلى درجات. وينصح لهم بلبس السراويل وارتداء ألوان غير زاهية.

والتدرّج إنّما يكون بقدر حفظهم الحكمة ومقدرتهم على صونها، عملاً بنصيحة بهاء الدين المقتنى: «بحفظ الحكمة والعلم ترتفع درجات المحقّين... وبحفظ الحكمة تتميّز الأخيار من الأشرار»<sup>١</sup>. و «استر نفسك، وامسك لسانك، ومنّ بحوزتك، عن الكلام الخارج عن أهلك وأخوانك»<sup>٢</sup>.

ويتمّ التدرّج في يوم عيدهم، وهو اليوم الموافق لعيد الأضحى عند المسلمين. في هذا اليوم – وليس له من الأضحى شيء – يجتمع الدروز في «المجالس»، ويحصل تسليم الدين. وهو يوم خروج قائم الزمان بالسيف وإهراقه دماء الكفرة والمشركين استيفاء لدماء الموحدين، وأخذاً بثأرهم<sup>٣</sup>.

والنساء أيضاً، كالرجال، عاقلات وجاهلات. وشروط الانتقال هي نفسها كما عند الرجال.



<sup>١</sup> رسالة البنات الكبيرة ٨٣ / ٧٤٧.  
<sup>٢</sup> منشور نصر ابن فتوح ١٠٧ / ٨٢٦.  
<sup>٣</sup> انظر مخطوط ٦١٨٢، ورقة ٣٨ أ في المكتبة الوطنية بباريس.

## ثانياً – المرأة والزواج

في مجموعة الحكمة جملة رسائل موجّهة إلى النساء، منها «ميثاق النساء» رقم ٨ ص ٦٩ – ٧٢، و «رسالة البنات الكبيرة» رقم ٨٣ ص ٧٤٤ – ٧٤٨، و «رسالة البنات الصغيرة» رقم ٨٤ ص ٧٤٩ – ٧٥١. ومنها أيضاً رسالة «الردّ على النصيري الفاسق» رقم ١٥ ص ١٦٣ – ١٧٤...

المرأة، عند الدروز، هي «عرض الرجل»، كما «العقل هو طول الجنّة، والنفس عرضها»<sup>١</sup>، والنفس هي زوج العقل، كما رأينا. «والعرض... في اصطلاح بني معروف، هو المرأة. وصيانتها، عندهم، أعزّ من صيانة النفس. يستميتون في الدفاع عنها. ويفخرون بها الشعوب»<sup>٢</sup>.

يشدّد الدروز جدّاً في الحفاظ على المرأة وتصرفاتها وأخلاقها، ويبالغون في الحيطة عليها، لئلا تقع فريسة الظنون والشبهات، ويحرصون على آدابها وتهذيبها وطهارتها وتعليمها أشدّ الحرص، ويغارون عليها من أن تكون عرضة لكل ناظر، ومطيّة لكل زير نساء. فيأمرونها بالحجاب والتسترّ والتعفّف وملازمة دارها. «ولا يعرف التاريخ جماعة أحرص من الدروز على الآداب، والتهذيب الجنسي، وطهارة الأعراض، وصراحة الأنساب»<sup>٣</sup>. ويبالغون في الحصانة عليها «مبالغة أصبحت مضرب الأمثال. فليس في الأنام جماعة كالدروز ظلّت ألف سنة لم يصبها الخلاط»<sup>٤</sup>.

«ولا يعرف المجتمع الدرزي شيئاً من الزنا أو الخيانة الزوجية، أو ما شابه ذلك من المفساد الاجتماعيّة. فالمرأة الدرزية أعفّ نساء العالم، وأشدّهنّ طهارة ومحافظّة على شرفها. ولا يزال الحجاب إلى الآن مضروباً على نساء الدروز، بل حجاب المرأة من صميم عقيدة الدروز»<sup>٥</sup>.

والمرأة التي تصون نفسها هي أشرف من الملائكة. وعليها أن تكون مصانّة عفيفة عندما تتشاهد رجلاً، وكأنّها، وهي تنتظر إليه، تنتظر إلى ابنها أو إلى أبيها. والله يراها في جميع

<sup>١</sup> انظر صفحة ٢٣٩ من هذا البحث.

<sup>٢</sup> عبد الله النجار، مذهب الموحدين الدروز، ص ٢١٩.

<sup>٣</sup> نفس المرجع، ص ٢٢١.

<sup>٤</sup> نفس المرجع، ص ٢٢٣.

<sup>٥</sup> الدكتور محمد كامل حسين، طائفة الدروز، ص ٢٩.

حالاتها، فيما تخفيه كما فيما تبديه. وعليها أن تتعد عن كل حالة منكّرة، وتتحاشى النزوات الغرائزية، وتخلّص روحها بمعرفة مولانا وحدوده العظام<sup>١</sup>.

وعلى الرجل الحفاظ على عرضه وشرفه، أي على عياله، لأن «مَنْ لا يغار على عياله فليس بمؤمن، بل هو خرّمٍ طالبُ الراحة والإباحة، راكبٌ هواه وضلالته»<sup>٢</sup>.



إنّ «عفة المرأة فشرط لسلامة الزواج، وتبؤلية الفتاة شرط لعقده. ويُفسخ إذا هي لم توافق عليه»<sup>٣</sup>. وقد لا يكون الزواج أمراً مهماً في الدين، بقدر ما هو يعني الزواج من الحكمة. فـ«الجماع ليس هو من الدين، ولا ينتسب إلى التوحيد إلا أن يكون جماع الحقيقة، وهو المفاتحة بالحكمة»<sup>٤</sup>.

ولا تزيد «المجامعة الظاهرة» في الدين شيئاً. «فإنه لو أنّ رجلاً موحداً عاش مائة سنة ولم يتزوج حلالاً ولم يعرف حراماً لم يُنقص ذلك من منزلته في الدين شيئاً. وكذلك لو أنّ امرأة مؤمنة موحدّة عارفةً بدين مولانا وتعبده حقّ عبادته وعاشت مائة سنة ولم تتزوج وماتت بكرّاً لم يُنقص ذلك من دينها شيئاً»<sup>٥</sup>.

«لا يستطيع الدرزي أن يتزوج أكثر من امرأة واحدة مهما كانت ظروفه الشخصية والدينية»<sup>٦</sup>. وجاء في قانون الزواج الدرزي في لبنان ٢٤ شباط سنة ١٩٤٨ في المادتين ٩ و ١٠: إن تعدد الزوجات ممنوع وباطل. وجاء في المادتين ١١ و ٣٨ بأن إعادة المطلقة غير جائزة. بل إنّه من «المحرم والممنوع على المرأة الدرزية المطلقة ان ترى وجه زوجها أو أن تحضر في مجلس يضمّه»<sup>٧</sup>.

إنّ الزواج محصورٌ بين الموحدين والموحدات عملاً بشريعة قائم الزمان: إن «زيجة الموحدين والإلفة بين الإخوان والأخوات مُرتجّة (أي مغلقة) عليهم»<sup>٨</sup>. وينهي الدروز عن زواج «المتعة»، كما هو عند الشيعة، أي الاستمتاع بالنساء لوقتٍ محددٍ وبدارهم معلومة. كما

<sup>١</sup> رسالة ١٥ / ١٦٤، ١٧٤، و ٨ / ٧١ - ٧٢.

<sup>٢</sup> رسالة ١٥ / ١٦٥.

<sup>٣</sup> عبد الله النجار، نفس المرجع، ص ٢٢٢.

<sup>٤</sup> رسالة ١٥ / ١٦٥.

<sup>٥</sup> رسالة ١٥ / ١٦٦ - ١٦٧.

<sup>٦</sup> حافظ أبو مصلح، واقع الدروز، ص ٧٠.

<sup>٧</sup> نفس المرجع.

<sup>٨</sup> شرط الإمام صاحب الكشف ٢٥ / ٢٢١.

يحدّر من زواج الأخوة مع الأخوات، كما هو عند النصيرية، ولو بقي الواحد منهم طيلة العمر بلا زواج.

وقد يكون من نهى نفسه عن الزواج وعن الشهوات أفضل من الملائكة، لأن «من نهى نفسه عن الشهوات البهيمية كان أفضل من الملائكة المقربين»<sup>١</sup>. وكثيراً ما مارس هذه الفضيلة بعض مشايخ العقل، فانقطعوا، في تعقلهم، عن النساء والطيبات.

أما مساواة المرأة بالرجل فهو أمرٌ طبيعي في الدين الدرزي وقد جاء في «شرط الإمام صاحب الكشف» إنه إذا تسلّم أحد الموحدين (أي تزوّج منها) بعض أخواته الموحّدات، فيساويها بنفسه، ويُصِفُها من جميع ما في يده...<sup>٢</sup>. ومما يدعو إلى قول كلمة الحق: إن وضع المرأة الدرزية في مجتمعها يستحق كل إكبار، حتى إن المرأة المطلقة تحتفظ برتبتها الدينية التي كانت لها مع زوجها الأول<sup>٣</sup>. غير ذلك وضعها في الإسلام حيث هي تتعرض للغيرة والحسد والفرق.



غير إن مساواة المرأة بالرجل لم تكن في جميع الأمور. فلم تحظ بنفس الحرية. بل هي مقيدة بلبسها وخدرها ونظرتها إلى الحياة. «وأما أمرُ النسوان فينبغي أن يكون جباهن (اختيارهن) أشدّ وأعظم، ولا يكتشفن إلا على القليل من الرجال، لأن النساء عورات. وكل عورة يجب سترها. فيجب على كل امرأة لا تخرج من بيتها إلا وهي ساترة غالباً وجهها، ولايسة لباسها. والذي يحسن ويليق أن المرأة لا تفارق اللباس لا في بيتها ولا في غيره»<sup>٤</sup>.

«وينبغي أيضاً أن الرجل لا ينكح امرأة منانة، ولا حدّاقة، ولا برّاقة، ولا شدّاقة. فالمنانة هي التي تمنّ على زوجها فتقول فعلت من أجلك كذا وكذا. والحدّاقة التي ترمي بحدّقتها إلى كل شيء فتشتمه وتكلف الزوج شراءه. والبرّاقة أن تكون طوال النهار في تصقيل وجهها وتزيينها ليكون وجهها بريقاً يحصل بالصنع. والشدّاقة الكثيرة الكلام»<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> رسالة الردّ على النصيري ١٥ / ١٦٦.

<sup>٢</sup> رسالة ٢٥ / ٢٢١ - ٢٢٢، حيث تجد مبادئ الزواج والطلاق والمساواة والانصاف والإرث والنفقة التي اعتمدها القانون المدني.

<sup>٣</sup> رسالة ١٥ / ١٦٨.

<sup>٤</sup> مخطوط ١٤٣٨ بعنوان «الجوارح السبع»، في المكتبة الوطنية بباريس، ورقة ١١٧ ب.

<sup>٥</sup> نفس المرجع، ورقة ٧٥ ب - ٧٦ أ. انظر أيضاً ما يلي في صفات المرأة.

وأغرب ما في الدرزية كَبَتْ عاطفة المرأة كبتاً مَرَضِيّاً مُخِيفاً. وقد عبّرت عن ذلك «الآنسة عفيفه صعب» الدرزية أحسنَ تعبير. فقالت: لـ«قد عَنَفَتِ التعاليمُ الدينية، وبعدها التعاليمُ الاجتماعية، أشدَّ العنف على العاطفة وكتبَتها. وأخذتِ الرجلَ عنجهيةً الحفاظِ على العرض فاستتكرَ العاطفةَ في أكثر مظاهرها تحفظاً، وشدَّد من محاصرتها والحجرِ عليها، حتى تجاوزَ مسلكُ المرأة في ذلك حدَّ الاحتشام والتحفُّظِ إلى الرهبة والخوف، وحتى لنسمع من المتديّبات المتصوّفات في تراثيلهنّ الدينية قولهنّ: «مُسْ حَرَامٌ حَبِيٌّ لِرَبِّي مُسْ حَرَامٌ؟»<sup>١</sup>.

وتعبّر الأديبة الدرزية «الآنسة نور سلمان» عن مرارةٍ في نفسها حيال وضع المرأة الدرزية التعيسِ في مجتمعٍ يحجرُ عليها حتى أنفاسها. فهي تخاطبُ أمّها، كأنّها تخاطبُ جميعَ الأمّهات، بألمٍ وحنينٍ مريرين. فنقول، مبيّنة تعاستها في بيئة بالية:

«أتراني ضعيفةً سخيّةً عندما أخاطبُ أمّي بميريرِ أعماقي.

انتظارٌ من عصيرِ السمِّ... ثم أيامٌ لا تتحرّك، ثم ساعاتٌ تتشاءبُ ولا تنام... ثم غيومٌ من الغبار.

صوتك يا أمّي يُعميني: «ابنتي دعينا والتهوّر... ابنتي التعقّل... التعقّل... التعقّل».

كلماتُ جارّتك تصفّعني: «يا صغيرتي! احذري غدرَ الزمان... احذري خداعَ الأيام... احذري المحبّين... احذري احذري.. احذري.. مكرَ الرجال...».

«يا أمّي! اتركي يدي اتركيني.. دعيني أطيّر... أركضُ في الجلجلة مع العجّلة.. ما نفعُ سلامةٍ نائمةٍ... يا أمّي اتركي يدي... هذا الجديد يناديني... يا أمّي لا تقولي انتظري... الغدُ يناديني...»<sup>٢</sup>.



<sup>١</sup> عفيفه صعب، «المرأة الدرزية»، في كتاب «الواقع الدرزي»، ص ١٢٦.

<sup>٢</sup> نور سلمان، «أن لنا أن نعترف»، نفس المرجع، ١٧٣ - ١٧٤.

## ثالثاً - أخلاقُ الموحّدين وِصفَاتهم

يعتبر الدروز أنفسهم أفضل الأمم وخير عباد الله. «فأنتم أفضل الأمم، وخير من وطئ الأرض بقدّم. لأنكم عبدتم الموجود، وانعكفوا هم على عبادة العدم المفقود. فسوف أجعل أكابرهم لأصاغركم أعبد، وعزيزهم لأحدكم يُطيع ويسجد.»<sup>١</sup>.

بهذه الصفة يرى الدروز أنهم شعبُ الله المختار. اجْتَبَاهُم العليُّ الأعلى منذ البدء، لأنَّ «مَنْ وَحَدَّه فِي وَقْتِنَا هَذَا فَقَدْ وَحَدَّه فِي سَائِرِ الْأَعْصَارِ»<sup>٢</sup>. ولا يستطيع أحدٌ، مهما علا شأنه، أن يختار لنفسه الدخول في الدرزية، لأنَّ حكمَ الله مبرمٌ، قضى على الجميع بالبقاء حيث هم. وبذلك يكون الدروز أكثر قرباً من قلبِ الله من اليهود.

بالنسبة إلى هذا الاختيار الإلهي منذ البدء، اضطرَّ الدروزُ «إلى أن يكونوا شديدي المحافظة على تقاليدهم القديمة، ولم يختلطوا بغيرهم من الشعوب. وصاروا في شبه عزلة، مستقلين عن كل شيء يحيط بهم. ولذلك ظلت أخلاقهم وعاداتهم هي نفس الأخلاق والعادات التي ورثوها جيلاً بعد جيل دون أن تتأثر بمؤثرات خارجية»<sup>٣</sup>.

وكان نتيجة ذلك أن تحصن الدروز في جبالهم وتمسكوا بتقاليد مجتمعهم المتوارثة وانكشوا عن سواهم: «إن حقيقة الدروز وواقعهم الصارخ لا نجدُهما إلا حيث كثرتهم المنكشة في حيث تقطنُ النسور»<sup>٤</sup>.

هذا الانكماش فرض عليهم، أول ما فرض، جملة فضائل:

أولها: التّعفُّف. «إن العفافَ وقمع الشهوة وقهرها أمرٌ عظيم، وفضلٌ جليل، وثوابٌ عظيم، وتخليدٌ في النعيم المقيم»<sup>٥</sup>، فـ«إنَّ الله عزَّ وجلَّ ما خلقَ هذه الشهوةَ إلا لأجلِ النَّسْلِ لا غير. فالأولى والأليقُّ والأحسنُ والأجدرُّ بالموحدِّ الديان أنه لا يُجامعُ زوجتهَ إلا للولدِ فقط... فإذا جامعَ الرجلُ زوجتهَ للقصدِ المذكورِ فلا يجوزُ له أن يُعاودَ بالمجامعة. والجماعُ محرّمٌ أيضاً في حال الرضاع وفي حال الحملِ أيضاً»<sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> رسالة الأعدار والانداز ٣٤ / ٢٤٩.

<sup>٢</sup> من دون قائم الزمان ٦٧ / ٥٣٦.

<sup>٣</sup> الدكتور محمد كامل حسين؛ طائفة الدروز، ص ٢٨.

<sup>٤</sup> عفيفة صعب، الدروز وحتمية التطور، في «الواقع الدرزي»، ص ٢٨.

<sup>٥</sup> مخطوط ١٤٣٨ في «الجوارح»، ورقة ١٠٠ أ.

<sup>٦</sup> نفس المرجع، ورقة ٨٦ ب - ٨٧ أ، و ٨٩ ب - ٩٤ أ، و ٩٦ ب - ٩٧.

وعلى الموحد «أن يكون غضيض الطرف، خاشع اللظ، لأن إرسال الطرف يقتضي الحتف. والعين مجلبة لبواعث الهوى ودواعي الغرام، فإن لم تتقيد بالغض مقلته أوقته بالآلام والأسقام»<sup>١</sup> وللاذن أيضاً آداب. فعليها أن «لا تُصغي إلى سماع غناء امرأة... لأن الاصغاء إلى ذلك يحرك الشهوة... والصبيان يجرون مجرى النساء، فليُتجنبوا أيضاً»<sup>٢</sup>.

فالمذهب الدرزي يفرض «على أتباعه، إذن، الامتناع عن التمتع بما أباحه القرآن الكريم للمؤمنين، وما أجاز من ملذات الدنيا الحسية. ويعتبرها مناقضة للفضيلة أو للجودة التي ينميها التعفف، حتى أن المغرقين في «الجودة» كثيراً ما يُسمعون مستغفرين من ربهم من طعام استطابوه، أو راحة استساغوها»<sup>٣</sup>.

وثانيها: الصبر والاحتمال. وهي فضيلة نشأت معهم في محنتهم، واستمرت فيهم عبر تاريخهم المنكود، وتوسعت حتى شملت جميع نواحي حياتهم الاجتماعية والطبيعية. فهم، أكثر من أي شعب، تمرسوا على احتمال مصائب الدهر ومشاكل السياسة وآلام الحروب ونكبات الزمان.

ولدى بهاء الدين المقتنى جملة نصائح يحثهم فيها على الصبر: «اثبتوا فإن العاقبة لمن ثبت وصبر وأغضى»<sup>٤</sup>، و «اعلموا إخوان الدين أن العاقبة بالحسن للصابرين في دار الحق الممتحنين»<sup>٥</sup> «وروضوا نفوسكم على الرضى والتسليم والصبر والتدبير»<sup>٦</sup>. ويطلب من داعيه داعيه نصر ابن فتوح: «ثبت الجماعة في كل موضع على الستر وإجمال الحال، وترك الكلام والمنازعة. ويكونوا على الصبر والاحتمال. ولا يوافقوا أحداً لا بقول ولا بفعل، بل يكون أعظم ما عندهم الصبر والسكوت»<sup>٧</sup>. فـ «من صبر على برد القرب نال خصرة الربيع»<sup>٨</sup>...

الربيع»<sup>٨</sup>...

وثالثها: التمتع عن المال الحرام. وهو أمر بالغ الأهمية في سعي الدرزي العاقل نحو الكمال. إنه «من الحرام المحض أجر الزنا والنيحة وغناء المرأة وأجرة الشعبة... وبيع الخمرة... ومن الحرام أيضاً مال السلطان وحاشيته وحشمه وولاته حيث كانوا بالمدن أو بالبر، وكذلك مال القضاة وخدامهم ونوابهم... والحلال في رزقهم نادر... فالتجنب لمالهم

<sup>١</sup> نفس المرجع، ورقة ١٧ أ.

<sup>٢</sup> نفس المرجع، ورقة ٢٣ أ و ب.

<sup>٣</sup> عبد الله النجار، مذهب الموحدين الدرزي، ص ٢٢٨.

<sup>٤</sup> رسالة الوادي ٥٢ / ٣٧٩.

<sup>٥</sup> نفس المرجع، ٥٢ / ٣٧٨ - ٣٧٩.

<sup>٦</sup> نفس المرجع، ٥٢ / ٣٨٠.

<sup>٧</sup> منشور نصر ابن فتوح ١٠٧ / ٨٢٨.

<sup>٨</sup> مكاتبة رمز إلى الشيخ ابن المعالي ١٠٥ / ٨١٦...

ومخالطتهم والاجتماعُ بهم واجبٌ لأنهم نارٌ مضرمة... ومن الحرام أيضاً ما يؤكل من الأوقاف من غير شرطِ الواقف... (ويجب) تركُ معاملة الفقهاء من بيعهم وشراهم لأن الغالب في أرزاقهم من الوقوفات... من لم يسأل من أين اكتسبَ المالَ لم يسألِ الله من أين أدخله النار... ومن لم يُبالِ من أينَ مَطَعُهُ لم يُبالِ اللهُ من أيِّ أبوابِ النارِ أدخله»<sup>١</sup>.

ولئلا يكونَ الحكم على أموال السلطان والقضاة مطلقاً، يرى الأميرُ السيّد «فيها بعضُ الحلال. لكنَّ الحرامَ هو الغالب. والله أعلم إن كان عشرُ عشيرٍ مالهم حلالاً. ولا عبرة بذلك»<sup>٢</sup>.

ومن المحرّمات أيضاً أخذ الربا من بعضهم بعضاً، وإن كان جائزاً أخذه من الأضداد: «لا تقرضوا أموالكم لتأخذوا الربا أضعافاً مضاعفة، إن ذلك كان على الموحدین محذوراً. ولقد عفا مولاكم عن الذين يأخذونه من غيرِ الموحدین، مضطّرين غيرِ عادين»<sup>٣</sup>. وقد يجوز للدرزي، إذا ما كان عليه دين لأحد الأضداد أن ينكره عليه. يقول بهاء الدين: إذا «كان للضدّ عنده (عند الموحد) دينٌ، بغير وثيقة أو وديعة بغير بليّة، وكان مُعسراً عن وفائه... يجوز له الإنكارُ وقلّة السدق»<sup>٤</sup>. «أمّا إذا كان لأحدِهِم عند أخيه مالٌ، وعلمَ إعساره، صبرَ عليه. وإن سأله الزيادة دَفَع إليه»<sup>٥</sup>.

ورابعها: العصبية. قد يصعبُ الكلامُ على العصبية في أيامنا هذه، لأنها أصبحت تهمةً نكراءً يتبرأ منها المسلمون والمسيحيون واليهودُ على مُختلف طوائفهم، ويرمون بها سواهم. وكذلك الدرّوز يبرّتون أنفسهم من هذا التعصّب، ويكيلونه على سائر الطوائف كيّلين...

ولكنهم يقيمون الأرضَ ويقعدونها إذا ما تجاهلَ الناسُ حقّهم. ويعتبون حتى على الجرائد التي «لا تذكرُ من طوائف هذا الوطنِ سوى المسلمين والنصارى واليهود... ثم تتوسّع في التفصيل فتعدّد الطوائف الإسلاميّة، ولو كان لليهود بطون وأفخاذ لعدّدتها فرداً فرداً تفصل ذلك وهي لا تشاء أن تذكر أنّ في سوريا طائفة لها مقامها ولها نفوذها، لها آدابها ولها قوميتها، لها أخلاقها ولها وطنيتها — ألا وهي الطائفة الدرزية الكريمة»<sup>٦</sup>.

وفيما هم يلقون التعصّب على الطوائف اللبنانية يلومون أنفسهم كيف هم لم يكونوا على هذا المستوى في هذا المعترك الطائفي الذي «ليس من جماعة ضائعة فيه، غائبة عنه، إلاّ

<sup>١</sup> مخطوط ١٤٣٨: «الجوارح السبع»، ورقة ٢٩ أ - ٣٣ ب.

<sup>٢</sup> نفس المرجع، ورقة ٤٠ ب.

<sup>٣</sup> المصحف المنفرد بذاته، ص ١٤٨. انظر أيضاً حتى ص ١٥٦.

<sup>٤</sup> رسالة ٤١ / ٣١٤.

<sup>٥</sup> نفس الرسالة ص ٣١٥.

<sup>٦</sup> فؤاد الأطرش، الدرّوز... ص ١٤.



نحن بني معروف. ومردّ هذا إلى عوامل، أهمّها في رأينا أربعة: التساهل المزري، الضعف المخزي، الوحدة الممزّقة، القيادة المفرّقة»<sup>١</sup>.

وفيما الجميع يشيدون بمواقف السيد كمال جنبلاط التقدّميّة العالمية المنفتحة على الشرق والغرب والفلسطينيين والمسلمين، يعود حافظ أبو مصّلى ليعطيه قوّته هذه من جحافل الدروز اللاحقة به، إذ كان «يستطيع أن يجمع حوله في ساعات معدودة عدّة آلاف من الرجال من أجل القيام بحركة ثوريّة»<sup>٢</sup>.

وفيما شيخُ العقل محمّد أبو شقرا يدعو إلى التسامح والمحبة والانفتاح على الجميع، نسمعه يُبرِّقُ إلى رئيس الجمهورية اللبنانيّة قائلاً: «الغبينُّ والاجحافُ بل الحرمانُ، مظالمٌ لاحقةٌ بطائفتنا الدرزيّة، أثبتناها في المذكرات المسهية... استمرارُ الاهتزام والتجاهل، لا يصلحان للحكم دعامة، وللوحدة الوطنيّة أساً. إذا حاقَ الدروزَ ضيّمٌ، لم يبيئوا على استقرارٍ وهم حُمأةٌ لهذا الوطن»<sup>٣</sup>. ومرّةً أخرى هدّدَ بحمل السلاح ان لم تُستجَبْ مطالبه الطائفية: «لن نسكتَ على الضيّم، ولن نحجم عن الدعوة إلى حملِ سلاح الإيمان بالحق، لاختماد الباطل»<sup>٤</sup>. الباطل»<sup>٤</sup>.

لم ننقل هذه الشهادات للنيل من الرجال، أو لأننا نرى في العصبية عيباً، بل لأننا نودُّ ألا نُؤخَذَ بالتنكّر لها واتّهام الغير بها. بل أفضل تعبير عنها ما نقله الشيخ عارف النكدي نفسه ما قيل في الدرزيّة «بأنّها في أمورها العامّة، تقف صفّاً واحداً متراصّاً، يشدّ بعضه أزر بعض»<sup>٥</sup>. وهل هذا غير العصبية! وهي، أي العصبية، تشدّها روابط الدم الواحد والتاريخ الواحد والظلم الشامل!

وخامسها الشجاعة. لن نقرأ كتاباً أو مقالاً وُضع في مناقب الدروز إلاّ وتجد في رأسها الشجاعة. بها عرفوا عن أنفسهم، وبها عرفهم الناس. على حمزة قائم الزمان عرفتنا رسائل الحكمة بصاحب سيف الانتقام، وبأنّه في آخر الزمان سيحملُ سيفه لقطع رقاب الملوك والجبابرة الملحدين، وبأنّه أوصى «كلمته» ليوصي الموحدين بحمل السلاح وأقله سكين<sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> عارف النكدي في مقدمة كتاب «الواقع الدرزي»، ص ٨.

<sup>٢</sup> حافظ أبو مصّلى، واقع الدروز...، ص ١٦.

<sup>٣</sup> برقية بتاريخ ٢٦ / ٣ / ١٩٦٣.

<sup>٤</sup> برقية بتاريخ ٢٠ آذار سنة ١٩٥١.

<sup>٥</sup> عارف النكدي في مقدمة كتاب «الواقع الدرزي»، ص ١٠.

<sup>٦</sup> انظر فصل «الانتقام والثأر» من هذا البحث، ص ٢١٧ - ٢٢١.

«والدرزي اليوم كما كان من ألف عام يذُّ على المحراث، وأخرى على السلاح»<sup>١</sup>، «وكل درزي صالح يحمل في كل حين على وسطه سكيناً قوياً معكوفاً» (كالخنجر)<sup>٢</sup>.

غير أن هذه الشجاعة هي لدرء المخاطر وأعداء الناس، إذ لا يجوز البتة أن يُغدرَ به أو أن يُقتلَ على يد كافر مشرك؛ ولا تجوز الرحمةُ عليه إذا ما قُتلَ غدرًا. لذلك فهو حذرٌ، متيقظٌ، متربصٌ، مترقبٌ، «عليه أن يكون فطنا دائما للأمر»<sup>٣</sup>.

هذه الشجاعة لم تكن يوماً لاقتحام الصعاب، والانتقال بصاحبها من الجبال الوعرة إلى ما وراء البحار، والمغامرة بالمال والحياة لكسب عيش أفضل، اللهم إلا عند النواذر في أيامنا هذه. بل كانت شجاعة نادرة في الصبر والاحتمال، ومداراة الأضداد، ومصانعتهم، والميل إلى عقيدتهم إن قويت عليهم، والميل عنها إن آتاهم الزمان.

وشهادة التاريخ في شجاعة دروز جبل حوران مزورة في أساسها. فزحف هؤلاء الدروز إلى السويداء في ٥ نيسان، وقطع أربعين كيلومتراً في الصحراء، وضرب الخيام البيضاء في السهول المترامية، لم تكن كلها لأجل اعتراض على دولة الانتداب، بل لأجل ذكرى إعلان فرنسا استقلال جبل الدروز. وقد عبّر حاكمُ الجبل آن ذاك عن شعوره بقوله: «حقاً إن الإيمان ينقل الجبال. فالجبل كله التفت حول العاصمة. والناس كلهم يلهجون بمجد شعب الله المختار»<sup>٤</sup>.

وفي ظننا أن أكثر الناس خوفاً وتخوفاً ورهبةً من الأعداء هم الدروز. ليست هي تهمةٌ بحق بني معروف، بقدر ما هي فضيلةٌ عندهم يتجنبون بها الأضداد، عملاً بنصيحة ربهم: «آية أمة تغلبت عليكم اتبعوها».

ومع هذا، لئن اتصفَ الدرزي بالشجاعة فإن أحسنَ علاماتها، في هذا الدهر، الغدرُ، وفي الدهر الآتي، الثأرُ لدماء الموحدين الذين قُتلوا في أوائل الدعوة. وقد تتجلى هذه الشجاعة يوم تُنتهكُ الحكمةُ، وتُفصحُ الأعراضُ، ويُتعدى على الحياة والنساء والبنات...

إن الذي يجيدُ السباحةَ ويقطعُ النهرَ من ضفةٍ إلى ضفةٍ بسهولة، لا يُدعى شجاعاً؛ بل الذي يجهلُ السباحةَ ويحاولُ قطعَ النهرِ مُغامراً، أفازَ بالوصولِ إلى هدفه أم لم يَفزْ، هو الشجاع. ومن أجبرَ على الدفاع عن نفسه وحياته، أنجحَ في الدفاع أم لم ينجحْ، لا يُسمى شجاعاً، بل الذي يغامرُ بنفسه ويعرضُ حياته للهلاك، ولو هلك، هو الشجاع... فما بال بني

<sup>١</sup> عفيفه صعب، «الدروز وحتمة التطور» في «الواقع الدرزي»، ص ١٩.

<sup>٢</sup> Capitaine CARBILLET, Au Dejebel Druse, Paris 1929, p. 72...

<sup>٣</sup> حافظ أبو مصلح، واقع الدروز، ص ٢٠.

<sup>٤</sup> Cap. CARBILLET, op.cit., p. 123; 177-187...

معروف يُطلقون على نفوسهم الشجاعة والبسالة وهم مستقرّون في جبالهم، وادّعون في أمرهم لباريهم، راضون بشطف العيش وفقره، مُكتفون بما لهم وبما عندهم، لا يعترضون على حكمة أغلقت دون الكثير منهم أبوابها، ويسلمون أمر سرهم وسرّ خلاصهم إلى سواهم!!

كثيراً ما يتغنّى الدروز بشجاعتهم لأجل إيمانهم بالتقمص. ففي ظنهم أن الدرزي لا يهاب الموت، لأنه إن مات أو عرض نفسه للموت، سينقل مباشرة إلى حياة ثانية، قد تكون أفضل، إذا ما كان صالحاً، من الحياة الأولى. وإذا ما مات في سبيل الحكمة والعقيدة التوحيدية فإنّ الحياة الثانية، لا محالة أحسن من الأولى... ولكن الحقيقة تُقال، وهي إنّ الشجاعة في سبيل عقيدة ما لم تكن يوماً دافعاً للمغامرة بالحياة. وحده الإنسان يستحق أن تُبدل لأجله الحياة، لأن كل شيء وُجد لأجل الإنسان: الدين والعقيدة والحكمة والحقيقة والوطن والحياة...



ليست هذه المناقب وحدها هي بارزة في حياة الدروز. ولكننا أثرنا على غيرها لخلاف فيها. فالدروز يُجيدون المجاملة، ويصيغون العبارات الجميلة، ويذكرون كل صنيع معهم أو ضدّهم، ويرضون بالواقع...



## الفصل الحادي عشر

# الأحوال الشخصية والمؤسسات الدرزية

أولاً - الأحوال الشخصية الدرزية

ثانياً - الخلوات والمقامات الدرزية

ثالثاً - مشيخة العقل

## أولاً - الأحوال الشخصية الدرزية

### ١ - التنظيم الدرزي للأسرة:

أول قرار صدر من نوعه هو قرار رقم ٦٠ بتاريخ ١٣ آذار سنة ١٩٣٦. فيه اعترف المفوض السامي الفرنسي في سوريا ولبنان بأن الطائفة الدرزية هي من الطوائف الدينية التاريخية الحائزة على مميزات: يحق لها أن تتمتع بشخصية معنوية، وتسند قوانينها، ويكون لها مؤسسات تعليمية وخيرية، وتملك وتشترى وتتصرف كما تشاء، وتمثل برئيس ديني...

وفي تاريخ ٤ تشرين الثاني سنة ١٩٤٢ صدر مرسوم اشتراعي، تحت رقم ٢٤١ ينظم الأحوال الشخصية لجميع الطوائف في لبنان، ومن جملتها الطائفة الدرزية.

ثم عدل هذا المرسوم بقانون ٤ كانون الأول سنة ١٩٤٦. ثم جرى عليه تعديل آخر بمرسوم رقم ١٠ بتاريخ ٢ كانون الثاني سنة ١٩٥٢. ثم تعديل ثالث يحمل رقم ٥٣ بتاريخ ١٢ آذار سنة ١٩٥٣.

وأخيراً صدر عن مجلس النواب اللبناني قانون الأحوال الشخصية للطائفة الدرزية بتاريخ ٢٤ شباط سنة ١٩٤٨.

وتتضمن هذه المراسيم والقوانين كل ما له علاقة بالأمر التالية: الخطة (قوانين ١ - ١٣)، والزواج (١٤ - ٢٣)، والمهر (٢٤ - ٢٧)، والنفقة (٢٨ - ٣٦)، والمفارقات (٣٧ - ٤٩)، والعدة (٥٠ - ٥٣)، والحضانة (٥٤ - ٦٦)، والنفقة (٦٧ - ٨٠)، والولاية (٨١ - ٨٧)، الوصاية (٨٨ - ١١٨)، والحجر ومفاعيله (١١٩ - ١٢٥) والقيّم عن المفقود (١٢٦ - ١٣٦)، والنسب، أي انتساب الولد إلى أبيه (١٣٧ - ١٤٤) والوصية والارث (١٤٥ - ١٦٩)، والأوقاف (١٧٠). ثم قانون ١٧١ الأخير، حيث يطبق القاضي الدرزي أحكام الشرع الإسلامي المذهب الحنفي وجميع النصوص القانونية التي لا تتعارض مع الشرع الإسلامي. هذا في حال عدم ورود نص في القوانين الدرزية المذكورة.

يجدر بنا التنويه بنقاط أربع يتباين فيها الشرع الدرزي عن الشرع الإسلامي الحنفي المتبع لدى مسلمي لبنان:

١ - منع الدروز تعدد الزوجات منعاً مطلقاً.

٢ - منع الدروز إعادة المطلقة إلى زوجها منعاً مطلقاً.

٣ - يجيزُ الدروز الوصيةَ لوارثٍ ولغيرِ وارثٍ، وبكلِ التركةِ أو بعضها، فابتعدوا عن قاعدة لا وصية لوارث.

٤ - يطبقُ الدروز قاعدةَ التنزيل التي يحلّ بموجبها الأحمادُ محلَّ الأولاد في الارث<sup>١</sup>.



## ٢ - قانون تنظيم القضاء المذهبي:

قانون ٥ آذار سنة ١٩٦٠ المعدل بقانون ٤ كانون الأول سنة ١٩٦٧. وهو ينصّ على تأليف محاكم درجة أولى - بدائية - ومحكمة استئنافية عليا (مادة ١)، ويعتبر جزءاً من تنظيمات الدولة القضائية(٢)، ويحدّد عدد المحاكم البدائية ومراكزها ومناطق صلاحياتها وعدد قضاتها والمساعدين القضائيين والحجاب (٣ - ٤)، ويجعل مركز المحكمة الاستئنافية العليا في بيروت، وتشمل صلاحياتها جميع الأراضي اللبنانية (٣ و ٥)، وينصّ على انتداب قاضٍ درزي من سلك القضاء العدلي للقيام بمهام التفتيش (١١ - ١٢).

## ٣ - قانون إنشاء المجلس المذهبي:

قانون ١٣ تموز سنة ١٩٦٢: «يتولّى شؤون الطائفة الزمنية والمالية، وتمثيلها في الشؤون العائدة لكيانها الاجتماعي والسهر على رفع مستواها، والمحافظة على حقوقها» (مادة ١).

تتناول صلاحياته: الاشراف على الأوقاف الدرزية، باستثناء أوقاف خلوات البيّاضة<sup>٢</sup> التي تبقى تحت إشراف وتصرف شيوخها، وعلى المؤسسات وجمعيات الطائفة... وتعيين مدير عامّ للأوقاف، والاهتمام بالمدارس الطائفية، والاطلاع والمصادقة على موازنة وحسابات المؤسسات والجمعيات الدرزية... الخ (المواد ٣ - ٥).

ويتألّف المجلس من أعضاء دائمين وأعضاء منتخبين: الأعضاء الدائمون: هيئة مشيخة العقل، الوزراء والنواب الحاليون والسابقون، الأعضاء المنتخبون: محاميان، مهندسان، ثلاثة من حاملي شهادات الطب، وثلاثة من حاملي شهادات جامعية، وأعضاء ممثلون

<sup>١</sup> راجع أمين طليع، أصل الموحدين الدروز، ص ١٤١ - ١٨٠، ثم محاضرة حلّيم تقي الدين في «نظرة الإسلام إلى الأسرة في مجتمع متطوّر».

<sup>٢</sup> سيأتي الكلام عليها.

للمناطق: ٦ عن الشوف، ٦ عن عاليه، ٣ عن بعبدا، ١ عن حاصبيا، ١ عن راشيا، ١ عن بيروت والمتن الشمالي وباقي المناطق (مادة ٦).

مدّة ولاية المجلس ٤ سنوات (مادة ٧). من شروط صحة المنتخب في المجلس «أن لا يكون موظفاً في الدولة» (مادة ٣).

#### ٤ - قانون انتخاب شيخ عقل الطائفة الدرزيّة:

قانون ١٣ تمّوز سنة ١٩٦٢. يتضمّن «استقلال الطائفة الدرزيّة بشؤونها الدينية» (مادة ١). يكون للطائفة الدرزية شيخاً عقل يتمتّع بذات الحرمة التي يتمتّع بها سائر الرؤساء الروحانيين» (م ٢). ولا يجوز الجمع بين منصب شيخ العقل وبين أيّة وظيفة أو مهنة حرّة أو حرفة كانت (م ٣) ويتقاضى تعويضاً تمثيلاً شهري قدره ٦٠٠ ل ل (م ٤). يُنتخب شيخ العقل لمدى الحياة (م ٦) يُشترط فيه أن يكون «قد أكمل الأربعين من عمره، من أهل التقوى والدين، من ذوي العلم والمعرفة بتقاليد الطائفة، حسن السمعة ومحمود الشيم، منزهاً عمّا يمسّ الكرامة والدين، وغير محكوم بجناية أو جنحة شائنة» (م ١٠). «يتولّى مشيخة العقل من تتفق كلمة الطائفة الدرزية في لبنان على اختياره من أبنائها اللبنانيين الأخير. ويتم ذلك بطريقة الانتخاب العام من قبل جميع الذكور من الدروز الذين لهم حق الانتخاب وفقاً لقانون انتخاب أعضاء المجلس النيابي» (م ٥).

#### ٥ - القوانين الدرزيّة السورية:

وضعت الحكومة السورية في قانون الأحوال الشخصية العام مادة خصّصت بها الطائفة الدرزية هي المادة ٣٠٧، ونصّت على صلاحية القضاء المذهبي الدرزي.

أمّا تنظيم القضاء فنجده في قانون ١٣٤ بتاريخ ٣٠ / ١ / ١٩٤٥ وقانون ٢٩٤ سنة ١٩٤٦، وقانون ٥٦ سنة ١٩٥٩، وقانون ٩٨ سنة ١٩٦١. ومعظم موادّها لا يختلف عمّا هو في القوانين اللبنانية.

#### ٦ - القوانين الدرزية في فلسطين:

كان دروز فلسطين، إبّان الاحتلال العثماني، يتقاضون أمام قاضي المذهب في حاصبيا. وبعد الحرب العالمية الأولى وإقامة الحدود بين لبنان وفلسطين وصعوبة عبر الحدود

وانقطاع الصلة بين دروز فلسطين وقاضي حاصبيا طالب الدروز السلطة البريطانية المنتدبة باستقلال مذهبي يضمن لهم مصالحهم. وكان أول جواب تلقّوه الكتاب الموجه من الحاكم البريطاني إلى الشيخ طريف الأحمد بتاريخ ٧ تموز سنة ١٩١٩ يقضي بأن ينظر الدروز بقضايا الزواج والطلاق طبقاً للتقاليد دون سائر القضايا مثل الأوقاف والارث...

وبتاريخ ١٨ آب سنة ١٩٣٢ طالب الدروز بإعادة النظر، فلم يستجب طلبهم.

وفي الاحتلال الإسرائيلي، يمارس الدروز كامل حقوقهم كطائفة مستقلة ذات كيان له قوانينه وعاداته الخاصة<sup>١</sup>.



لم نخرج في هذا الفصل عن العقيدة الدرزية، إلا للدلالة، بطريقة أخرى، ومن جهة القوانين الدينية والاجتماعية، على استقلالية الطائفة الدرزية عن الإسلام. في هذه القوانين ما يجعل الدروز الموحدين منذ عهد الانتداب جماعة مستقلة منظمة حرة في مقاضاة أمورها من كل قيد.



---

<sup>١</sup> انظر: حليم تقي الدين رئيس المحكمة الاستئنافية العليا الدرزية، قضاء الموحدين «الدروز في ماضيه وحاضره»، الطبعة الأولى، سنة ١٩٧٩، مطابع لبنان الجديد، عاليه، ٤٤٦ صفحة.



## ثانياً - الخلواتُ والمقاماتُ الدرزية

لا مساجدَ ولا جوامعَ في الدرزية. ولئن كان منها شيء فهو «جوامع أثرية»<sup>١</sup>. ويصرّح بذلك كمال جنبلاط بقوله: «وليس لدينا كنيسة ولا مسجد بالمعنى المعروف للكلمة»<sup>٢</sup>. ومع هذا ما نزال نسمع «دكتور الفلسفة محمد الزعبي» يقول: «اتّقت كلمة المؤرخين على أن جميع قرى الموحّدين... كانت عامرة بالمساجد والجوامع»<sup>٣</sup>... ونحن نقدر له كلمته: «كانت» أمانةً له منّا.

أمّا أمكنةُ العبادة في الدرزية فهي على ثلاثة أنواع: المجلس، والخلوة، والمقام. أمّا المجلسُ فهو مكان لصلاة العموم. يوجد منه، أقلّه، واحد في كل قرية أو مجموعة درزية. وأمّا الخلوةُ فهي مكان خاص بأحد المتديّنين. وهي أكثر ما تكون في مكان منعزل عن الناس، يختلي فيها الموحّد العاقل التقى المتعبّد لربّه. وأمّا المقامُ فهو مزار مخصّص لأحد حدود الدعوة في ظهوراتهم المتعدّدة عبر التاريخ، أو لأحد الأولياء الصالحين. يأتيه الدروز، بمناسبات سنوية معيّنة، للتبرّك من ترابه، والصلاة على روح صاحبه.

### أشهر الخلوات الدرزية:

#### ١ - خلوات البيّاضة:

تقع على تلة مرتفعة، تشرف على حاصبيا وفلسطين والبحر وسهل مرجعيون وقسم كبير من البقاع. تتألّف من عدّة مجالس: مجلس يخصّ دروز لبنان، ومجلس يخصّ دروز حوران، وثالث يخصّ دروز فلسطين، ورابع يخصّ دروز حلب. تتوسّط هذه المجالس الخلوة الأساسية المركزية التي تقوم أمامها بركة مزورة مبنية من الحجر، ترمز إلى معان دينية يعرفها المشايخ الأجلّاء.

تعدّ خلوات البيّاضة المركز الديني المشترك لكل دروز العالم قاطبة. فهي فاتيكان الدروز ومكّتهم. فيها يقوم المشايخ بنسخ كتب الحكمة وشروحاتها - كلّما فُقد كتابٌ من مجلسٍ

<sup>١</sup> انظر: أمين طليع، أصل الموحّدين الدروز، ص ١٣٩.

<sup>٢</sup> كمال جنبلاط، هذه وصيتي، ص ٥٣.

<sup>٣</sup> محمد علي الزعبي، الدروز ظاهرهم وباطنهم، ص ١٠٨.

ما أو خلوة في مكان ما من المعابد الدرزيّة، يُرسل عوضه كتاباً آخر من نسخ البيّاضة - وفيها يمارسون العبادة والزهد والتأمل. ويحفظون الكتب غيباً، ويتمّمون جميع الفرائض التوحيدية.

يعيش المشايخ من محصول الأراضي الزراعيّة العائدة لوقف الخلوة. وأهمّ محاصيلها: المزروعات من الحبوب والخضار، وكروم العنب، واللوز، والصنوبر، وسائر أصناف الفاكهة، والعسل. ومن هذه الأصناف اشتهر المشايخ بصنع نوع من الضيافة يسمّى بـ«النقل».

ولكن، مع انقطاع هؤلاء المشايخ عن الناس، يقومون بين الحين والحين بزيارات اجتماعية وقت الحاجة. فهم بـ«استطاعتهم أن يوفّقوا دائماً بين المتنازعين منهم (من الدروز)، وأن يحسروا نار الحقد والتعصّب البغيض، وأن يخفّفوا من حدّة الأعمال الخطيرة ونتائجها، وأن يغرّسوا بذور الوفاق الاجتماعي، ويقوّوا روابط المحبّة». يخرجون من عزلتهم كلّما دعت الحاجة إلى وفاق بين أبناء الشعب، أو أيّ مصلحة بين متخاصمين، أو إلى تهدئة الخواطر بساعة الهيجان. كلمتهم مسموعة، ورأيهم محترم ومقرّر<sup>١</sup>.

## ٢ - خلوة القطالب:

خلوة قديمة، ترجع إلى أيام الأمير السيّد في القرن الخامس عشر. تقع على تلة صغيرة، مشرفة على عين قنيّة في الشوف. رُشّت جدرانها كلّها باللون الأبيض. فيها يقرأ المتعبّد الحكمة، ويطلّع على كل التفسيرات الدينية الضرورية لحياته الروحية. تعلق عن سطح البحر نحو ألف متر، سمّيت كذلك لكثرة شجر القطلب المحيط بها. و«الوافدون (إليها) هم في العادة أناس بسطاء سليمو الطويّة ويطمحون إلى القداسة»<sup>٢</sup>.

## ٣ - خلوة عين الشاوي:

تقع في عبيه على مقربة من الكليّة الداودية. بناء قديم شبه مهمل الآن، ربّما لوجود مقام الأمير السيّد بالقرب منه والذي يستقطب معظم الوافدين. القيّمون عليها الآن آل فرج من عبيه.

<sup>١</sup> راجع: حافظ أبو مصلح، واقع الدروز...، ص ٢٣ - ٢٤.  
<sup>٢</sup> كمال جنبلاط، هذه وصيتي، ص ٥٣.

#### ٤ - خلوات المونسة:

تقع على رابية فوق بلدة عرمون في قضاء عاليه. تشرف على البحر ومدينة بيروت. كانت في القديم جملة خلوات لم يبق منها إلا واحدة عامرة، والبقية آثار وخرائب.



#### وأشهر المقامات:

١ - **مقام شملخ.** ويدعى أيضاً «المقام الشريف»، ومقام «سيدنا لوقا» - الإنجيلي - الذي مثّل في دوره بهاء الدين المقتنى. بني هذا المقام تخليداً لذكرى إقامة بهاء الدين ليلة واحدة وهو في طريقه على دمشق. يقع بالقرب من بلدة شارون، إلى الجنوب من الصفا، عند سفح الجبل. مدخله الرئيسي مؤلف من ثلاث قناطر نُقشَ على كل واحدة منها ثلاث نجومات. كل نجمة تنتهي بخمسة رؤوس، تمثل الألوان الدرزية الخمسة والحدود الدينية الخمسة.

يتألف هذا المقام من سبع عشرة غرفة، وساحة فسيحة تصلها بدرج من حجر منحوت، في وسطها ثلاث شجرات وارفة الظل. وفي المقام أيضاً قاعة واسعة بطول ٢٥ م وعرض ١٢ م. فيها حجرة مغطاة بالسجاد المزخرف، وجدرانها مزينة بالعلم الدرزي.

٢ - **مقام النبي أيوب.** هو نفسه أيوب التوراة. يقع المقام فوق بلدة نيحا الشوف، في مكان رائع الجمال غني المناظر كثيف الأشجار، على ارتفاع ١٤٠٠ م. يقوم على قناطر عالية من حجر منحوت. ويتألف من ساحة رئيسة محاطة من كل جهاتها بعشرين غرفة صغيرة من الحجارة البيضاء، وفي أعلاها غرفة المقام، تدخلها من باب صغير بعد أن تخلع حذاءك من رجلك.

يزوره كل نهار جمعة. ويحتفلون في صيف كل عام بذكرى هي من أحبّ الذكريات والعبّر إلى قلوبهم. ومن تقاليدهم فيها أن رئيس الجمهورية اللبنانية يُرسل ممثلاً عنه ويُلقى في المحتفلين خطاباً أصبح تقليدياً. وتتوالى خطب ممثلي سائر الطوائف الدينية في لبنان. كما يشترك بهذا الاحتفال معظم السفراء والوزراء والوجهاء.

وسبب إجلال هذه الذكرى وتكريم هذا المقام، هو بما يرمز إليه النبي أيوب من «الصبر والاحتمال» فضيلة الدروز العظمى.

٣ - مقام الأمير السيّد جمال الدين التنوّخي. يقع إلى الجنوب من بلدة عبيه. فيه رفات صاحبه وذكره الطيّب. يؤمّه الزوّار من أصقاع البلاد ملتَمسين بركاته في ظروفهم العصيبة، طالبين من رضاه «الصبر والاحتمال» - لأن الأمير السيّد، كأَيّوب، ابتلاه الله بموت أبنائه وبناته كلّهم في حياته. - يغطي أرض المقام سجادٌ مزركش، وتكثر في زواياه الهدايا على مختلف أنواعها من شموع وساعات وأعلام ملوّنة. وهو يُعتبر من حيث المكانة كمقام النبي أيّوب.

٤ - مقام عين الزمان (في سوريا). وعين الزمان هو قائم الزمان الإمام حمزة بن علي. يتألّف من طابقين يحتويان على عدد كبير من الغرف يقع قرب السويداء عاصمة جبل الدروز.

٥ - مقام المسيح (في سوريا أيضاً). يقع في جبل حوران بين منغلة ونمرى والطيبة في منطقة «البجعة». يُقال إن المسيح التجأ مرّة إلى هذه القمة حيث أقام حلقة سرّيّة مع تلاميذه. والمسيح هو تجسّد العقل، وهو قائم الزمان حمزة. يتألّف هذا المقام من ستّ غرف ومن اسطبل كبير للحيوانات. تعلوه قبة من ثلاثة أمتار. بناؤه من الحجر، وسقفه مرتكز على قناطر.

٦ - مقام شعيب (في فلسطين). وشعيب هو من «مديّن»، أنكره شعبه وجدوا نبوّته، فهاجر من بلده إلى فلسطين حيث مات في حطّين عند سفح الجبل في أعلى طبريّة. يُحتفل بذكره في ٢٥ نيسان من كل سنة. تُقام فيه الاحتفالات الدينية، وتُنقل إلى العالم بواسطة الراديو والتلفزيون. يتألّف المقام من ثلاث طبقات، ومن حوالي ثلاثين غرفة. في الطابق الثالث منها حجرة النبي المقدسة.



## ثالثاً - مَشِيخَةُ الْعَقْلِ

«مشيخة العقل» هي المركز الذي يستعيز به الدروز، اليوم، عن مقام «الإمامة»؛ أو هي امتداد تاريخي ديني للإمامة<sup>١</sup> «إن هذه الزعامة الروحية الأصيلة - على حد قول جنبلاط - هي اشتقاق معنوي وامتداد تاريخي لفكرة الإمامة، أي الرشاد والحكمة وسلطة التوجيه والتقويم لمن تكون له. وهي نوعان: ولاية تنظيم ورعاية للمصالح الشرعية والروحية الظاهرة للجماعة ولاية القسط فيما بينهم بالعدل؛ وولاية استرشاد بالمثل الأفضل واهتداء بالولاء الأرفع واستئناس بالعرفان الأعلى وبالتوجيه الأسمى والأفضل. والأقرب إلى تمثيل فكرة الإمامة هو قيام الولايتين ووجودهما وتوحدتهما في الشخص ذاته»<sup>٢</sup>.

كان مقرُّ شيخ العقل محصوراً في لبنان، وصلحياته تشمل جميع الدروز حيثما كانوا، في لبنان أم في سوريا أم في فلسطين. وفي لبنان، «لم يكن للمشيخة مكانٌ معينٌ خاصٌ بها، فكان مكانها تابعاً لمكان الشيخ، فالبلدة التي منها الشيخ هي مركز المشيخة، ولذا فقد تداولتها مناطق جبل لبنان، كما تداولتها مناطق وادي التيم»<sup>٣</sup>.

لقب شيخ العقل، في الماضي، بعدة أسماء. فكان يدعى بشيخ العصر، وشيخ العقّال، وشيخ المشايخ، وشيخ مشايخ العصر... يعاونه عدد من المشايخ الذي سموا هم أيضاً بشيوخ العقل. وكان عددهم في الغالب أربعة ليتم بهم عدد الحدود الخمسة. يأترون بأمر الشيخ الأكبر.

«وقد كان شيخ المشايخ يتميّز بلبس مشلح أبيض ونظافة فائقة. ويصحبه في أثناء تنقلاته جمهور غفير من الناس، وأينما حلّ كان الشعب يستقبله بالحفاوة والحماسة، وكان السعيد من يُتاح له أن يمسّ ذيلَ جَبْتِه تيركاً»<sup>٤</sup>. «وقد تعودّ الدروز منذ القدم أن ينظروا إلى مقام المشيخة نظرة احترام وتكريم. يرون في احترامه ذواتهم وفي تكريمه تكريم أنفسهم. يلحظون فيه الرمز القائم لعظمة الإمامة وهيبتها ووقارها»<sup>٥</sup>.

«كان الشيخ منذ توليه ينقطع عن كل عمل دنيوي، ويعيش من الهدايا التي كانت تأتيه من مختلف النواحي. وكانت حياته بسيطة منظمة منزلة خليقة بعائل يعيش في الزمن القديم.

<sup>١</sup> القاضي أمين طليع، مشيخة العقل والقضاء المذهبي الدرزي عبر التاريخ، المطبعة الانطونية، بيروت ١٩٧١، ص ٧٤.

<sup>٢</sup> كمال جنبلاط في مقدمة كتاب «أضواء على مسلك التوحيد»، ص ١٩...

<sup>٣</sup> عارف أبو شقرا، الحركات في لبنان إلى عهد المتصرفية، مطبعة الاتحاد، بيروت، بدون تاريخ، ص ١٩٠.

<sup>٤</sup> نفس المرجع، ص ١٩٠.

<sup>٥</sup> نفس المرجع، ص ١٨٨.

وكانت أعماله روحية... وكان مشايخ العقل يعيشون ممّا يأتيهم من رزق يوصى لهم به. وكان حقاً لهم أن يرثوا كلّ مَنْ مات وليس له وارث شرعي. كما أنّ الدروز كانوا في اضطرار إلى الايحاء بشيء إلى أولئك الشيوخ كي ينالوا بذلك رضاهم وبركتهم»<sup>١</sup>.

استمرّ شيخ العقل واحداً لجميع الدروز حتى الربع الأول من القرن التاسع عشر، بسبب خلاف نشب بين البشيرين: الشيخ بشير جنبلاط والأمير بشير الشهابي الثاني. وانقسمت مشيخة العقل بين الحزبين الدرزيين الكبيرين، فكان شيخ عقل لليزبكيين وشيخ عقل آخر للجنبلاطيين... وبعد الحرب العالمية الأولى، عند تقسيم الدول العربية، انقسمت أيضاً المشيخة شتاتاً: فكان لسوريا ثلاثة مشايخ، وفلسطين شيخ واحد، وفي لبنان كان عددهم يتراوح بين شيخين وثلاثة أمّا اليوم فاجتمعت المشيخة في واحد.

«ليس لدينا ثبّت يوضح تعاقب الشيوخ على هذا المنصب شيخاً شيخاً وعهداً عهداً. فهناك عهد لم يصل إلينا أيّ خبر عن أي شيخ في أثنائها»<sup>٢</sup>. وقد يكون سبب ذلك شدة القهر على الدروز ممّا جعلهم ينحسرون في وعدهم آخذين بنصيحة بهاء الدين وهي «أن يكون أعظم ما عندهم الصبر والسكوت والستر»<sup>٣</sup>.

هذا القهر توالى عليهم منذ نشأتهم، منذ غيبة الشيخ الأول بهاء الدين المقتنى، واضطهاد الفاطميين لهم، واحتلال الصليبيين لبلادهم، وانتصار السلطان صلاح الدين عليهم، واحتلال المماليك، إلى احتلال العثمانيين الذين قدّموا المعنيين على سائر الأمراء في أوائل القرن السادس عشر... كل هذه الفترة غامضة جداً في تاريخ مشيخة العقل، وإن لم تكن غامضة بالنسبة إلى النكبات التي حلّت بالدروز.



ومع هذا، تلمع أسماء بعض المشايخ، في عصور القهر هذه، سنتوقّف عندهم قليلاً لما لهم من أعمال تقيدها في توضيح العقيدة وتفسير الحكمة واستجلاء ألغاز الدين والتاريخ. نذكر منهم:

١ – الأمير عيسى التتوخي: وهو الجدّ الخامس للأمير عيسى المعاصر للأمير السيّد. عرف عنه جمع كتب الحكمة في ستة أجزاء، في الجزئين الأول والثاني جمع رسائل حمزة بن علي وإسماعيل التميمي، وفي الأربعة الباقية رسائل بهاء الدين المقتنى. وعدد رسائلها

<sup>١</sup> نفس المرجع، ص ١٩٠.

<sup>٢</sup> نفس المرجع، ص ١٨٨.

<sup>٣</sup> منشور نصر ابن فتوح ١٠٧ / ٨٢٨.

جميعها: مائة وسبع رسائل (١٠٧ لا ١١١ كما هي عليه اليوم. وذلك يعني أن الرسائل الأربع الأولى لم تحسب في عدادها). و «لذلك يكون له فضل كبير على كل موحد»<sup>١</sup>.

٢ - الأمير عيسى الثاني المعاصر للأمير السيد. كان يفتن بكتابة الحروف وتنميقها حتى شبّه بعضهم بـ«ابن مقلّة» كاتب القرآن الأول. وقد كلفه الأمير السيد فنسخ له كتب الحكمة بخط جميل. ولا يزال رجال الدين يغالون بالكتاب الذي يعرفون أنه مخطوط بيده. ويُقال إن الأمير السيد استكتبه في وضع كتب الشرح. فعليه «يكون لكل من الأميرين فضل لا يُمحي وذكر لا يزول»<sup>٢</sup>.

٣ - الأمير سيف الدين التتوخي (٧٨٩ - ٨٦٤ هـ). «الأمير الخطير والشاعر الكبير والصانع القدير». ولد في عبيه. كانت جلّ أشعاره في الغزل والوصف والمديح، فاستدعاه الأمير السيد وطلب إليه أن يحول غزله المادي بالغزل بالعزّة الإلهية ومدح الأنبياء، فنزل عند رغبته. ذهب إلى القاهرة وتعلّم فيها الصياغة وصكّ النقود، ثم عاد إلى عبيه فأخذ يشتري الحلّى القديمة ويصكّها دنانير فأثرى، ولكنه زهد بما أثرى. كان يتجول على دابّته بين الموحدين، وعلى دابّته خرّج، فيطلب من المحتاجين أن يأخذوا من الخرج حاجتهم، ومن الميسورين أن «يحطّوا» في الخرج ما يزيد عنهم. فضربَ بذلك المثل: «حطّ بالخرج». ولمّا تحسّنت بذلك أحوال الموحدين وأصبحوا كلّهم مكتفين راحوا جميعهم «يحطّون بالخرج». وهكذا جعل الأمير من «الخرج» بداية الاشتراكية عندهم، وكان الخرج انطلاقة خيرة لـ«لحزب التقدّمي الاشتراكي».

٤ - الأمير جمال الدين عبد الله التتوخي المعروف بالأمير السيد ولد سنة ٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م وتوفي سنة ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩ م. «لعلّ أكبر شخصية علمية بين الدروز، منذ بهاء الدين المقتنى، هي شخصيّة الأمير السيد جمال الدين عبد الله التتوخي»<sup>٣</sup>. وقد لا يكون له بين الدروز مثيل، لسعة اطلاعه، وعمق سرّه، وكثرة شروحاته للحكمة، ونزاهة آدابه، وشمول معرفته، وقداسة سيرته، وتجلّده على نكبات الدهر، واستثناسه بالقرآن والإسلام...

ولد في عبيه، و «كان يطوف القرى في طلب العلم والحديث وهو صغير السن، وتورّع يافعاً»<sup>٤</sup>. «جوّد كتاب الله العزيز (القرآن) ودرسه وتلاه غيباً، ولازم الدرس فيه حتى

<sup>١</sup> توفيق سليمان، أضواء على تاريخ مذهب التوحيد، ص ٢١٩. انظر أيضاً: سامي أبو شقرا، مناقب الدروز...، ص ٥٧.

<sup>٢</sup> توفيق سليمان، المرجع المذكور، ص ١٣٣.

<sup>٣</sup> عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين: «الدروز»، ص ٦٤٤.

<sup>٤</sup> عجاج نويهض، التتوخي الأمير جمال الدين...، ص ١١٣.

انطبعت فصوله وآياته وأعشاره وسُورُه وسُطورُه في قلبه، بحيث لا يغيب عنه لفظَةٌ واحدة»<sup>١</sup>. وكان يحرّض الأولادَ على حفظ الكتاب العزيز، ويأمر الآباء بأن يجعلوا لأبنائهم جُعلًا على حفظه ترغيبًا لهم.

رحل الأمير السيّد إلى دمشق للعلم، وبقي فيها اثنتي عشرة سنة. بعدها عاد إلى عبيه حيث أقبل عليه التلاميذ من مختلف البلاد. وكان متشدّدًا معهم في أمور الدين: «فمن خالف أو بان منه زلّة يطرده من المجلس، فيشهر أمره أنّه منفيّ، ويكون ذلك عارًا عليه. فصار لذلك أمر عظيم في قلوب الناس وخوف شديد وهيبة بالغة من غير قيد ولا سجن ولا خوف قتل ولا ضرب. ثم جعل رسماً على من يثبت عليه ذنب من الذنوب العظيمة... ومن شرب شيئاً من المسكرات، أو أخطأ في تصرفه بوجه آخر، أو ظلم أحداً، أو تعدّى على أحد، وما أشبه ذلك، يمنعونه من دخول تلك المجالس التي رتّبها. فصار ذلك أشدّ هيبّة عند الناس من قصاص الحكام بالضرب والقتل، وهابوا مخالفة أوامره أكثر من مهابتهم سطوات الملوك الدنيوية. وكان الرجل إذا جرى منه ذنب كبير واشتهر عنه ذلك يلزم بيته ولا يجسر على الخروج بين الناس، حياءً وخجلاً، أو احتساباً للطرد والنفي»<sup>٢</sup>.

رزق ثلاثة أولاد وبنات، توفوا جميعاً في حياته. وكان آخرهم عبد الخالق الذي مات ليلة الاحتفال بعمره، وذلك برفسة بغلته المميّنة. ولما بلغ الأمير السيّد مقتله، كتّم الأمر على المحتفلين والمغنيين، ثم أعلمهم آخر الأمر، وارتجل لهم خطبة في الأمر العصيب.

بعد وفاة آخر أبنائه «كره الدنيا، واشتدّ شوقه إلى ربّه، ثم أخذ في تدوين الشروحات، وتبيين السنن والفروض والواجبات، في التوحيد وإقامة الحجة وإيضاح المحجة واليوم الآخر ومعرفة ربّ الأرباب وخالق الأرض والسموات»<sup>٣</sup>. ويصف لنا ابن سباط زهد الأمير في أواخر حياته بقوله: «كان يسهر الليل في طاعة ربّه، وينام ثلثه. وكان يجلس أكثر لياليه لا يشغل بأمور دنيوية ولا حكايات في غير الحكمة. ثم يعظ ويفيد من حضر إلى نحو ثلث الليل، ثم ينام ثلثه، فينام من في المجلس، ثم يقوم الثلث الأخير فيخلو في طاعة ربّه»<sup>٤</sup>.

عُرِف عنه أنّه «أمّر بعمارة المساجد في القرى وتجديد الجوامع وإنشاء الأوقاف... ثم جلب الفقهاء إلى النواحي، وأقام الخطب أيام الجمعات في كل قرية... ثم شدّد على القراءة الصحيحة في القرآن الكريم»<sup>٥</sup>. ويستفيد الدكتور عبد الرحمن بدوي من تشدّد الأمير في حفظ

<sup>١</sup> نفس المرجع، ص ١١٣.

<sup>٢</sup> عجاج نويهض، المرجع المذكور، ص ١١٤ - ١١٥.

<sup>٣</sup> عجاج نويهض، المرجع المذكور، ص ١٠٠، نقلاً عن أبي مرعي.

<sup>٤</sup> عجاج نويهض، المرجع المذكور، ص ١١٤.

<sup>٥</sup> عجاج نويهض، المرجع المذكور، ص ١١٤.



القرآن وفرائض الإسلام ليقول عنه: «إن هذا الأمير العالم الدرزي الكبير كان يستمدّ علمه وورعه من أعلام أهل السنة ويقتدى بهم»<sup>١</sup>. ويطمئن إلى «أن أحداً من الدروز قد أنكر عليه شيئاً من هذا. وهذا يدلّ دلالة قاطعة على أن الدروز — حتى ذلك الوقت على الأقل، أعني في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي — لم يسقطوا الفرائض الدينية، ولم يطرحوا القرآن، ولم يترخّصوا في ركن من أركان الإسلام، وكانوا يؤدّون الصلاة في أوقاتها، ويؤدّون المؤذّنون في أوقات الأذان»<sup>٢</sup>.

ولكن، إذا علمنا، من ناحية ثانية، أن الدروز، حتى يومنا هذا، يعدّون الأمير السيّد قطباً من أقطاب مذهب التوحيد، وأن قبره في عبيه، لا يزال مقصد الزيارة والتبرّك من آلاف الدروز في كل عام، وأن شروحاته لرسائل الحكمة تنال عناية فائقة لدى شيوخ العقل حتى الآن، وأن هذه الشروحات نفسها سرّيّة كسرّيّة الحكمة نفسها... فهذا يعني أن في مواقف الأمير السيّد ازدواجيّة: واحد هو فيه مسلم تقيّ، وآخر هو فيه درزي خفيّ. واحد معلّن، وآخر سرّيّ. واحد ظاهر، وآخر باطني. وهو ما سمّيناه بـ«التقيّة».

لقد أخطأ الدكتور بدوي في استنتاجه، ودليل خطأه يثبت به بنفسه في قوله بأنّ الموضوعات التي وضعها الأمير السيّد «تدور كلّها حول موضوعات في الأخلاق والآداب المعاملات، ولا شأن لها بشيء من عقائد الدروز في الإلهيات والتوحيد والمعاد. وإذا تصفّحناها وجدناها في آرائها لا تخرج عمّا نجده في كتب الأخلاق والمواعظ والفقهاء السنّيّة الإسلاميّة، وليس فيها أيّ ظل من تأثير عقائد الدروز الإلهية»<sup>٣</sup>.

إن خطأ الدكتور سببه جهله بـ«شروحات الحكمة للأمير السيّد. ومن حقّه أن يجهل ذلك لأنّها سرّيّة، ولكن ليس من حقّه اطلاق الأحكام الفاسدة المبتورة الضالّة والمضلّة. ألا يعلم الدكتور أن الأمير السيّد هو نفسه أرسل إلى مصر مبعوثاً ليأتيه بسجلات حاكمة فاطمية ليضعها في مقدّمة الرسائل الـ١٠٧ وذلك لأجل التمويه والتدليس. كنا نظنّ بأنّ الدكتور يعرف أكثر من سواه مضمون رسائل الحكمة، ولكنّه كما يظهر الآن «ختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة»، على حدّ قول الله تعالى سبحانه عزّ وجلّ<sup>٤</sup>.

ألا يعلم الدكتور أيضاً أن الأمير، عندما استجاب لدعوة أهل بلدته للرجوع إليهم من دمشق، عرض عليهم مطالبه وشروطه، «فاجتمع الناس لدرس مطالبه. ولما تلبّث عليهم وقّفوا اجلالاً وتقديراً. ولا يزالون إلى اليوم عندما يهّمون بقراءة ما كتبه في شرح بعض الرسائل

<sup>١</sup> عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين: «الدروز»، ص ٦٤٧.

<sup>٢</sup> نفس المرجع، ص ٦٤٧ - ٦٤٨.

<sup>٣</sup> نفس المرجع، ص ٦٥١.

<sup>٤</sup> سورة الجاثية في القرآن ٤٥ / ٢٣.

يقفون جرياً على العادة التي ألفوها. وبعد تلاوة الرسالة (المطالب) رضخوا لمضمونها. من هذه المطالب «حثّ الناس على مجاراة الكثرة فيما يرغّبونه، ودراسة القرآن الكريم، وقطع المناداة على الأموات في المآتم، ومنع النساء من النواح، وتعليم البنات، وفتح المدارس...»<sup>١</sup>... ألا يعلم الدكتور أنّ «مجاراة الكثرة» هي دعوة سيّدنا حمزة: «استتروا بالمألوف عند أهله»، وهي «التقيّة»، والمساترة، والداراة، والمصانعة... وأن في «دراسة القرآن» أضمن سلامة لـ«مجاراة الكثرة»!!!

لقد كان الأمير السيّد أكثر حذاقة من الدكتور حتى يجعله يظنّه مسلماً طيباً. ولئلا ننتهم بالغبوة نقول: لعلّ الدكتور يريد كسب الأمير السيّد العالم ومن هم وراء الأمير إلى حظيرة الإسلام!!! الله أعلم. ولكن برهان جهل الدكتور كان أقوى حجة من حذاقته.

بقي أن نقول كلمة وجيزة للأستاذ سامي أبو شقرا القائل: «للأمير السيد كتب متعدّدة.. وكل كتاب منها لا يقلّ عن أربع مائة صفحة منسوخة نسخاً ومحظورٌ على غير العاقل تلاوتها»<sup>٢</sup>. ثم يدعونا إلى شعورنا بالحاجة إلى مثل هذا الأمير والتعرّف إلى آثاره وأخلاقه والنشبه به فيقول: «ما أحوج البلد، على مختلف طوائفه وأحزابه، إلى سيّد مقدم حنيف يفرض طاعته على كل مواطنيه، ويعمل على إزالة التحلّف الحضاري والنزعة التقدميّة المزعومة...»<sup>٣</sup>.

نسأل الأستاذ أبا شقرا: كيف يكون البلد بحاجة إلى الأمير، وكيف تكون معرفتنا به، وكيف نتشبهه بأخلاقه، وكيف نحقق أقواله... وجميع كتبه «محظور على غير العاقل»؟ واحدة من اثنتين: أمّا سرّيّة شروحات الأمير وبالتالي خراب هذا البلد؟ وأمّا نجاة البلد وبالتالي نشر أقوال الأمير؟... أقلّ ما يقال: إنّنا نطالب بعودة الأمير السيّد إلينا جميعاً.

<sup>٥</sup> — الشيخ أبو علي مرعي زهر الدين، تلميذ الأمير السيّد. عُرف عنه أنّه أوفده الأمير السيد إلى مصر ليأتي منها ببعض الرسائل الدينية، فرجع حاملاً «السجلات الأربعة التي ألحقها الأمير السيّد بالكتاب الأول من المعلوم الشريف»<sup>٤</sup>. مات فدفن في قرية الفساقين ناحية غرب الشوف، وله فيها ضريح لا يزال قائماً إلى يومنا هذا.

<sup>٦</sup> — الشيخ زين الدين عبد الغفار تقي الدين. ولد في كفر متى سنة ٩١١ هـ. وتوفي سنة ٩٦٥ هـ / ١٥٥٧ م. تأتي منزلته في تفسير رسائل الحكمة، بعد الأمير السيد. و «قلّما

<sup>١</sup> توفيق سليمان، المرجع المذكور آنفاً، ص ١٤٥.

<sup>٢</sup> سامي أبو شقرا، مناقب الدروز في العقيدة والتاريخ، ص ٢١٥.

<sup>٣</sup> نفس المرجع، ص ٢١٧.

<sup>٤</sup> توفيق سليمان، المرجع المذكور، ص ١٥٢.

نجد من خلف مثله تراثاً دينياً وأدبياً ضخماً. وقد بلغت كتبه المتعلقة بالدين منزلة عالية جداً يستعان بها في تفسير ما غمض أو أشكل من النصوص»<sup>١</sup>.

من مؤلفاته الهامة، وهي أيضاً سرّية: (١) قاموس الحكمة. وهو يحتوي على شرح مفصل لرسائل الحكمة<sup>٢</sup>. (٢) النقط والدوائر. نشره سيولد المستشرق الألماني سنة ١٣١٩ هـ / ١٩٠٢ م. وهو كتاب مخطوط فيه إيضاحات دينية كثيرة. (٣) كتاب مختصر البيان في مجرى الزمان. نشره هنري غيز وترجمه إلى الفرنسية سنة ١٨٦٣.

٧ - الشيخ محمد أبو هلال المعروف بالشيخ الفاضل. من قرية الشعيرة من أعمال وادي التيم. رعى الماعز، ثم احترف الزراعة. وكان مع هذه يتعلم حتى اشتهر بعلمه وفضله. عاصر الأمير فخر الدين المعني الكبير وكانت وفاته سنة ١٠٥٠ هـ / ١٦٤٠ م في قرية عين عطا قضاء راشيا. وله فيها مقام يقع غربي القرية. له جملة قصائد تُرثل في المعابد، وفي مناسبات مختلفة: كالزواج والموت... وله في مديح صبر قومه واحتمالهم مشقات هذا الدهر قوله:

الشوق ألقهم والخوف أحرقهم طوبى لقوم إلى الفردوس قد وردوا  
والصبر قد اتخذوا منه مطيئهم نالوا الذي طلبوا بفوزهم سعدوا

اشتهر الشيخ الفاضل بالورع والزهد والخلوة في الجبال واعتزال الناس. واتخذ الخشن من اللباس، والجاف من الطعام. وتورّع عن كثير من المذات البدنية، طمعاً في اللحاق بمن تقدّمه من عقّال وصوفيين. كان يلبس الملبوس الأزرق من الثياب دون غيره<sup>٣</sup>. «ولعل هذا هو الأصل في اتخاذ العقّال حتى اليوم الأزرق الغامق من الثياب»<sup>٤</sup>.

٨ - الشيخ محمد الاشرفاني، مؤلف كتاب «عمدة العارفين في قصص النبيين». ويسمى رجال الدين هذا الكتاب بـ«المؤلف». وهو من المراجع الأساسية في فهم ما غمض من أمور الدين. ولد الشيخ في أشرفية الشام، وعاش، على ما يبدو، في القرن الحادي عشر

<sup>١</sup> أمين طليح، مشيخة العقل...، ص ٨٩.

<sup>٢</sup> اسم القاموس الحقيقي: «كتاب المناظرات وبهجة المذاكرات».

<sup>٣</sup> راجع عجاج نويهض، «التنوخي» حيث يستشهد بـ«آداب الشيخ الفاضل محمد أبي هلال» لأبي علي بن عبد الملك بن الحاج يوسف الحلبي، ص ٢٧٤.

<sup>٤</sup> الدكتور بدوي، مذاهب الإسلاميين، ص ٦٥٦.

الهجري، وذلك من قوله في خاتمة كتابه بأنه عمل في تأليفه سبع سنين آخرها سنة سبعين بعد الألف (١٠٧٠ هـ).

٩ — الشيخ يوسف بن الشيخ سعيد الكفرقوي. كان شاعراً فذاً يضاهي ابن الفارض في التصوف، والمعري في نظمه لزوم ما لا يلزم. لقد التزم في قوافيه أتباع الحروف الهجائية، وسمى كتابه «درر النور في التوبة إلى الملك الغفور». وقدّم لكل قصيدة منظومة بمقطوعة نثرية، هي الأخرى تبتدئ بالحرف الذي تبتدئ به القصيدة وتنتهي...

١٠ — الشيخ أبو زين الدين يوسف أبو شقرا. عاصر الأمير يوسف الشهابي الذي تولّى حكم لبنان من سنة ١٧٦٢ حتى سنة ١٧٧٠ م. وكان له معه حادثة شهيرة، وهي: إن الأمير يوسف أحدث ضريبة على الشاشات (والعمائم هي من الشاشات) فاعترض مشايخ الدروز على هذه البدعة، وتوجّه الشيخ لمقابلة الأمير في دير القمر. ولم تسفر المقابلة عن نتيجة. فاجتهد بينهما الجدل. وقال الأمير: إن البلاد لم تعد تتسع ليوسفين، أجابه الشيخ: «المزروك يرحل»، أي المتضايق يرحل. وخرج الشيخ غاضباً وهو يسمع الأمير يقول: «إنني سأحمي أفران دير القمر بشاشات العقال». وصل الشيخ إلى بعقلين ودعا الدروز إلى القتال، فاجتمع لديه في مرج بعقلين سبعة آلاف مقاتل. وركب بغلته وسار أمام الثائرين نحو دير القمر، وهو يردّد صلوات الحرب. فلما علم الأمير يوسف بالأمر، همّ بالفرار. غير أن آل نكد سعوا بالصلح وأقنعوا الأمير بالرجوع عن قراره، والدروز بالعودة إلى ديارهم... إلا أن الأمير حقد على الشيخ وأضمر له الشر، لكنه أظهر له غير ما يُضمر حتى قرّبه إليه. فاطمأنّ الشيخ، وقبل، في أحد الأيام، دعوة الأمير إلى الطعام. وفي الطعام دس له السمّ فمات... ولكنّ الدروز لم يبيتوا على ضيم، فدبروا للأمير وشاية لدى حاكم عكا الذي أماته شنقاً.

١١ — الشيخ علي جنبلاط جدّ الشيخ بشير (+ ١٧٧٨ م) عاصر الأمير حيدر الشهابي والأمير ملحم والأميرين الشقيقين منصور وأحمد، ومات في نهاية عهد الأمير يوسف الشهابي.

وبانتقال الإمارة من المعنيين إلى الشهابيين عمّد الأمير ملحم على قسمة الدروز بين جنبلاطين ويزبكيين. فانقسمت بالتالي مشيخة العقل بين الشيخ علي جنبلاط والشيخ عبد السلام يزبك العماد.

واستمرت المشيخة مشيختين في لبنان إلى أن اجتمعا من جديد في الشيخ محمد أبو شقرا من عمّاطور، الذي ولد سنة ١٩١٠، وتولّى المشيخة سنة ١٩٤٩. وبوفاة الشيخ اليزبكي رشيد حمادة، استقلّ أبو شقرا وحده منصب مشيخة عقل الموحدين.



خاتمة الكتاب  
يَوْمَ تُكْشَفُ الْأَسْرَارُ

مَجْدُ التَّقِيَّةِ يَوْمَ الْكُشْفِ

## مَجْدُ النَّقِيبَةِ يَوْمَ الْكَشْفِ

«... وسوف أَعقدُ مؤتمراً صحافياً أذيعُ فيه أسراراً ووثائقَ عن محاولاتِ إسرائيل لإنشاءِ دولةٍ طائفيةٍ تضمُّ جنوبَ لبنانَ وجزءاً من الشوفِ والبقاعِ الغربي مع الجولانِ المحتلِّ. إن محامياً لبنانياً كبيراً قد دعي إلى روما لمقابلةِ رئيسِ الاستخباراتِ الإسرائيلية، وقد قابلته بالفعل، وأطلعَ على ذلك المخططِ الرهيبِ، فأطلعَ عليه بعضَ الجهاتِ اللبنانيةِ والسوريةِ. وتمَّ إحباطُ المكيدةِ حينذاك»<sup>١</sup>.

هذا الكلام هو لنقيب الصحافة اللبنانية رياض طه الذي دعا يومذاك إلى اجتماعٍ مغلقٍ عُقدَ في ٢٢ أيّار سنة ١٩٧٣ في دار النقابة. لقد ذهل الحاضرون، وراح ينظر الواحد الآخر، ويريد مزيداً من المعلومات والإيضاحات والأسماء، فلم يكشفِ النقيبُ عن شيءٍ منها، بل وعدمه خيراً في اجتماعٍ مغلقٍ آخر يكون فيه الحاضرون أكثرَ جَلَدًا وأصلبَ أعصاباً. وبقيتِ الأسرارُ في بطنِ النقيبِ لم تُكشَفْ لشرٍّ يحدثُ.

إلا أننا، والشرُّ الكبيرُ على النقيبِ قد حدّث، سنوافيك بما لم يستطعِ النقيبُ الشهيديُّ إعلانه:

«بتاريخ ١٦/١٠/١٩٦٧، اتّصل كمال كنج هاتفياً من روما بكمال أبو لطيف (المحامي اللبناني الذي أشار إليه رياض طه) إلى منزله في عيحا - راشيا. وطلب إليه أن يوافيه إلى روما لأمر هام... اعتذر أبو لطيف لأنه كان قدماً حديثاً من أمريكا اللاتينية حيث زار أخوته هناك، وأن الناس يأتون للسلام عليه، ووعدّه بالسفر بعد حوالي أسبوعين.

«اتّصل الكنج عدّة مرّات هاتفياً بأبي لطيف على رقم مكتبه أو منزله في بيروت يلحّ عليه بأن يحضر إلى روما. فتذرّع أبو لطيف بضيق الوقت لا سيّما وأنّ السنة القضائية كانت في مطلعها. فظنّ الكنج أنّ نفقات السفر هي التي تُعقيه، فقطّع لأبي لطيف تذكرة سفرٍ من روما. وأبلغتُ لشركة أليطاليا برقياً. وهذه اتّصلتُ بأبي لطيف وأخبرته بالأمر. فعين أبو لطيف موعداً للسفر بعد أن أطلعَ على بطاقة سفره من بيروت إلى روما وبالعكس.

«استقبل الكنج أبا لطيف في مطار روما، ثم انتقلا معاً إلى «بانسيون فرانثيسي» في شارع «فزينيتو» قرب متحف «بوركيزي»، حيث حُجزتُ غرفة لكمال أبي لطيف، بينما كان الكنج يمكث في فندق أقلّ شأناً من «البنسيون».

<sup>١</sup> فاضل سعيد عقل وأنطوان جرجي الجبيلي، وقائع الحرب في لبنان ١ / ٣١٤.

«قال الكنج لأبي لطيف بأن اليهود منذ احتلوا محافظة القنيطرة وهم يحاولون بشتى الوسائل التقرب من الدروز في الجولان، وخاصة مع بيت الكنج في مجدل شمس، باعتباره المتنفذ الأول في المنطقة... وقد قام عدد من الضباط اليهود بزيارة كمال الكنج في منزله، وكذلك زاروا الشيخ سليمان الكنج ابن عمه...»

«وتردد الضباط اليهود، من نساء ورجال، لمجدل شمس. وكانوا يحلون في دار الشيخ سليمان الكنج باعتباره ابن دار زعامة المنطقة وصاحب العبادة التقليدية... وقيت مجدل شمس مدة شهرين لا تخلو يومياً من عشرات الزائرين من دروز فلسطين... وقام عدد من الوزراء بزيارة مجدل شمس أيضاً، منهم «موشة دايان» و «ألون»... ثم بدأ يقبل عليهم ضباط من المخابرات الإسرائيلية...»

... وابتدأ الدروز يشعرون أن أمراً خطيراً سيحدث... وعمد الزائرون على الافصاح عن مهمتهم وگرامهم بزعماء مجدل شمس الروحيين والزمنيين. وعرف هؤلاء «أن الغاية من ذلك فصل الدروز عن الإسلام لأنهم لا يمكن أن يتعايشوا وإياهم»...

«وعندما أبلغت المخابرات الإسرائيلية بقبول بعض الوجهاء الدروز بالتعاون معهم سرّ اليهود لذلك كثيراً، وأخذوا يكثرزون من التردد على مجدل شمس، ويُسدون الخدمات للناس، ويُنفذون المطالب بسرعة مذهلة. وبدأ تنفيذ المخطط إذا انتدب كمال الكنج للاتصال بدروز سورياً ولبنان، بعد أن وضعت قوائم بأسماء الوجهاء الدروز الذين يمكن التعاون معهم وطريقة اصطيادهم. ولذلك ذهب إلى روما «بمهمة كعضو في لجنة إسرائيلية تدرس مع السلطات الإيطالية موضوع تصريف الفاكهة من إسرائيل، متخذين من كون مجدل شمس بلدة غنية بالفاكهة نريعة لوجود كمال في اللجنة. كما أشاع كمال، قبل مغادرته مجدل شمس بأنه سيُدأوي عينيه لدى أطباء في تل أبيب، وقد يُضطرّ لعرضها على اختصاصيين خارج إسرائيل.»

«وبذلك حضر كمال كنج إلى روما برفقة ضابط مخابرات إسرائيلي (من الشين بيت) تحت اسم «يعقوب». ويصف كمال أبو لطيف يعقوب هذا فيقول إنه رجل متوسط القامة، أحذب، يُتقن اللغة العربية. وكان كمال الكنج قد اقترح الاتصال بكمال أبو لطيف وهو ضابط سابق في الجيش السوري، وقريب له. ووافقت المخابرات الإسرائيلية على ذلك بعد أن قامت بجمع المعلومات عنه.»

«ولذلك استدعي أبو لطيف إلى روما، واجتمع مع كمال الكنج الذي أخبره بالمخطط، واتفقا على ابلاغ الجهات العربية المعنية بالطريقة التالية:



١ - يقوم كمال أبو لطيف بإعلام كمال جنبلاط بالأمر، ليقوم بدوره بإعلام السلطات اللبنانية وغيرها من السلطات العربية التي يجد من المناسب إعلامها.

٢ - يقوم كمال أبو لطيف، بعد أخذ موافقة جنبلاط، بإعلام السلطات السورية. وبعد أن عاد كمال أبو لطيف ونفذ ما اتفق عليه، طلب منه متابعة الاتصال مع المخابرات الإسرائيلية. فسافر مرّة ثانية إلى روما، واجتمع بـ«يعقوب» وكمال الكنج...» «واتّضح، لأبي لطيف، المخطّط على الشكل التالي:

### مشروع الدولة الدرزيّة:

١ - حدود الدولة الدرزيّة: تمتدّ هذه الدولة من جبل الدروز إلى الشاطئ اللبناني محيطة بإسرائيل. وتشمل: القنيطرة، وقضاء قطنا، وضواحي دمشق (بعض قرى الغوطة الدرزيّة)، فقضاء حاصبيا وراشيا، ثم الشوف، وقضاء عاليه حتى خلده، بما في ذلك بلدة الشويفات.

٢ - عاصمة الدولة الدرزيّة: ومن المقرر أن تكون السويداء أو بعقلين عاصمة هذه الدولة. وذلك حسب أيّ من دروز لبنان أو سوريا يكونون أكثر تعاوناً مع إسرائيل.

٣ - علم الدولة: هو العلم ذات الألوان الخمسة الذي وضعته فرنسا للدولة الدرزيّة بعد تقسيمها لسوريا.

٤ - السكان: يكون المسلمون السنّيون والشيعة في لبنان الجنوبي وكذلك في حوران والباقاع الغربي مخيّرين بين البقاء كأقلّيّة لا شأن لها ضمن الدولة الدرزيّة أو الرحيل. أمّا المسيحيون فلا ضير من بقائهم. ويمكن إشراكهم في الحكم كأقلّيّة.

٥ - المقومات الاقتصادية: هي مضمونة من قبل إسرائيل، بتعهدات أميركيّة. يصبح ميناء صور - بعد تطويره - الميناء التجاري للدولة، ويبقى ميناء صيدا لتصدير النفط.

ورصدت أميركا ٣٠ مليون دولار للبدء بتهيئة الأجواء للتنفيذ.

### طريقة التنفيذ:

١ - تحت ستار مقاتلة الفدائيين الفلسطينيين تقوم القوات الإسرائيلية باقتحام واحتلال المناطق التي يتواجد فيها الفدائيون. ثم تقوم قوات أخرى باحتلال جنوبي لبنان حتى صيدا. وتتوجّه في الوقت ذاته قوات مدرّعة إسرائيلية خارقة الجبهة السورية على محور درعا - أزرع - السويداء، وعلى محور القرى المتاخمة للحدود السورية الأردنية.

٢ - تقوم حركات «سليبية» ضدّ الجيش الإسرائيلي المحتلّ، فيشجّعها اليهود سرّاً ولا يقمعونها بعنف، إلى أن تبلغ من القوّة ما يكفي ظاهرياً لنشوب معارك بين الفريقيين، يكون النصر فيها للدروز المحتلّة مناطقهم.

٣ - في تلك الأثناء يكون الاتفاق قد تمّ مع عدد من زعماء الدروز على الصمود في مناطقهم والمحافظة عليها، كي لا تعاد إلى سوريا ولبنان، تمهيداً لإنشاء كيان سياسي مؤلّف من هذه المناطق «المحرّرة» يتمتّع باستقلال تامّ.

٤ - تتكفّل أميركا بحماية هذا الكيان عن طريق إسرائيل، كما تتكفّل أميركا بالاعتراف فوراً بهذا الكيان السياسي، وبأن تدفع الامم المتحدة والدول الغربية السائرة في فلكها للاعتراف به. وتكون إسرائيل بذلك قد كسبت «حزماً واقياً لها» (حسب تعبير يعقوب)، يقبها شرّاً الاعتداءات العربية، إن من الجيوش النظاميّة أو الفدائيين.

٥ - بعد إنشاء الدولة الدرزية تقوم أميركا بالعمل لجعل لبنان وطناً قومياً مسيحياً، وتقيم دولة علوية في اللاذقية، ودولة كردية في شمال سوريا تتعاطف فيما بعد مع حركة البرزاني، فتقلّص الجمهورية العربيّة السوريّة إلى سوريا الداخلية وتشلّ قدراتها.

ونفّذ كمال أبو لطيف المهمّة، فتمّ إبلاغ كمال جنبلاط وشوكت شقير والسلطات اللبنانية السورية. ونقلت المعلومات إلى الجمهوريّة العربيّة المتّحدة (إلى عبد الناصر مباشرة)، وكلف عبدُ الناصر الضابطين: أكرم صفدي وهيثم الأيوبي بنقل هذه المعلومات إلى السلطات العراقية بغية حثّها على تكوين الجبهة الشرقيّة، ثمّ استدعي أبو لطيف إلى بغداد للاستفسار منه عن بعض التفاصيل<sup>١</sup>.



<sup>١</sup> انظر كتاب «الدروز في ظلّ الاحتلال الإسرائيلي» لغالب أبو مصلح، منشورات مكتبة العرفان، بيروت ١٩٧٥، ص ٢٤٧ - ٢٥٢.

ولكن، إثر اكتشاف هذا المشروع، قطع أبو لطيف اتصالاته بالمخابرات الإسرائيلية خوفاً على سلامته، وألقي القبض على كمال الكنج، وحكم عليه بالسجن... واستمر عضو الكنيست الدرزي «جبر معدى» يعمل باتجاهه، فعقد يوماً «اجتماعاً صحفياً بمفرده، دعا فيه إلى ضم هضبة الجولان لإسرائيل. واعترف أنّ أمنيته هي أن تقوم دولة درزية تضم لكل الدروز، وتكون عاصمتها السويداء». وعندما استهزأ الصحافيون بأقواله، أعلن: «إن اليهود أيضاً أرادوا قبل مئة سنة أن تكون لهم دولة، وإذا ذاك ضحك منهم أيضاً»<sup>١</sup>.

وبعد مدة، طالب «جبر معدى»، وكان نائباً لوزير الاتصال، بقيام «وكالة درزية» على غرار الوكالة اليهودية، «تهتم بالهجرة والتوطين، وتجمع النقود من ثمانين ألف درزي يعيشون في المهجر»، للبدء بإنشاء دولة درزية مستقلة<sup>٢</sup>.



إلا أنّ «جبر معدى» لم يكمل شوطه، فقتله أحد عربان فلسطين في أوائل شهر شباط سنة ١٩٨١... وكمال جنبلاط أيضاً لم يرَ لجهوده ثمرة، فقتل هو الآخر في ١٦/٣/١٩٧٧... وكمال الكنج قطعت عنه، بعد خروجه من السجن، كل زيارة من أيّ درزي... وكمال أبو لطيف فرّ بنفسه من ملاحقة الاستخبارات العاملة لإسرائيل... وشوكت شقير عُزل من منصبه... وسليمان الكنج يُدلي بشهادته على المضايقات الإسرائيلية<sup>٣</sup>.

من كان وراء كل هذه الملاحظات؟! لم يعد في الأمر سرّاً. ولماذا استمرار حرب لبنان؟! الأختلاف بين طوائفه؟ أم لأجل إنشاء دولة فلسطينية على أرض لبنان؟! أم لأجل امتيازات مسيحية مارونية؟! أم لأجل غبن يلحق بسنة الإسلام؟! أم لأجل حرمان عند الشيعة؟! ... في ظننا أن كل هذه فقاقيع تطفو على سطح المياه، ومواضيع تمويه طمساً للحقيقة... أمّا الحقيقة فهي في مخطط لم يحكّ عنه بعد كفاية. ابحت عمّا يربح إسرائيل وقل مع أرشيميد: «أوريكا»، أي «وجدتها».

هذا المشروع الإسرائيلي هو استمرار لمحاولات عديدة سبقته في التاريخ. وكلّها تضرب على وتر «إن الدروز لا يمكنهم أن يتعايشوا مع المسلمين».

<sup>١</sup> جريدة الاتحاد، ١٦ / ٨ / ١٩٦٨، نقلًا عن المرجع السابق، ص ٢٥٣.

<sup>٢</sup> جريدة الاتحاد، ٢١ / ٧ / ١٩٧٢، نقلًا عن المرجع السابق، ص ٢٥٤.

<sup>٣</sup> جريدة العمل البيروتية، ٢٥ / ٢ / ١٩٨١.

ففي مخيم عكا ١٧٩٨/٣/٢٠، أعلن الامبراطور نابليون بونابرت للأمير بشير: إن «رغبتى المخلصة هي أن أقيم للدروز استقلالهم، وأعطيتهم مدينة بيروت ذات المرفأ كمرکز تجاري لهم»

الامضاء

نابليون<sup>١</sup>.

وأجاب الأمير بشير، لا برسالة، بل بـ«قوة من الخيالة الدروز لنجدة نابليون بينما كان يحاول اخضاع عكا، تحت إمرة الشيخ عمر الظاهر. وكان ذلك في آذار سنة ١٧٩٩»<sup>٢</sup>.

وفي زمن الانتداب قسّمت فرنسا برّ الشام إلى خمس دول «ذات سيادة كاملة»: دولة لبنان، دولة دمشق، دولة حلب، دولة جبل الدروز، دولة جبل العلويين. وعرفت «أنّ هذه الدول تتألف من شعوب مختلفة، لا جامع بينهما. لا تشدّها أوامر واحدة، ولا تجمعها أيّة مصلحة مشتركة»<sup>٣</sup>.

لقد عرف دروز إسرائيل هذه الحقيقة واعترفوا بها وأعلنوها على صفحات الجرائد. فقال «شريف مهنا» — من البقيعة —: «نعيش نحن أبناء الطائفة الدرزية أقلية صغيرة ذات عقيدة دينية وطقوس وعادات تختلف عمّا لدى الشعوب والطوائف الأخرى»<sup>٤</sup>. وينقل سلمان فراج عن لسان فلاح عجوز هذه الحقيقة: «أسمعوا يا شباب! صحيح إنني فلاح بسيط، لكن بوّدي أن أبدي رأيي: لقد كان دروز سوريا هم الذين أشعلوا الثورة على الفرنسيين وخسروا، وضحوا في سبيل استقلال بلادهم أكثر من غيرهم بكثير. ولكن، عندما جاء الاستقلال، خسروا ثمرة تضحياتهم وخسروا مركزهم واحترامهم، لأنهم لم يدركوا أنّهم أقلية، وأنهم رضوا لم أبوا فهم دروز، يعني دروز، لا يحق لهم أكثر ممّا يسمح به وزنهم العددي»<sup>٥</sup>.

ويعلّق أحد الباحثين الاجتماعيين الإسرائيليين على هذه الظاهرة الأقلية: «إنّ الدروز هم أقلية صغيرة، حتى أنّهم طيلة تاريخهم كان همّهم الأساسي تقرير مَنْ هي القوة الأكبر ليتحالفا معها». وينقل رأي أحد مشايخ العائلات الدرزية الذي يبلغ الرابعة والتسعين من

<sup>١</sup> BOURON, Capitaine N. Les Druzes, Histoire du Liban et de la Montagne Houranaise, Paris, 1930; Trad. angl. Par MASSY, 1952, p. 51-52.

<sup>٢</sup> Ibid., p. 52-53.

<sup>٣</sup> Ibid., p. 137-138.

<sup>٤</sup> مجلّة الهدى، ٣٠ / ٥ / ١٩٦٩.

<sup>٥</sup> نفس المرجع، العدد ٥، ص ٣٥.

سنّيه، قال له: «في رأيي، كل مَنْ يتركك تعيش، وموجود في السلطة، يجب أن ينال دِعْمَكَ»<sup>١</sup>.



هذا الوعي الدرزي عرّفته إسرائيل وأدركته، وهي تسعى لتساعد، كالأُمّ الرؤوم، أقلّيّة مقهورة، ظلّمها العالم بأسره، واضطهدّها كلُّ صاحبِ سلطان. إسرائيل تعرف، والدروز سوف يعرفون بأنّ سرّاً حكمتهم لن يدومَ إلى الأبد سرّاً. فأصحابُ المطابع يقتنصون المخطوطات من تحت الأرض، وأصحابُ دور النشر يسيرّونها إلى أقطار الدنيا. والعلم لم يعد احتكاراً على أصحابه ومستحقّيه. فلا ذريعة، بعد اليوم، أن ليس بمقدور أحد، غير بني معروف، معرفة مضامين الحكمة وأسرارها وألغازها وألوانها ونقطها وتأويلها ورموزها...

قبّلهم، عرفت إسرائيل ذلك، وراحت تعمل لأجلهم، بالرغم عنهم، أحياناً، وبرضاهم، أحياناً أخرى. تعمل لمصلحتهم، كما تعمل لمصلحتها. ومصلحتها الكبرى أن تتعاون مع هؤلاء. وهي تعمل. هي تعرف أنّ أفضلَ جار لها هم الدروز. هؤلاء، إنّ أكتشفت حقيقتهم، لن يكون لهم عونٌ إلاّ من إسرائيل. فهم، كجيران لها، أقلّ خطراً من المسلمين والفلسطينيين والمسيحيين والعرب والعجم... لأنّهم محدودو العدد، لا يتكاثرون ولا يتزاوجون مثليّ أو ثلاث أو رباع، ولا مصلحة لهم فيما وراء البحار أو مع سكّان البوادي. يكتفون بما لهم. ويصبرون. ويتحملون. وينامون. ويبقون كهم حيثُ هم ومن حيثُ هم.



وفي الختام، نريد أن نسمع صوتَ الشهيد كمال جنبلاط الذي قال بنظريّة «تتمتّع بها كلّ أقلّيّة مذهبيّة أو اتنيّة في أن تراجع الأمم المتحدة بشأن كيانها ومصيرها، استناداً إلى الحقّ الطبيعي والحقّ الدولي وشرعة حقوق الإنسان»<sup>٢</sup>.

قد لا يحقّ لنا أن نسمعك صوتنا بعد هذا الصوت الجنبلاطي الدرزي الغيور. ولكننا نريد براءة من القارئ الذي قد يسيء فهم مقصدنا. نريد براءة من الضمير الذي، إذا كنّا أسأنا إلى إنسان، يتبرّر بحسن نيّتنا. ونيّتنا أن نخدم الإنسان، أيّ إنسان.

<sup>١</sup> Alfred FRIENDLY, Minority Rights Group, Report No. 12, Aug., 1972, London.....

<sup>٢</sup> كمال جنبلاط، لبنان في واقعه ومرتجاه، الندوة اللبنانية، ص ٦٧.

لن نجرؤ القول بأننا خدمنا الحقيقة، ولئن كان قول الحقيقة في وكدنا. بل نجرؤ أكثر في قولنا بأن مقصدنا كان الإنسان نفسه: بما صنعنا للإنسان نريد أن نحاسب، لا بما صنعنا بالله والحقيقة والحكمة والمبادئ والدين والعقيدة...

كان همنا أن نقول كل شيء ليعرف إنسان هذا الشرق أن كل شيء يُبنى على المعرفة؛ وكان همنا أن نقول بصراحة لأن الكذب، عندنا، أصبح «ملح الرجال»، ولأن الحقيقة أصبحت موجودة في ما لا يُقال؛ وكان همنا الأمانة لأن خطورة الموضوع تقتضيها لا محالة.



وربّ معترض علينا يقول: «إنكم أظهرتم التوحيد قبل أوانه، وكشفتُم ما لم تُؤمروا به بكشفه»<sup>١</sup>. وربّ قائل أيضاً: «إن الحقّ معكم فيما قلتم، لكنكم أذعتموه في غير وقته، واستعجلتم»<sup>٢</sup>... نجيبُ بما أجاب به بهاء الدين المقتنى: «إن هذا الوقت هو دورُ القيامة؛ وفيه كشفُ المذاهب، شاءَ العوالمُ ذلك أم أبوه»<sup>٣</sup>.



<sup>١</sup> رسالة إيضاح التوحيد، ٦٥٢ / ٧٤.

<sup>٢</sup> نفس المرجع، ٦٥٢ / ٧٤.

<sup>٣</sup> نفس المرجع، ٦٥٩ / ٧٤.

## المصادر والمراجع

## أولاً – المرجع الأساسي

(١) رسائل الحكمة، تأليف حمزة بن علي بن أحمد، إسماعيل بن محمد التميمي، بهاء الدين علي بن أحمد السموقي، ستة أجزاء في ثلاثة مجلدات، سنة ١٤٠٠ هـ. في بدايتها «مقدمة» في مواجهة سرّ الحكمة والمخطوطات وتصنيف الرسائل ومختصر العقيدة وتفسير بعض الألفاظ المستعصية. في مقدمة كل رسالة لمحة وجيزة عن موضوعها وتاريخها. وفي أسفل كل صفحة بعض الشروحات والتوضيحات والمراجع القرآنية. وفي آخر كل مجلد صورّ عن المخطوطات. تقع المجلدات الثلاثة في ٨٣٦ صفحة.

## ثانياً – مخطوطات في شرح الحكمة

(٢) ميثاق يعني حجة ورباط على الخلق. مخطوط رقم ١٤٣٦ في المكتبة الوطنية بباريس. ٧٩ ورقة. وهو شرح لقسم من «ميثاق وليّ الزمان»، رقم ٥ من «رسائل الحكمة». قد يكون للأمير السيّد التتوخي.

(٣) «الجوارح السبع». مخطوط رقم ١٤٣٨. ١٢٣ ورقة. فيه معالجة لجوارح الإنسان السبع، وهي اللسان (٢ أ – ١٠ ب) والعين (١٠ ب – ٢٢ أ) والأذن (٢٢ أ – ٢٥ أ) واليد (٢٥ أ – ٢٦ ب) والرجل (٢٦ ب – ٢٨ أ) والبطن (٢٨ ب – ٦٦ ب) والفرج (٦٦ ب – ١٢٢ ب). ولعله للأمير السيّد جمال الدين التتوخي.

(٤) تفسير «الموسومة بكشف الحقائق»، للأمير السيّد. يقع في ٧٩٦ ص. وهو تفسير واسع لمجمل الرسالة رقم ١٣ من الرسائل. وتشرح مجمل العقيدة الدرزية شرحاً وافياً عميقاً.



(٥) مخطوطات رقم ١٤٣٩ بباريس. وهو جزء من «تفسير كشف الحقائق». من ص ٢ أ حتى ٦٩ أ. وهو يؤلف الجزء الأخير من التفسير، أي من ص ٧١٩ حتى ٧٩٦. ويتضمن أيضاً:

\* أسباب المنادة الخمسة، ص ٦٩ ب.

\* وفصول «عن إمام العارفين وحجة الطالبين ومنهل الواردين وزين العابدين وأزهد الزاهدين وكنز المجتهدين دنيا ودين، وحيد عصره وفريد دهره، الأمير العالم العامل الراجع الكامل جمال الدين». وهي تفسير لبعض آيات الحكمة مأخوذة من رسائل شتى: ٧٠ أ — ٩٢ ب.

\* و «تعيين الفصول التي شرحها الشيخ شرف الدين ابن المرحوم الشيخ بدر الدين، وهو دون ثمانين سنين، وأكثرها من فكره بغير نقل». وهي أيضاً شرح لبعض آيات الحكمة: ٩٢ ب — ١٠٠ أ.

\* و «دعاء مبارك للشيخ الفاضل»: ١٠٠ ب — ١٠٢ ب.

\* وللشيخ الفاضل أيضاً: صباحيات: ١٠٢ ب — ١٠٥ ب.

\* دعاء آخر: ١٠٥ ب — ١٠٦ أ.

\* ودعاء اسمه «تحويلة»: ١٠٦ أ — ١٠٦ ب.

\* وشروحات على آيات من رسائل الحكمة: ١٠٧ أ — ١٠٩ أ.

\* وذكر معرفة الأربعة وخمسين فريضة توحيدية: ١٠٩ ب — ١١٤ ب.

\* وله أيضاً شعر: وحكم مأثورة: ١١٤ ب — ١١٦ ب.

\* وذكر معاني متفرقة من الحكمة: ١١٦ ب — ١٢١ أ.

\* وذكر أسماء الحدود الطاهرين والمشايخ المحمودين وأكابر المرتدين: ١٢١ ب — ١٢٧ ب.

\* «من فضائل السيد الأمير» نصائح وحكم مأثورة: ١٢٧ ب — ١٣٠ ب.

\* أشعار عن المعاد الأخير: ١٣٠ ب — ١٣١ أ.

\* وذكر طرف من سيرة الشيخ العالم العامل المفضل المرحوم الشيخ أبي هلال (+ ١٠٥٠ هـ) ومن تعاليمه عن الأمير السيد: ١٣١ ب — ١٣٢ ب.

(٦) «تعيين أسماء الفصول المستشهدة من التوراة ومن الزبور ومن الإنجيل ومن القرآن». مخطوط رقم ١٤٤٠. ٩٦ ورقة. وهو جزء من «تفسير كشف الحقائق» من ص ٨٨ — ٢٠٧.

(٧) «ذكر معرفة الشرور السبعة»، وهي: الزنا والفسق والقتل والسرقة والرغبة والغش والحمق. مخطوط رقم ١٤٤١. مؤلف من ورقتين.

(٨) «مختصر البيان في مجرى الزمان». مخطوط رقم ١٤٤١: ٨٠ ورقة. هام في معرفة جميع الأدوار والظهورات والحدود الروحانية.

(٩) مخطوط رقم ١٤٤٨ وهو «قصيدة تشتمل على ذكر الأزمان الماضية والقرون الخالية. بها ذكر

- الأنبيااء والخلفاء والحكماء والفلاسفة والعاابر والعاابر والعاابر والقفار والبحار وغير ذلك». ١٦٢ ورقة.
- (١٠) كتاب النقط والدوائر. «وهو من كتب الدرور الدينية. نقله خرّيسْتِيَان فرِيدِرْخ سِيْلْد الألماني. وفي ذيله نبذة من شرح البيان في ذكر البدعة ومجرى الزمان، والرسالة الموسومة ببدؤ الخلق، والرسالة الموسومة بكشف الحقائق». الطبعة الأولى ١٩٠٢ في مطبعة شمْرُسُو في كرْخهاين من مدن لوساصِيَا السفلى. والكتاب من تأليف الشيخ زين الدين عبد الغفار تقي الدين من بعقلين ٩٦٠ صفحة.
- (١١) «مصحف المنفرد بذاته». من ٢٧٠ صفحة. جاء في وصفه: هذا المصحف هو «نور صراط المستقيم. وهو مسوق إلينا، معروض علينا، دان إلى أفهام قلوب ألبابنا، عال بأسراره وأنبائه، لا يَمَلُّ من تلاوته، ولا يُنْزَفُ من حلاوته. ظاهره أنيق، وباطنه عميق، قريبه حكْم وبعيده علم... هو الكل والبعض، والجمع والفرق. به تبدل الأعيان، ولا عدّة إلّا به، والجميع إليه» ص ٤ - ٥. ذكره قائم الزمان حمزة في رسالة رقم ١٧ ص ١٨٦ مرتين على أنه من تأليفه.
- (١٢) «سجلّ سرائر الأول والآخر، والظاهر والباطن، والحق والنور، والأرض والسماء، والنار والماء، والمعاد والمعاش، ومعالم الأكوار والأدوار، وأنباء الأدوار وتهاليج الأكوار». تزيد صفحاته على ألف صفحة. «وهو يشتمل على سبعة فصول في سبع رسائل كاملة. وهي تسع وأربعون جامعة. أملاها مولانا الحاكم جلّ وعلا على عين العين وشمس السائرين الموحدين قائم الزمان... وأرسلها حمزة إلى الشيخ المقتنى (بهاء الدين) السنة الواحدة والثلاثين من سنّي حمزة» (ص ٢).
- (١٣) «كتاب الدرر المضية واللمع النورانية في تلخيص ألفاظ الحكمة الشريفة ومعانيها الروحانية». مخطوط من ٧٧٠ صفحة من القطع الكبير. كان الفراغ من تأليفه سنة ١١٤٤ هـ. وهو كثير الفائدة، يعتمد على نصوص كثيرة من الرسائل ومن كتاب «عمدة العارفين»، وخواطر الأمير السيد وشروحاته وكتاب «المناظرات». وهو يتبع طريقة قواميس اللغة العربية القديمة، أي إذا أردت كلمة «حكمة» تنظر باب «الميم» فصل «الحاء». وإذا أردت لفظة «ظمان» تنظر باب «الألف» وفصل «الظاء». جاء في مقدمته: «إن المداوم لمطالعتة والمتبحر فيه يكفيه ذلك عن غيره، لأن الذي يطلبه في المفرق قد حصل له في هذا الكتاب مجموع».
- (١٤) «كتاب المناظرات وبهجة المذاكرات وكاشف الاختلافات في مواقع الأسماء والصفات». وهو مرتب كـ«كتاب الدرر». يوجد نسخة منه في مؤسّسة كيتاني في روما، رقم ٦٤. وهو أقلّ قيمة من السابق.
- (١٥) «عمدة العارفين في قصص النبيين والأمم السالفين». تأليف الشيخ محمد مالك الأشرفاني. فرغ منه سنة ١٠٧٠ هـ / ١٦٥٩ م. وهو في ثلاثة أجزاء. «اشتهر كتابه عند بني معروف اشهاراً واسعاً، لم ينل مثله كتاب آخر إلّا كتب الأمير السيد» (نويهض، التتوخي، ص ٢٣٩) «ولعلّ هذا الكتاب هو آخر ما أُلّف على هذا المستوى في بابيه في المجتمع المعروف في لبنان وديار الشام حتى اليوم» (نويهض ٢٤١). عرف هذا الكتاب باسم «المؤلّف». قيل فيه: «لا يبلغ العالم من علماء بني معروف رتبة العلم إذا لم يكن متقناً الوقوف على عمدة العارفين» (نويهض، ص ٢٤١).
- (١٦) «مختصر بيان صحّة الدين بدحض مذهب العقّال الموحدين»، مخطوط رقم ٢٣١. من ٩٠ ورقة. فيه يقصّ علينا شيخ درزي «البكفتيني نسباً، والدرزي في الأصل مذهباً، والكاثوليكي الآن عقيدة (٢ أ).

ولد بقرب مدينة حلب الشهباء من والدين كريمين. وحصل على يديهما «تربيةً حسنة». ويقول: «لإفراط ميلي نحو الحق طبعاً تركت مساعي الجهل جانباً وصرت عاقلاً. إلا أنه لسبب اختلاطي مع الذميين وفقهاء المسلمين صارت أحياناً تخطر على بالي بعض الشكوك في المذاهب» (٥ أ). ثم راح يهتم «بمكاسب التجارة»، وقد حصل منها «أعلى ثروة» (٥ ب). وضربه الله «بمرضٍ ثقيل جداً حتى أشرف بعد أيام قليلة على حالة التآلف. وكان في وجلٍ عظيمٍ من أن يدهمه الموت وهو بحالة الشكوك». واستدعى أحد المشايخ ليرتشد منه عساه يهدئ جأشه ويسكت روعه» (٦ أ). ولكنه أقسم قسماً عظيماً إنه إذا ما رجعت إليه الصحة سيعمل على اعتناق دين يرى فيه خلاصه. وبعد تماثله للشفاء سافر إلى أوروبا، وهو يتقن ثلاث لغات، واعتنق دين الكناكفة. ثم راح يفند رسائل الحكمة وينصح مشايخه الأقدمين بالنظر فيها والارتداد عنها. ويروي لهم قصة فخر الدين الثاني مع ترجمانه حول الدين المسيحي. ويبدو أن الأمير كاد يعود إلى بلاده على الدين المسيحي. ولكن ليس في ذلك تصريح.

(١٧) تعليم الديانة الدرزية. هناك نسخة مطبوعة بدون تاريخ. ومخطوط في باريس رقم ٥١٨٨. ومخطوطة من «الشيخ محمد الدرزي البعلبيني النازح من لبنان إلى جبل الدروز»، وهي من خط يده ومن تاريخ ١٣/٢/١٩٢٤. وهذه المخطوطات تكمل بعضها بعضاً. الأولى تقع في ١٠١ سؤال، والثانية في ١٠٤ أسئلة. وهي مصدر للأولى، وترجمها «سلفستري دي ساسي» إلى الفرنسية، والثالثة في ١٢١ سؤال هذا «التعليم» واسع الانتشار، موجود في أيدي عديدة... منها ما هو ناقص، ومنها ما هو زيادة. وقد تجدها باسم «رسالة الإنذار».

### ثالثاً – المراجع الدرزية المطبوعة

(١٨) عبد الله النجار، مذهب الدروز والتوحيد، طبعة أولى في دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٥. وقد أصدرت السلطات اللبنانية المختصة قراراً رقمه ٤٨٩ بتاريخ ٢ تموز ١٩٦٥ يقضي بمنع الكتاب ومصادرته.

\* طبعة ثانية سنة ١٩٦٧ في بيروت دون ذكر المطبعة ولا السنة، ظهر تحت اسم «مذهب الموحدون الدروز». يتصدر الكتاب أقوال تفريظ في الكتاب والكاتب. ص أ - ك. عدد صفحاته ٢٣٤... في هذه الطبعة تعديل بسيط وتوضيح أكثر.

(١٩) أضواء على مسلك التوحيد «الدرزية»، بقلم الدكتور سامي نسيب مكارم. قدم له الأستاذ كمال جنبلاط، ووطأه بايزيد. دار صادر بيروت سنة ١٩٦٦. ١٧٦ صفحة. منها ٧ - ٦١ مقدمة، و ٦٣ - ٧٧ توطئة. وهو يرد، بتكليف من مجلس الطائفة الدرزية، على كتاب النجار. لكن الرد جاء بغير استشهاد واحد بنص من الحكمة.

(٢٠) مذاهب الإسلاميين: فصل «الدروز» من الجزء الثاني، للدكتور عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين،

- بيروت ١٩٧٣، من صفحة ٥٠٧ حتى ٨٢٣.
- (٢١) طائفة الدروز، تاريخها وعقائدها، للدكتور محمد كامل حسين، مكتبة الدراسات التاريخية، دار المعارف بمصر، ١٩٦٢، ١٣٠ ص.
- (٢٢) الواقع الدرزي وحتمية التطور، مجموعة محاضرات، منشورات رابطة العمل الاجتماعي، (رابطة درزية)، سنة ١٩٦٢؛ ٢٣٨ ص.
- (٢٣) الدروز، ظاهرهم وباطنهم، محمد عليّ الزعبي دكتور بالفلسفة، مؤسسة مطابع معنوق، طبعة ٢، سنة ١٩٧٢، ١٨٤ ص.
- (٢٤) التقمص، لأمين طليح، سلسلة «زمني علماً» رقم ١٦٨، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٨٠، طبعة أولى، ١٥٢ ص.
- (٢٥) أصل الموحدين الدروز، أمين طليح، سلسلة «زمني علماً» رقم ٩٧، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٨٠، ٢٠٠ ص.
- (٢٦) إمامة العقل في مذهب الموحدين (الدروز)، عبد الله النجار، محاضرة في دار الطائفة الدرزية في ٦ آذار سنة ١٩٧٤، ٣٠ ص.
- (٢٧) مناقب الدروز في العقيدة والتاريخ، سامي أبو شقرا «دكتور في الفلسفة»، لا ذكر لدار نشر ولا لسنة نشره. لكنه يبدو في ١٩٧٨، ٣١٠ صفحة.
- (٢٨) واقع الدروز، معتقداتهم، خلواتهم، أدباؤهم، وضعه بالفرنسية حافظ أبو مصلح، ترجمة نازك فوّاز، المكتبة الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، ٨٨ ص. بدون تاريخ، لكنه يبدو من سنة ١٩٧٨.
- (٢٩) الدروز في ظلّ الاحتلال الإسرائيلي، غالب أبو مصلح، منشورات مكتبة العرفان، ١٩٧٥، ٢٨٠ ص.
- (٣٠) الدروز، مؤامرات وتاريخ وحقائق، فؤاد الأطرش، بيروت ١٩٧٥، طبعة ثانية، ٣٩٢ ص.
- (٣١) الدروز: وجودهم ومذاهبهم وتوطنهم، الجزء الأول، للأستاذ سليم أبو اسماعيل، مؤسسة التاريخ الدرزي، بيروت، بدون تاريخ.
- (٣٢) أضواء على تاريخ مذهب التوحيد، توفيق سليمان، بيروت، دار ألف ليلة وليلة، سنة ١٩٦٣، ٢١٩ ص.
- (٣٣) تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي، تأليف الدكتور عباس أبو صالح الاشتراك مع الدكتور سامي مكارم، منشورات المجلس الدرزي للبحوث والانماء. بدون تاريخ، لكنه من سنة ١٩٨٠. يقع في ٤٣٢ صفحة.
- (٣٤) «أصل الدروز» لسليمان أبو عزّ الدين، مقال في مجلة «المقتطف»، يونيو سنة ١٩٣٠.
- (٣٥) مشيخة العقل والقضاء المذهبي الدرزي عبر التاريخ، للقاضي أمين طليح، رئيس غرفة في محكمة التمييز اللبنانية. (ويحتوي مجموعة قوانين الأحوال الشخصية، وتنظيم القضاء المذهبي الدرزي

- المعمول بها حالياً). المطبعة الانطونية، بيروت ١٩٧١، ١٧٥ ص.
- (٣٦) قضاء الموحدين «الدروز» في ماضيه وحاضره، حلیم تقي الدين، رئيس المحكمة الاستئنافية العليا الدرزية، الطبعة الأولى ١٩٧٩، توزيع دار النهار للنشر، بيروت. ٤٤٥ ص.
- (٣٧) هذه وصيّي، كمال جنبلاط، مؤسّسة الوطن العربي للطباعة والنشر، طبعة أولى ١٩٧٨، ١٥٨ ص.
- (٣٨) إسلام بلا مذاهب، الدكتور مصطفى الشكعة، الدار المصرية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧١، ٥٢٠ ص.
- (٣٩) الدولة الدرزية، بيجيه ده سان بيير، سنة ١٧٦٢، ترجمة حافظ أبو مصلح سنة ١٩٦٧، الناشر محمّد آل ناصر الدين، قدّم له يوسف يزبك. عدد صفحاته ١٤٧.

## رابعاً – كتب التاريخ والسّير

- (٤٠) ثلاثة علماء من شيوخ بني معروف، شعرهم، آدابهم، تصوّفهم، عارف أبو شقرا، سنة ١٩٥٧، ١١٢ ص. لا دار نشر.
- (٤١) التتوخي الأمير جمال الدين عبد الله، والشيخ محمّد أبو هلال المعروف بـ«الشيخ الفاضل»، طبعة ثانية، دار الصحافة بيروت سنة ١٩٦٣. عدد صفحاته: أ – ع + ٣٠٤ ص.
- (٤٢) سيرة العارف بالله الأمير السيد جمال الدين عبد الله التتوخي، أبو عليّ مرعي (تلميذ التتوخي)، بيروت سنة ١٩٦٣.
- (٤٣) وليّ من لبنان، سيرة العارف بالله الأمير السيّد جمال الدين عبد الله التتوخي، قدّس الله سرّه، يوسف ابراهيم يزبك، طبعة ثالثة، منشورات «أوراق لبنانية»، سنة ١٩٦٠، ١٠٠ ص.
- (٤٤) الحركات في لبنان إلى عهد المتصرّفية. وهي شهادة درزية صريحة في مخطوطة تلمّ بحوادث لبنان وأحواله يُدليّ بها من رواة الدروز شاهدُ عيان ويساهم بها واحدٌ منهم لأوّل مرّة في تاريخ لبنان. الراوي: حسين غضبان أبو شقرا، المؤلّف: يوسف خطار أبو شقرا، الناشر، عارف يوسف أبو شقرا. المكتبة الأهلية في بيروت سنة ١٩٥٢ عدد صفحاته ٢٥٦.
- (٤٥) الحركات الفلاحية في لبنان، النصف الأول من القرن التاسع عشر، تأليف أ. سميّليانسكايا، تعريب عدنان جاموس، دار الفارابي، بيروت ودار الجماهير دمشق، ١٩٧٢، ٢٥٦ ص.
- (٤٦) «النقد التاريخي وعروبة آل معروف» مقال في «مجلة المجمع العلمي العربي» بدمشق ج ١١ سنة ١٩٣١، لشكيب أرسلان. يردّ فيه على الدكتور فيليب حتّي الذي ينكر هذه العروبة.
- (٤٧) تاريخ بيروت وأخبار البحريين من بني الغرب. الأمير صالح بن يحيى التتوخي من عبيه، وضعه سنة ٨٤٠ هـ / ١٤٣٦ م. طبعه لويس شيخو سنة ١٩٠٥ طبعة أولى، وطبعة ثانية سنة ١٩٢٧، وأعيد

طبعه في بيروت دار المشرق سنة ١٩٦٩ في ٢٨٤ ص.

(٤٨) تاريخ ابن سباط: جزءان كبيران. يوجد منه نسخة في الجامعة الأميركية ببيروت تحت رقم ٢٨١٨٦، وثانية في المكتبة الوطنية في باريس، رقم ١٨٢١، وأيضاً في الفاتيكان وفي المكتبة الشرقية... ومعظم المخطوطات ناقص، وتكمل بعضها بعضاً.

(٤٩) تاريخ بن سعيد الأنطاكي، صنّفه تتبّعاً لتاريخ سعيد بن بطريق. طبعة الأباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٠٩، من ص ٨٩ حتى ٣٦٣.

(٥٠) تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، للدكتور حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، طبعة ثانية ١٩٥٨، ٧٤٢ صفحة.

(٥١) الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، طبعة ثانية ١٩٥٩، ٤٢٣ صفحة.

### خامساً – بعض ما نشر من رسائل الحكمة

(٥٢) كتاب الأنيس المفيد للطلاب المستفيد وجامع الشذور من منظوم ومنثور. الجزء الثاني: «لمع من كتب الدروز أصحاب حمزة بن علي» ويتضمن الرسائل التالية مع ترجمتها إلى الفرنسية: رقم ١ و ٢ و ٤ و ٥ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٤٣ و ٨٣ و ٨٤. صفحاته من ٦٧ حتى ١٥٥. وصفحات الترجمة: من ١٨٩ حتى ٢٧٧. وعليها شروحات وتعليق. وهي من نشر M. Le Baron Silvestre de Sacy

في: Impr. Royale, 1826..... Chrestomathie arabe

(٥٣) L'Épître à Constantin (No 53), écrit religieux druze, publié et annoté pp. J. Khalil et L. Ronzevalte, in Mélanges de la Faculté Orientale, III, Fasc. II. Université St. Joseph, Beyrouth, 1909, pp 493-534.....

### سادساً – المراجع الأجنبية

- 54) Le Baron Silvestre de Sacy, Exposé de la Religion des Druzes, 2 tomes: I-VIII + DXVII+ pages; t. II: 708 p. Librairie Orient-Editon, Paris 1838; Réimpression 1964.
- 55) Henri Guys, La Nation Druze, son histoire, sa religion, ses mœurs, est son état politique; Paris, 1863; 233 p.

- 56) H. Guys, Théogonie des Druzes, ou Abrégé de leur système religieux, traduit de l'Arabe avec notes explicatives et Observation critiques. Imp. Impériale, 1863; XXII+ 141.

وهو ترجمة لمخطوط عربي من عمل الأب حنانيا منير الذي يختصر بدوره مخطوط «مختصر البيان في مجرى الزمان» (رقم ٨ من هذه المراجع).

- 57) Sami Nassib Makarem, The Druze Faith; Edit. Caravan Books, Delmar, New York, 1974; XII+154 p.
- 58) Selim Hassan Hichi, Doct. En Hist., La Communauté druze, son origine et son histoire, Beyrouth, 1973, 80 p.
- 59) Capitaine N. Bouron, Les Druzes, Histoire du Liban et de la Montagne Houranaise, Paris, 1930.
- 60) Charles Churchill, The Druzes and the Maronites under Turkish rule from 1842 – 1852; London, 1862.
- 61) Philip Hitti, The Origins of the Druze. People and Religion; New York; Colombia University Press; 1928.
- 62) G.W.Chasseaud, The Druzes of Lebanon, their Manners, Customs and History, London, 1855.
- 63) Capitaine Carbillet, Au Djebel Druze, Choses vues et vécues; Ed. Argo, Paris, 1929.

صُور  
من الحكمة  
وشرُوحَاتِهَا





١١٧ حقا

بعد التوحيد ما بعد غافي احمد اليك مولانا الذي لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم  
 تكهده حمد المشكرين حقا لانها ذكرها لآخره ايد الابد من وقال ما بعد غافي احمد ليك وقال الحمد  
 والشكر مولانا وحده وقاد لعل لولي التعمير مولانا واللفظ هو كثر في ان يتخضع هذا المشروع معناه  
 حيث وقع حقا وعن الطريق اي ما فيها فقد لبقوله الويل لقل الويل لمن صاد عن طاعتك وحسن  
 وقاد عقابين عصية حاد عن الحق المفهوم وهو التوحيد وقاد في القسط طينها بحايد من  
 عن سنن الدين وحق يقهر القهله حين كان من قرية حرمه وهو يحل باريشا ومن قد  
 ميز ان عمل تره من قوله واما حيد وعكرو تبا عن كنهنا الفساق الذين قطعوا لسانهم  
 اربابك بصلته للفضل لوله عليكم بطاعة حدهم كتمسكهم من فقه حيد لم تعالم قوله ونشروا  
 التوحيد لا فاق حده وده وبعثت الراجح انهم لما يشاء في سنين قوله وحطاهم بالادب والارشاد  
 كما يردد وجهه من لكل امام ايد لكل ناطق من قوم المتشككون بحده وفي الازمان لم يرد  
 الا دعه والدين التوحيد فله المستفهم الى الكد ومولانا بحده والمقرين بين الذين فوق القائل  
 قوله معني كنهنا العوام بحده وهم الاربعة قوله وسلاوة على حده وده الاربعة قوله  
 في الاثر لحد وده الاربعة وفي الاثر قائم والوسيلة الكسرى كنهنا في القاب قوله فحده  
 يتبعه الفاضل حيدان وهو القرشي شيراي بي قريش فبسطه لخطبه وهو سليل لحد في  
 الاثر حيد و كان الامام اذا اصنف رسائله فنادى في حده الرابطة بين وناوه في  
 سعيه القدر وبه تتخرج علي بن ابي طالب المشايخ الاطلاق ولما جاني لحد في ابي تبارك  
 هو الهادي باصواته مثل مثل لحد بلحبي يا صبيته يا ابي الاولين والآخرين امة في ارضه  
 سندن ولما ظهر في الشارح بعد لسابق سلامه وانتهت لسابقه عان البر وملا حيد  
 غاب مع المستشرق في زحفه المستور كان فيهما فلما هلت العاشرة ان من جملة لحد  
 وهو ارجو تم استقام في كفاه يا عسكر كنهنا ولما غاب من غاب في ارجو حكاية معهم يقين في  
 ليد ان رجلا لحد بين كان من حلتهم حيد بن حيد الله اعظم لولتنا اولي العزم فرة  
 ناموسه وفضل اولد كنهنا في اربع الايام وانا لسا بعد الصفر في عام الف والمان ابره قدوم لحد  
 عجزه لفتح ومانت امة في السنة السادسة من حده على الاصح في حده حيد لحد في سنة  
 وكان ابره فغيره لم يخلف سوى حيد جمالو جاريزه واذ في حده انعم حيد بن حيد مع حده  
 متبعا فغيره مات حده وهو ابن ثمانين فكنز لحد ولبوطا بن حيد في حكاية العرب تقول لحد في



وَأَمَّا الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنْهُ فَسَاءَ مَا يَشْرَبُونَ فَأَلْقَوْهُمْ فِي  
تَلَابُثٍ فِي الْأَفَاقِ ، حَتَّمْ رَبُّكُمْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ  
غِشَاوَةً ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مَهِينٌ .

## عَرَفَ الْجَنَّةَ وَالْجَنَّةَ الْعَجِيبَ الْمَجْرِي

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، لَا يَمْنَعَنَّكُمْ مَهَابَةُ  
النَّاسِ أَنْ تَقُولُوا الْحَقَّ إِذَا عَلَّمْتُمُوهُ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ أُنْفُسَنَا عَمَلِي  
تُقَدِّمُونَ بَيْنَ يَدَيْ مَوْلَاكُمْ قَوْلَهُ حَقٌّ عِنْدَ مَنْ تَصَكَّبُوا  
بِحَاثِرٍ .

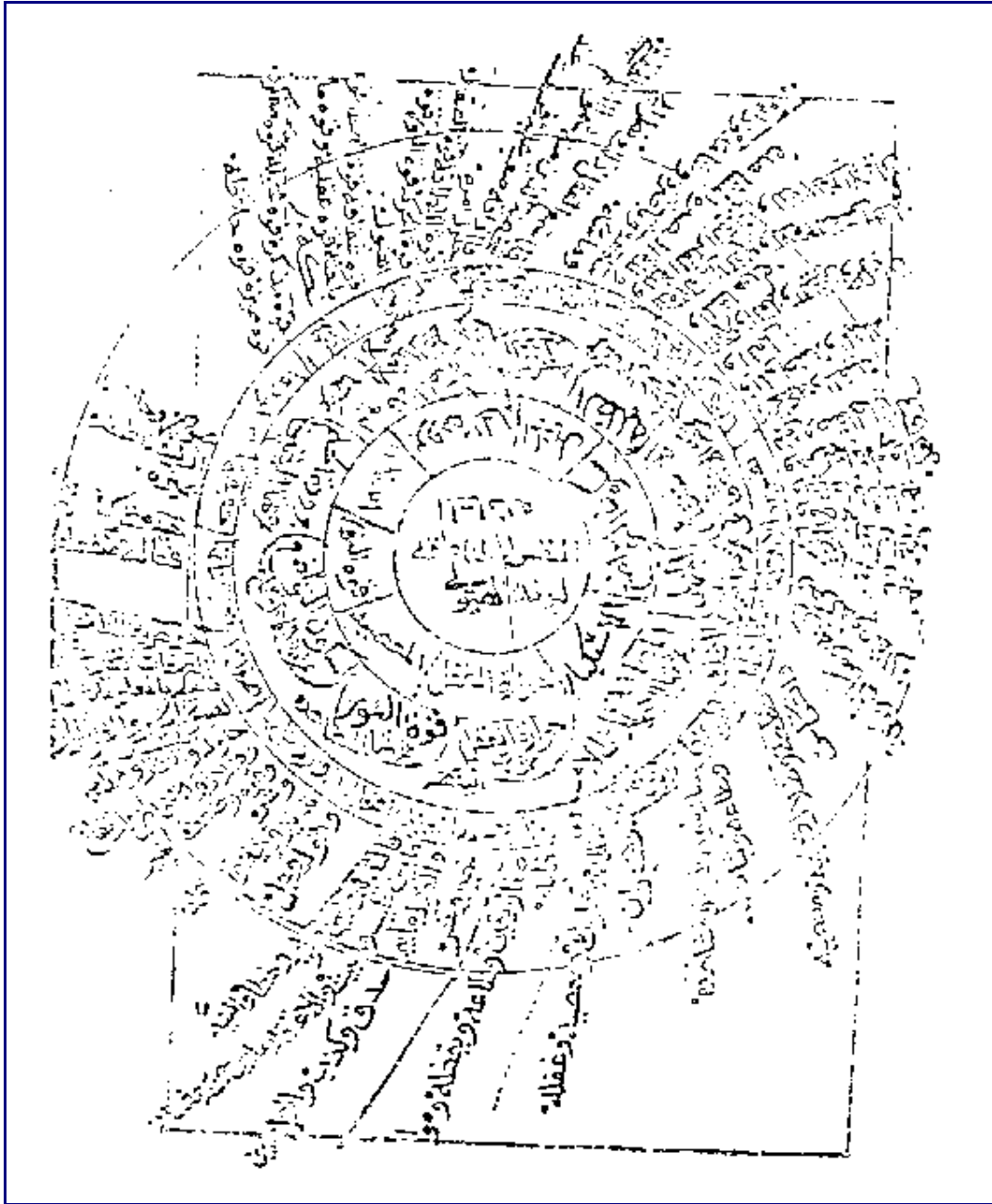
نَادَى أُولَ الْعَرَمِ مِنَ الَّذِينَ سَبَقُوا : قَدْ هَكَرَ  
الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَتَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ، وَبِذَلِكَ  
شَهَادَةُ الْكِتَابِ ، وَلَسَوْفَ تَشْهَدُونَ . سَأَلَتْ سَائِلٌ  
بِعَذَابِ وَقَعٍ لِلْكَافِرِينَ ، لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ، وَهَكَذَا مِنْ مَسْأَلٍ

ذَلِكَ الْحَبِّ عَلَيْهِ ، الْعِنَايَةُ أَمْنَا وَسَلَامًا وَسَكِينَةً . فَمَا  
 أَسْعَدَهُ بَيْنَكَ الرَّعُودِ وَالْبُرُوقِ وَالْغَمَامِ وَالْمَطَرِ بَيْتِهِ .  
 فَفِي رَعْدِهِ مُنَابَجَاةُ الضَّلْصَلَةِ ، مِنْ صَلْصَالِ كَالْفَخَّارِ ،  
 وَفِي بَرْقِهِ مَشَاهِدُ مَوْلَاهُ الدَّارِيَّةِ ، وَفِي الْغَمَامِ سُورٌ  
 تَجَلَّتْ ، لَوْجُوهُ فَضُرَتْ ، وَفِي الْغَيْثِ تِلْكَ الْمَعَارِفُ  
 وَالْعُلُومُ ؛ حَتَّى إِذَا فَرَّغَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، قَالُوا مَاذَا قَالَ  
 رَبُّكُمْ ، قَالُوا الْحَقُّ . وَتَسَاقَطَتْ أَمْثَارُ الْأَشْجَارِ أَمَامَهُ ،  
 وَفِيهَا هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ  
 وَالرَّادِيكَةِ ، وَلَقَدْ اهْتَمَرْنَا كُلُّ عُمْرٍ . وَهَيْئًا لِهَذَا  
 الْعَنْدَلِيبِ بَرُوقِيَّةِ الرَّؤْيِيَةِ ، وَبِذَلِكَ الْإِسْتِثْنَانِ ، وَرَفَعَ رِدْنَهُ  
 فَأَذِنَ لَهُ سَيِّدُ الْأَسْيَادِ ، وَمَادَتْ تِلْكَ الْأَوْتَادُ ، وَاهْتَمَرَتْ  
 بِالْأَبَالِسَةِ الْبِلَادُ ، وَقَامَ لِقْدُومِهِ وَقَعْدُ . وَتَنَادَى سَائِلًا  
 مِنْ أَيْمَنِ حَضَرَ رَسْكُكَ الْمُحْفُوظُ ، الْمَصَانُ الْمُدْحُوظُ ، الْغَيْبِيُّ  
 بِالْعِنَايَةِ الْمُحْفُوظِ . قَالَ : مِنْ بَلَدِ الْحَسْبِيِّ النَّسِيبِ الْعَبْدِ ،  
 وَمِنْ مَدِينَةِ الْجَسَدِ الْغَرِيبِ ، وَمِنْ الْمَقَامِ الْأَدْنَى فِي الْجَبَلِ

الأرض

والتي هي في معانيها من ادق اللطائف كما قال بعض  
اللسان في العبد من عرف جوهره وعرف كماله الاخرى به  
وصرف سعيه الي تحصيله في صلبه من جوهره ومختلها  
اوتيه من فضيلة زاده مشغوقا بما بين الله من الزلفي اليه من له  
لخلق والامر في الطور بغير اليد وقد تعافى في هذا التعليل من  
سفرة النفس الناطقة الباقية وطبايعها وانفعالها في احوالها  
وبان حالها ما فيه متعكس ناطقة وبصين البصيرة في  
تقية كما من السعة في الاعيان وزاد في الاولي ثانيا علي  
جوهر النفس الناطقة وصورة ليوثه الخبيث والحال من  
تركيبه وامتزاجه من الابع المتضادة فيد التي كل  
طرح منها ملاصق ضدية وفي الاية الثانية بيان مقابلات  
الطبايع الوليد والصدية ومقابلات نواز الاية الثانية  
نضمن من الفوائد مائة فائدة لا شاء شريين يشاؤني  
بيت منها اخر فوايد وقرانها من حقيقتها وهذه صورتها  
وبالله المستعان .

رابعة



على الشوايح وتكون على التمام. وتسمى **المتجهين** بزوايا راسم ذلك رصدها. وكان من الكفا والاكبر  
 وتواردا في معرفة كل يوم فكلما زاد من ذلك الفعل وكان المال واليوم بعدة ليس في حجة. ومن عندنا **المد**  
 فناء. وفي سنة ارجائه للجمرة. وكان سؤال السهو في الشعار والحق صبر عن امر وسيم بالقر  
 اليد في سنة ركعت تعرف بقباب الطير وهي الى الان مشهوره. وكانوا انما اجتمعت وعنده معرفة طائر  
 عنهم. كانت من فصد بجره والفرقة كانت مقابر السطاح في يد نهارا اما الان فقد حازت للقاهرة  
 سفرة عظيمة في ذيل الجبل. وفي هذه السنة سرح جامع تاسعة التوسيع التي وسيل مات الصبر  
 زجلا في سنة ذلك وهو في شجالي لتمام تحت المارة الشاه التي ردت من اثارها كغيره في فعل  
 بينها حلبة والعمارة والاشاي. دار تحت عليهم الاوقاف. ثم ظلمهم وقد منها راسم صلاة القروية  
 عشرين سنة. ثم اياها وكان يعمل الحسنة بتسليم يدي وزينة الاسواق وهو راسمها وانجس  
 زجلا فاش في يدنا عند سطر عليه عند اسودنا في يدي. وكان من عمل الخارطين والعمالين  
 ثم قد تم ونسب النساء من الطورج من سببون سنة سبب بدمته لاسا حكمة من عمل الاحتجاب  
 بسبب راد كمن عن **الحد** الموجهة بسبب معاوية السباع. وعمل خرمم بغير كبره مشهور  
 في عيشة والاشاي هو خرمم عند حرا ليعتق. ثم لفته اطلع على حجة اعطاه اللبنة فصرم في الدنيا  
 فوادهم انما هرة ومصرها لهم بيان زينة. وبعد حكمة ان امرأة انقضت طهرها الملوحة فحاف  
 سفره حاجهم فلفت عليه فاستدى مخرجة ووضعت تحت وحججه وركبت اياهان فخرته ولما حكم  
 فاحده. راد عذبه بالزواج القذاب وقيل كلفه راد من غير ان يلبس. ثم رخصه في حبه او العرقه  
 وحسب بقدا راد الشفة على الحرافد محسبا ليد وبنادا فاد وندد من غير ان يلبس في حله وهو ما الى  
 والي. ادو فظفوا شيا كثيرا من الكسور الذي يد يا ربي فاشبهه بالاش عظمي في ذبيحة  
 في سنة. ناصر اجرا راس من غير الخمر. ففي سنة ثلاث وسعين وثلاثا شدة حبه انما راد من  
 شربها في ميمر وجمع ما حكام في يدوه من الزبيب. وان فقد. وجمع ايضا لسطر بها من حرم  
 نفس وهي **سنة العشرة** وحلت في ايامه الليل والبنينة هو من ليد عمل بها وقد حله خرمم  
 خرمم في سنة حكران ما قد منها وما حكام يسوق من حله للجمرة. وفي هذه السنة فتح حله  
 لثور باسبل مشكورا وعرف به لما حكم. تحتها اليد ويطلب وقد حله في سنة





الإنسان بعض رسائل الحكمة بالأحفظ وعنف  
عوض ذلك ما يقم به للسائر كان ذلك  
واجب لأن الإنسان إذا عرس بشئنا ولم يقم  
شيء لم يسلم أبداً وإذا عرسه بشئ نقص بعض  
غير أسه وجعل عوض ذلك النقص حاجزاً يصون  
كان ذلك أقرب للإسائه وأتبع فيه وكذلك  
مذهب التوحيد ما يصح لأجد حجة كاملة  
الإبانتشار والاستتار بالمألوف هو أن كان  
الحق ساكن بين أهل الظاهر المتزينة فيستأثر  
بدهم من صلاة وصيام وحج وتقديم أبو بكر  
وقم وعثمان علي بن أبي طالب وغير  
ذلك وإن كان ساكن بين الثاوية في بلاد  
عالية الشيعه فيستأثر بسنده الشاوية

٧٥  
لِأَنَّ الْخُلُقَ السَّمْحَ عَوْنٌ عَظِيمٌ لِلْأَمْرِ عَلَى  
رِيئِهَا وَعَلَى طَاعَةِ رُجْحِهَا مَشْرُوحٌ وَتَرْجُوحٌ وَإِذَا  
كَانَتْ سَلِيطَةً سَيِّئَةَ الْخُلُقِ كَافِرَةٌ لِلنِّعَمِ  
كَأَنَّ الصَّوْرَ فِيهَا كَالثُّومِ مِنَ النِّفْعِ وَيُنْبَغَى أَيْضًا  
أَنَّ الرَّجُلَ لَا يَنْكُحُ أَمْرًا مَنَافَةً وَلَا حِدَاقَةً  
وَلَا بَرَاقَةً وَلَا كَدًّا قَدًّا وَالْمَنَافَةُ هِيَ الَّتِي  
تَمُنُّ عَلَى رُجْحِهَا فَتَقُولُ فَعَلْتُ بِكَ لِأَنَّكَ  
كَدٌّ أَوْلَدْنَا وَأَوْلَدْنَا قَدًّا الَّتِي تَرَى بِحَدِّ قَدِّهَا  
إِلَى كُلِّ تَبِيٍّ فَتَشْتَهِيهِ وَتُكَلِّفُ الزَّوْجَ  
شُرَاهُ وَالْبَرَاقَةُ أَنْ تَكُونَ طَوَالَ النَّهَارِ  
فِي تَصْفِيلِ وَجْهِهَا وَتَرِيئِهَا لِيَكُونَ

لَا تَقْبَلُ الْخَيْرَ مِمَّا نَاكَشِفُ لَا تَشُدُّ عُقُوبًا وَلَا تَأْتِي  
وَلَا أَصْرًا مَسِيئًا وَلَا أَعْظَمَ قِتْلًا وَلَا تَوِيكَدًا لَدَا عَظَمٍ  
رَغْبَةٍ فِي شَيْءٍ وَتَشْهَوَاتٍ تَهْتِكُهَا وَلَا تَبْجَسُ  
مَعَاوِيَةَ مِنْ تَحْتِهَا بَنِي عَبْدِ اللَّهِ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ  
ذَلِكَ فَالْمَا ذَكَرَهُ يَجْمَعُ نَوَاصِرَ الْأَطْفَالِ وَهُمْ  
أَجْمَعُونَ لَا يَكْتَسِبُ فِيهِ قَبِيحَةٌ وَعِنْدَهُ نَوَاصِرُ عَمَلٍ  
كَأَخْبَرَاءِ لَهُمْ الْجَسَعُ وَزَادَ مِنْ عَلَيْهِمْ بَحَارًا مَعْرُوفَةً  
بِهَا فِي وَسْمِمْ فَافْعَلْ فِي الْأَقَامِ مَعَ أَيْ حَوْضِهِمْ  
وَأَخْبَرُوا أَيْ كُنْ نَفْسًا وَاحِدَةً لِحِكْمَةٍ زَادَ عَلَيْهِمْ  
وَبِهَا خَالِئَةٌ خَلِيفَةُ السَّاطِقِ وَحَلِيفَةُ بَعْضِ مَوْلَى  
أَيْ الْأَسَاسِ وَهُوَ خَلِيفَةُ السَّاطِقِ بِنِي تَوْخَرِ بَعْدَ  
مُخْتَلَفَةٍ وَكَانَ يَأْوِلُ مَا آتَى بِهِ السَّاطِقُ لِأَنَّهُ وَسِيْلَةٌ  
وَأَشَارَ إِلَيْهِ دُونَ الْأَسْمَاءِ كَمَا نَمَّ فَتَحَدَّثَ بِأَيْ كَلِمَةٍ  
وَنَفَذَ